الجمهوريّة التّونسيّة
وزارة التّربية

كتاب التّاريخ

للسنة الثّالثة من التّعليم الثّانوي
شعبتا : الآداب والاقتصاد والتّصرّف

المؤلفون

صالح بن حسين
متفقّد أوّل

الطّاهر حميدة
متفقّد أوّل

البشير العايدي
متفقّد

رشيد بن مسعود
أستاذ أوّل

المقيّمون

حسين بن عبد اللّه
متفقّد عامّ

عبد السّلام بن حميدة
أستاذ جامعي

الهادي العثمي
متفقّد

المركز الوطني البيداغوجي

المقدّمة

يسرّنا أن نقدّ م كتاب التاريخ لتلاميذ السنة الثالثة من التعليم الثانوي شعبتي الآداب والاقتصاد والتصرف والذي تمّ تأليفه تلبية لتوجّهات وزارة التربية والتكوين في إطار تحديث البرامج وتطويرها بما يجعل التلميذ محور العملية التعليمية التعلّمية وبما يكفل تحقيق مقاصد تدريس مادة التاريخ وتعزيز مكانة التاريخ الثقافي فيه.

يشتمل الكتاب على خمسة محاور، تتناول أ حداث وتحولات العالمين الغربي والإ سلامي وتطور العلاقات الرابطة بينهما خلال الفترة الحديثة.

يتضمّن المحور الأول مسار كلّ من الغرب المسيحي والعالم الإسلامي خلال القرن السادس عشر.

أمّا المحور الثاني فيركّز على تحوّ لات العالم الغربي في القرنين السابع عشر والثامن عشر.

بينما يتناول المحور الثالث بالدرس بداية ضعف الإ مبراطورية العثمانية وتراجعها في فترة كانت أوروبا الغربية تشهد خلالها تحولات مهمّة في كل الميادين.

ويتناول المحور الرابع بالدرس الثورة الصناعية وتركيز الاقتصاد الرأسمالي في القرن التاسع عشر.

أمّا المحور الخامس فقد تمّ فيه التركيز على النهضة العربية الحديثة وتطور الإيالة التونسية في القرن التاسع عشر.

لقد تمّ بناء الدروس في هذا الكتاب وفق مقاربة التعلّم الاندماجي التي تنطلق من مدخل يطرح إشكالية مركزيّة لكلّ درس ثمّ يتمّ التركيز على مجموعة من الأ نشطة تدفع التلاميذ إلى معالجة تلك الإ شكالية باستثمار جملة من الموارد المتمثّلة في النصوص التاريخية المصدرية والجداول الزمنية والخرائط والرسوم والصور والجداول الإحصائية والمعطيات المكمّلة وبالاعتماد على تعليمات دقيقة تيسّ ر للتلاميذ اكتساب المهارات الضرورية وهيكلة المعارف التاريخية وفق منهجيّة دقيقة وواضحة يساعد ركن "أهيكل مكتسباتي" الوارد في آخر كلّ درس على ترسيخها وإثرائها. وقد حرصنا على توفير موارد متعدّدة ومتنوّعة يمكن للمدرّس انتقاء ما يراه ملائما منها لإنجاز الدرس.

وفي نهاية كلّ محور من محاور الكتاب تمّ إدراج ملفّ منهجي تقييمي يساعد التلميذ على اكتساب قدرة من القدرات المستهدفة من تدريس المادّ ة في هذا المستوى التعليمي مثل: قراءة الأ ثر الفني ودراسة الكاريكاتور وتحرير المقالة التاريخية ودراسة الوثائق التاريخية...

ولئن كان هذا الكتاب موجّها بالأ ساس إ لى التلميذ فإنه بإمكان الأ ستاذ استخدامه مثالا يحتذى لتحقيق أهداف البرنامج الرسمي الذي حاول المؤلفون جاهدين احترامه. والله وليّ التوفيق.

المؤلفون

أستكشف الكتاب



الفهرس

المحور الأوّل

أوروبا والعالم المتوسّطي في القرن XVI

مقدمة:

يتناول المحور مسار كلّ من الغرب المسيحي والعالم الإسلامي خلال القرن السّادس عشر. فبينما شهد الغرب المسيحي نهضة فكريّة وعلميّة وفنّيّة دعّمتها حركة الاكتشافات الجغرافيّة الكبرى جعلته يتحوّل إلى قوّة تحرّكها طموحات جامحة للتّوسّع، عرف الجزء المتوسّطي من العالم الإسلامي انتعاشة تمثّلت في حركة التّوسّع والتّنظيم الّتي شهدتها الدّولة العثمانيّة لكن دول المغرب العربي وخاصّة منها تونس الّتي لم تواكب هذا التّطوّر ممّا جعلها عرضة لأطماع الطّرفين ومسرحا للصّراع بين الإسبان والعثمانيّين تحوّلت على إثره إلى إيالة عثمانيّة.

– 1450 – اختراع الطّباعة	– استيلاء العثمانيّين على القسطنطينيّة (1453) – 1492 : سقوط غرناطة – 1492 : اكتشاف أمريكا – 1498 وصول البرتغاليّين إلى الهند	– 1520 – 1566 : عهد سليمان القانوني – 1535 – استيلاء الإسبان على تونس – 1543: نشر نظريّة كوبرنيك	– الحروب الدّينيّة بأوروبا : 1562 ـ 1598 – 1571 : انتصار الإسبان في معركة ليبانت – 1574 : تونس إيالة عثمانيّة

أوروبا والعالم المتوسّطي في القرن السّادس عشر

الدّرس الأوّل : الاكتشافات الجغرافية الكبرى

الدّرس الثّاني : النّهضة الأوروبيّة : المظاهر

الدّرس الثّالث : النّهضة الأوروبيّة – دراسة شخصيّة علميّة : نيكولا كوبرنيك

الدّرس الرّابع : النّهضة الأوروبيّة – دراسة أثر فنّي: الجوكندة

الدّرس الخامس : التّوسّع العثماني وتنظيم الإمبراطوريّة

الدّرس السّادس : مظاهر أزمة الدّولة الحفصيّة

الدّرس السّابع : الصّراع العثماني الإسباني في المتوسّط وانتصاب العثمانيين في تونس

الدّرس 1 الاكتشافات الجغرافية الكبرى ونتائجها

المدخل

أشار المفكر الفرنسي مونتاني Montaigne إلى حركة الاكتشافات الجغرافية الكبرى التي أنجزتها بعض بلدان أوروبا الغربية خلال النصف الثاني من القرن XV والنصف الأول من القرن XVI قائلا: "ها قد وجد عالمنا عالما آخر".

انطلاقا من هذه القولة أدرس حركة الاكتشافات الجغرافية الكبرى لأتبيّن دورها في النهضة الأوروبية.

النشاط الأول : أتعرّف الظروف التي حفّت بحركة الاكتشافات الجغرافية الكبرى

الموارد :

الوثيقة 1

إثر استيلاء البرتغاليين على سبتة[1] (1415) جهز الأمير هنري[2] عدة مراكب مسلحة قصد التعرف على الأراضي الواقعة بعد جزر الكناري وبعد الرأس الملقب ببوجادور[3] ... ويقول (البعض) أن مركبتين شراعيتين قد توجهتا إلى هناك و لم تعودا أبدا. وكان الأمير شغوفا بمعرفة الحقيقة فوجه سفنه الخاصة إلى هذه الأصقا ع، فكان هذا السبب الأول لمشروعه.

أما السبب الثاني فيتمثل في التأكد من صحة الفكرة القائلة بوجود بعض الموانى التي يمكن الإرساء بها دون خطر مما يمكن المملكة البرتغالية من التزود بالكثير من البضائع بأثمان زهيدة.

ويكمن السبب الثالث في تطلع هنري إلى معرفة إن كان هناك أمراء مسيحيون أقوياء لإعانته ضد هؤلاء الأعداء للعقيدة (المسيحية).

أما السبب الرابع فيكمن في رغبة هنري الكبيرة في نشر الديانة المسيحية

ايناس أزارورا[4] وقائع اكتشاف غينيا وغزوها (1543)

[1] سبتة مدينة على الساحل المتوسطي للمغرب الأقصى.

[2] الأمير هنري المعروف بهنري الملاح (أنظر الوثيقة رقم 3).

[3] رأس بوجادور: يوجد على الساحل الأطلسي للصحراء الغربية.

[4] أزارورا (G. Eannes de Azarura) مؤرخ البلاط البرتغالي في عهد هنري الملاح.

الوثيقة 2 : رسالة من العالم الجغرافي الإيطالي توسكنلي (Toscanelli) إلى كريستوف كولمب*

إنّي لأكبر وأجل مشروعك الرامي للوصول إلى الهند الشرقية عن طريق البحر منطلقا من الغرب حسب ما وقع بيانه بالخريطة التي وجهتها لك سابقا. ويسرني أنك تيقنت أن هذه الرحلة ليست ممكنة فقط بل هي من الأمور الثابتة التي لا شك فيها والتي لا تحصى فوائدها المادية والأدبية. فسوف تتعرف اثناء هذه الرحلة على ممالك عظيمة ومدن عديدة ومقاطعات شهيرة يتوفر فيها كل ما نحتاجه من ذهب وتوابل ومجوهرات وحجارة كريمة.

عن نشرية جمعية الجغرافيين بنورمانديا، جانفي– مارس 1902

*بحار من أصل إيطالي – يعتبر من أهمّ روّاد الرّحلات الإسبانيّة وقد اكتشف القارّة الأمريكيّة.

الوثيقة 3 : الحكّام في البرتغال وإسبانيا والاكتشافات الجغرافية :

هنري الملاح أو الأمير هنري (1394-1460)
كان ولي عهد البرتغال ومن أهم المشجّعين على حركة الاستكشاف.
أنشأ دارا لصناعة السفن ومرصدا ومدرسة لرسم الخرائط ... جلب العلماء والجغرافيين من بلدان عديدة ومن بينهم العرب.



فرديناند الثّاني (Ferdinand) II ملك أرغونة (1452-1516) وزوجته إيزابيلا (Isabelle) ملكة قشتالة (1451-1504) : لقبا بالكاثوليكيين. وقد تميزعهدهما بعودة الاستقرار السياسي وبتشجيع حركة التوسع والاستكشاف.



الوثيقة 4 :


تطور السفن البرتغالية المستخدمة في اكتشاف المحيط الهندي



	قبل بلوغ بوجابور	من بوجادور إلى رأس الرجاء الصّالح	في المحيط الهندي
النوع	مركب	كرافيل	كرافيل
الحمولة	من 30 إلى 50 طنة	من 40 إلى 50 طنة	من 80 إلى 100 طنة
النوتية	30 شخصا	35 شخصا	50 شخصا
الصواري	من 1 إلى 2	3 أو 4	4
الأشرعة	مربعة	مثلثة و 2 مربعة	2 مثلثة و 2 مربعة

عن جون مايير، الأوروبيون والآخرون من كورتاز إلى واشنطن، نشريات أرمون كولان، باريس 1975، ص 47 (بتصرف)

الوثيقة 5: سفينة "سانتا ماريا" من نوع الكرافيل (المتحف البحري الفرنسي ببراست)

استفاد البرتغاليون والإسبان في بناء هذا النوع من السفن من تجارب الأمم الأخرى مثل العرب.



الوثيقة 6 : أدوات الملاحة التقليدية

البوصلة: (المتحف الوطني للنهضة بمدينة إيكوان) نقلها الأوروبيون عن العرب وتسمح بمعرفة الاتجاه.

الاصطرلاب : يستعمل لتحديد موقع ما على خطوط العرض. و تحسّن هذا الاستعمال في القرن 15 مع اعتماد قواعد وضعها علماء الرّياضيّات في البرتغال.



الوثيقة 7 : المرشدات البحرية (Portulan)

عن اطلس العالم - لازارو لويس، القرن XVI
أكاديمية العلوم بلشبونة



تعتبر هذه المرشدات دليل البحّارة في رحلاتهم بفضل ما تتضمّنه من معطيات هامّة عن السّواحل.

التعليمات

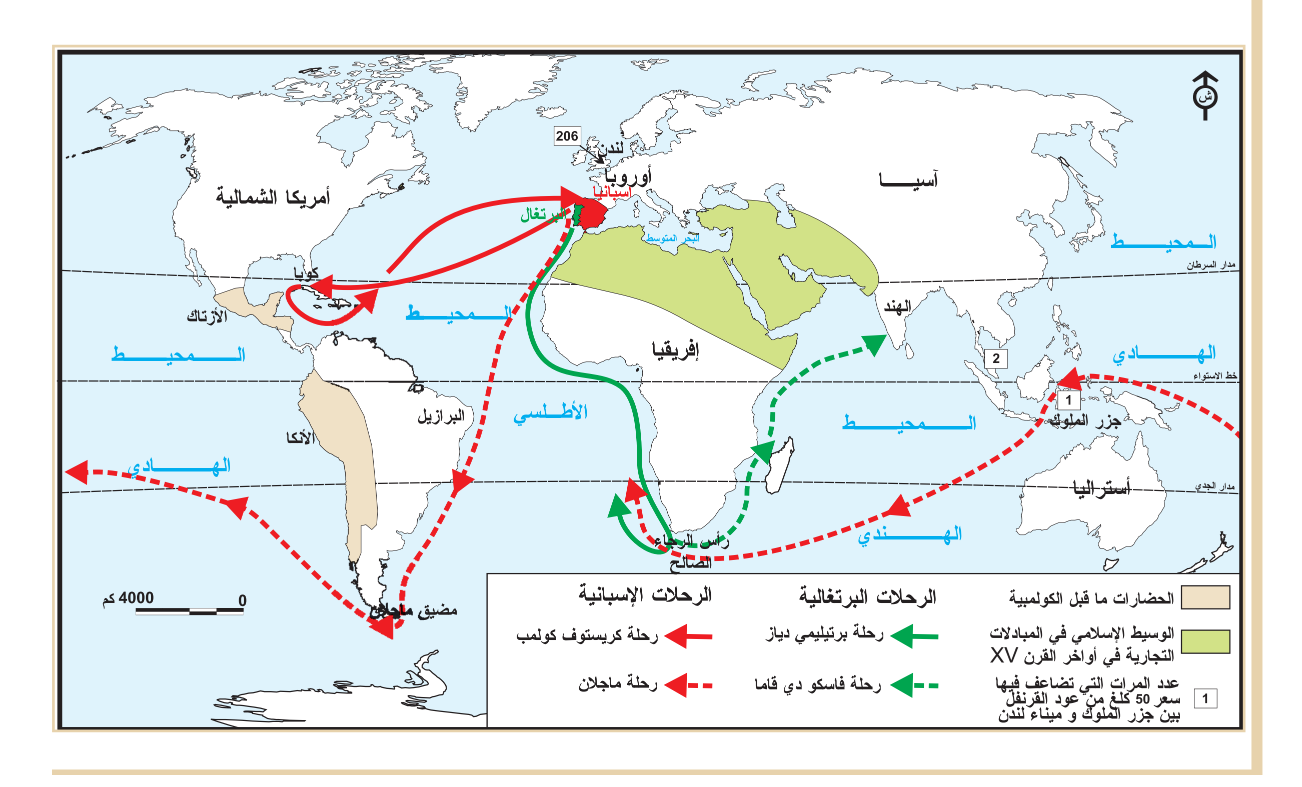
– أذكر الدوافع التي مهدت إلى تنظيم الاكتشافات الجغرافية الكبرى .
– أبرز العوامل التي ساعدت على إنجاز الرحلات الاستكشافيّة .



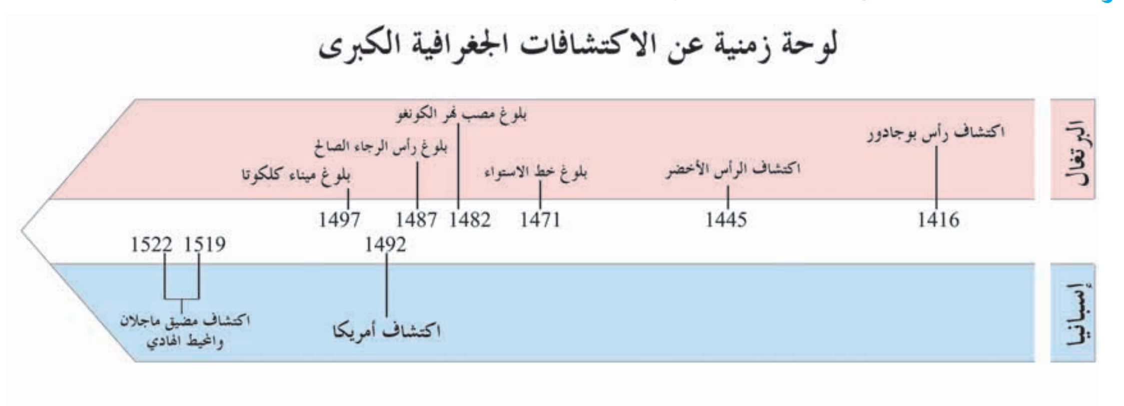
النشاط الثاني : أتبين الرحلات الاستكشافية الكبرى التي نظمها البرتغاليون والإسبان.

الموارد :

الوثيقة 8 : خريطة الرحلات الاستكشافية الكبرى.



الوثيقة 9 : لوحة زمنيّة عن الاكتشافات الجغرافيّة الكبرى.



الوثيقة 10 : أهمّ روّاد الرّحلات الكبرى.

من الجانب البرتغالي



برتيليمي دياز Barthélémy Diaz (1450 - 1500)

رحالة من أصل برتغالي



فاسكودي قاما Vasco De Gama (1469 - 1526)

– بحار قاد رحلته بتكليف من ملك البرتغال

– وقع تعيينه في أواخر حياته نائبا للملك بالهند

من الجانب الإسباني



كريستوف كولمب Christophe Colomb (1451 - 1506)

– بحار إيطالي كان على اطلاع بأعمال بطليموس وخاصة نظريته حول كروية الأرض.

– نجح في اقناع الملكين الأسبانيين بتمويل مشروعه المتمثل في التحول إلى الهند من الغرب



ماجلاّن Magellan (1480 - 1521)

بحار برتغالي وضع نفسه في خدمة التاج الأسباني.

الوثيقة 11 : وصول كريستوف كولمب إلى جزيرة هايتي :التقاء عالمين أم تَصَادُمِهَا ! !



لوحة من إنجاز تيودور دي بري (Théodore de Bry) وتعود إلى القرن XVI (المكتبة الوطنيّة الفرنسيّة – باريس)

التعليمة

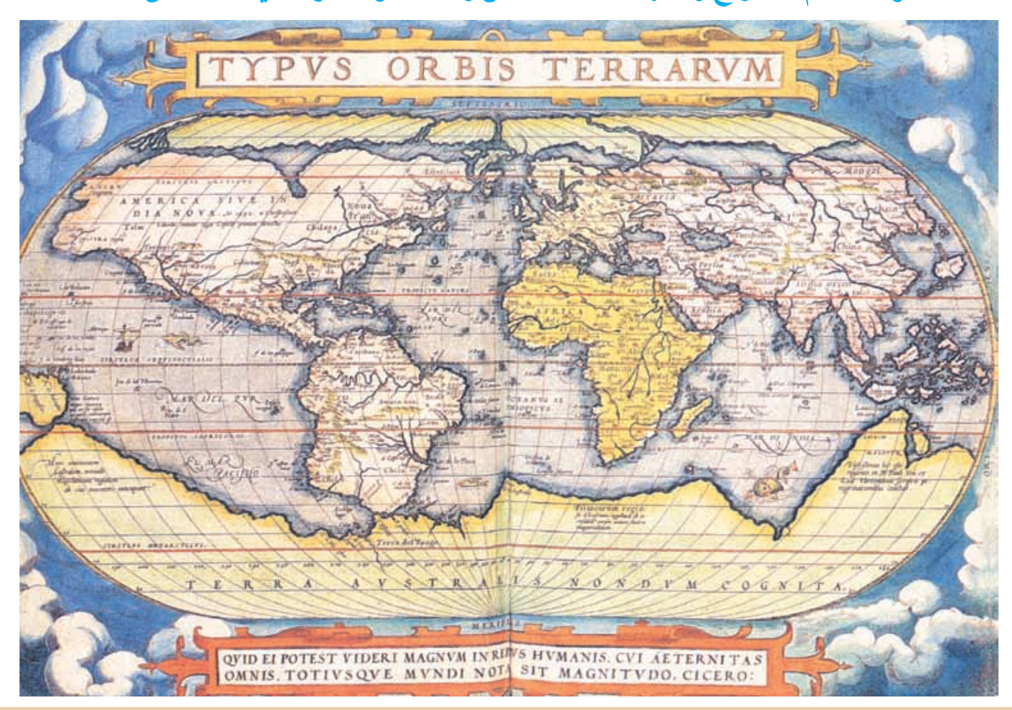
آنقل الجدول على كراسك وأتممه بالمعطيات المناسبة حول الرحلات الاستكشافية الكبرى التي وقعت أواخر القرنXVوبداية القرن XVI.

البلد	قائد الرحلة	تاريخها	مسارها	نتائجها الجغرافية
البرتغال				
إسبانيا				

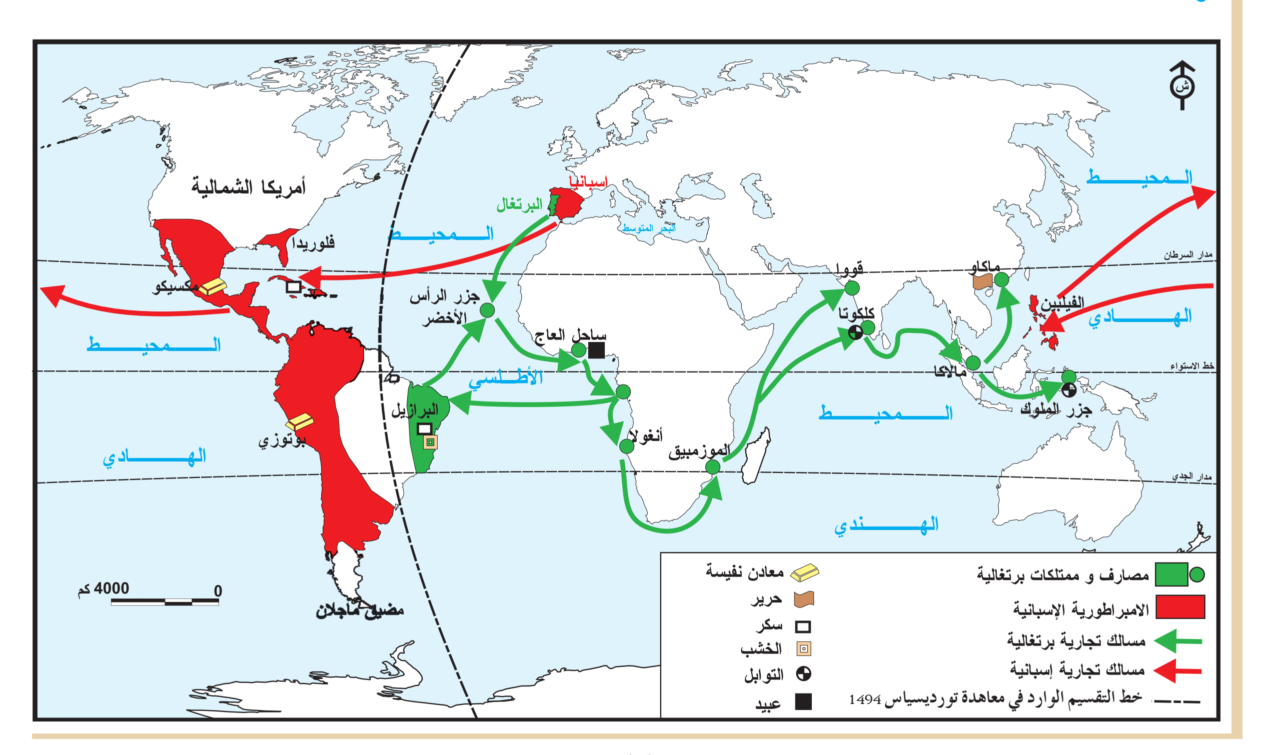
النشاط الثالث : أُبرزُ النتائج التي أفرزتها الرحلات الاستكشافية الكبرى.

الموارد :

الوثيقة 12 : خريطة العالم كما وقع رسمها سنة 1570 (عن رسالة اليونسكو، ماي 1992، ص.15)



الوثيقة 13 : الإمبراطوريّات الاستعمارية الأولى والمسالك التجارية :



الوثيقة 14

"إن الهنود بطبعهم عبيد ومتوحشون وغير مهذبين وغير إنسانيين. فإذا رفضوا الامتثال إلى أقوام أرقى منهم وجب إخضاعهم بالقوة والحرب.."

جون قيناس دي سوبولفيدا*،

(Jean Guines de Sepulveda)

حوارات (1550)

* كاتب إسباني عاش بين 1490 و1573.

الوثيقة 15 : بعض غلاة الاستعمار الاسباني



كورتاز Cortez (1485 - 1547)

– كان من أكبر الغزاة الأسبان. عين واليا عاما على المكسيك (أسبانيا الجديدة) وقد توخى سياسة متشددة في إدارة شؤون هذه الولاية.



فرانسيسكو بيزارو Pizarro (1475 - 1541)

من الغزاة المتعصبين

الوثيقة 16

"ها قد وَجَدَ عالمنا عالما آخر، عالما في سن الطفولة. لكننا لم نكسبه بعدالتنا وطيبتنا بل اغتنمنا جهل سكانه وقلة خبرتهم.

فكم من مدينة وقع تدميرها! وكم من أمم وقعت إبادتها! وكم من ملايين البشر أزهقت أرواحهم بحد السيف... لقد انقلبت أوضاع أغنى وأجمل جزء من العالم من أجل تجارة المجوهرات والتوابل. فيا له من نصر بائس..."

مونتاني* Montaigne الرّسائل، الكتاب III. المحور IV

* كاتب فرنسي عاش بين 1533 و 1592 ويعتبر من أبرز مفكّري عصر النّهضة.

معطيات مكمّلة

برتولومي دي لاس كازاس Bartolomé De Las Casas (1474 - 1560) من رجال الدّين الإسبان.

كان من المدافعين عن قضايا السّكّان الأصليّين للقارّة الأمريكيّة.

الوثيقة 17 : تطوّر المبادلات التّجاريّة عبر المحيط الأطلسي (مثال إسبانيا)

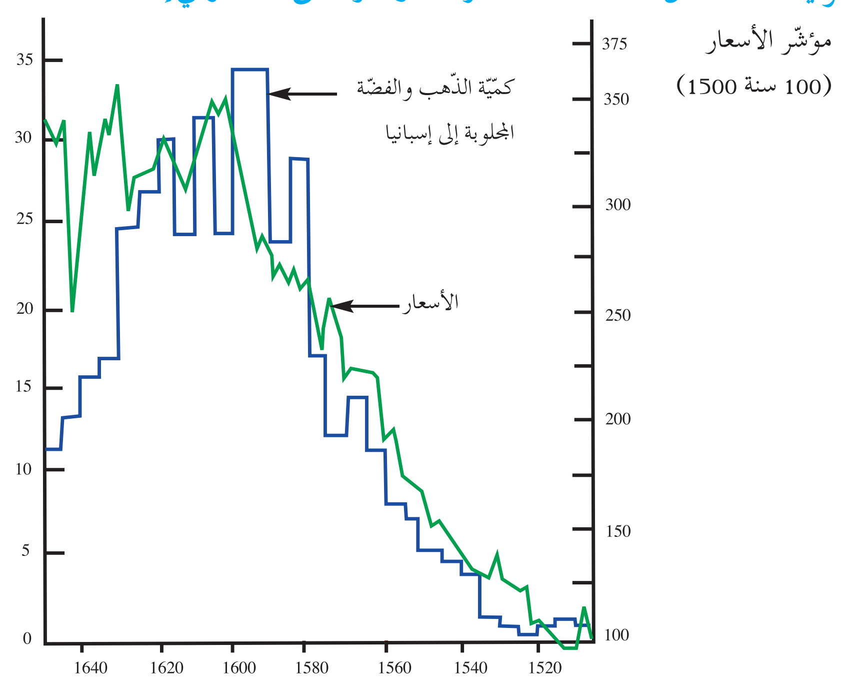
الفترة	عدد السّفن	الحمولة الجمليّة (بحساب البرميل*)	معدّل حمولة كلّ سفينة (بحساب البرميل)
1506 - 1555	2500	380.000	152
1555 - 1600	3800	780.000	205

عن جون ماير : الأوروبيّون والآخرون... ص 72 (بتصرّف)

* البرميل = 0.159 م^3

الوثيقة 18 . تدفّق المعادن الثّمينة الأمريكيّة وتأثيره على الأسعار في إسبانيا.

قيمة الذّهب والفضّة (مليون بيزوس*)



* بيزوس: العملة الإسبانيّة

عن الكتاب المدرسي الفرنسي، تاريخ وجغرافيا، – 5 – نشر ناتان، ص 166.

الوثيقة 19

"... إنه لشيء جميل أن ترى كل هذه الخيرات تتراكم بشوارع إشبيلية التي يقطنها التجار من الفلاندر واليونان وجنوة وفرنسا وإيطاليا وإنقلترا ومن مناطق من الهند ... الالكابسيرا مليئة بدكاكين تجار الذهب والفضة والنحاتين وتجار الحرير والأقمشة حيث يحرس هذه الثروات عدد كبير من الحراس خاصة أثناء الليل رغم إحكام غلق الأبواب.."

أ. مورقادو، تاريخ إشبيلية (1587) ورد في كتاب الحياة بإسبانيا تحت حكم فيليب II.

معطيات مكمّلة

نظام "الاقتصاد العالم" نظام اقتصادي جديد بدأ في الظهور في أوروبا منذ القرن XVI وأبرز ملامحه إدماجه لأجزاء عديدة من العالم عن طريق المبادلات التجارية والتقسيم الهرمي للدول داخله والتخصص في العمل بينها.

التعليمات

- أبرز دور الاكتشافات الجغرافية الكبرى في رسم صورة جديدة للعالم.
- بيّن خصائص التوسع الاستعماري لكل من البرتغال وإسبانيا وردود الفعل التي أثارها.
- اذكر تأثير الاكتشافات الجغرافية الكبرى على الأوضاع الداخلية لبلدان أوروبا الغربية وعلى مكانتها العالمية.

كانت معرفة الإنسان بالكرة الأرضية محدودة إذ لا تتجاوز ربع مساحتها حتى نهاية القرن XIV . لذلك نظم الأوروبيون خلال النصف الثاني من القرن XV والنصف الأول من القرن XVI رحلات استكشافية إلى قارات مختلفة مهدت لها ظروف عديدة وأدت إلى نتائج هامة.

I- الظروف الملائمة لتنظيم الرحلات :

أدت دوافع اقتصادية وسياسية ودينية إلى تنظيم هذه الرحلات وساعدت عوامل تقنية وعلمية على تحقيقها.

1– الدوافع : الوثائق 1 ـ 2 ـ 3 ـ 8 ـ 10

* **البحث عن مسالك جديدة للوصول إلى الهند:** بدأ الاقتصاد الأوروبي ينتعش منذ أواسط القرن XV بعد فترة الانكماش الطويلة التي مر بها، وتحسن الوضع الصحي فزاد عدد السكان وتنامي الطلب على عدة مواد خاصة منها المعادن الثمينة والتوابل والسكر والحرير... ويجلب أغلبها من جنوب شرق آسيا ومن الهند أساسا. وقد أصبحت الحاجة ماسة إلى التزود بها بأسعار مناسبة ودون وساطة التجار المسلمين. فاتجه الأوروبيون وخاصة منهم الإسبان والبرتغاليون إلى البحث عن مسالك بحرية بديلة عن الطرقات المعهودة التي سيطر عليها المسلمون.

* **رغبة الملوك في دعم قوة الدولة ومواردها** : اهتم الملوك بالرحلات واعتبروها دعامة هامة لعظمة الدولة ومكانتها داخليا وخارجيا، إذ تساهم في توسيع مجالها وتوفر لها موارد إضافية كبيرة. ومن أشهر الملوك الذين شجعوا الرحلات هنري الملاح (1394-1460) بالبرتغال وفرديناند II (1452 ـ 1516) وزوجته إيزابيلا باسبانيا .

* **نشر المسيحية** : اعتبرت الكنسية الرحلات وسيلة للتصدي للتوسع العثماني ولتنصير شعوب المناطق المكتشفة ولاسترجاع ثقة المسيحيين بها. كما اعتبرتها مصدرا لدعم مواردها، لذلك شجعت على تنظيمها.

2– العوامل المساعدة : الوثائق 2 ـ 4 ـ 5 ـ 6 ـ 10

* **تطور تقنيات الملاحة البحرية** : أخذ الأوروبيون وخاصة منهم الإسبان والبرتغاليون عدة تقنيات بحرية عن الشعوب الأخرى مثل العرب فكانوا سباقين في استعمالها وتطويرها كما دعموها بابتكاراتهم الخاصة.
ومن مظاهر هذا التطور :

– تصميم سفينة الكرافيل : وهي سفينة جديدة بناها البرتغاليون منذ أواسط القرن XV وتكون متوسطة الطول يسيرة القيادة، لها جوانب عالية مما يجعلها قادرة على عبور المحيطات.
– إدخال تحسينات على البوصلة والاصطرلاب وهما من أدوات الملاحة التقليدية، مما أتاح معرفة مواقع السفن ومساراتها في البحار بطريقة أفضل.
– وضع المرشدات البحرية: وهي خرائط جديدة تتطور مع كل رحلة، وقد استدل بها الملاحون لمعرفة الطرقات التي يمكن اتباعها بفضل ما توفره من معلومات حول السواحل والجزر والموانى...

أكسب هذا التطور التقني الرحالة الجرأة على التوغل في أعالي البحار.

* **رواج نظرية كروية الأرض:** عاد الأوربيون إلى بعض النظريات التي قدمها الجغرافيون القدامى وتبنوها ونشروها ومن أهمها نظرية كروية الأرض التي دعا إليها بطليموس في القرن الثاني ق.م.
كل هذه الظروف ساعدت على تنظيم عديد الرحلات.

II - أهم الرحلات : الوثائق من 7 إلى 10

تعاقبت الرحلات على امتداد حوالي نصف قرن من الزمن وتعدد روادها واختلفت وجهاتهم من أجل بلوغ نفس المقصد وهو الهند. وكانت البرتغال وإسبانيا سباقتين في تنظيم هذه الرحلات.

1 ـ الرحلات البرتغالية:

كان لمملكة البرتغال دور الريادة في عملية الاستكشاف فهي بلد صغير يعاني من اكتظاظ سكاني لذلك توجه رحالته إلى المحيط الأطلسي لبلوغ مصادر التوابل والحرير بالهند وامتدت رحلاتهم على مرحلتين :

* المرحلة الأولى :كانت تمهيدية وقد مكنت البرتغاليين من اكتشاف السواحل الغربية لإفريقيا تدريجيا في عهد هنري الملاح.
* المرحلة الثانية : تضمنت رحلتين كبيرتين وهما :

– رحلة برتيليمي دياز الذي بلغ رأس الرجاء الصالح سنة 1487 وأثبت بذلك اتصال المحيطين الأطلسي والهندي.
– رحلة فاسكو دي قاما الذي نجح في بلوغ ميناء كلكوتا بالهند سنة 1497 ثم عاد إلى لشبونة محملا بالتوابل.

2 ـ الرحلات الإسبانية:

استفاد الإسبان من عودة الاستقرار السياسي للبلاد ويتمثل مشروعهم في بلوغ الهند أيضا لكن باتّباع مسالك مغايرة تتجه نحو الغرب. وقد قاد كريستوف كولمب أربع رحلات متتالية بين 1492 و1504 أفضت إلى أراضي اعتقد خطأ أنها الهند وقد أثبت الرحالة الإيطالي أمريقو فيسبوتشي Amérigo Vespucci أنّ الأراضي الّتي تمّ اكتشافها تمثل قارة جديدة سميت باسمه سنة 1507.
وفي سنة 1519 حاول ماجلان العثور مرة أخرى على طريق الهند من الغرب فاكتشف المضيق الذي يحمل اسمه ثم المحيط الهادي وقد قتل أثناء الرّحلة في الفيليبين. وعاد من تبقى من مرافقيه إلى إسبانيا سنة 1522. فتم بذلك العثور على طريق آخر للتوابل وتحققت أول دورة حول العالم مما أثبت عمليا أن الأرض كروية الشكل.
وقد أفرزت هذه الرحلات التي قام بها البرتغاليون والإسبان نتائج مختلفة.

III - النّتائج :

شملت ميادين عديدة:

1– وضع صورة أكثر دقة واكتمالا للعالم : الوثائق 1 ـ 08 ـ 12 ـ 13

أدت الرحلات إلى مراجعة ما كان سائدا من نظريات جغرافية وتجريدها من الطابع الأسطوري استنادا إلى ملاحظات مباشرة للرحالة ومشاهداتهم. كما مكنت هذه الرحلات الأوروبيين من اكتشاف أجزاء لم تكن معروفة من كوكب الأرض، والتعرف إلى العديد من الشعوب والحضارات مثل الإنكا والأزتاك والمايا وهي الحضارات ما قبل الكولومبية بالقارة الأمريكية. مما ساعد على إثراء الثقافة الإنسانية. وعلى الرّغم ممّا تحقّق، فإنّ حركة الاكتشافات لم تكتمل إذ ظلّت مناطق عديدة من العالم مجهولة وتواصل اكتشافها في فترات لاحقة.

2 – تكوين الإمبراطوريات الاستعمارية : الوثائق 13 ـ 14 ـ 15 ـ 16

تلت مرحلة الاستكشاف مرحلة الاحتلال والتسابق الاستعماري بين الإمبراطوريتين الإسبانية والبرتغالية أساسا، مما دفع البابا إلى التدخل وفرض معاهدة تورديسياس Tordesillas عليهما سنة 1494 وتنص على تقسيم المناطق المكتشفة والتي ستكتشف بينهما. وهو ما مثّل أول اقتسام للعالم آنذاك.

* **الإمبراطورية البرتغالية :** كانت ذات طابع بحري أساسا وشملت الجزء الشرقي من التقسيم الوارد في معاهدة تورديسياس واعتمدت على إقامة مصارف بحرية موزعة على سواحل إفريقيا وآسيا وعلى اكتساب ممتلكات بالبرازيل.

* **الإمبراطورية الإسبانية :** كانت ذات طابع قاري أساسا وقد امتدت على مساحات شاسعة غرب خط تقسيم تورديسياس.

وقد انتهج الإسبان سياسة استعمارية توطينية متشددة تتمثل في القضاء على الحضارات ما قبل الكولومبية ونهب الثروات وإبادة أغلب السكان الأصليين مما دفع إلى استجلاب العبيد السود من إفريقيا تعويضا للنقص الحاصل في اليد العاملة. وقد أثارت هذه السياسة ردود فعل متباينة فقد دافع عنها الغزاة المتعصبون أمثال بيزارو وكورتاز وبرروها بينما ناهضها بعض المفكرين أمثال مونتاني وبعض رجال الدين أمثال لاس كازاس.

3 – دعم قوة أوروبا الغربية ومكانتها العالمية : الوثائق : 17 ـ 18 ـ 19

حققت الرحلات الكبرى الكثير من أهدافها إذ ساهم تدفق الثروات على أوروبا الغربية في تنشيط الدورة الاقتصادية بصفة عامة والتجارة بصفة خاصة .كما تطورت المعاملات النقدية بفضل ما توفر لأوروبا من معادن ثمينة، إذ برزت بها أشكال جديدة للدفع والقرض والتأمين. فظهرت بذلك الرأسمالية التجارية. وأتاح هذا الثراء المتنامي تحسن الوضع الصّحّي للسكان فتزايد عددهم. كما برزت البرجوازية التجارية، وقامت المراكز الحضرية الضخمة. وتدعمت القوة العسكرية فعمل الأوروبيون على تثبيت حضورهم في الخارج وإخضاع مناطق واسعة من العالم لهيمنتهم وتوظيفها لصالحهم. وتشكلت بذلك الخطوط الأولى لنظام "اقتصادالعالم" الذي سيطرت عليه أوروبا الغربية.

4 – بروز موانى الواجهة الأطلسية : الوثيقتان : 13 ـ 19

بعد أن سيطر البحر الأبيض المتوسط على التجارة العالمية لمدة طويلة جاءت الأدفاق التجارية الجديدة لتخلّ بهذا الوضع فتراجعت مكانة الموانى الإيطالية مثل جنوة والبندقية وتقلصت تجارة الوساطة التي كان يتحكم فيها التجار المسلمون بينما ازدهرت عدة موانى أطلسية ازدهارا واضحا مثل لشبونة. ويعتبر هذا التحول من أبرز نتائج الاكتشافات الجغرافية الكبرى.

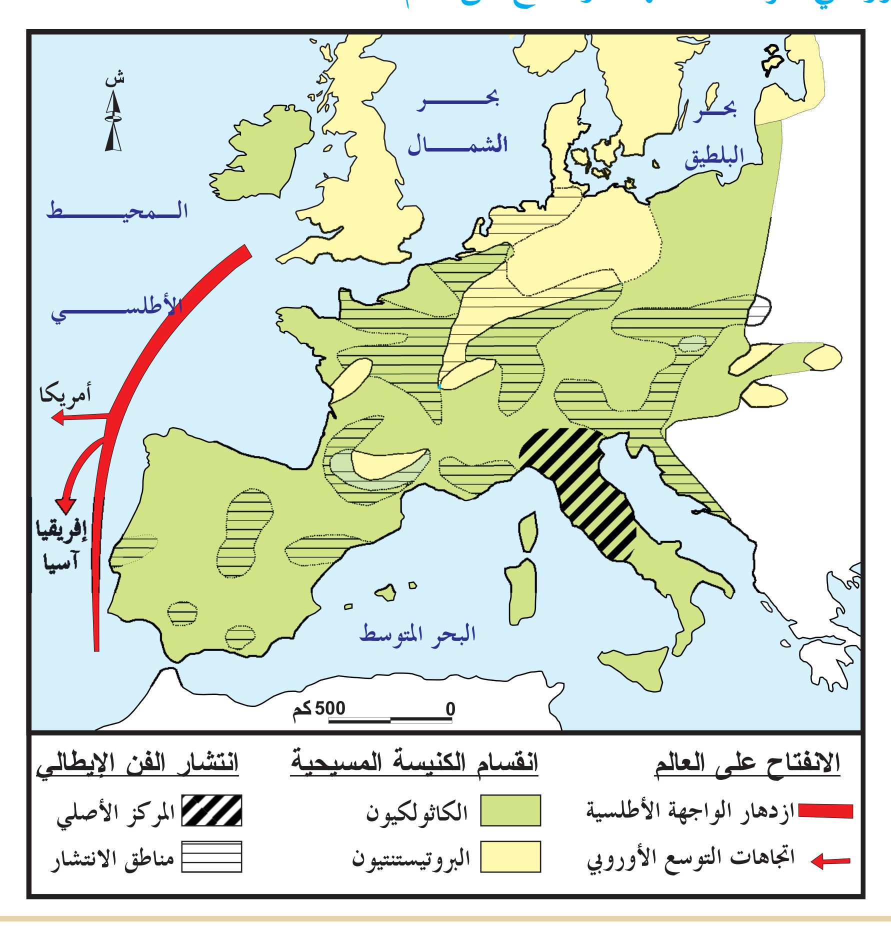
الخاتمة :

تعد الاكتشافات الجغرافية الّتي تحقّقت في أواخر القرن الخامس عشر وبداية القرن السّادس عشر تحوّلا هاما في تاريخ الإنسانية وتمثل إيذانا ببداية العصر الحديث وانطلاق حركة النّهضة في أوروبا.

الدّرس 2 النّهضة الأوروبيّة : المظاهر

المدخل أَدرس مظاهر النّهضة الأوروربيّة لأتبيّن دورها في انتقال أوروبا من العصور الوسطى إلى العصر الحديث.

الوثيقة 1 : أ وروبا في القرنXVI : نهضة وانفتاح على العالم



الوثيقة 2

"...بلغنا لهذا العهد (أواخر القرن الرابع عشر) أنّ...العلوم الفلسفية ببلاد الفرنجة من أرض رومة وما إليها من العدوة الشمالية* نافقة الأسواق، وأنّ رسومها هناك متجدّدة ومجالس تعلّمها متعدّدة ودواوينها جامعة وحَمَلَتها متوفّرون وطلبتها مكترثون..."

ابن خلدون، المقدّمة، دار الكتاب االلّبناني، بيروت، 1976، ص 894.

* العدوة الشّماليّة : الضّفّة الشّماليّة للمتوسّط

النشاط الأوّل : أحدّد مفهوم الإنسانوية "HUMANISME" ومراحل انتشارها ودورها في النهضة الأوروبية.

الموارد :

الوثيقة 3



مدرسة أثينا لوحة (1511) رسمها الفنان الإيطالي رفائيل (1483 – 1520) تزيّن إحدى قاعات قصر الفاتيكان بروما:
– على اليمين: تحت تمثال أثينا Athena يوجد في المشهد الأول أرخيميدس Archimede يوضّح بعض المسائل الهندسية لمجموعة من الشبان، زرادوشت Zoroastre، الفيلسوف الفارسي يحمل كرة تزينها النجوم، قبالته يوجد بتوليمي Ptolemee يحمل كرة أرضية وكلّهم يتوجّهون نحو رفائيل Raphael الذي تميّزه قلنسوته السوداء.
– في الوسط: أفلاطون Platon يحمل كتابا ويشير بيده اليمنى إلى السماء التي ترمز إلى عالم الفكر، أرسطو Aristote يمدّ يده اليمنى بين السماء والأرض ويعني بذلك الطبيعة.
– على اليسار: تحت تمثال أبولون Apollon سقراط Socrate يتحدّث إلى السياسي الأثيني ألسيبياد Alcibiade في لباس عسكري وتحته بيتاغور Pithagore بصدد الكتابة؛ أما الرجل ذو اللباس الشرقي الذي يوجد خلفه فهو ابن رشد. أما المشهد الأمامي فيمثّل في الوسط ميشال أنجلو Michel Ange وهو ينجز لوحة مصلّى سيكستين.

التعليمة

– حدّد العلاقة بين لوحة مدرسة أثينا والنّهضة الأوروبيّة الحديثة.

الوثيقة 4

منزلة الإنسان

...لقد جعل الخالق الأسمى الإنسان، ذلك الكائن الغامض، في مركز العالم وقال له: " يا آدم لقد وضعتك في مركز العالم لكي تتمكّن من هناك وبكلّ يسر من ملاحظة كل ما يحيط بك وكل ما يوجد في العالم. و لم نجعلك خارقا أو فانيا أو خالدا لكي يتسنّى لك، وأنت سيّد نفسك ولك الشرف والمسؤولية أن تصنع بها ما شئت، وتختار الشكل الذي يعجبك، فيمكنك أن تنزل بنفسك إلى الحضيض أي إلى مرتبة البهائم كما يمكنك، باستخدام عقلك، أن تسمو بها إلى أعلى المراتب أي المراتب الإلهية..."

بيك دي لاميرندول، في كرامة الإنسان، 1485 ورد بالكتاب المدرسي 2 بورداس، 2005 ص 113



* بيك دي لاميرندول : (Pic De La Mirandole) (1463 - 1494) عالم وفيلسوف إيطالي، عاش في ظل لورنزو دي ميديتشي. أبرز مؤلفاته: "مقال في كرامة الإنسان"

الوثيقة 5

موقف إيرازم "Erasme" من المفكرين القدامى

"...علينا أن نحيط بإعجاب لا حدّ له نبل هذه العواطف عند فيلسوف كان يجهل المسيح والكتاب المقدّس...لذلك تراني عندما أقرأ إحدى روائع هؤلاء الرجال العظام، أكاد لا أتمالك نفسي عن القول: يا أيها القدّيس سقراط ادع لنا..."

"...إني لا أقدر على قراءة مقالات سيسيرون حول الشيخوخة أو حول الصداقة...دون أن أقبّل الصفحة من حين لآخر وأن أجلّ إلى حدّ التقديس هذه الروح الطاهرة..."

إيرازم، محاورات، (1526) ورد بالكتاب المدرسي تاريخ 6 ثانوي م.ق.ب، ص15



ديديي إيرازم : Erasme ولد بمدينة روتردام الهولندية حوالي سنة 1469. أصبح قسّا سنة 1488. اهتمّ بدراسة الآداب القديمة منذ 1493 وأعجب بها، ثمّ استقر بمدينة بال السويسرية سنة 1514. قاوم كل أشكال التطرف، اختلف مع لوثر حول حرية الإنسان (1524)، اتّهم بالزندقة سنة 1526. سمّي "أمير الإنسانويين" ، توفّي سنة 1536. أبرز مؤلفاته: مدح الجنون (1511) – محاورات (1526)...

معطيات مكمّلة: **ظهور الإنسانويّة**

مرجعياتها	التّراث الإغريقي واللاّتيني والمسيحيّة
العوامل الملائمة	– ازدهار المدن – تشجيع النخب الحضرية المثقفة – دعم بعض الأمراء والملوك – ترجمة المخطوطات الإغريقية واللاتينية والعربية – الطباعة – إنشاء الجامعات
مجالاتها	الآداب – الفنون – العلوم
الأطراف الفاعلة	الإنسانويون: فنانون – أدباء – مهندسون– أطباء – علماء (يمكن أن تجتمع هذه الاختصاصات لدى شخص واحد).– ملوك – أمراء...

الوثيقة 6 :

اختراع طريقة جديدة للطباعة

"إن جون غوتمبرغ هو أول من اخترع...فنّ الطباعة. وبفضل هذا الاختراع أصبح بالإمكان الآن طبع كتب جيّدة لا أخطاء فيها وباسرع وقت وذلك باستعمال أحرف معدنية عوضا عن كتابتها باليد، كما نفعل اليوم...إن رجلا كهذا جدير بكل الاحترام والتبجيل من قبل الفنانين وكلّ أحباء الكتاب..."

فيشي "Fichet" (1433 ـ 1480)، رسالة إلى جون دي لابيار رئيس السربون ورد في كتاب تاريخ فرنسا كما يرويه المعاصرون

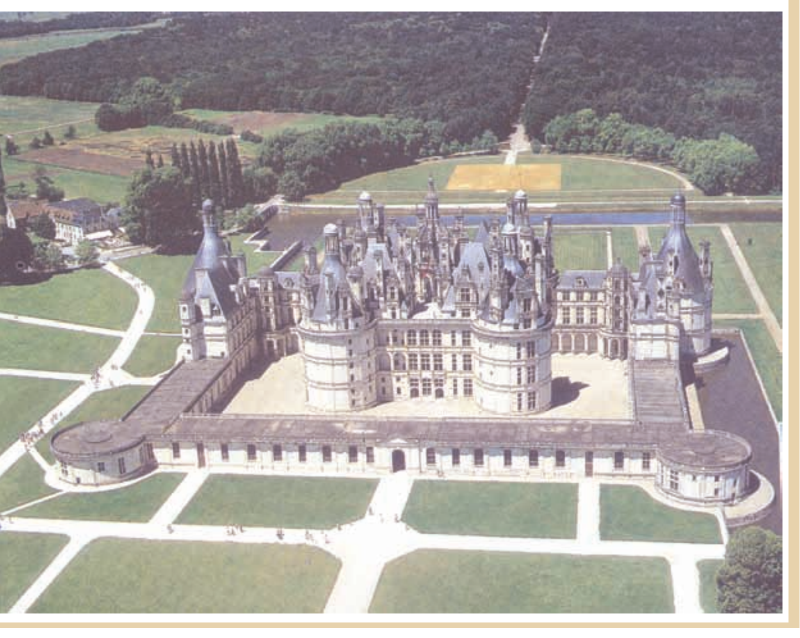
* قيوم فيشي Guillaume Fichet (1433 ـ 1480) جامعي مختصّ في تدريس علوم الدين

الوثيقة 7 :

إنتاج الكتب في أوروبا	
التّاريخ	الإنتاج
العصور الوسطى	بضعة آلاف
1450 – 1500	20 مليون
1500 – 1600	200 مليون

من كتاب مدرسي فرنسي 2، ناتان، 2001

الوثيقة 8



قصر شمبور Château de Chambord من رموز النّهضة المعماريّة الفرنسيّة الّتي تأثّرت بالفنّ المعماري الإيطالي. شرع فرنسوا الأول في بنائه سنة 1519 في منطقة فال دي لوار (Val de Loire) أنهي بناؤه في عهد هنري الثاني سنة 1559. ينسب تخطيطه إلى ليوناردو دافنشي.



فرنسوا الأول François 1er (1494 ـ 1547): ملك فرنسا، عرف بحروبه في إيطاليا ضدّ شارلكانت، ازدهرت في عهده الآداب والفنون وخاصة الفن المعماري حيث قام ببناء القصور وتجميلها بالاعتماد على فنانين ومعماريين استقدمهم خصّيصا من إيطاليا وبذلك يعدّ أول من أدخل النهضة الإيطالية إلى فرنسا.

الوثيقة 9 : انتشار الإنسانويّة والنّهضة في أوروبا

لندن
بحر الشمال
لايد
أنفارس
لوفان
بروكسل
باريس
ماينس
براغ
كراكوفيا
سترازبورغ
نورنبارغ
المحيط الأطلسي
البندقية
بلونيي
فلورنسا
مونبليي
مدريد
لشبونة
روما
البحر المتوسط
ش
0 1000كم

- مركز رئيسي للإنسانوية
- نواة كبيرة للنهضة الإيطالية
- اتجاه انتشار النهضة الإيطالية
- المركز الأصلي للإنسانوية و النهضة الإيطالية
- مناطق انتشار الإنسانوية و النهضة الإيطالية
- اختراع الطباعة
- مركز رئيسي للفن

التعليمات

– حدّد مفهوم الإنسانويّة وعوامل بروزها.
– أبرز المجال الجغرافي لانتشار الإنسانوية.

النشاط الثّاني : أتبين أبرز مظاهر النّهضة الفكريّة الأوروبيّة.

الموارد :

الوثيقة 10

في تربية النّاشئة

"...بالنسبة للطفل سليل البيت النبيل ينبغي أن نختار له بكل عناية معلّما يعوّل على استعمال العقل أكثر من الذاكرة. لا أريد أن يبتكر هذا المعلّم ويتكلّم بمفرده بل أريده أن يصغي إلى تلميذه ويترك له فرصة الكلام بدوره. لا ينبغي أن يطالب تلميذه بمجرّد استعراض كلمات حفظها في الدرس بل يحثّه على إبراز كنهها ومعانيها...ثمّ يكون تقييم مدى استفادة التلميذ من خلال شواهد من حياته (سلوكه) لا من ذاكرته...لا ينبغي أن يستغلّ المعلم سلطته لترسيخ أيّ رأي في ذهن تلميذه بل عليه أن يقترح عليه مجموعة من الآراء ويترك له حرية الاختيار..."

ميشال دي مونتاني، في تنشئة الأطفال، 1580،
ورد بكتاب مدرسي فرنسي 2 بورداس، 2005، ص 118



ميشال دي مونتاني Montaigne (1533 - 1592) سياسي وأديب فرنسي أبرز مؤلفاته "الرسائل" عبّر فيها بكل حرية عن نتاج مطالعاته وتجاربه الحياتية في مواضيع متنوّعة.

معطيات مكمّلة : **من أبرز أدباء عصر النّهضة**

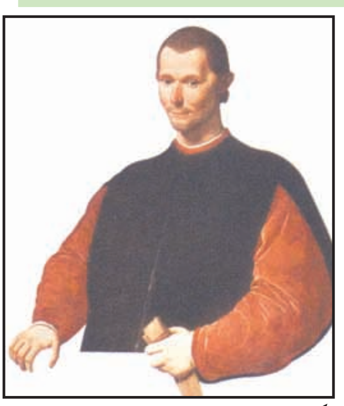
الأسماء	البلد	أهمّ المؤلّفات
رابلي Rabelais (1494 - 1553)	فرنسا	قرقنتوا – بنتقروال
مونتاني Montaigne (1553 - 1592]	فرنسا	الرّسائل
سارفنتاس Cervantes (1547 - 1616)	إسبانيا	دون كيشوت
شكسبير Shakespeare (1564 - 1616)	إنقلترا	عطيل، هملت، روميو وجولييت

الوثيقة 11

نصيحة إلى أمير

"...وعلى الأمير الذي يجد نفسه مرغما على تعلّم طريقة عمل الحيوان أن يقلّد الثعلب والأسد معا، إذ أن الأسد لا يستطيع حماية نفسه من الشراك، والثعلب لا يتمكن من الدفاع عن نفسه أمام الذئاب. ولذا يتحتم على الأمير أن يكون ثعلبا ليميز الفخاخ وأسدا ليرهب الذئاب. وعلى الحاكم الذكي المتبصر أن لا يحافظ على وعوده عندما يرى أن هذه المحافظة تؤدي إلى الإضرار بمصالحه، وأن الأسباب التي حملته على إعطاء هذا الوعد لم تَعُد قائمة. ولن يعدم الأمير الذي يرغب في إظهار مبررات متلونة للتنكر لوعوده، ذريعة مشروعة لتحقيق هذه الغاية..."

نيكولا ماكيافالي، الأمير، 1513، المحور XVIII ،
نشر كتاب الجيب الكلاسيكي، 1962



نيكولا ماكيافالي Nicolas Machiavel (1469 - 1527)، سياسي ومفكر إيطالي من مدينة فلورنسا، أبرز مؤلفاته : "الأمير" (1513).

الوثيقة 12

في العدل والمساواة

"...كم من أغنياء طغى عليهم الجشع واللؤم فكانوا غير صالحين للدولة وكم من فقراء سماتهم التواضع والبساطة أفادوا الدولة بعملهم الدؤوب أكثر ممّا أفادوا أنفسهم.

إنّي مقتنع بأنّ الموارد لا يمكنها أن توزّع بالعدل والمساواة...ما لم يتمّ إلغاء الملكية الفردية. وطالما هذا النوع من الملكية مستمرّ فإن الجزء الأكبر والأفضل من الإنسانية سيبقى مكبّلا بعبء الفقر والفاقة. ولا يمكن في اعتقادي إلغاء هذا العبء كليّا بل يمكن تخفيفه جزئيا. يمكن تحديد ملكية الأرض مثلا، أو مقدار المال الذي يملكه كل فرد، ويمكن أيضا اتخاذ تدابير للحدّ من جبروت الملك...يمكن منع البذخ والترف ونفقات كبار الموظفين حتّى لا يؤدي استغلال النفوذ في الوظيفة إلى الغشّ والنّهب فينتج عن ذلك احتكار الأثرياء للمناصب على حساب أناس أكفاء.

توماس مور Thomas More، يوتوبيا (Utopie)، 1516



توماس مور Thomas More

(1478 - 1535) سياسي إنجليزي من الإنسانويين. أعدم بسبب معارضته لهنري الثامن. أشهر مؤلفاته: يوتوبيا (1516).

الوثيقة 13

من مبادئ الإصلاح الديني

"ينبغي أن يفتح كل المسيحيين الطيّبين أعينهم ولا يغترّوا بمغالطات القرارات البابوية...فليبقوا في كنائسهم ويرضوا بنصرانيتهم وإنجيلهم وإيمانهم بالمسيح وبالله وهي أشياء لا تتغيّر بتغيّر المكان ولا يعيروا البابا أيّ اهتمام..

"لا يمكن لأي ملاك أو لأي بابا أن يعطيك مثل ما يعطيك الله وأنت في قريتك؛ بل والأغرب من ذلك فإنّ البابا يقصيك عن الهبات التي تتلقّاها من الله مجانا لكي يفرض عليك هباته التي يتحتّم عليك شراؤها."

لوثر، إلى نبلاء الأمة الألمانية، 1520

"...إذا كانت الكنيسة الكاثوليكية تعتبر أنّ الزواج مقدّس، فليس من حقّها منعه على رجال الدين وبما أنها منعته عنهم، فهي تعتبره حينئذ منافيا للأخلاق، وبالتالي فهو يشكّل خطيئة"

لوثر، ورد في كتاب تاريخ البروتستنتيّة، ليوتار Léotard



مارتن لوثر ، Martin Luther

(1483 - 1546) المتحف القومي الألماني، نورمبرغ

مصلح ديني ألماني، مؤسس البروتيستنتية

الوثيقة 14

القضاء والقدر

" لا يتجاسر الإنسان الذي يخاف الله على نكران فكرة القضاء والقدر التي قدّر الله بمقتضاها للبعض الخلود في الجنّة بينما كتب للبعض الآخر عذاب النار.

ونعني بالقضاء والقدر إرادة الله الخالدة التي قرّر بها مصير كلّ إنسان، ذلك أنّه لم يخلق الناس كلّهم سواسية، ولكنّه قدّر لبعضهم حياة الخلود، وللآخرين العذاب المقيم، وهكذا كلّ حسب مصيره الذي سطّره الله له منذ خلقه فنستطيع أن نقول أنّه قدّر له الحياة أو الموت..."

جون كالفن، قواعد الدين المسيحي، 1541



جون كالفن : Jean Calvin

(1509 - 1564) مصلح ديني فرنسي عاش في سويسرا حيث نشر المذهب البروتستنتي

التعليمات

- تعرّف مظاهر ازدهار الآداب في عصر النهضة.
- أبرز خصائص الفكر السياسي لعصر النهضة.
- ادرس أهمّ دوافع الإصلاح الديني وأبرز مظاهره.

النشاط الثّالث : أتعرّف مظاهر النّهضة في المجالين الفنّي والعلمي في أوروبا.

الموارد :

الوثيقة 15 : فلورنسا (فيرنزا) مهد النّهضة الفنّيّة

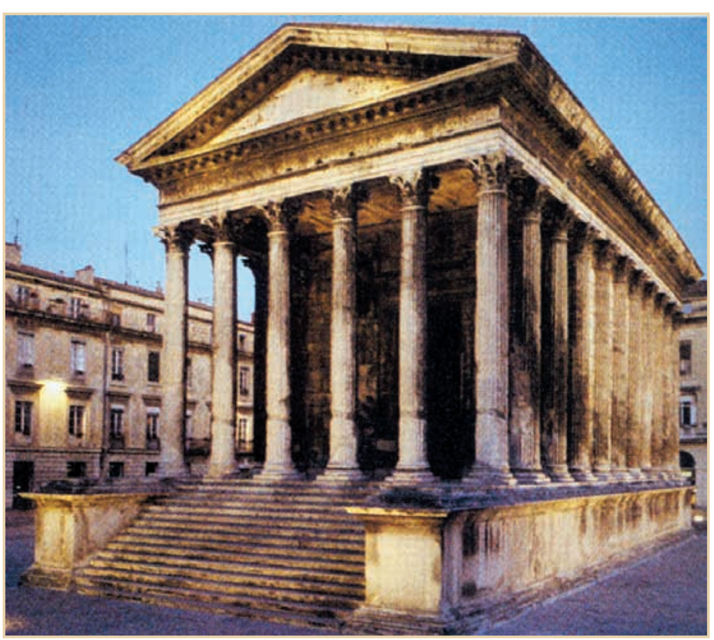


مشهد من فلورنسا (فيرنزا): ساحة مايكل أنجلو: على الضفة الجنوبية لنهر أرنو تبدو فيرنزا بمختلف معالمها: القصر القديم على اليسار، الكاثدرائية في الوسط وكنيسة سانتا كرو على اليمين.



تمثّل لوحة الفنان فرنشيسكو روسيلّي Rosselli المعروضة في المتحف الطبوغرافي في فلورنسا المدينة سنة 1472 وقد أبرز الرسام الازدهار المعماري والحضري الذي عرفته والذي جعل منها مهد النهضة الفنية في إيطاليا.

الوثيقة 16 : من مميّزات فنّ النهضة: التأثر بالقديم



معبد روماني شيّد بفيانا على شرف الإ مبراطور أغسطوس وزوجته ليفيا (القرن الأوّل قبل الميلاد)

المصدر مانيار 2 ، 1996 ، ص 58



فيلاّ روتوندا Villa Rotonda (1566) شيّدها المعماريّ "أندريّا بالاديو Andréa Paladio (1508 ـ 1580) لئن بدا المنزل مشابها للمعبد الرّومانيّ من حيث الواجهة ذات الشّرفة المثلّثة والأعمدة والدّرج والرّواق فإنّه لا يشبه كثيرا المنزل الرّومانيّ الّذي يتكوّن عادة من فناء تحيط به غرف ولا تعلوه قبّة مثلما هو متوفّر في فيلا روتوندا.

الوثيقة 17 : من مميّزات فنّ النهضة: طموح الفنان إلى الشمولية (الجمع بين فنّين : النحت والرسم)



تمثال لابييتا La Pieta في كنيسة القديس بطرس بروما، من الرخام نحته ميشيل أنجلو سنة 1499 وقد ركّز فيه على جمال الوجه والجسم (ارتفاعه: 174صم– عرضه:195صم).



جزء من اللوحة الجدارية التي تزيّن قبّة مصلى سيكستين (1536 - 1451) بالفاتيكان بروما رسمها ميشيل أنجلو تبرز تأثّره بفنّ النحت الذي يتقنه مثل إتقانه للرسم.

الوثيقة 18 : من مميّزات فنّ النهضة: الاهتمام بالإنسان

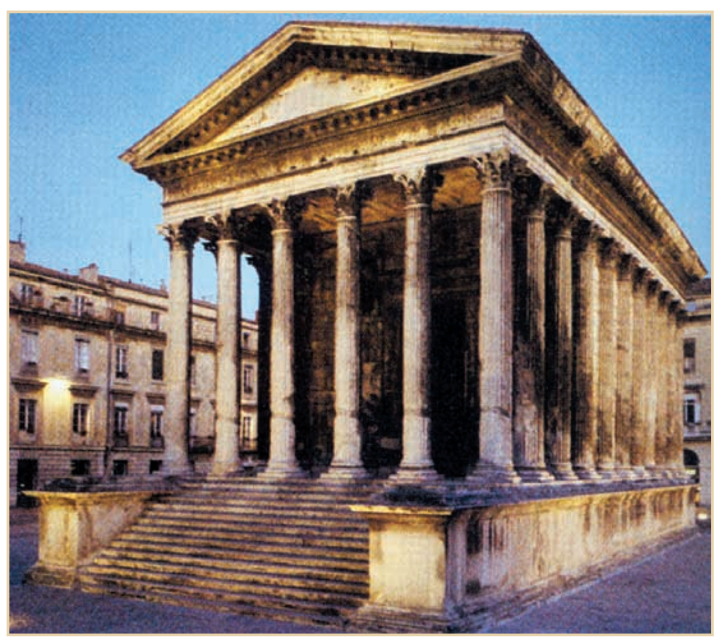


رسم شخصيportrait للزوجين أرنولفيني(1434) للرسام الهولندي جون فون آيك(1390 - 1441) المتحف القومي البريطاني، لندن. يجسّم ولأول مرّة واقع زوجين في منزلهما بعيدا عن كل التأثيرات الدينية.



رسم ذاتي للرسام ألبرخت دوراير Autoportrait (من إنجاز الرسام نفسه) (1498). متحف برادو بمدريد. يجسّم محاولة رسم صورة الإنسان الحقيقية.(52 x 41 صم)

الوثيقة 16 : من مميّزات فنّ النهضة: التأثر بالقديم



معبد روماني شيّد بفيانا على شرف الإمبراطور أغسطوس وزوجته ليفيا (القرن الأوّل قبل الميلاد)

المصدر مانيار 2 ، 1996 ، ص 58



فيلاّ روتوندا Villa Rotonda (1566) شيّدها المعماريّ "أندريّا بالاديو Andréa Paladio (1508 ـ 1580) لئن بدا المنزل مشابها للمعبد الرّومانيّ من حيث الواجهة ذات الشّرفة المثلّثة والأعمدة والدّرج والرّواق فإنّه لا يشبه كثيرا المنزل الرّومانيّ الّذي يتكوّن عادة من فناء تحيط به غرف ولا تعلوه قبّة مثلما هو متوفّر في فيلا روتوندا.

الوثيقة 17 : من مميّزات فنّ النهضة: طموح الفنان إلى الشمولية (الجمع بين فنّين : النحت والرسم)



تمثال لابييتا La Pieta في كنيسة القديس بطرس بروما، من الرخام نحته ميشيل أنجلو سنة 1499 وقد ركّز فيه على جمال الوجه والجسم (ارتفاعه: 174صم– عرضه:195صم).

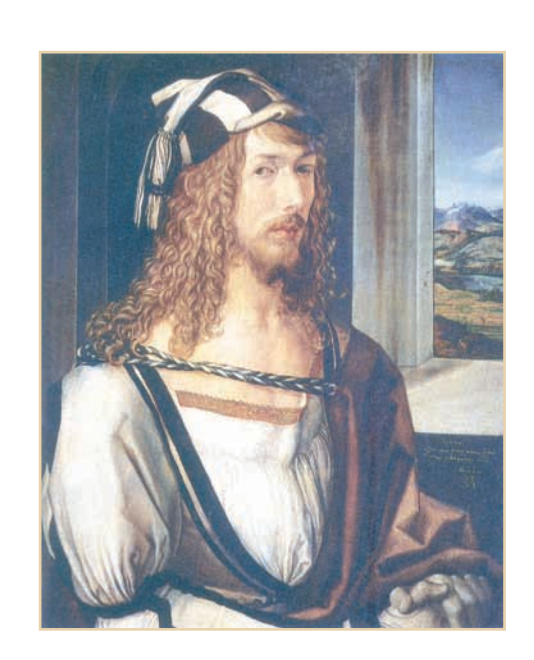


جزء من اللوحة الجدارية التي تزيّن قبّة مصلى سيكستين (1536 ـ 1451) بالفاتيكان بروما رسمها ميشيل أنجلو تبرز تأثّره بفنّ النحت الذي يتقنه مثل إتقانه للرسم.

الوثيقة 18 : من مميّزات فنّ النهضة: الاهتمام بالإنسان

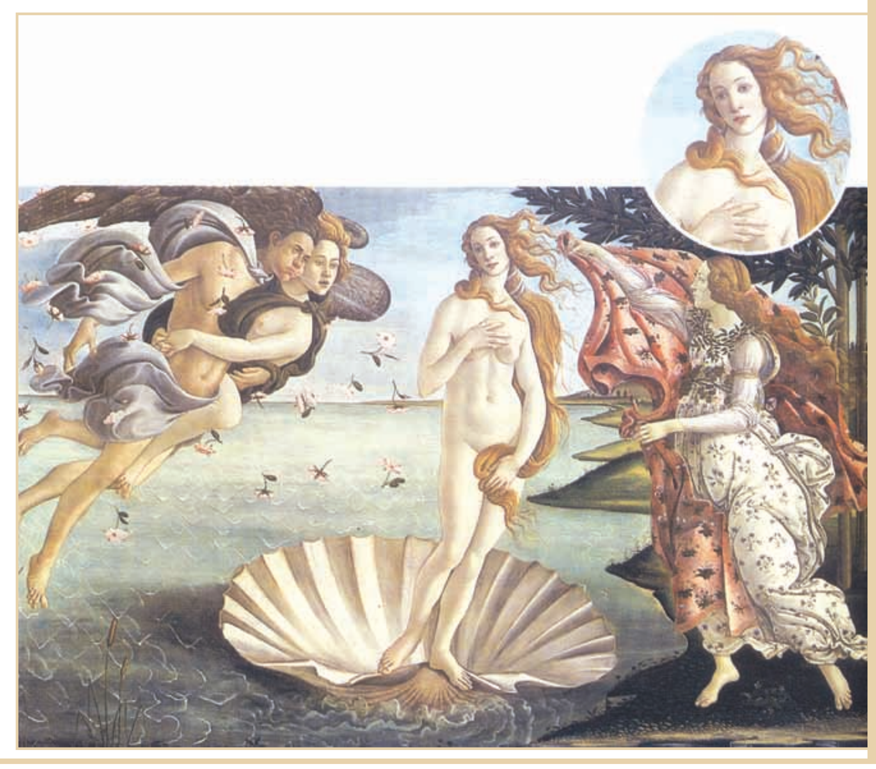


رسم شخصيportrait للزوجين أرنولفيني(1434) للرسام الهولندي جون فون آيك(1390 ـ 1441) المتحف القومي البريطاني، لندن. يجسّم ولأول مرّة واقع زوجين في منزلهما بعيدا عن كل التأثيرات الدينية.



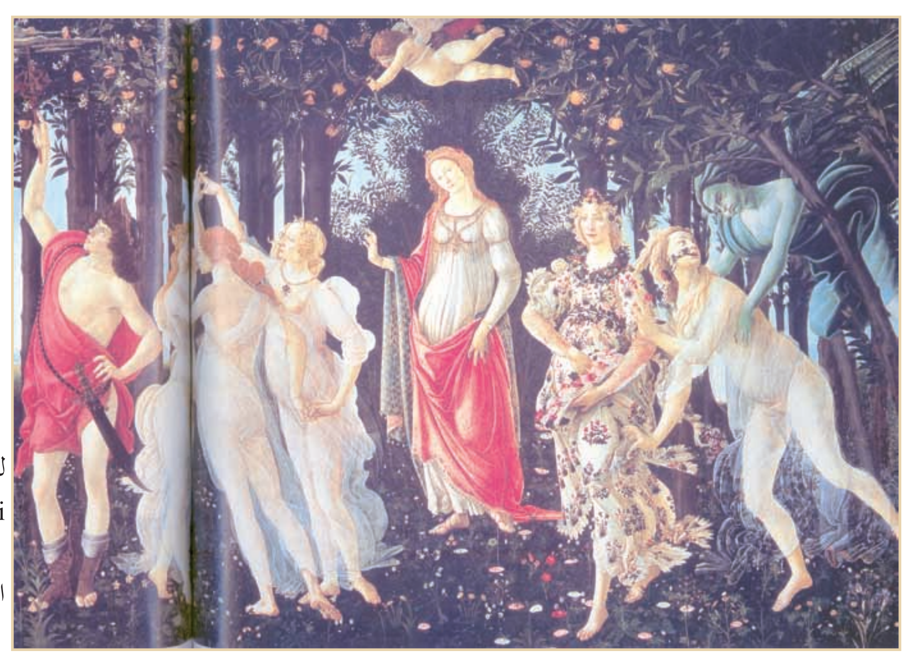
رسم ذاتي للرسام ألبرخت دورايرAutoportrait (من إنجاز الرسام نفسه) (1498). متحف برادو بمدريد. يجسّم محاولة رسم صورة الإنسان الحقيقية.(52 x 41 صم)

الوثيقة 19 : من مميّزات فنّ النهضة:الاهتمام بالجمال



لوحة مولد فينوس (1485) للفنان بوتيتشلّي : Botticelli (1445 - 1510) فينوس إلهة الحب والجمال (متحف فلورنسا).

الوثيقة 20 : : من مميّزات فنّ النهضة:الاهتمام بالطبيعة



لوحة الربيع لبوتيتشلّي Botticelli (1478)، تمثّل فينوس في الوسط وعلى يمينها ملائكة الجمال والرحمة والإله مركور.

الوثيقة 21

أهمية التجربة في البحث العلمي

"قبل أن نؤكّد مسألة ما ونجعل منها قاعدة عامّة لا بدّ أن نعيد التجربة مرّتين أو ثلاث لنلاحظ حدوث نفس النتائج...لقد فاتهم أنّ أعمالي قد خضعت للتجربة أكثر ممّا كانت نتاجا لأقوال غيري...لا يمكن لأيّ بحث معمّق أن يكون علما صحيحا إلاّ إذا أثبتته البراهين الرّياضية".

ليوناردو دا فنشي، دفاتر، ورد بكتاب التاريخ 2 ث، م و ب 2005 ص 179

الوثيقة 22



عالم الرياضيات الإيطالي لوكا باتشولي (Pacioli) (1455 ـ 1517) الذي تأثر كثيرا في دراساته بالنظريات العربية في الهندسة والجبر، يشرح مسألة رياضية لأحد تلاميذه (1495). (متحف كابو دي مونتي نابولي، إيطاليا).

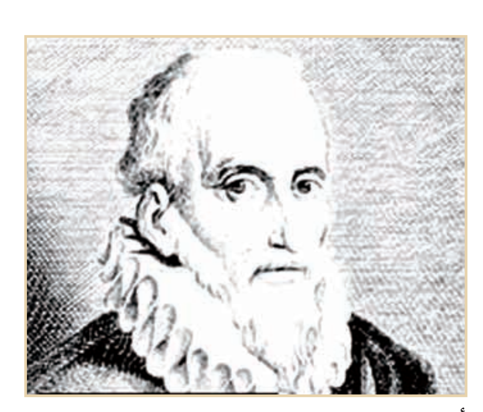
الوثيقة 23

تقدّم الطّب

"اشتغلت طبيبا طيلة ثلاث سنوات في مستشفى باريس حيث تسنّى لي أن أتعلّم عدّة أشياء تتعلّق بالجراحة...وذلك من خلال معالجتي لعدد كبير من المرضى وتشريحي للعديد من الجثث...وكان لي الحظّ أيضا أن أكون في خدمة ملوك فرنسا وأشارك في الحرب. الأمر الذي مكّنني من معالجة الجرحى..."

أمبرواز باري(Ambroise Paré)،

ورد في كتاب بييتري وفينار ، العالم وتاريخه



أمبرواز باري (Ambroise Paré) (1510 ـ 1590) جرّاح فرنسي. يعتبره البعض من رواد علم التشريح الحديث

الوثيقة 24



الطبيب البلجيكي أندري فيزال Vésale (1514 ـ 1564) كان من أبرز المتخصصين في علم التشريح. أبرز مؤلفاته: "هيكلة جسم الإنسان".



عمليّة تشريح يقوم بها أندري فيزال، من مخطوط برتليمي الإنقليزي، المكتبة الوطنيّة الفرنسيّة، باريس، موسوعة أنكارتا 2005.

التعليمات

– حدّد مناطق انتشار النهضة الفنّية في أوروبا.
– تبيّن مميّزات فنّ عصر النّهضة.
– أبرز أهمّ مظاهر التّجديد في المجال العلمي.

المقدّمة: الوثيقتان 1 - 2

اصطلح المؤرخون على تسمية فترة انتقال أوروبا من العصور الوسطى إلى العصر الحديث وانفتاحها على العالم باسم عصر النهضة **(Renaissance)** بمعنى "الولادة الجديدة". وقد ظهرت حركة النهضة في إيطاليا منذ القرن الرابع عشر في شكل ثورة ثقافية سمّيت بالإ نسانوية **"Humanisme"** ثمّ انتشرت تدريجيا في العديد من البلدان الأوروبية خلال القرنين الخامس عشر والسادس عشر. وقد شملت هذه النهضة الميادين الفنية والفكرية والعلمية وكان لها بالغ الأثر على مكانة أوروبا وعلاقاتها بباقي أقطار العالم.

I – حركة الإنسانوية

تعدّ الإنسانوية في ذات الوقت مظهرا من مظاهر النهضة الأوروبية الحديثة وعاملا من أبرز عواملها، انطلقت من إيطاليا ثمّ امتدّت إلى مختلف أنحاء أوروبا.

1 – ظهور الإنسانوية وثائق من 3 إلى 5

ظهرت الإنسانوية **"Humanisme"** في إ يطاليا منذ النصف الأول من القرن الرابع عشر وقد اشتقّت الكلمة من كلمة **umanista** التي تعني في الأصل مدرّ س اللغات القديمة. وقد أفرز تدريس هذه اللغات اهتماما متزايدا بالأدباء والمفكّ رين والعلماء الإ غريق واللاتينيين فنشطت حركة إ حياء الحضارات القديمة واقترن مفهوم الإ نسانوية بهذه الحركة وسمّي روادها **بالإنسانويين**. **(Humanistes)**

ساهمت عدّة عوامل في بروز الإنسانوية نذكر منها:

– ازدهار المدن (فلورنسا وروما والبندقية وميلانو) وتكوّن النخب الحضرية المثقفة التي قدّمت الدعم المادي لهذه الحركة مثل أسرة مديتشي في فلورنسا.

– قدوم أعداد كبيرة من سكان الأراضي البيزنطية الفارّ ين من الزحف العثماني بعد سقوط القسطنطينية (1453) والذين حملوا معهم أعدادا هائلة من المخطوطات والشروح القديمة.

– النشاط الحثيث لحركة الترجمة لكلّ المخطوطات والمؤ لفات القديمة التي تمّ جمعها من الكنائس والأديرة الإيطالية والألمانية وغيرها مثل مؤلفات أفلاطون وسقراط وأرسطو وسيسيرون.

– الاطّلاع على الكتب العربية التي ترجمت في الأندلس وصقلية والاستفادة منها باعتبار أنّ مؤلفيها قد نهلوا من التراث الإغريقي، وأضافوا إليه من نتاج بحوثهم واكتشافاتهم.

– اختراع الألماني **"غوتمبرغ"** **"Gutemberg"** طريقة جديدة للطباعة حوالي سنة **1450** يسّرت عملية نشر الكتب وأسهمت بقسط كبير في ترويج أفكار مؤلفيها.

– إ نشاء عدد كبير من الجامعات التي ساعدت على اكتشاف آراء هؤ لاء المفكرين ودراستها ونشرها في كامل أنحاء أوروبا.

وقد أدّت الحركيّة الفكرية الناتجة عن إحياء الحضارات القديمة إلى ظهور نظرة متفائلة للإنسان وللكون تتمثّل في الثقة في المستقبل والإيمان بالتقدم البشري واعتبار الإ نسان أروع شيء في هذا الكون لما له من قدرة على تحقيق ذاته والسمو بها نحو الأفضل.

2 – **انتشار الإنسانوية في أوروبا** الوثائق : 6 ـ 7 ـ 8ـ 9

انتقلت الإنسانوية تدريجيا من المدن الإيطالية إلى مناطق أوروبية أخرى نذكر منها:

- **المدن الألمانية والهولندية**:نظرا لعددها الكبير ولكثافة التبادلات الثقافية فيها باعتبارها أولى المراكز الّتي شهدت ازدهار حركة الطباعة ومعارض الكتب. وقد اعتبر الهولندي إ يرازم "أمير الإنسانويين" إ ذ أنه نقد في مؤ لفاته فساد الكنيسة وتجاوزات رجال الدين في عصره ودعا إلى التوفيق بين العقيدة المسيحية وحكمة المفكرين القدامى وكان على اتصال دائم عن طريق المراسلات بكل علماء عصره.
- **فرنسا**: انتشرت فيها حركة الإنسانوية بفضل الملك "فرنسوا الأول" الذي أسس جامعة القراء الملكيين "lecteurs royaux"او "Collège de France" لتدريس اللغات القديمة، وجلب إليها المدرسين والعلماء والفنانين من كل مكان.
- **شرق أوروبا**: انتشرت حركة الإنسانوية في المجر بتشجيع من ملكها "ماتياس كورفن" وانتشر تدريس اللغة اللاتينية في بولونيا برعاية **"يان كوشانوفسكي" (1530 ـ 1586)**.
- **إسبانيا**: كانت الإنسانوية حاضرة فيها مع الكاردينال "سيزنيروس" الذي أسس جامعة قلعة هينارس أين صدر أوّل كتاب مقدّس متعدّد اللغات.
- **إنقلترا**: تأخّرت الإنسانوية في الوصول إليها نسبيا بسبب أوضاعها السياسية المتقلبة خلال القرن الخامس عشر لكن ومنذ القرن السادس عشر انتشرت الحركة بسرعة فائقة مع «طوماس مور» .
- وقد بلغت أصداء هذه الحركة البلاد العربية الإسلامية وهذا ما أكّده العلاّمة عبد الرحمان بن خلدون في مقدّمته.

هكذا كانت الإ نسانوية بفضل انتشارها وإ شعاعها المتواصل في ذات الوقت دعامة أساسية في بناء النهضة الأوروبية الحديثة ومظهرا من أبرز مظاهرها وقد ساعدت على بروز مظاهر أخرى لعلّ من أهمها النهضة الفكرية.

II - مظاهر النهضة الفكرية:

راهن الفكر الجديد لعصر النهضة على الإنسان وجعله محور كل الاهتمامات ودعا إلى نشر ثقافة جديدة قوامها العناية بالآداب والفنون والعلوم.

1 – **ازدهار الآداب**: الوثيقة 10

ازدهرت الآداب منذ بداية عصر النهضة، وقد قلّد الأدباء الأوروبيون في البداية الأدباء القدامى إلا أنهم لم يقتصروا على التقليد بل ابتكروا وأضفوا على إ نتاجهم مسحة جديدة تمثّ لت في الابتعاد عن طابع الوعظ والإرشاد والسعي إلى تسلية القارئ. ولاقى المسرح اهتماماً كبيراً من أدباء النهضة، حيث أخذت المسرحيات الهزلية (الكوميديا) والمسرحيات المأساوية (التراجيديا) مكان المسرحيات الدينية التي كانت من سمات الأدب في العصور الوسطى، فكانت أكثر واقعية وأقوى توافقا مع عواطف الإنسان ومشاغله. كما أصبحت المؤلفات تعبّر عن شخصية الأديب وهويّة شعبه. وقد عرفت الأقطار الأوروبية هذه النهضة الأدبية تباعا:

- **إيطاليا**: سبق الأدباء الإ يطاليون غيرهم من أدباء الشعوب الأخرى وتفوّ قوا عليهم في التعبير عن الحسّ الفنّي والبحث عن العمق الجمالي ويعتبر **بترارك** (Petrarque) **(1304 ـ 1374)** من رواد تلك الحركة فقد اهتمّ بدراسة الآداب القديمة وظهرت في كتاباته أفكار جديدة وجريئة انتقد فيها الكنيسة بقوّ ة وصراحة وأكّد ضرورة اهتمام الإنسان بأمور الدّنيا قبل الاهتمام بأمور الآخرة. وقد تأثّرت النّهضة الأدبيّة في إيطاليا بآرائه وكتاباته.
- **فرنسا** : كانت عناية الأدباء موجّهة نحو الإ بداع نثرا وشعرا. وقد برز من بين الأدباء **"رابلي"** (Rabelais) بكتابه"بنتقروبال" الذي عبّ ر فيه بأسلوب ساخر عن آرائه في تربية الناشئة وعن ثقافته الإنسانية ونظرته الخاصّة للحياة. كما تميّز **"رونسار"** بقصائده الشعرية التي تغنّى فيها بجمال الطبيعة وبأفراح الحياة وأتراحها. وبرز أيضا مونتاني بكتابه **"الرسائل"**(Les Essais) الذي عبّر فيه عن ملاحظاته وتجاربه وتأملاته.

- **إنقلترا:** ظهر المسرح المتنوع المليء بالمفاجآت والمغامرات، وتحليل الإ نسان في خلقه وطباعه وقد نبغ في ذلك "**شكسبير**".بمسرحياته مثل عطيل وهملت.
- **إسبانيا:** اهتم الأدباء بعواطف الفروسية وأبرزوا الُمثل العليا التي يتحلّى بها الفارس وقد تجلى ذلك عند الأديب "سارفنتس" في كتابه "دون كيشوت".

2 – **تجديد الفكر السياسي:** الوثيقتان 11 ـ 12

دعا مثقّفو عصر النهضة إلى تجريد الحكّام من القداسة الدينية التي وهبتها لهم الكنيسة خلال العصور الوسطى، فكانت انطلاقة فكر سياسي جديد مثّله عديد المفكرين نذكر منهم:

- "**ماكيافيلي**" الذي قدّم في كتابه "الأمير" مقاربة سياسية جديدة مبنيّة على مبدأ "الغاية تبرّر الوسيلة" بيّن فيها أنه بإمكان الحكّام التنكّر لعهودهم واستخدام كل الوسائل الممكنة إن كان ذلك يخدم مصلحة الدولة، وأنّ الاحتفاظ بالسلطة السياسية لا يمكن أن يتمّ إلا عن طريق المزج بين اللين والعنف وبين النفاق والنزاهة، كما أكّد ضرورة أن يعمل كل أمير على إرضاء شعبه وخدمة الصالح العام فإن لم يفعل ذلك تحوّل إلى طاغية و يصبح من الضروري التخلّص منه.
- "**إيرازم**" الذي ندّد بالعنف والحرب وانتقد مجتمع عصره في كتابه "مدح الجنون" الذي أهداه إلى "شارلكانت" امبراطور إسبانيا والنمسا.
- "**توماس مور**" (1478 ـ 1535) الذي قدّم في كتابه"**يوتوبيا**" (**Utopie**) وصفا للمدينة الفاضلة التي يسودها السلام ويسوسها حكام صالحون.

هكذا برز من خلال الفكر السياسي لعصر النهضة نموذج سياسي إنساني يدعو إلى الوئام والتآلف بين البشر ونبذ الحروب والسعي إلى التخلّص من الاستبداد وهيمنة رجال الدين عن طريق إصلاح الكنيسة.

3 - **حركة الإصلاح الديني:** الوثيقتان 13 ـ 14

- مهّدت عدّة عوامل لبروز فكر ديني جديد دعا إلى إصلاح الكنيسة المسيحية ومن أبرز تلك العوامل :

– الحيرة الدينية العميقة التي انتابت المسيحيين منذ منتصف القرن الرابع عشر نتيجة تعدّد الحروب والمجاعات والكوارث وانتشار الأوبئة ممّا جعل الكثيرين منهم يعتقدون أنها عقوبات سلّطها الله عليهم نتيجة سوء تصرفهم وضعف إيمانهم.

– تجاوزات رجال الدين الذين لم يقوموا بأي مجهود للتخفيف من حدّة الحيرة الدينية وتركوا العبادات وانغمسوا في الأمور الدنيوية.

– سعي البابا منذ بداية القرن السادس عشر إلى جمع المال لمواجهة نفقات حروبه وبناء كنيسة القديس بطرس في روما عن طريق بيع ما سمّي بصكوك الغفران موهما الناس بأنها تضمن لهم الخلاص والدخول إلى الجنّة.

- كل هذه العوامل دفعت عديد المفكرين إلى نقد الوضع السائد والدعوة إلى التسامح والإصلاح الديني:

– **في ألمانيا:** تزعّم الدعوة إلى الإ صلاح رجل الدين "**مارتن لوثر**" الذي اعتبر أن الخلاص يتمّ عن طريق الإيمان الصادق لا عن طريق صكوك الغفران. كما دعا إلى تبسيط العبادات وإلغاء الوساطة بين الإنسان وخالقه لذلك ترجم الإ نجيل من اللاتينية إلى الألمانية. وطالب لوثر أيضا بالسماح لرجال الدين بحياة عادية تبيح لهم الزواج وتكوين أسرة. فكانت نشأة المذهب البروتستنتي (الرافض) الذي انتشر في ألمانيا وفي أجزاء عديدة من شمال أوروبا مثل البلدان السكندينافية.

– **في فرنسا**: اعتنق **جون كلفن** المذهب البروتستنتي وساهم في نشر أفكار لوثر لكنه أكّد فكرة القضاء والقدر. وتعتبر الكلفينية أكثر التيارات البروتستنتية تشدّدا الأمر الذي جعلها أقلّ انتشارا من اللوثيرية.

– **في إنقلترا**: لمّا رفض البابا الترخيص بالطلاق للملك هنري الثامن (1509 - 1574) قرّر هذا الأخير الانسلاخ عن النفوذ البابوي وأقنع البرلمان بتعيينه قائدا أعلى للكنيسة الأنقليكانية التي تأثرت كثيرا بأفكار كلفن لكنها حافظت على بعض الخصائص الكاثوليكية.

لقد أدى هذا الإصلاح الديني إلى بروز علاقة جديدة للإنسان المسيحي مع خالقه ومع الكنيسة، ولئن كان هذا التحوّل إيجابيا في بعض جوانبه، حيث أصبح هذا الإنسان قادرا على الاعتماد على نفسه أكثر، فإن الموقف العدائي للبابا والملوك من البروتستنتيّة جرّ أوروبا إلى سلسلة من الحروب الدينية الدامية التي لم تتوقّف إلا بعد الاعتراف بالمذهب البروتستنتي في أواخر القرن السادس عشر.

III – مظاهر النهضة في المجالين الفني والعلمي:

لقد نتج عن النّهضة الفكرية بمختلف أبعادها السياسية والدينية مفهوم جديد للفنّ والعلم وقد كانت للفنانين والعلماء مثل باقي الإنسانويين رغبة ملحّة في الإسهام في بناء النهضة.

1 – مظاهر النهضة الفنية: الوثائق من 15 إلى 20

● تجلّت النهضة الفنية بأجمل مظاهرها في إيطاليا منذ أن بدأ الاهتمام بإحياء الفنّ القديم، حيث اقتبس الرسامون والنحاتون والمهندسون المعماريون من جمال الآثار القديمة وأخذوا في محاكاتها في الروح والتعبير، ولكنهم في الوقت ذاته تميّزوا بالخَلْق والإبداع، وسعوا إلى التعبير عن عواطفهم الشخصية محاولين أن يمثل إنتاجهم ميولاتهم الفنّيّة. وقد تنافس كبار التجار والحكام على الظهور بمظهر رعاة الفنون ومالكي أكبر مجموعة من النفائس الفنية وأفخرها. وقد حملت فلورنسا لواء النهضة الفنية حيث كانت تحكمها أسرة "**مديتشي**" (**1434 - 1494**) وهي أسرة من كبار التجار خصّصت جزءا من ثرواتها الطائلة لتشجيع الأعمال الفنية وقد كان قصر **لورنزو دي مديتشي** (**1449 - 1492**) بمثابة الأكاديمية الفنية، يؤمّه عدد من الفنانين الكبار أمثال ليوناردو دا فنشي وميشيل أنجلو ورفائيلي.

أما روما فقد كان لها من التاريخ والآثار والمجد القديم ما جعل فنان النهضة ينهل من وحي الماضي وفكر الحاضر لكي يقتبس ويبتكر. كما ساعد كثير من الباباوات على ازدهار النهضة الفنية فيها بتشجيع كبار الفنانين، فشُيّدت بها كنيسة القديس بطرس التي تعاقب على زخرفتها كبار الفنانين أمثال المهندس المعماري "**برمانتي**"، والرسام "**رفائيل**" والفنانً **ميشيل أنجلو**. ومن أشهر الباباوات الذين ساعدوا على النهضة الفنية "**جول الثاني**" (**1503 - 1513**) و"**ليو العاشر**" (**1513-1521**) وفي عهديهما تمّت زخرفة قصر الفاتيكان.

ولم تقتصر رعاية الفنون على روما بل كانت ميلانو مهداً آخر لازدهارها بدعم من أسرة "سفورزا". وكذلك كان الشّأن بالنسبة لمدينة البندقية التي عرفت هي الأخرى ازدهارا فنيا منقطع النظير.

● ومن إيطاليا انتشرت النهضة الفنية في المدن الهولندية والألمانية التي وفّرت بفضل ثرواتها الطائلة المناخ الملائم للخلق والإبداع. وقد لاقت لوحات "**فان آيك**" و"فان دار فايدين" و"هانس هولباين" رواجا كبيرا. وكانت حركية الفنانين وتنقلاتهم المستمرّة سببا في انتشار النهضة الفنية فقد نقل الإيطاليون مهاراتهم إلى لندن وبراغ ثم إلى موسكو وتنقّل الرسامون من شمال أوروبا إلى جنوبها. كما استفادت الإمبراطورية العثمانية في عهد سليمان القانوني من هذه النهضة خاصة في مجال الفن المعماري.

● لقد كانت الميزة الأولى لفناني عصر النهضة هي طموحهم إلى الشمولية، فقد كان **ميشيل أنجلو** (1475 - 1564) رسّاما ونحّاتا ومهندسا معماريّا وشاعرا، كما كان ليوناردو دافنشي رساما ومهندسا معماريا ونحاتا وعالما في الرياضيات.

أما الميزة الثانية فتمثّلت في ابتعاد الفنانين خلال هذه الفترة شيئا فشيئا عن المواضيع ذات الصبغة الدينية التي طالما سيطرت على الفنون في القرون الوسطى، فاهتمّوا بتمثيل الإنسان بطريقة جديدة وذلك بإبراز قوّته ومفاتن جسمه وهواياته. كما اهتمّوا بتوضيح العواطف الإنسانية المختلفة بدلا من التزمّت في إضفاء الجلال والتديّن والمهابة على صور الأشخاص.

أما الميزة الثالثة فكانت الاهتمام بجمال الطبيعة والقدرة الفائقة على توزيع الألوان والظلال والأضواء وتمثيل الواقع بدقّة باعتماد المنظور Perspective (انظر درس الجوكوندة).

وبذلك أصبح الفنّ لائكيا ولم يعُد عمليّة نَسخ آلي لقالب معيّن تفرضه سلطة الكنيسة، وإنما أصبح تعبيراً حراً عن عقلية الفنان وعبقريته.

2 – **مظاهر النهضة في المجال العلمي**: الوثائق من 21 إلى 24

● كانت الحياة العلمية في العصور الوسطى مكبّلة بقيود الكنيسة، وكانت الاكتشافات العلمية نادرة إذ تصدّى بعض الباباوات لكل الأطروحات العلمية المتحرّرة. وقد ساهمت الحضارة العربيّة الإسلامية في تغيير هذه الوضعية وفي ظهور التفكير العلمي الحر من خلال حضور العرب في الأندلس وفي جزيرة صقلية، ومن خلال الحروب الصليبية.

● كما ساعدت الحركة الإنسانوية على ظهور النهضة العلمية، فقد كان معظم علماء النهضة من الإنسانويين الذين اهتموا بتحقيق النظريات العلمية ووصف الظواهر الطبيعيّة باعتماد طرق جديدة قائمةً على الملاحظة والتجربة والتفكير الرياضي. ففي علم الفلك ظهرت نظرية الفلكي البولوني **نيكولا كوبرنيك** **(Copernic)** (1473 - 1543) التي تمحورت حول مركزيّة الأرض. أما في مجال الطب فقد نجح البلجيكي **أندري فيزال** في تطوير علم التّشريح والتّعرّف بدقّة إلى مختلف أجزاء جسم الإنسان كما ابتكر الجرّاح "**أمبرواز باري**" طرقا جديدة لإيقاف النزيف الدموي الناجم عن بتر الأعضاء.

لقد أدى التطوّر في المجال العلمي إلى اختراع العديد من التقنيات والأجهزة كان من أبرزها اختراع الطباعة من قبل الألماني "**غوتمبرغ**" (1450)، كما أدخلت عدّة تحسينات على الأسلحة النارية وعلى تقنيات الملاحة البحرية وصناعة المعادن.

الخاتمة :

هكذا كانت النهضة، بفضل ما شهدته أوروبا من نشاط فكري وفني وعلمي، فترة تحرّر تدريجي من قيود القرون الوسطى، اكتسب خلالها الأوروبيون القدرة على تحسين أوضاعهم الاقتصادية والاجتماعية الأمر الذي جعلهم يعتقدون أنهم يعيشون فعلا عهدا جديدا قوامه إعادة الاعتبار للإنسان بتخليصه من هيمنة الكنيسة والإقرار بقوّة الطبيعة. ولئن اعتبر عصر النهضة بداية للتاريخ الحديث فإن خروج أوروبا الفعليّ من ظلمات القرون الوسطى لم يتحقّق إلاّ في أواخر القرن السابع عشر وبداية القرن الثامن عشر مع فكر التنوير.

الدّرس 3

النّهضة الأوروبيّة
دراسة شخصيّة علميّة : نيكولا كوبرنيك

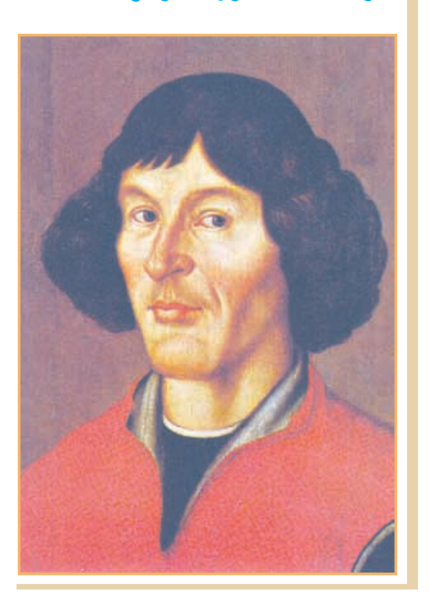
المدخل

"في وسط كلّ شيء تتمركزُ الشّمس" : نيكولا كوبرنيك.
أنطلقُ من هذه القولة البسيطة لأدرس التّحوّل الجذري في معرفة الإنسان للكون والدّور المميّز لنيكولا كوبرنيك في انطلاقة العلم الحديث.

النشاط الأوّل : أتعرّف شخصية كوبرنيك.

الموارد :

الوثيقة 1 : صورة كوبرنيك



الوثيقة 2

كوبرنيك بروما

"...حوالي 1500، وفي سنّ السابعة والعشرين كان كوبرنيك بروما محاضرا في الرياضيات أمام حشد من الطلبة و بعض الرجال اللاّمعين والمختصين في هذا الفرع من العلوم ..."

رتيكوس*، الحكاية الأولى
ورد بموسوعة "أنكرتا" 2005

*رتيكوس (1514-1574) التلميذ الوحيد لكوبرنيك أشرف على طبع مؤلفه دوران الأجرام السماوية

الوثيقة 3

نظرية كوبرنيك الواردة بمخطوطه "الشروح"

"مخطوط في ستّ ورقات يعرض نظرية كاتب يؤكّد بأنّ الأرض تتحرّك في حين تبقى الشمس ثابتة."

ورد بمصنّفات مكتبية لأستاذ بجامعة كراكوفيا عاش بين 1457 و 1523

معطيات مكمّلة

حول حياة نيكولا كوبرنيك

– ولد في 19 فيفري 1473 في مدينة طورون(Torun) ببولونيا .
– 1491 التحق بجامعة كرا كوفيا (Cracovie) لدراسة الفلك و الرياضيات .
– 1496 سافر إلى إيطاليا و دخل جامعة بولوني(Bologne) لدراسة القانون الكنسي .
– 1497 ـ 1503 لازم أستاذ الرياضيات و الفلكي دومينيكو مَاريًا نوفارا (1454ـ 1506). وعاين معه بعض الظواهر الفلكية كما درس الطب و ألقى محاضرات في الرياضيات بروما.
– 1503 رجع إلى بولونيا و تولى وظيفة كاهن قانوني ومارس الطب وواصل بحوثه الفلكية.
– 1515 أنهى تأليف دراسة فلكية قصيرة "الشروح".
– 1517 ألّف دراسة حول العُملة.
– 1530 أنهى موَلفه الأساسي "دوران الأجرام السماوية".
– 24 مارس 1543 وفاة كوبرنيك إثر صدور مُؤلَّفه.

التعليمة

– تبيّن نشأة كوبرنيك وتكوينه وأعماله.

النشاط الثّاني : أدرس نظريّة كوبرنيك الفلكيّة.

الموارد :

الوثيقة 4 : رسم للكون حسب تصوّر بطليموس.



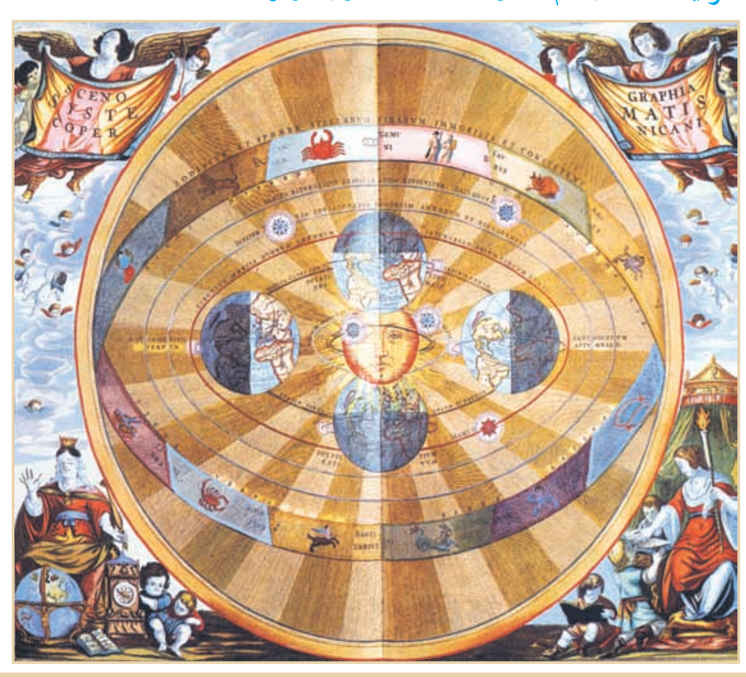
المصدر "موسوعة أنكرتا" 2005

معطيات مكمّلة

حول بطليموس

كلود بطليموس (Ptolémée) مفكّر إغريقي عاش في القرن II ميلادي (بين حوالي 100 ـ 170) وضع دراسة في الفلك تعرف بالماجسطي (Almageste) شرح فيها نظرية مركزية الأرض في الكون، وهي النظرية الّتي سادت في أوروبا إلى غاية القرن XVI.

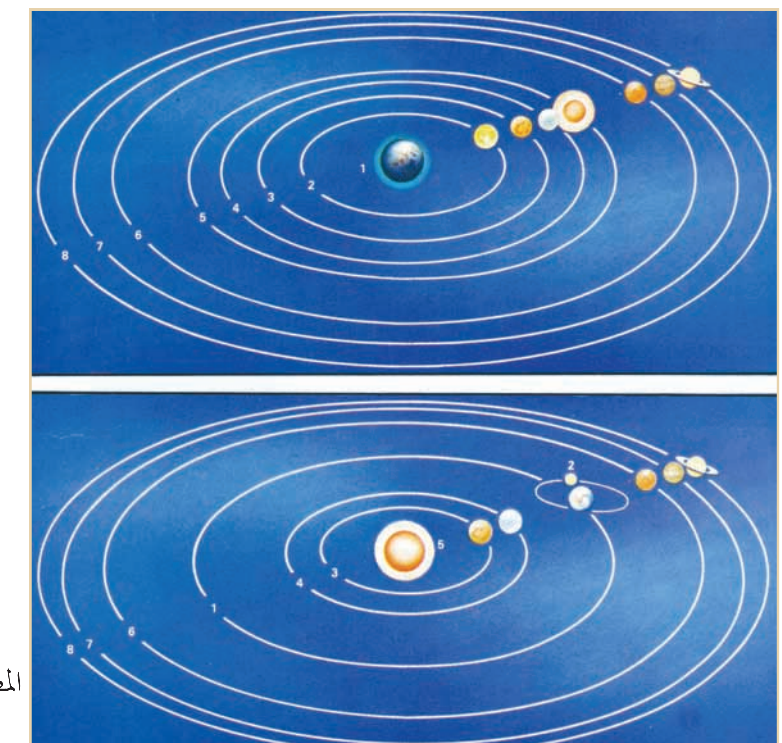
الوثيقة 5 : رسم للكون حسب تصوّر كوبرنيك



المصدر "موسوعة عالمنا" ص 153 الجزء 4

الوثيقة 6 : رسمان لنظامين للكون.

الكواكب الممثّلة : (1) الأرض ـ (2) القمر ـ (3) عطارد ـ (4) ـ فينوس ـ (5) الشمس ـ (6) المرّيخ ـ (7) المشتري ـ (8) زحل.



نظام بطليموس

نظام كوبرنيك

المصدر : موسوعة "عالمنا" ص 154 الجزء 4

الوثيقة 7

الكون خلق كرويّا

" ... بداية يجب علينا أن نلاحظ بأنّ الكون كروي ، إمّا لكَوْن هذا الشكل هو أفضل الأشكال،لا يحتاج إلى أيّ ترتيب ... و إمّا لأنّه أوسع الأشكال بحيث يمكنه احتواء كلّ الأشياء والمحافظة عليها أكثر ، وإمّا لأنّه أيضا يُنظر لكلّ جزء منفصل في الكون بذلك الشكل : أقول الشمس و القمر و النجوم ... "

نيكولا كوبرنيك، دوران الأجرام السماوية،
ورد بكتاب ، كوبرنيك : الأعمال الكاملة ، ج 1 ص 42
نشر " المركز القومي للبحوث العلمية " باريس 1973

الوثيقة 8

الأرض أيضا خلقت كروية

" ... الأرض أيضا كروية لأنّها تعتمد في كلّ أجزائها على مركزها ، رغم أنّ كرويتها لا تظهر مباشرة مُتجسّمة في المرتفعات الشاهقة للجبال وفي منخفضات الأودية، فإنّ هذا لايغيّر في شيء الاستدارة العامة للأرض ..."

نيكولا كوبرنيك، دوران الأجرام السماوية،
ورد بكتاب ، كوبرنيك : الأعمال الكاملة ، ج 1 ص 44
نشر " المركز القومي للبحوث العلمية " باريس 1973

الوثيقة 9

استنتاجات

"... بعد بحوث مكثفة اقتنعت أخيرا :
- أنّ الشمس نجم ثابت محاط بكواكب تدور حوله وهي تمثل المركز .
- أنّ الأرض كوكب رئيسي خاضع لحركة ثلاثية.
- أنّ المسلك الظاهري للنجوم ما هو إلاّ وهم بصري بمفعول الحركة الحقيقية للأرض ..."

نيكولا كوبرنيك، الشّروح،
ورد بكتاب ، أعمال كوبرنيك : الشّروح ، ج 1 ص 26 المنشورات الجامعيّة الفرنسيّة"
الطّبعة الثّانية باريس 1970

التعليمات

- ← لاحظ الرسوم و بيّن الاختلافات بين التصورين للكون.
- ← حدّد خصائص نظرية كوبرنيك.

النشاط الثّالث : أتبيّن تأثيرات نظرية "مركزية الشمس".

الموارد :

الوثيقة 10

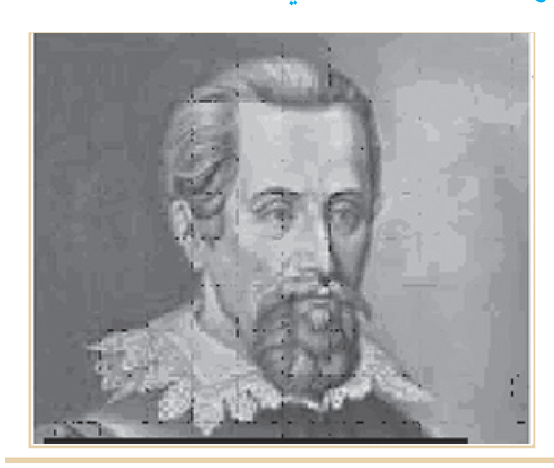
موقف الكنيسة من نظرية كوبرنيك

"قرّر الكرادلة * المجتمعون بروما يوم الأربعاء 24 فيفري 1616 : رفض الفرضية القائلة بأنّ الشمس مركزُ الكون و ثابتة لا تتحرّك أبدا ، بالإجماع، و ذلك باعتبارها سخيفة و غير معقولة من وجهة نظر فلسفية ، و مخالفة كلّيا للدّين لأنها تتضارب مع ما ورد في الكتاب المقدّس ..."

ورد بكتاب التاريخ السادسة ثانوي ص 25
طبع م ق ب 1992

* الكرادلة : كبار رجال الدّين يقومون بانتخاب البابا .

الوثيقة 11: صورة الفلكي كبلار



الوثيقة 12: صورة غاليلي



معطيات مكمّلة

يوهانس كبلار (Johannes Kepler)

فلكي وفيزيائي ألماني (1571 ـ 1630) يعتبر من أبرز مساندي نظرية كوبرنيك ألّف عدة كتب في الفلك جمّعها سنة 1621 في "مختصر علم الفلك الكوبرنيكي" كما ساهم في تطوير البصريات وخاصة الرياضيات.

معطيات مكمّلة

غاليليو غاليلي (Galilio Galilée)

فيزيائي و فلكي إيطالي (1564 ـ 1642) من أبرز رواد الثورة العلمية في القرن السابع عشر أكّد علميا نظرية كوبرنيك منطلقا من حقائق فيزيائية والرصد خاصة وأنّه اخترع سنة 1609 منظارا فلكيا قدرة تكبيره للأشياء تصل إلى عشرين مرّة.

الوثيقة 13

كبلار و نظرية كوبرنيك

" ... إنّ النظام الكوني البسيط و المتناسق الذي حدّده كوبرنيك هو من خلق اللّه ...
و هذا النظام خاضع لثلاث قواعد :
– الشمس تسلّط قوّة تتقلّص مع المسافة و تمكّن الكواكب من البقاء في مداراتها.
– الكواكب تتحرّك حول الشمس حسب مدارات إهليلجية .
–كلما كان الكوكب أقرب إلى الشمس كانت حركة دورانه أسرع."

يوهانس كبلار ، علم الفلك الجديد ، 1609

الوثيقة 14

غاليلي أمام محكمة التفتيش بروما (22 جوان 1633)

" أنا غاليلي، من فلورنس ، عمري سبعون سنة ...
أقسم بأنّني اعتقدت دائما في ما أعتقدُ ه الآن، وسأعتقد مستقبلا بمشيئة الله، في كلّ ما تقرّه وتُعلمه قداسة الكنيسة الكاثوليكية...
... و أمام هذا المجمع المقدّس حوكمت بشدّة بتهمة الهرطقة*، بسبب تصريحي و اعتقادي بانّ الشمس يمكن أن تكون مركز الكون و ثابتة، وبأنّ الأرض ليستالمركز ولا تتحرك..."

ورد بكتاب ، غاليلي بين السلطة والعلم ،
تأليف فرانكو لاشيوطو و سرجيو ماركوني

* الهرطقة : الإلحاد و الخروج عن تعاليم الدين .

معطيات مكمّلة

محكمة التفتيش

مؤسسة قضائية دينية أحدثها البابا غرغوار التاسع سنة 1231 مهمتها ملاحقة المتّهمين بالبدع والهرطقة ومحاكمتهم .

التعليمات

– حدّد موقف الكنيسة من نظرية كوبرنيك.
– أبرز تأثيرات نظرية كوبرنيك على تقدّم الفلك والعلم بصفة عامة.

التقديم :

بقيت المعرفة العلمية في أوروبا خلال العصور الوسطى تقليدية و خاضعة لاحتكار الكنيسة ومراقبتها، لكن مع تبلور الإنسانوية وفي مسار النهضة بادر بعض العلماء بالتساؤل حول حقيقة النظريات السائدة، وتوخّوا منهج التحرّر الفكري والملاحظة العقلانية للظواهر الطبيعية واعتمدوا التجربة.
وقد مكّن هذا التوجّه من طرح نظريات علمية جديدة في مجالات معرفية مختلفة، فكانت الريادة في علم الفلك لنيكولا كوبرنيك .

I - من هو نيكولا كوبرنيك ؟ 1 2 3

يعدّ كوبرنيك شخصية نموذجية لمفكّري عصر النهضة .

1ـ نشأته :

ولد نيكولا كوبرنيك في سنة 1473 في وسط بورجوازي ميسور بمدينة طورون (Torun) ببولونيا بمنطقة تهُزها اضطرابات بسبب الصراعات السياسية والدينية.
وعند بلوغه سنّ العاشرة توفي والده، فأشرف على تربيته خاله الّذي كان قسّا، وكان له بالغ التأثير في توجيه المرحلة الأولى من تكوينه .

2 ـ تكوينه :

تعلّم كوبرنيك في البداية اللّغة اللاتينية باعتبارها آنذاك لغة الثقافة والعلم، ودخل في سنة 1491 جامعة كراكوفيا (عاصمة المملكة البولونية من القرن 14 إلى القرن 16) لدراسة الرّياضيات و الفلك لكنه غادر هذه الجامعة دون الحصول على شهادة علمية.
ومثل عديد البولونيين من وسطه رحل كوبرنيك سنة 1496 إلى إيطاليا لأهمّية الدور الإستقطابي لمدنها التي كانت تشهد حركية ثقافية، والتحق بجامعة بولوني(Bologne) لدراسة القانون الكنسي.
و من أهمّ المؤثّرات في تكوينه ملازمته للفلكي وأستاذ الرياضيات دومينكو ماريا نوفارا الّذي وجّه اهتمامات كوبرنيك إلى الجغرافيا و الفلك ومكّنه من رصد بعض الظواهر الفلكية كانخساف نجم الثور وراء القمر في 9 مارس 1497. وفي سنة 1500 تحوّل كوبرنيك إلى روما حيث ألقى محاضرات في الرياضيات والفلك وعاين الخسوف الجزئي للقمر (6 نوفمبر 1500). تحصّل كوبرنيك على منحة من مجلس كاتدرائية فرمبورك (Frombork) ببولونيا لدراسة الطبّ بجامعة بادوفا (Padova) بإيطاليا، لكنه غادر هذه المؤسسة، وقدّم سنة 1503 أطروحة في القانون الكنسي وتحصّل بمقتضاها على الدكتوراه ورجع نهائيا إلى بولونيا.
لقد تميّز تكوين كوبرنيك كأغلب مفكّري عصره بالتنوّع وبالسعي إلى شمولية المعرفة، فكان لهذا التكوين الأثر الواضح في تفكيره وأعماله.

3 ـ نشاطه وأعماله :

عُيّن كوبرنيك موظّفا في الكنيسة،بدعم من خاله القسّ سنة 1495 وبعد انقطاع لمدّة ثماني سنوات أقام خلالها بإيطاليا. استرجع كوبرنيك وظيفته في كاتدراتية فرومبورك.

وقد تركت له خطّته الوظيفية متّسعا من الوقت لممارسة أنشطة أخرى، فحسب المصادر مارس كوبرنيك الطبّ و اهتمّ بالترجمة وبالاقتصاد لكنّه ركّز أكثر على البحوث الفلكية، ومن أهم أعماله المعروفة:
- ترجمة "رسائل حول الأخلاق" لكاتب بيزنطي عاش في القرن السابع إلى اللاتينية .
- تدوين مخطوط في ست صفحات تحت عنوان " الشروح " تضمّن دراسة فلكية استعرض فيها المبادئ الأساسية لنظرية "مركزية الشمس".
- المساهمة في تعديل روزنامة التقويم الفلكي سنة 1515.
- إصدار مؤلَف اقتصادي بعنوان " دراسة حول العملة " سنة 1517.
- تأليف " دوران الأجرام السماوية" بين 1520 ـ 1530 الّذي يعدّ العمل الأساسي لكوبرنيك و قد بلور فيه نظريته الفلكية.

II ـ نظرية كوبرنيك الفلكية :

إنّ الأجرام السماوية و حركاتها أثارت فضول الإنسان و اهتمامه منذ أقدم العصور.

1 ـ تطور الفلك :

جعل العلماء و الفلاسفة الإغريق من الفلك علما قائم الذّات وصنّفوا عدّة أطروحات حول نظام الكون و حركات الكواكب و النجوم.
فقد ناصر الفيلسوف أرسطو (Aristote) الّذي عاش بين 385و 322 ق .م التصور القائم على مركزية الأرض في الكون، في حين طرح الفلكي أريستارك(Aristarque)الّذي عاش بين 310 و 230 ق .م نظام مركزية الشمس في الكون .
وخلال القرنين التاسع والعاشر ميلادي كانت للفلكيين العرب إسهامات بارزة تمثّلت في وضع مصنّفات جديدة للنجوم، وجداول لحركات الكواكب وفي تطوير وسائل الرصد، وقد وصلت هذه الإنجازات إلى الأوروبيين عبر الأندلس و صقلية لكنّها لم تحدث تغييرا يذكر إذ ظلّت سائدة في أوروبا و لمدّة 14 قرنا نظرية بطليموس.

2 ـ نظرية مركزية الأرض لبطليموس : | 4 | 6 |

انطلق الفلكي الإغريقي بطليموس (100ـ170) من التصوّر القائم على مركزية الأرض في الكون، وصنّف نظرية أكثر تفصيلا و تعقيدا.
فقد اعتبر الأرض ثابتة لا تتحرّك و موقعها في مركز الكون و حولها تدور الأجرام السماوية أي الكواكب المعروفة آنذاك، و رتّب بطليموس هذه الكواكب حسب المسافة الّتي تفصلها عن سطح الأرض على النحو التالي :القمر ، عطارد، فينوس، الشمس، المرّيخ، المُشتري وزحل.
وتصوّر بطليموس كوكبا أخر أكثر بعدا عن الأرض وسمّاه كرة الثوابت لأنّها تحمل النجوم الّتي لا تتحرّك وحسب نظرية بطليموس فإنّ الأرض وحدها وعلى عكس الكواكب الأخرى تشهد تغيّرات كالفصول والزلازل والبراكين...

إنّ هذا النظام الكوني الّذي نظّر له بطليموس لا يستند إلى براهين علمية، لكن الكنيسةالمسيحية أقرّته حقيقة مطلقة بناء على ما ورد بالكتاب المقدّس بأنّ الشمس تبزُغ وتغيب وبالتالي تتحرّك حول الأرض الثابتة.
إنّ الموقف القطعي و المتحجّر للكنيسة عرقل تطوّر علم الفلك في أوروبا إلى غاية القرن السادس عشر أي حتى مبادرة كوبرنيك.

3 –كوبرنيك و نظرية "الشمس مركز الكون" : 5 | 6 | 7 | 8 | 9

جسّم كوبرنيك في مؤلّفه "دوران الأجرام السماوية" الّذي طبع سنة 1543 نظاما جديدا للكون بإقراره أنّ الأرض كوكب متحرّك في الفضاء و الشمس هي مركز الكون .
و قد انطلق كوبرنيك من نظرية بطليموس، و لكنّه غيّر موقع كوكبي الأرض والشمس ودوريهما ورسم نظاما كونيا مركزه الشمس أي "النظام الشمسي"، ومن أبرز خصائصه :
– الشمس هي مركزُ الكون تدور حولها بقية الكواكب .
– الأرض كوكب سيّار تقوم بحركة ثلاثية، فهي تنجز دورة سنوية حول الشمس راسمة مدارا إهليلجيا، وتنجز في نفس الوقت دورة يومية حول محورها الّذي بدوره تعتريه حركة ارتجاجية.
و من خلال هذه الخصائص نتبيّن الانقلاب الّذي أحدثته نظرية كوبرنيك بالنسبة لما كان سائدا رغم أنّها لا تستند في أغلب جوانبها إلى براهين وإثباتات علمية فقد بنيت أساسا على تصورات فلسفية، وبالتالي أثارت ردود فعل مختلفة.

III ـ تأثيرات نظرية كوبرنيك :

طرحت نظرية كوبرنيك في ظرفية انتقالية تميّزت باحتداد التنافس المعلن و الخفي بين سلطة الكنيسة و طموح الفكر الحرّ، وهذا ما يفسّر تباين المواقف تجاهها.

1 ـ مناهضة الكنيسة لنظرية مركزية الشمس : 10 | 14

رغم جرأته الفكرية تجنّب كوبرنيك المواجهة مع الكنيسة لاعتبارات ذاتية وموضوعية، فإنّه لم يوقّع على المخطوط الذي حدّد فيه المبادئ الأساسية لنظريته منذ 1515، كما لم يفصح عنها إلا لبعض المقرّبين الأوفياء، ولم يصدر كتابه " دوران الأجرام السماوية" إلا سنة 1543 أي قبيل وفاته.
كل هذه الملابسات تؤكّد تخوف كوبرنيك من معارضة الكنيسة ، وهذا التخوف كان في محله، إذ إثر صدور نظريته اعتبرتها الكنيسة بدعة منافية للكتاب المقدسّ ولمشاعر المسيحيين وصادرت عديد النسخ من كتابه، و قد تأكّد رفض الكنيسة لنظرية كوبرنيك بقرار مجلس الكرادلة لسنة 1616.
و قد أثّر موقف الكنيسة سلبًا على أطروحات بعض المختصين ومنهم الفلكي الدنماركي براهي (Brahe) الّذي عاش بين 1546 ـ 1601 والّذي اختار موقفا توفيقيا بالإبقاء على الأرض في مركز الكون و اعتبار الشمس تدور حولها و لكنه أضاف أنّ بقية الكواكب تدور حول الشمس.
إنّ المواقف الرّافضة والقناعات المتسترّة لا تنقص في شيء من أهمّيّة التّحوّل الفكري الّذي أحدثته نظرية كوبرنيك.

2 - من كوبرنيك إلى غاليلي : | 11 | 12 | 13 | 14 |

قد حرّر النظام الذي حدّده كوبرنيك الفلكيين و العلماء و دفعهم إلى التعمّق في البحث فقد ركّز الألماني كبلار على دراسة نظرية كوبرنيك موظّفا الفيزياء و الرياضات والرصد فاكتشف أنّ الأرض و بقية الكواكب ترسم حول الشمس مدارات إهليليجيّة، كما أكّد أنّ النجوم تتحرّك.

وحدّد كبلار ثلاث قواعد يخضع لها النظام الكوني :

– الشمس تسلّط قوّة تتقلّص مع المسافة و تمكّن الكواكب من البقاء في مداراتها.
– الكواكب تتحرّك حول الشمس حسب مدارات إهليليجيّة.
– كلما يكون الكوكب أقرب إلى الشمس تكون حركة دورانه أسرع.

وقد قدّم العالم الإيطالي غاليلي القرائن القاطعة لفائدة النظام الكوني الذي حدّده كوبرنيك باختراعه منظارا فلكيا تتجاوز قدرته على التكبير عشرين مرّة مكّنه من رصد ظواهر كونية لم تشاهد من قبل أكّد بها نظرية كوبرنيك في كتابه " حوار حول النظامين الأساسين للكون " الذي صدر سنة 1632، وعرّضه إلى سخط الكنيسة و إلى المثول أمام محكمة التفتيش .

الخاتمة :

أحدث كوبرنيك بنظرية " الشمس مركز الكون" تحولا جذريا في علم الفلك و دفع إلى التساؤل حول الحقائق العلمية المتداولة، كما أنّه أثار اهتمام علماء عصره بدراسة مكونات الكون و تطوير وسائل الرصد.

وفتح كوبرنيك المجال لتحرّر الفكر من تسلّط وقيود الكنيسة ولتطوّر العلوم الحديثة في ظرفية تميّزت أيضا بحركية فنّية رائعة انطلقت من إيطاليا بمساهمة نخبة من المبدعين.

الدّرس 4

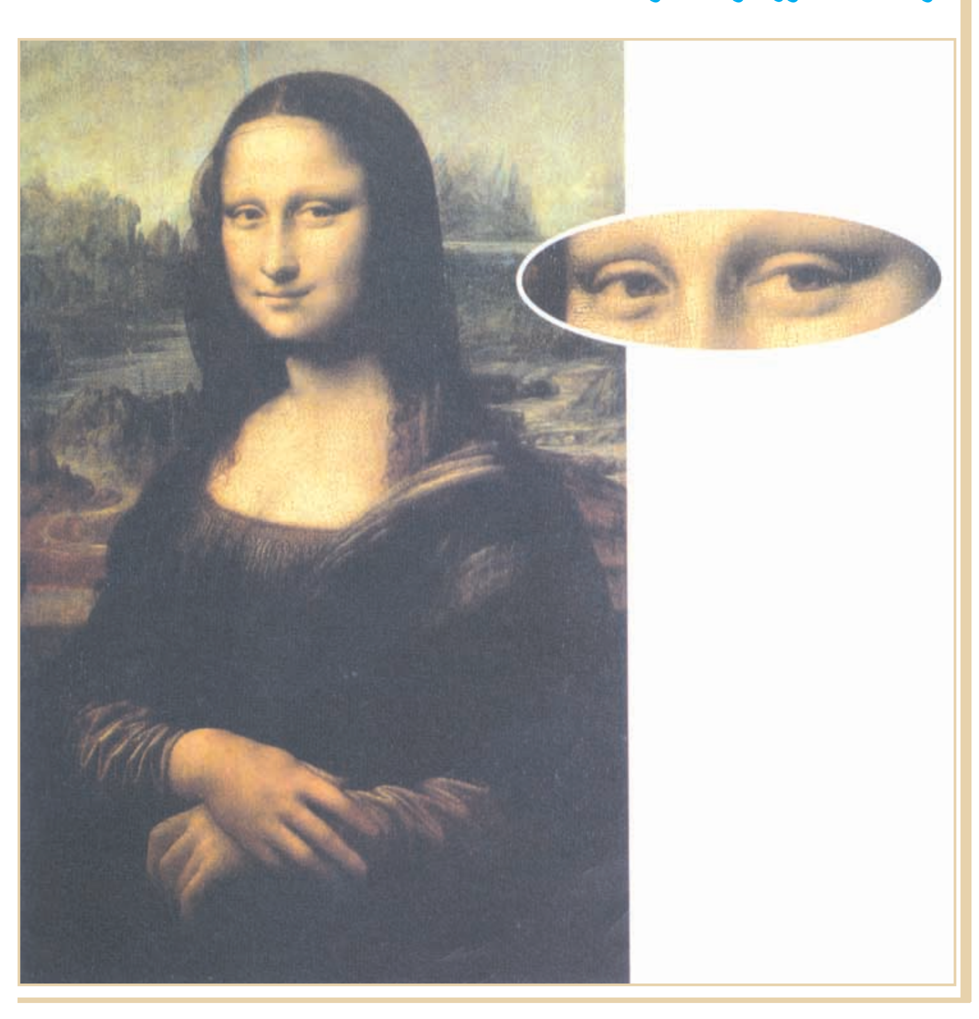
النّهضة الأوروبيّة
دراسة أثر فنّي : لوحة الجوكندة

المدخل أدرس لوحة الجوكندة لأتعرّف خصائص هذا الأثر الفنّي الذي يعدّ من أروع إبداعات فنّ النهضة.

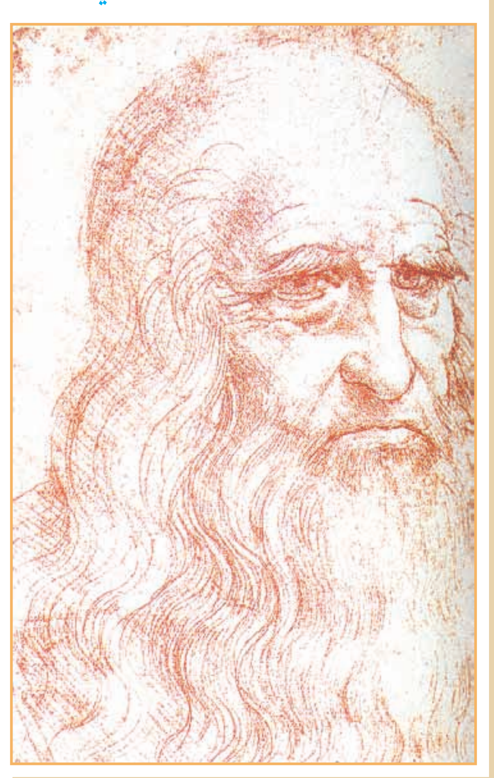
النشاط الأوّل : أقدّم لوحة الجوكندة كأثر لفنّ النّهضة.

الموارد :

الوثيقة 1 : صورة لوحة الجوكندة



الوثيقة 2 : صورة ليوناردو دافنشي بريشته



معطيات مكمّلة

حول لوحة الجوكندة
- الرسّام : ليوناردو دا فنشي (1452 ـ1519).
- تاريخ انجازها : بين 1503 . 1506.
- حجمها : 77 صم × 53 صم
- مكان حفظها: متحف اللّوفر بباريس.
- نوعيّتها : لوحة زيتية على الخشب.



التعليمة

حدّد هويّة لوحة الجوكندة.

النشاط الثّاني : أحلّل الخصائص الفنّية للوحة الجوكندة.

الموارد :

الوثيقة 3

أهمّية التّجربة

" ... قبل أن تحوّل حالة ما إلى قاعدة عامة ، قمْ بتجربتها مرّتين أو ثلاث ولاحظ مدى تطابق نتائج التجارب ...

فلا يُعتبَرُ كلّ بحث بشري علما حقيقيا إذا لم يَخضع إلى استنباطات رياضية ... "

ليوناردو دا فنشي، الدفاتر،
ورد بكتاب العصور الحديثة
نشر بورداس

الوثيقة 4

العلم والتّطبيق

" ... الّذين يتعاطون عملا تطبيقيا دون اعتماد العلم، هم مثل الربّان الّذي يبحر على سفينة بدون مقود توجيه وبوصلة ... يجب أن يكون التطبيق دائما مبنيا على النظرية الصحيحة. "

ليوناردو دا فنشي، الدفاتر،
ورد بكتاب العصور الحديثة
نشر بورداس

الوثيقة 5

المَنظُور حسب دا فنشي

" ... يَستعمِلُ المنظور لتمثيل المسافات هرمين متقابلين ، تكون قمّة الأول في مستوى العين و قاعدته في الأفق، وتكون قاعدة الثاني أمام العين و قمّته في الأفق .

يتعلّق الهرمُ الأول بالكون و يحوي الأشياء الّتي تمُر أمام العين، كمشهد طبيعي شاسع يُرى من فتحة ضيّقة ستبدو عبرها تلك الأشياء أكثر عددا كلّما كانت أكثر بعدا عن العين.و يتعلّق الهرم الثاني بجزئية من المشهد تبدو أكثر صغرا كلّما بعدت عن العين، و هذا النوع الثاني من المنظور ما هو إلاّ جزء من الأول.

إنّ كلّ شكل يقع على مسافة بعيدة، نفقد أولا رؤية خصوصية أجزائه الدقيقة ولكننا نبقى نشاهد أجزاءه الأكبر حجما مع عدم التبيُّن الواضح لأطرافها ألّتي تصبح إهليليجيّة أو دائرية وحدودها غامضة...

و ينقسم المنظور في الرسم إلى ثلاثة أصناف أساسية :

الأول يخصّ التصغير الّذي يغيّر حجم الأجسام على مسافات مختلفة حسب العين، وهو المنظور الخطّي.

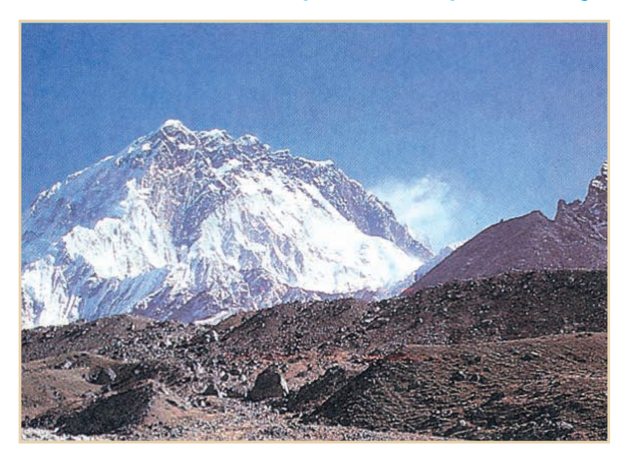
الثاني يتعلّق بتقلّص ألوان الأشياء كلّما بعدت عن العين ، وهو المنظور اللّوْني.

الثالث يتمثّل في تقلّص الأشكال وحدودها كلّما بعدت عن العين، وهو المنظور التصغيري.

ليوناردو دا فنشي، الدفاتر،

ترجمة لويس سرفيسان نشر غليمار، باريس، 1987

الوثيقة 6 : صورة تجسّد المنظور



نلاحظ في الصورة أن المشهد يصبح في العمق مُضبّا وغامضا عكس المشهد الأمامي الّذي تبرز مكوناته بوضوح وتفصيل.

معطيات مكمّلة

المنظور (La perspective) : تقنية تعتمد الهندسة الفضائية وتسمح بإبراز العمق الوهمي على المساحة المسطّحة للوحة ما.

الوثيقة 7

تقنية الإضاءة في الرّسم

"...إنّ الإضاءة الكثيفة لا تمكّن من تظليل جميل، أحذر النهار الساطع نوره ! فعند الشفق أو في ضباب كثيف أو عندما تكون الشمس غائمة، أنظر رونق و جمال المترجّلين في أنهج ظليلة بين الجدران السوداء للمنازل، فذلك يمثّل أفضل إضاءة...

و لتتذكّر أنّه بين الضوء والظلمة يوجد وسط يأخذ من الحالتين ويتمثّل في الإضاءة المظلّلة ... "

دا فنشي ، دراسة في الرسم ،
ورد بكتاب، دفاتر ليوناردو دا فنشي، ترجمة
أندري شستال ص 28 باريس 1987

الوثيقة 8

سرّ الابتسامة الغامضة

" استأثرت ابتسامة الموناليزا (الجوكندة) الغامضة باهتمام العديد من الفنّانين والباحثين منذ أن رسمها دا فنشي. فقد وجد البعض تشابها بين وجهها ووجه راسمها... أما البعض الأخر فقال أنّ ابتسامتها تعود إلى وجود شلل في أحد أعصاب وجهها، و حاول البعض الثالث أن يزيحها عن صدارتها بين اللوحات العالمية، فأضاف إليها شاربا ... وظلّت هذه الابتسامة تحيّرُ الجميع، و كان من بين من حيّرتهم سيغموند فرويد * الّذي ألّف كتابا كاملا عن دا فنشي خصّص جانبا كبيرا منه لتفسير سرّ الابتسامة ... فقد افترض فرويد أنّه عندما وقع دا فنشي في أسر هذه الابتسامة لأوّل مرّة، فإنّها أيقظت بداخله شيئا ما كان كامنا في عقله منذ وقت بعيد ، وربّما كان هذا الشئ هو ذكرى من ذكريات طفولته المبكّرة، خاصة خلال تلك العلاقات الحميمة مع أمّه ثمّ مع بديلتها أي زوجة أبيه... "

شاكر عبد المجيد "التفضيل الجمالي"
عالم المعرفة عدد 267 مارس 2001

* سيغموند فرويد (Sigmund Freud) : نمساوي أخصائي في الأمراض العصبية وعلم النفس عاش بين 1856 ـ 1939.

التعليمات

– لاحظ لوحة الجوكندة وقدّم وصفا مفصّلا لمحتواها.
– تبيّن التقنيات المعتمدة في رسم الجوكندة.

النشاط الثّالث : أتعرّف شخصية دافنشي والظرفية الّتي نشط فيها.

الموارد :

الوثيقة 9

من رسالة دا فنشي إلى دوق ميلانو

" إنّني أعرف كيف يمكنُ تجفيف الخنادق أثناء محاصرة قلعة، وصنع سلالم للتسلّق و آليات أخرى للهجوم ...و أمتلك سرّ صُنع راشقات تقذف مواد حارقة... وفي زمن السلم ، أعتقد بأنّني قادر على مضاهاة أيّ كان في الهندسة و في تشييد المعالم و الأشغال المائية.
و يمكنني النحت على الرخام و البرونز و الخزف، وأما في الرسم أمتلك القدرة على فعل ما يفعله أيّ شخص آخر مهما كان مستواه ... "

ليوناردو دا فنشي، الدفاتر
ورد بكتاب لويس سرفيسان، ترجمة دفاتر دا فنشي ص 42
نشر غاليمار، باريس

الوثيقة 10

فلورنسا

"كان عهد الأمير لوران دي ميدتشي (1469ـ 1492) أبرز عصر عرفته فلورنسا إذ كان هذا الأمير سياسيا وشاعرا تفاعل مع الحركة الإنسانوية وشجّع الفنون و الآداب، في مدينة تعدّدت بها الورشات الكبرى الّتي مثّلت مراكز للتقنيات وللثقافة العقلية ومدارس للفنون ... "
ورد بموسوعة اونيفارسليس 2005

معطيات مكمّلة

لمحة عن حياة دا فنشي

1452 : ولد بفنشي قرب فلورنسا واقتصر في تعليمه على القراءة والكتابة.
1469 : التحق بورشة الفنّان أندري فروكيو (André Verrocchio) بفلورنسا حيث تعلّم فنّ المجوهرات والرسم والنحت.
1478 : أصبح فنّانا مستقلا .
1482 : دخل في خدمة دوقية ميلانو الّتي تحكمها عائلة سفورزا (Sforza)، وأنجز عدّة أعمال في الرسم والنحت.
1494 : انتقل إلى مانتو (Mantoue) ثم إلى البندقية اثر غزو القوات الفرنسية لدوقية ميلانو.
1503 : رجع إلى فلورنسا حيث كلّف صحبة ميكال أنجلو بتزويق قاعة المجلس بقصر المدينة.
1513 : استقرّ بروما و تفرّغ للدراسات العلمية والتقنية .
1516 : تحوّل إلى فرنسا بدعوة من ملكها فرانسوا الأول الّذي عيّنه في خطّة رسّام ونحّات ومهندس معماري للملكة ومكّنه من معاش محترم وقصر.
1519 : توفي دا فنشي بأمبواز (Amboise) بفرنسا.

التعليمات

– قدّم شخصية ليوناردو دا فنشي .
– بيّن مميّزات الظرفية الّتي نشط فيها.

التقديم: | 1 | 2 |

رسم ليوناردو دا فنشي (Leonardo De Vinci) الجوكندة بين 1503 ـ 1506 بمدينة فلورنسا بإيطاليا، وهي لوحة زيتية على الخشب حجمها (77 صم × 53 صم) محفوظة حاليا بمتحف اللوفر (Louvre) بباريس.
وتمثّل اللوحة صورة قلميه لامرأة في إطار مشهد طبيعي تمّ إنجازها في مطلع القرن XVI الذي أعتبر أخصب مرحلة لفنّ النهضة .

I - تحليل لوحة الجـوكندة :

تتميّز لوحة الجوكندة بمحتواها و بالتقنيات المعتمدة في رسمها .

1 – تـخطيط اللوحة ومحتواها: | 1 | 3 | 4 | 5 | 6 | 8 |

وظّف دا فنشي في لوحة الجوكندة بنجاح براعته في الضبط والتأطير و قدرته على استعمال التقنيات الهندسية للرسم المنظوري. فقد أبرز العمق الوهمي على المساحة المسطّحة للوحة باعتماد المنظور الخطّي والمنظور التصغيري وذلك بتغيير حجم الأجسام وبتقليص الحدود الفاصلة بينها حسب بعدها عن العين.
وقد رسم دا فنشي في هذه اللوحة النصف الأعلى لجسد امرأة شابة داخل شرفة تطلّ على مشهد خارجي.
ترتدي المرأة لباسا في غاية البساطة وتقف في وضع مائل موجهة نظراتها في كلّ الزوايا الأمامية تجاه المشاهد ببسمة خفيفة، وهذه جزئية مظهرية استنبطها دا فنشي.
وتَبْرُزُ صورة المرأة الظلّية في خلفية مشهد طبيعي مضبّ نشاهد فيه صخورا ومسلكا ملتويا وجسرا صغيرا جسّمه دا فنشي بدقّة وسعة خيال.

2 – تقنيات الإضاءة والتلوين في لوحة الجوكندة : | 1 | 5 | 6 | 7 |

اعتمد دافنشي التقنية المعرّفة بالمصطلح الإيطالي "سفوماطو" (Sfumato) وهي تقنية متميّزة بالتحوّل التدريجي والدقيق بين مختلف نطاقات التلوين في اللّوحة ، وبالتناسق بين التدرّج في الألوان وفي الإضاءة.
– الإضاءة : تتميّز اللوحة بالرقّة في مستوى الإضاءة، إذ تبرز جوا مشبّعا بالبخار وهذه خاصية مميّزة لدافنشي في الرسم تجمع بين المشهد الخلفي والصورة الممثّلة وتنعدم فيها تقريبا الحدود بين الجزئين.
و تعكس هذه التقنية الإتقان في استعمال التوزيع الجيّد لمؤثّرات تدرّج الأضواء وخاصة الخافتة منها.
– التلوين : أنجز دافنشي اللّوحة بمجموعة محدودة من الألوان الطباشيرية الحمراء والسوداء المتدرّجة من الداكن إلى الفاتح، لقد طبّق تقنية المنظور اللّوني المتمثّلة في تقليص ألوان الأشياء كلّما بعدت عن العين بهدف توجيه رؤية المشاهد في اللوحة نحو المضامين الّتي ركّز عليها الرسّام.

II ـ دا فنشي والأبعاد الظرفية والفنّية للوحة الجوكندة :

1 ـ تقديم شخصية دا فنشي وأعماله : | 2 |

ولد ليوناردو دا فنشي سنة 1452 بقرية فنشي قرب فلورنسا حيث تلقى تعليما عاديا، والتحق في سنة 1469 بورشة الفنّان أندري فروكيو(André verrocchio) بفلورنسا كمعاون ومتمرّن وحذق فنّ التزويق والنحت والرسم.
اكتسب دا فنشي منذ 1478 صفة الفنّان المحترف والمستقل وبين 1482 ـ 1499 أقام بدوقية ميلانو في خدمة عائلة سفورزا (Sforza) الّتي كانت تحكمها، وأشرف على أشغال هندسية حربية ومائية ومعمارية كما واصل نشاطه في النحت وخاصة في الرسم إذ أنجز في سنة 1483 لوحة "العذراء على الصخور" وبين 1495 ـ 1497 رسم لوحة جداريه ضخمة "العشاء السرّي".

تنقّل دا فنشي في فترة 1500 ـ 1512 بين عدّة مدن كالبندقية وميلانو وروما وفلورنسا وقدّم خدماته الهندسية والفنية لعديد الحكّام والأثرياء، و خلال هذه المرحلة أنجز دا فنشي لوحة "الجوكندة" ولوحة "العذراء ويسوع الطفل والقدّيسة آن".

استقرّ سنة 1513 بروما وتفرّغ لدراسات علمية وتقنية، ثمّ تحوّل سنة 1516 إلى فرنسا استجابة لدعوة من ملكها فرانسوا الأول الّذي عينه في خطّة رسّام ونحّات ومهندس ومعماري أوّل للمملكة ومكّنه من معاش محترم وقصر للإقامة.

لقد تميّزت المرحلة الفرنسية من حياته بالإشراف على عدّة أشغال في الهندسة المعمارية والمائية وفي التزويق، كما دوّن في عدّة دفاتر رسوما خطّية وخواطر علمية وفنّية، وتوفي دافنشي بأمبواز (Amboise) بفرنسا في سنة 1519.

لقد جمع دا فنشي بين الرسم والنحت والهندسة والرياضيات ساعيا مثل أغلب مبدعي عصره إلى بلوغ الشمولية.

2 – **الأبعاد الظرفية والفنّية للوحة الجوكندة :** | 9 | 10 |

تمثّل لوحة الجوكندة نموذجا معبّرا لحركة التجديد الّتي ميزت فنّ النهضة، وذلك في مستويات دوافع الإنجاز والمحتوى والتقنيات المعتمدة في الرسم :

– استفاد فنّ النهضة من تشجيع ورعاية الأثرياء وأصحاب النفوذ السياسي خاصة في مدن فلورنسا وميلانو وروما والبندقية، فهذه الفئات تنافست للحصول على خدمات الفنّانين الّذين أصبحت لهم في عصر النهضة مكانة مرموقة في المجتمع.

فرغم تعدّد الفرضيات والشكّ الّذي يحوم حول الشخصية الحقيقية للمرأة الممثّلة في لوحة الجوكندة، يبقى الرأي السائد بأنّ صاحبة الصورة هي السيّدة "مونا ليزا قارديني" (Mona Lisa Gardini) رسمها دافنشي بطلب من زوجها الفلورنسي الثّري "فرانشيسكو دل جيوكندو"(Francesco Del Giocondio) لكنه لم يتممها في الآجال المتّفق عليها فأحتفظ بها.

– جسّد محتوى اللوحة تخلّص فنّ الرسم تدريجيا من قيود الكنيسة الّتي كانت تكبّل الإبداع الفنّي بفرض أنماط تبرز بشاعة الإنسان وضعفه وآثامه وتهمّش المشاهد الطبيعية وتؤكّد على الجوانب الدينية المأساوية.

فقد جسّم دافنشي في لوحة الجوكندة الخصائص الإنسانية الفردية للبشر بنظرة ايجابية تعكسها الابتسامة الخفيفة للموناليزا، كما مثّل جمالية الطبيعة بجزئيات مظهرية مستنبطة وبتقنيات غير مألوفة.

وظّف دافنشي في هذه اللوحة مقاييس علمية تخصّ البصريات وهندسة المنظور والحساب، كما استعمل تقنيات غير مألوفة في الإضاءة وفي التلوين ونجح في تحقيق الإدماج والتناسق بين المنظور وكيفية تدرّج الأضواء والألوان، أي أنّه أبدع في تطبيق تقنية "السفوماطو".

الخاتمة :

تمثّل لوحة الجوكندة عملا تأليفيا معقّدا ونتاجا لبحوث ليوناردو دا فنشي الفنّية والعلمية ولنظرته للكون وللطبيعة وخاصة للإنسان.

وتبقى هذه اللوحة ضمن مجموعة أعمال الفنّان الخالدة من أرقى تعبيراته وإبداعاته الفنّية، فقد أثارت ومازالت تثير اهتمام الدارسين وخاصة الرسّامين منهم.

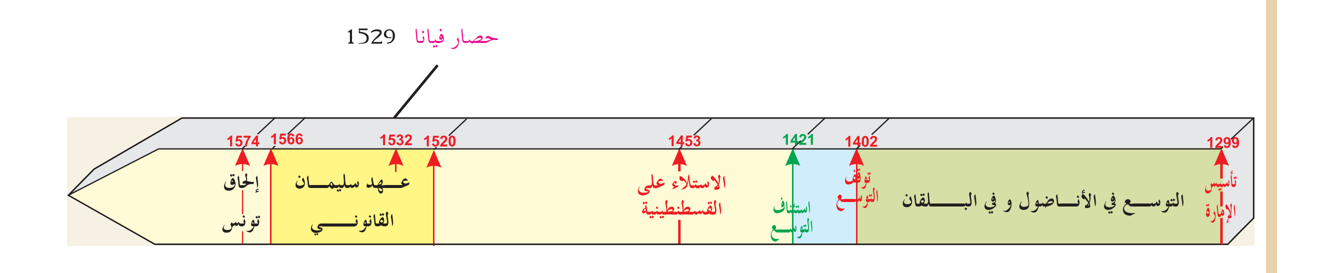
الدّرس 5 توسّع الإمبراطوريّة العثمانيّة وتنظيمها في القرن السّادس عشر

المدخل أَدرس توسّع الامبراطوريّة العثمانيّة وتنظيمها في القرن السّادس عشر لأتبيّن دورها كقطب فاعل في أحداث تلك الفترة.

النشاط الأوّل : أتعرّف التّوسّعات التّرابيّة العثمانيّة في القرنXVI ودورها في دعم قوّة الامبراطوريّة العثمانيّة.

الموارد :

الوثيقة 1 : مراحل التّوسّع العثماني



الوثيقة 2

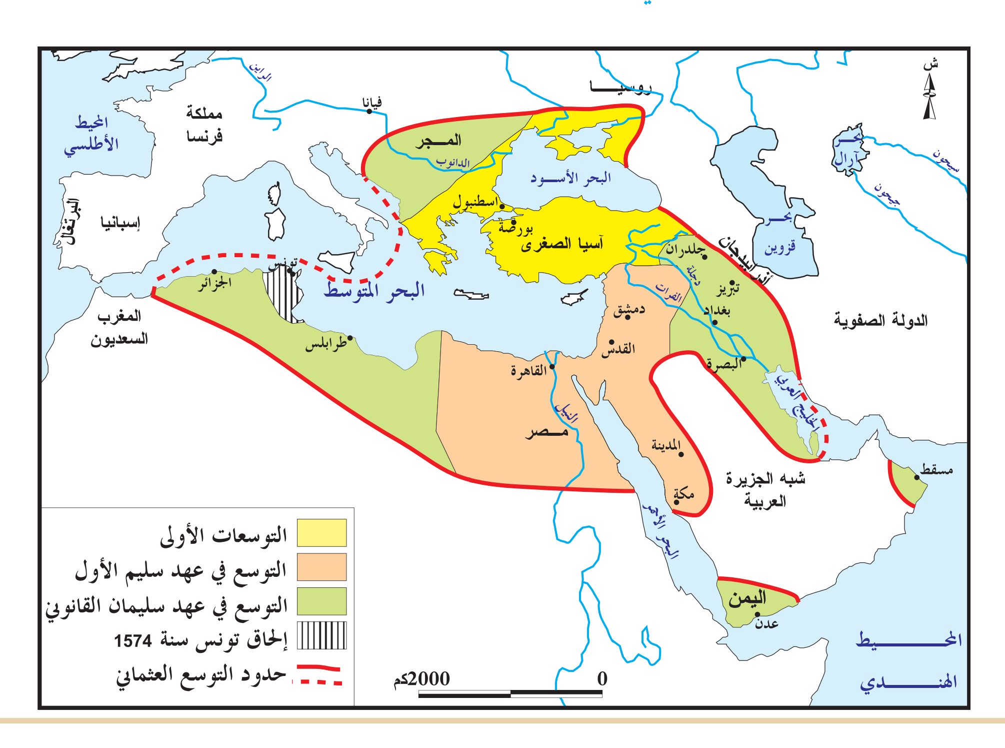
احتلال مصر والقضاء على دولة المماليك (1517)

"... فلمّا دخل الخليفة دخل من باب النّصر وشقّ من القاهرة وقدّامه المشاعليّة تنادي للنّاس بالأمان والاطمئنان والبيع والشّراء والأخذ والعطاء، وأن لا أحد يشوّش على أحد من الرّعيّة.
... وفي ذلك اليوم خُطِبَ باسم السّلطان سليم شاه [1] على منابر مصر والقاهرة، وقد ترجم له بعض الخطباء فقال : "وآنصُر اللّهمّ السّلطان ابن السّلطان مالك البرّين والبحرين وكاسر الجيشين وسلطان العراقين وخادم الحرمين الشّريفين، الملك المظفّر سليم شاه، اللّهمّ آنصره نصرا عزيزا وافتح له فتحا مبينا، يا مالك الدّنيا والآخرة يا ربّ العالمين...»

ابن ياس [2] – بدائع الزّهور في وقائع الدّهور، تحقيق محمد مصطفى
الهيئة المصريّة الامّة للكتاب 1984 ص 147 – 148

(1) سليم شاه : هو السّلطان العثماني سليم الأوّل (1512 – 1520) فهو أوّل من حمل لقب الخليفة من السّلاطين العثمانيّين
(2) ابن اياس : محمد بن أحمد بن إياس الحنفي مؤرّخ مصري وُلد في 1448 وتوفّي في 1524 – عاصر الحدث.

الوثيقة 3 : خريطة التّوسّعات العثمانيّة في القرن XVI



الوثيقة 4

الاستيلاء على عدن

"لمّا وصل السّلطان سليمان خان [1]، استيلاء الفرنج[2] على بلاد الهند وعجز أهل الهند عن مقاوتهم وكثرة ضررهم، وإيذائهم للمسلمين... وأمر بترتيب عمارة[3] كبيرة في مصر يتوجّه فيها عسكر جرّار... ومدافع كبيرة وآلات كثيرة وجعل بيلر باي مصر الخادم سليمان باشا رأس هذا العسكر.

ولمّا توجّه سليمان باشا من جدّة قصد المرور بعدن... فتح له صاحبها (عامر بن داود) باب عدن فأمر عسكره بدخولها وأخذها... وكتب على باب عدن : أنّه افتتح هذه البلاد في سنة خمس وأربعين وتسعمائة [4] وتوجّه إلى الهند لقتال الفرنج الّذين في الدّيو[5]».

قطب الدّين محمّد بن أحمد النّهر والي*، البرق اليماني في الفتح العثماني
دار اليمامة الرّياض 1967 – ص 70 ـ 81

* النّهرو والي : ولد بلاهور سنة 1511 من مقربي آل عثمان – توفي في 1582

(1) سليمان خان : سليمان القانوني

(2) الفرنج : يقصد بهم البرتغاليّون

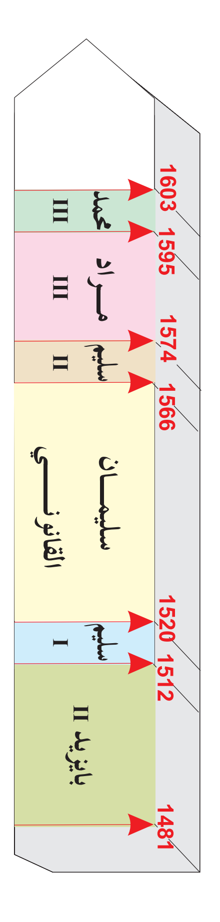
(3) عمارة : أسطول

(4) 945 هـ : 1538 م .

(5) الدّيو : مرفأ هندي في جزيرة ديو على السّاحل الغربي للهند مستعمرة برتغاليّة منذ 1536

معطيات مكمّلة

السّلاطين العثمانيّون خلال القرن XVI



الوثيقة 5



صورة تمثّل سليمان القانوني (1520 ـ 1566) كان يحرص على أن يُلقّب بـ"القانوني" لاهتمامه بسنّ القوانين المنّظمة للأمبراطوريّة علاوة على ما ضَمِنَهُ لها من توسّع وقوّة.

الوثيقة 6

غزو المجر

«وفي سنة 1526 سافر السّلطان سليمان من القسطنطينيّة لمحاربة المجرّ الّذين [1] كانت الحرب غير منقطعة بينهم وبين العثمانيّين على التّخوم، وكان الجيش العثماني مؤلّفا من نحو مائة ألف جندي... فسار الجيش تحت قيادة السّلطان ووزرائه الثّلاثة إلى بلاد المجرّ... مارّين بقلعة بلغراد الّتي جُعلت قاعدة لأعمالهم الحربيّة. وبعد أن آفتتح الجيش عدّة قلاع... أخذ [فرسان المجرّ] في التقهقر حتّى قُتل [أغلبهمّ] وقُتل ملكهم .... فكانت هذه الواقعة [2] سبب ضياع استقلال بلاد المجر...»

محمّد فريد بك المحامي
تاريخ الدّولة العليّة العثمانية
تحقيق إحسان حقّي دار النّفائس بيروت
1988 – ص 210 ـ 211

(1) المجريون.
(2) هي واقعة موهاكس Mohacs الشّهيرة.

1 – من كان يقود الجيش العثماني في هذه الحملة ؟ ما أثر ذلك على الجيش ؟
2 – بكم يُقدّر عدد الجند الّذين يكوّنون الجيش العثماني في الجملة ؟ ماذا تتطلّب تعبئتهم من موارد وما أهميّة الرّهان الّذي تمثّله الحرب ضدّ المجرّ.

معطيات مكمّلة

1516 – التّوسّع في الشّام (موقعة مَرج دابق) والقضاء على سلطان المماليك "قانصوْه"
1519 – إلحاق الجزائر بالامبراطوريّة بتقديم المساعدة لتحريرها من الإسبان.
1521 – احتلال بلغراد
1533ـ1534 – محاربة الدّولة الصّفويّة واحتلال عاصمتها " تبريز" والحصول على ولاء حاكم أذربيجان والاستيلاء على بغداد.
1538 – احتلال عدن ثمّ اليمن سنة **1547** للسّيطرة على البحر الأحمر
1551 – الاستيلاء على طرابلس الغرب بمساعدة القرصان درغوث رايس وطرد فرسان مالطة منها
1574 – طرد الإسبان من تونس وإلحاقها بالامبراطوريّة (حملة سنان باشا)

التعليمات

أُذكر بالاعتماد على الموارد السّابقة توسّعات العثمانيّين في القرن XVI مستعملا الجدول التّالي بعد نقله في كرّاسك :

القارّة / التوسّعات	آسيا	أوروبا	إفريقيا
التّوسّعات وتاريخها	....	....	....
	....	....	....
	....	....	....

اشرح دوافع التّوسّع وصنّفها.
أبرز انعكاسات التّوسّع على الامبراطوريّة العثمانيّة في القرنXVI .

النشاط الثاني : أتبين التّنظيم الإداري والمؤسّسات الحاكمة للدّولة العثمانيّة ودورها.

الموارد :

الوثيقة 7

«من قبل وحتّى عهد سليمان القانوني كان السّلاطين يحضرون بأنفسهم الدّيوان السّلطاني ويهتمّون شخصيّا بأمور الدّولة ويعتنون بشؤون البلاد والعباد وعائدات الخزينة. وحين كان السّلطان سليمان لا يستطع الحضور شخصيّا بسبب انشغاله بالغزوات كان يأخذ علما بما يجري في الدّيوان خلال سيره في المعارك... ولاهتمامه بشؤون دولته آزدهرت السّلطنة. وفي تلك الأيّام كان المحظيون والمحيطون بالسّلطان أناسا مجرّبين ومهتمّين بمصالح الدّولة دون أن يدسوا بأنوفهم في شؤونهم لا تعنيهم...»

قوجي مصطفى* رسالة إلى مراد الرّابع سنة 1630
ورد في كتاب خالد زيادة : اكتشاف التّقدّم الأوروبي ص 21
دار الطّليعة بيروت 1981

*قوجي مصطفى إداري عثمانيومستشار السّلطان مراد IV
توفّي بعيد منتصف القرن XVII

الوثيقة 8

مكانة الصّدر الأعظم في الإدارة العثمانيّة

«ليعلم أوّلا أنّ الصّدر الأعظم هو رئيس الوزراء والأمراء، إنّه أعظمهم جميعا وصاحب الصّلاحيّة المطلقة في إدارة شؤون الدّولة، أمّا القيّم على أملاكي فهو الدفتردار[1] غير أنّ الصّدر الأعظم هو رئيسه، وللصّدر الأعظم في حركاته وسكناته وفي قيامه وقعوده حقّ التّقدّم على جميع موظّفي الدّولة...»

من قانون نامه [2]، محمّد الثّاني (1451 – 1481)
ورد في : عمر عبد العزيز عمر دراسات في تاريخ العرب الحديث
درار النّهضة العربيّة ص : 49 – 50

[1] الدّفتردار : هو صاحب الخزينة – وقد شغل الخطّة إثنان أحدهما لولاية الأناضول والثّاني لولاية الروملي
[2] قانون نامة : مجلّة قانونيّة.

معطيات مكمّلة

الدّيوان السّلطاني : هو مجلس أعلى يضمّ الموظّفين السّامين في الدّولة وبمثابة مجلس الوزراء – يجتمع بانتظام ويحضره الصدر الأعظم والدّفتر دار (الأثنان) ورئيس كتابة الطغراء السّلطانيّة (والطّغراء هي ختم السّلطان إثباتا لقانونيّة الوثائق) وبايلرباي الرّوملي وقابودان باشا (القائد العام للأسطول) وبإمكان آغا الانكشاريّة أو كبار الموظفين الحضور في مناسبات معيّنة.
وللدّيوان صلاحيات واسعة في الميادين السّياسيّة والعسكريّة والإداريّة.

الوثيقة 9 حماية الرّعيّة من تجاوزات الحكّام

يرد في المراسيم السّلطانيّة (في عهد سليمان القانوني) ما يلي :
«إذا شكا أحد من الرّعيّة لديكم من البايات أو من عساكر أخر أو من جامعي الضّرائب، فمن واجبكم منع هؤلاء من اقتراف المظالم، وإذا رأيتم أنّكم غير قادرين على ذلك فعليكم حالاّ بإعلام الباب العالي وإذا أنتم لم تفعلوا ذلك فإنّ العقاب ينالكم أنتم وأن أسمى رغباتي توفير الطّمأنينة والعافية للرّعيّة والرّخاء للبلاد.»

ورد في كتاب أندري كلو، سليمان القانوني دار الجيل بيروت 1991 ص 130

الوثيقة 10

«... في ذلك الوقت (عهد سليمان القانوني) كانت مناصب البَيْلَرْبك[1] والبيك(2) وغيرها من المناصب السّلطانيّة... مسندة إلى أناس مجرّ بين في الفنّ العسكري وحكم الأقاليم وإدارتها وكانوا أمناء محافظين على الشّريعة وهذا ما حصّن الدّولة وجعلها قويّة.»

قوجي مصطفى* رسالة إلى مراد الرّابع سنة 1630
ورد في كتاب خالد زيادة : اكتشاف التّقدّم الأوروبي ص 22
دار الطّليعة بيروت 1981

[1] – أبيلربيك : الوالي (البيلر باي)
[2] – البيك : حاكم الدّائرة وتسمّى الدّائرة بالسّنجق.

التعليمات

- حدّد المؤسّسات السّياسيّة ودورها في تسيير الدّولة مركزيّا وجهويّا.
- بيّن مكانة الصّدر الأعظم في الإدارة العثمانيّة.
- أبرز خصائص سياسة سليمان القانونيّ تجاه رعاياه.

النشاط الثالث : أتبين خصائص التّنظيم العسكري العثماني ودوره في بناء القوّة العثمانيّة.

الموارد :

الوثيقة 11 : الجيش الانكشاري.

«والانكشاريّون والطوبجيّة [1] وكلّ القوات في الأوجاقات كانوا ينتزعون من قبائل الأرناؤوط [2] والبوشناق [3] واليونان والبلغار والأرمن وكان ممنوعا على غير هؤلاء أن يصيروا من الانكشاريّة. وكانوا يوزّعون في سرايا آسطمبول المخصّصة لذلك حيث يتعلّمون ويُدرّبون خلال خمس سنوات يُوزّعون بعدها على الأوجاقات [4]، وكلّ سبع سنوات يتمّ تطويع أعداد جديدة لملء الأماكن الشّاغرة»

قوجي مصطفى* رسالة إلى مراد الرّابع سنة 1630
ورد في كتاب خالد زيادة : اكتشاف التّقدّم الأوروبي
دار الطّليعة بيروت 1981

[1] – الطّوبجيّة : المدفعيّة
[2] – الأرناؤوط : قبيلة ألبانيّة
[3] – البوشناق : سكّان البوصنا
[4] – الأوجاقات : ج أوجاق أي فرقة من الانكشاريّة.

الوثيقة 12 : من مميّزات الجيش العثماني

«إنّ الانضباط في الجيش التّركي وصل درجة من الشّدّة يفوق ما يعرفه قدماء اليونان والرّومان. والأتراك يفوقون جندنا لثلاثة أسباب : فهم يطيعون قوادهم بسرعة ولا تهمّهم حياتهم أثناء المعركة، ولهم قدرة على أن يعيشوا طويلا بلا خبز ولا خمر مقتنعين بشيء من الشّعير والماء »

باولو جوفيو* روما 1531
ورد في كتاب سليمان القانوني لأكلو– A.Clot
ترجمة البشير بن سلامة – دار الجيل – بيروت 1991

*باولو جوفيو : إخباري إيطالي معاصر لسليمان القانوني.

معطيات مكمّلة **عناصر الجيش العثماني**

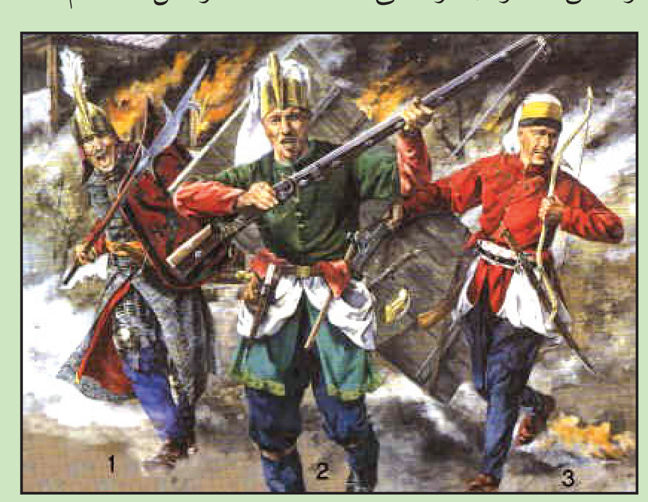
فرسان السباهية : يجهّزهم أصحاب الإقطاعات (أو التّيمار) بالخيل والسّلاح مقابل ما يستخلصونه من ضرائب على الأراضي الزّراعيّة. وهم أقدم فرقة في الجيش.

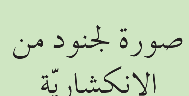
الانكشاريّة : أو العسكر الجديد وهم فرقة من المشاة يجنّدون ضمن أطفال النّصارى ويربّون تربية عسكريّة ودينيّة إسلاميّة ويتفرّغون لخدمة السّلطان في الجيش أو لحراسة القصور والمباني الحكوميّة.

المدفعيّة وصناع الأسلحة : فرقة ضمِنَتْ تفوّق العثمانيّين وخاصّة ضدّ الجيوش الإسلاميّة إذ كانت المدفعيّة العثمانيّة أقوى أداة حربيّة في ذلك العصر.

الأسطول : لم يكن محلّ عناية قبل سليمان القانوني لكنّه أصبح أوّل أسطول في المتوسّط في عهده.

الجيش الاحتياطي : يتكوّن من المتطوّعين ويدعى عند الحاجة – وصل عددهم أحيانا إلى 20000.




صورة لجنود من الانكشاريّة

الوثيقة 13 : الأسباب 17 وراء اِنتصارات العثمانيّين في القرن XVI

«عدّد رُوني دي ليزنج في كتاب بعنوان : "في انبعاث الدّول وديمومتها وسقوطها" (1588) الأسباب السّبعة عشر الّتي جعلت التّركي ينتصر في القرن XVI

1 – أنّه وهب نفسه للحرب، 2 – كان في الحرب دائما مهاجما، 3 – لم يُلْق بالا للتحصينات، 4 – درّب جنودا شجعانا ومقدامين، 5 – فرض الطّاعةوالشرطة العسكريّة على جيوشه العظيمة والقويّة، 6 – لم يلجأ إلى قوات غير قواته، 7 – مزج القوّة بالحيل والخدع، 8 – كان في خدمته ضباط ممتازون، 9 – لم يقع في أيّ خطإ فيما قام به من أعمال، 10 – لم يعمد إلى إهمال صغائر الأمور، 11 – استفاد من الفرص، 12 – نفّذ بسرعة مارسمه من غايات، 13 – باشر بنفسه الحرب، 14 – بقيادة شجاعة، 15 – في فصول مؤاتية، 16 – لم يقسّم قواه، 17 – لم يواصل الحرب ضدّ واحد فقط

ورد في كتاب سليمان القانوني لأندري كلو – دار الجيل – بيروت
ترجمة البشير بن سلامة – بيروت 1991 - ص 460

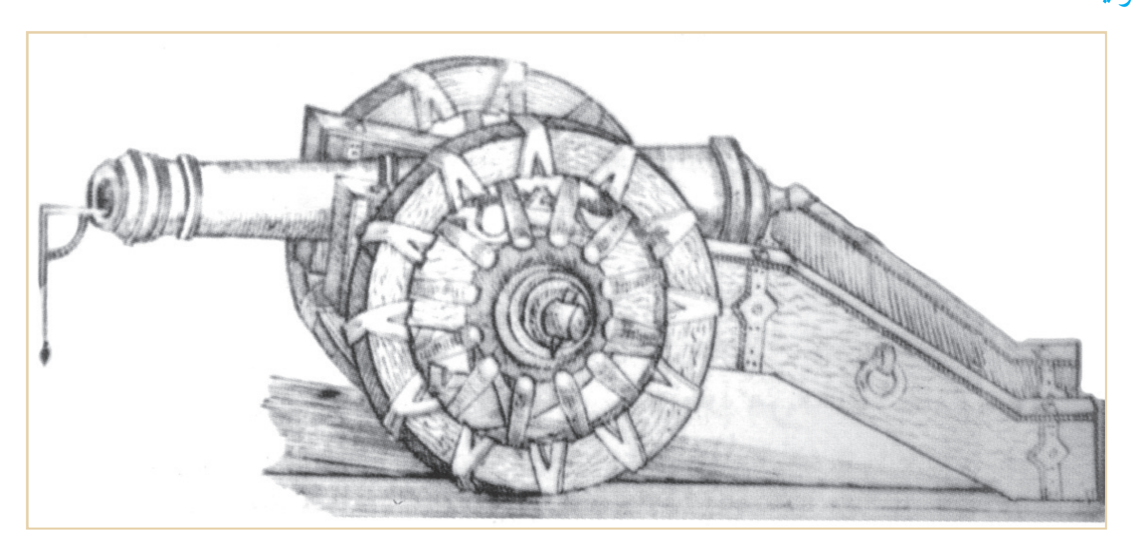
الوثيقة : 14



بقايا من تحصينات تأوي حاميات عثمانيّة على الحدود مع النّمسا

W.W.W.Vherba.com

الوثيقة : 15



مدفع عثمانيّ من جملة ما كان يصنع في الإمبراطوريّة

عن الحصون التّونسيّة "لناجي جلّول - نشر وكالة التّراث والتّنمية الثقافيّة

التعليمات

- تعرّف تركيبة الجيش العثماني ودور مختلف تشكيلاته.
- تبيّن المميّزات الّتي جعلت الجيش العثماني ينتصر في جلّ حروبه في القرن السّادس عشر.

نشأت الدّولة العثمانية في أواخر القرن XIII كإحدى الإمارات التّركيّة العديدة نتيجة لتفكّك دولة سلاجقة الرّوم في الأناضول. وسرعان ما تحوّلت هذه الدّولة المحاربة إلى امبراطوريّة بعد توسّعها في القرنين XIV و XV في آسيا الصّغرى وفي البلقان وبعد القضاء على الدّولة البيزنطيّة والاستيلاء على عاصمتها القسطنطينيّة في 1453.

وفي القرن XVI شهدت الامبراطوريّة العثمانيّة أوج توسّعها التّرابي وأوج قوّتها العسكريّة وتأثيرها السّياسي وخاصّة في عهد سليمان الأوّل الملقّب بالقانوني.

فما هي مظاهر التّوسّع العثماني في القرن XVI وما هي عوامله ؟

I- التوسّعات العثمانيّة في القرن XVI : الوثائق 1-2-3-4-6

لقد واصل سلاطين القرن XIII توسيع رقعة الإمبراطوريّة في نطاق الاستراتيجيّة الموجّهة ضدّ أعدائهم في أوروبا وفي الشّرق الإسلامي معتمدين في ذلك على قوّتهم العسكريّة دون أن يهملوا الطّرق الديبلوماسيّة قصد تجنّب تقسيم قوّاتهم على أكثر من جبهة.

1- التّوسّعات في الشّرق العربي وفي غرب فارس :

- **التّوسّع على حساب الدّولة الصفويّة :**

– في عهد سليم الأوّل (1512 – 1520) : شكّلت الدّولة الصّفويّة منذ قيامها خطرا على العثمانيّين لتوجّهها الشّيعي المتطرّف وسياستها المناوئة لهم كما أثارت ممتلكاتهم مطامع العثمانيّين في اتّجاه المحيط الهندي. لذلك شنّ السّلطان سليم I حربا على ملكها شاه اسماعيل وهزمه في جلدران في 1514 دون أن يزيل الخطر الصفوي كلّيّا ثمّ أخضع جنوب شرقي الأناضول.

– وقد واصل سليمان القانوني مقاومة الدّولة الصّفويّة فنظّم حملة ضدّها في سنة 1533 و1534 سيطر العثمانيّون إثرها على العراق وغربيّ فارس وتمكّنوا من النّفاذ إلى مياه الخليج العربي الفارسي بعد ضمّ البصرة في 1547.

- **غزو الشّام ومصر والقضاء على دولة المماليك** الوثيقة 2

قرّر السّلطان سليم بعد حربه ضدّ الصفويّين حسم الأمر بالنّسبة لإمبراطوريّة المماليك، فزحف على الشّام في سنة 1516 وهزم جيش المماليك في "مرج دابق". وهكذا فُتح أمامه طريق وادي النّيل، فهاجم المماليك في القاهرة واستولى عليها عنوة سنة 1517 وأصبح بذلك يُلقّب "بخادِم الحرمين الشّريفين" وهو لقب كان يحمله المماليك لامتداد نفوذهم على الحجاز.

- **بسط النّفوذ العثماني على اليمن ومسقط :**

عمل سليمان القانو ني على تدعيم السّيطرة على سواحل الجزيرة العربيّة، درءًا للخطر البرتغالي في البحر الأحمر. فكلّف والي مصر بتركيز الحضور العثماني في عدن ثمّ في اليمن وفي جنوب الحجاز. وفي سنة 1551 استولى قائد الأسطول "بيررايس" على مسقط.

2 – التّوسّع في أوروبا الوسطى وفي المتوسّط :

ركّز سليمان القانوني مجهوداته الحربيّة ضدّ الخطر الأوروبي المتّسم بالرّوح الصّليبيّة والّذي مثّله أنذاك الإمبراطور "شرلكان" وكذلك دولة المجرّ الثّريّة بخيولها وقموحها. كما استغلّ الخلاف القائم بين إسبانيا وفرنسا فأبرم مع "فرونسوا الأوّل– الملك الفرنسي – معاهدة تحالف سنة 1535 حتّى يضطرّ شرلكان توزيع قوّاه على جبهتين.

● **احتلال جزيرة رودس** الوثيقة 4

كانت هذه الجزيرة قاعدة عسكريّة بأيدي "فرسان القدّيس يوحنّا". وهم رهبان محاربون جعلوا منها منطلقا للقرصنة على سواحل الشّام وعلى الطّريق بين مصر والقسطنطينيّة. فغزاها سليمان القانوني واستولى عليها في 1523 محقّقا نصرا باهرا عجز سابقوه عن تحقيقه.

● **احتلال بلغراد والمجرّ** الوثيقة 5

بدأ سليمان بغزو إقليم الصّرب الخاضع للمجرّ واحتلّ بلغراد سنة 1521 لأهمّيتها الاستراتيجيّة كمنفّذ لبلاد نهر " الدّانوب" ثمّ ركّز حملاته العديدة على المجرّ وانتصر عليها في معركة "موهاكس" سنة 1526، لكنّه اصطدم بمحاولات ملك النّمسا" فارديناند" الهادفة إلى عرقلة التّوسّع العثماني، ولم يتمكّن من ضمّ المجرّ فعليّا إلى الإمبراطوريّة وتحويلها إلى ولاية عثمانيّة إلاّ سنة 1541 بعد محاولتين فاشلتين في 1529 و 1532 للاستيلاء على "فيانا" عاصمة النّمسا.

3 – التّوسّع في بلاد المغرب :

لم تمثّل بلاد المغرب هدفا استراتيجيّا بالنّسبة للعثمانيّين إلاّ بعد احتلال مصر ولمّا أصبح من المتأكّد لديهم اِمتلاك قواعد في غرب المتوسّط لمجابهة التّوسّع الإسباني في بلاد المغرب ولضمان المرور عبر المتوسّط بصورة حرّة. وقد آستغلّ العثمانيّون حضور الأخوين عرّوج وخير الدّين المسمّى بربروس لإلحاق جزء كبير من المغرب حسب المراحل التّالية :

● مساندة جهود خير الدّين بربروس لإلحاق سواحل المغرب الأوسط المحرّرة من السّيطرة الإسبانيّة : وافق السّلطان سليم الأوّل على تقديم المساعدة لخير الدّين بربروس بعد وفاة أخيه عرّوج شريطة أن يعمل تحت الرّاية العثمانيّة، وعلى هذا الأساس أمدّه بالجند والعتاد ليواصل التّصدّي للحملات الإسبانيّة ويوسّع النّفوذ العثماني في المنطقة. وهكذا أصبح المغرب الأوسط إيالة عثمانيّة سنة 1519 وعيّن خير الدّين بيلر بايا على رأسها.

● الصّراع مع إسبانيا للاستيلاء على إفريقيّة :

لقد تحوّلت إفريقيّة في أواخر العهد الحفصي إلى مسرح للصّراع بين الدّولتين العظميين في المتوسّط وذلك من 1534 إلى 1574 ليؤول هذا الصّراع إلى طرد الإسبان من تونس إثر حملة سنان باشا في 1574 وإلى سقوط الدّولة الحفصيّة وتحوّل البلاد التّونسيّة إلى ولاية عثمانيّة.

● وفي سنة 1551 اِفتكّ القرصان "درغوث رايس" طرابلس من "فرسان مالطة" العاملين لحساب إسبانيا. وذلك بمساعدة عثمانيّة.

وهكذا بلغت الإمبراطوريّة العثمانيّة أقصى اتّساعها التّرابي إذ أصبحت تمتدّ على أجزاء هامّة من قارّات آسيا وأفريقيا وأوروبا. وقد واكب توسّعها عمل متواصل لأحكام إدارتها وتنظيمها.

I- التّنظيم الإداري والعسكري:

لم تبن القوّة العثمانيّة على تفوّقها العسكري فحسب بل كان من دعائمها أيضا تنظيمها الإداري المحكم وسياستها المرنة والمتسامحة تجاه الشّعوب المولّى عليها.

1 – جهاز الحكم المركزي : وثائق 7 ـ 8 ـ 9

- **السّلطان :**

السّلطان العثماني حاكم مطلق يكتسي نفوذه صبغة قدسيّة «ظلّ اللّه في الأرضين» كما يرد في مراسلات سليمان القانوني، وقد تلقّب منذ عهد سليم الأوّل بخليفة المسلمين سنة 1517 وكان السلاطين الكبار مثل محمّد الفاتح ومراد الثّاني وغيرهم يباشرون مهامّهم بصفة شخصيّة سواء بالأشراف على الأدارة أو بقيادة الجيش في زمن الحرب.

- **الصّدر الأعظم :**

الصّدر الأعظم هو مساعد السّلطان ونائبه وهو بمثابة رئيس الحكومة والإدارة وقائد الجيش باستثناء الانكشاريّة، وينتمي العديد من الّذين شغلوا خطّة الصّدر الأعظم إلى فئة "المهتدين" أي الّذين أسلموا حديثا. وبقدر ما يتمتّع به الصّدر الأعظم من جاه ونفوذ فإنّه رهين إرادة السّلطان الّذي بإمكانه عزله أو حتّى إعدامه (وخير مثال لذلك إبراهيم باشا، اليوناني الأصل والّذي اختاره سليمان القانوني لخطّة صدرا عظم من 1523 إلى 1536 والّذي أُعدم شنقا).

- **الوزراء :**

يساعد الصّدر الأعظم ثلاثة وزراء وفي مقدّمتهم الكاهية باي (وزير الدّاخليّة) ورئيس الكتاب الّذي يحفظ القوانين والأوامر السّلطانيّة والدّفتردار (وزير الماليّة) ويشغل هذه الخطّة إثنان أي دفتردار ان.

- **الدّيوان :**

هو المجلس السلطاني وبمثابة مجلس الوزراء ويضمّ كبار الموظفين ويجتمع بانتظام تحت إشراف الصّدر الأعظم في حالة غياب السّلطان وله صلاحيّات واسعة فيما يتّصل بالحرب والسّلم كما يقوم مقام مجلس قضائي ومحكمة عليا تقاضي كبار الموظّفين.

2 – إدارة الولايات : الوثيقة 10

توخّى العثمانيّون المرونة في إدارة الأراضي الّتي يقع إلحاقها بالامبراطوريّة وحرصوا على عدم المساس – قدر الأمكان – بالهياكل المحلّيّة القائمة، وخاصّة في الميدان الدّيني إذ يبقى شاغلهم الأساسي المحافظة على الأمن وجمع الضّرائب.

- قُسّمت الامبراطوريّة إلى ولايات تطورّ عددها مع اتّساع الدّولة ليبلغ 35 ولاية في نهاية القرن XVI وعيّن على رأس كلّ منها بيلربايا (بكلربك) يعيّنه السّلطان، وقسّمت الولاية إلى دوائر أو سناجق يُديرها حاكم أو سنجق باي. ويعتمد الولاة على موظّفين مساعدين في مختلف القطاعات وعلى منوال الإدارة المركزيّة.
- ولإحكام تسيير بعض الولايات أصدر سليمان القانوني قوانين إداريّة وسياسيّة تعرف بقانون نامة كقانون نامة مصر الصّادر سنة 1525 بعد اضطرابات خطيرة كان هدفها الانفصال عن الامبراطوريّة.

ولا غرابة أن تبلغ الامبراطوريّة أعلى درجة من التّنظيم في عهد سليمان القانوني وهو الّذي حرص على نقش النّحت التّالي على أعلى باب جامع السليمانيّة : «ناشر القوانين السّلطانيّة» وعمل على نشر العدل وعلى حماية الرّعايا من تجاوزات الحكّام المحلّيّين.

3 – الجيش دعامة القوّة العثمانيّة :

يُمثّل الجيش الركن الأساسي الّذي تقوم عليه السّلطة العثمانيّة منذ نشأتها، وقد شهد عدّة تطوّرات لتستقرّ ملامحه النّهائيّة خلال القرن السّادس عشر ويُصبح أقوى جيش في العالم أنذاك، ويتكوّنُ من العناصر التّالية :

- جيش نظامي قارّ تُصرف أجوره من خزينة الدّولة وهو مُكوّن من الإنكشاريّة وهم من المشاة "وسباهية الباب وهم من الفرسان يضاف إليهم فرق المدفعيّة وصنّاع الأسلحة.

ويمثّل الجيش الانكشاري العمود الفقري للجيش العثماني ويجنّد طبقا لطريقة "الدوشيرم" والمتمثّلة في اختيار عدد من الأطفال النّصارى لتعليمهم وتأهيلهم للعمل العسكري بحكم تفرّغهم لذلك فإنّه لا يسمح لهم بالزّواج.. وقد تميّزوا بالوفاء والاخلاص للسّلطان وقد تطوّر عددهم منذ نشأتهم ليبلغ في عهد سليمان 12000 فردا.

- جيش الولايات المتكوّن من فرسان السّباهية الّذين يجهّزهم أصحاب الإقطاعات من الأراضي الزّراعيّة بالخيل والسّلاح عندما يدعوهم السّلطان لذلك. والملاحظ أنّ أصحاب الإقطاعات (أو التيمارات) مدعوون إلى تقديم عدد من الفرسان يتناسب مع مساحة الإقطاع ومردوده، وقد تراوح عددهم في عهد سليمان بين 40000 و50000 فارسا.
- جيش احتياطي يتكوّن من المتطوّعين ويصل عددهم إلى 20000 فردا.

الأسطول : أصبح محلّ عناية من طرف سلاطين القرن السّادس عشر وغدا أوّل أسطول في المتوسّط في عهد سليمان القانوني حتّى يكون قادرا على مواجهة الأساطيل الأوروبيّة وخاصّة منها الأسطول الأسباني وقد وجَدَ ضالته في شخص خير الدّين بربروس الّذي تميّز بمهارته كقائد أسطول في الحوض الغربي للمتوسّط بعد أن برز في بلاد المغرب.

خاتمة : شهدت الأمبراطوريّة العثمانيّة أوج توسّعها التّرابي في القرن XVI معتمدة على قوّة عسكريّة ضاربة أساسها التّحكّم في الأسلحة النّارية والتّقنيّات الحربيّة كما أحكمت تنظيم مؤسّساتها لتصبح قوّة عظمى في محيطها المتوسّطي وحتى في أوروبا، فإلى أيّ حدّ حافظت على هذه القوّة في صراعها ضدّ القوى الأوروبيّة ؟

الدّرس 6 أزمة الدّولة الحفصيّة في القرن XVI

المدخل

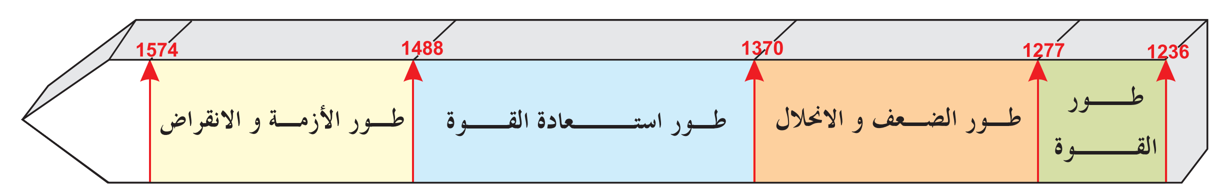
"بُويع السّلطان أبو عبد اللّه محمّد [الحفصي] في 1493 ... إلاّ أنّه أتى والدّولة على انقراض، بِمُزمن الأمراض من سدّ أبواب التّغيير والاعتراض.»

أحمد بن أبي الضّياف

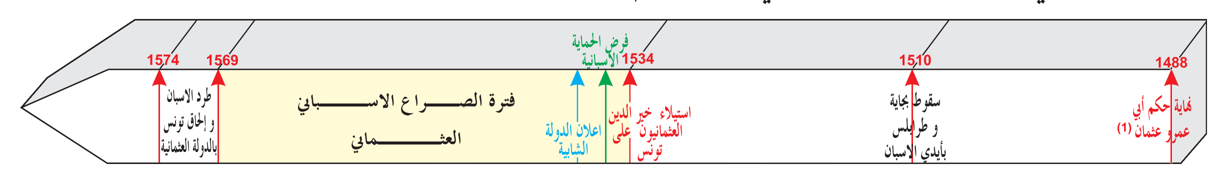
إتحاف أهل الزّمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان – الجزء الأوّل ص 190

اِنطلاقا من هذه القولة أدرسُ مظاهر أزمة الدّولة الحفصيّة في القرن XVI لأتبيّن ظروف انهيارها ودخول البلاد التّونسيّة تحت السّيطرة العثمانيّة.

الأطوار الكبرى للدّولة لحفصيّة



الإطار التّاريخي لإزمة الدّولة الحفصيّة في القرن XV م



(1) أبي عمرو عثمان هو آخر كبار سلاطين بني حفص

النشاط الأول : أوضّح المظاهر الاقتصاديّة للأزمة.

الموارد

الوثيقة 1

تراجع النّشاط الفلاحي في السّهول المحيطة بتونس

"وعدد الأغنياء قليل (بتونس) بسبب قلّة القمح الّذي يساوي ثلاث مضاعفات الحمل أي أربع أوقيات (دوكات إيطاليّة)[1] وذلك ناتج عن كون السّكّان لا يستطيعون زرع الأراضي المجاورة لتونس خوفا من تعسّف الأعراب ...

فيُجلب القمح من بعيد. من أُربس وباجة وخاصّة من عنّابة، إلاّ أنّ لبعض أهل المدينة ممتلكات صغيرة في الضّواحي القريبة يزرعون فيها قليلا من الشّعير والقمح.»

الحسن الوزان[2] المعروف بليون الإفريقي

وصف إفريقيا، ترجمة محمّد حجّي ومحمّد الأخضر – الرّباط 1982 ج 2 – ص 75

(1) الدّوكا : عملة ذهبيّة في بعض المدن الإيطاليّة

(2) الحسن الوزّان : ولد بغرناطة في 1483 هاجرت عائلته إلى فاس سنة 1492. قام بالكثير من الرّحلات ووقع أسره من طرف النّصارى وأُهْدِيَ إلى البابا ليون X الّذي كلّفه بكتابة هذا الوصف لإفريقيا – توفّي سنة 1551.

الوثيقة 2

تقهقر النّشاط الحِرَفِي بالقيروان

... أخذت القيروان في الوقت الحاضر تمتلئ بالسّكّان لكن بكيفيّة بائسة. فليس فيها الآن غير صنّاع فقراء، أكثرهم يصبغون جلود الغنم والماعز ويبيعونها ملابس جلديّة في مدن نوميديا* الّتي لا توجد بها الأقمشة الأوروبيّة، فهذه الحرفة لا تضمن لهم إلاّ معاشا مؤقّتا، بالإضافة إلى أن ملك تونس يثقل كاهلهم بالضّرائب وبذلك غدت معيشتهم ضنكا كما شاهدتُ ذلك أثناء سفر قمت به من تونس إلى نوميديا وذلك عام 922 هـ (1516 م).

الحسن الوزان[2] المعروف بليون الإفريقي
وصف إفريقيا ج 2 – ص 91 (مرجع سابق)

* نوميديا : يقصد المؤلّف نوميديا في العهد الرّوماني وهي المناطق الدّاخليّة الممتدّة على الوسط الغربي التّونسي وعلى جزء من الشّرق الجزائري.

معطيات مكمّلة

من نتائج نهضة أوروبا في العهد الحديث ما يلي :
- تحوّل أهمّ الطّرقات التّجاريّة من البحر المتوسّط إلى المحيط الأطلسي
- تحكّم الأوروبيّين في مسالك الذّهب باكتشاف طرقات جديدة.
- تضرّر اقتصاد مدن بلاد المغرب المرتكز على استخدام النّقود.
- تراجع مداخيل الدّولة الحفصيّة من الموارد المتأتّية من التّجارة الخارجيّة الّتي احتكرها الأوروبيّون بفرض معاهدات غير متكافئة.
- دخول الطّرف المسيحيّ طور النّهضة واستعداده لتقبّل الجديد.
- ظهور الاقتصاد الرأسمالي في أوروبا
- بروز دول قويّة على الضّفّة الأوروبيّة للمتوسّط مثل فرنسا وأسبانيا

التعليمات

– أبرز مظاهر أزمة الأنشطة الفلاحيّة والحرفيّة وانعكاساتها على النّشاط التّجاري.
– حدّد الأسباب الدّاخليّة والخارجيّة للأزمة الاقتصاديّة.

النشاط الثاني : أتبين المظاهر الاجتماعيّة للأزمة

الموارد

الوثيقة 3

الكوارث الّتي تعرّضت لها الدّولة الحفصيّة في أواخر القرن XV

التّاريخ	نوع الكارثة	المرجع
895 هـ / 1490 م	وباء	الحلل السندسيّة للسّراج (ص 1090)
899 هـ / 1493	وباء عظيم*	المؤنس لابن أبي دينار ص 159

*يقصد به وباء الطّاعون

ورد بمؤلّف جماعي : الدّيمغرافيةّ التاريخية في تونس والعالم العربي ص 93
المعهد الأعلى للتّربية والتّكوين المستمرّ – سيراس للنّشر 1993

الوثيقة 4

تَبَايُن مواقف سكّان الحاضرة تونس

«... وفي أيّامه (الحسن الحفصي) جاءت عمارة (أسطول) من برّ التّرك لأخذ تونس، أرسلها إبراهيم باشا وكان وزيرا للسّلطان سليمان (القانوني)... فأرسل خير الدّين[1] إلى تونس، فنازل تونس وأخذها وفرّ عنها الحسن[2] ودخل خير الدّين إلى تونس واستقلّ بقصبتها.

... وقام أهل باب السّويقة على خير الدّين وكانت بينهم مقتلة عظيمة... وبعث خير الدّين بالأمان وانعكف الفريقان. وخير الدّين هذا هو الّذي نفى العالم "مغوشا" لخوفه منه لمّا ملك تونس، و"مغوش" هذا كان في دولة الحسن وجيها، فخرج إلى المشرق وحجّ ودخل إلى الدّيار الرّومية...»

ابن أبي دينار – المؤنس في أخبار إفريقيّة وتونس.
تحقيق محمّد شمّام، المكتبة العتيقة – تونس، 1967 ص 163

1 – خير الدّين : هو "غازي البحر الملقّب "بربروس" وشقيق "عرّوج". تحالف مع ربض باب الجزيرة
2 – الحسن الحفصي : حكم من 1526 إلى 1542
3 – مغوش : هو محمّد بن محمّد التّونسي شُهر مغوش كان عالما في المعقولات – توفّي بالقاهرة سنة 1540 م.

الوثيقة 5

الطّريقة الشّابية وتأسيس دولة "قبَلِيّة" في القيروان

أورد مرمول[1] Marmol حول "دولة الشّابيّة" ما يلي :

«إنّ فقيها[2] معروفا بوَرعه من بين المغاربة ثار في القيروان وأعلن استقلاله بها، و لم يكن راضيا بملكه فيها وإنّما كان يطمح إلي السّيطرة على مملكة تونس».

مرمول Marmol إفريقيا ج II ص 488

1 – مرمول : مؤرّخ إسباني من القرن XVI ، وقع أسيرا أثناء حملة شرلكان على تونس في 1535
2 – الفقيه : هو عرفة الشّابي شيخ الطّريقة الشّابيّة الّذي أعلن دولة مستقلّة بالقيروان غداة حملة شرلكان على تونس

الوثيقة 6

انتشار التّصوّف والزّوايا

«ولمدينة تونس جامع كبير في غاية الجمال وجوامع أخرى، وبعض الزّوايا للمريدين المتنسكين... ويشترك جميع أهل تونس في اعتقاد ساذج يرى أنّ كلّ من يرمي بالحجر من الصالحين. وفي أثناء إقامتي بتونس أمر الملك ببناء زاوية جميلة جدّا لأحد هؤلاء المجاذيب المسمّى سيدي الدّاهي. وكان هذا الرّجل يمشي في الأزقّة مرتديا كيسا، عاري الرّأس، حافي القدمين، يضرب الحجر ويصيح كالمسعور فأجرى عليه الملك إيرادا حسنا يعيش به هو وعائلته.»

الحسن الوزان (ليون الإفريقي) وصف إفريقيا ج 2 – ص 76

معطيات مكمّلة **الطّرق الصّوفيّة**

الطّرقيّة منظومة ثقافيّة تستجيب للتّديّن الشّعبي، ترتكز على أفضلية المعرفة الرّوحية الملهمة وهي بديل لعلوم الدين والشّريعة المتّصلة بالعقل.

ومن مميّزات التّصوّف الإفريقي اهتمامه بالمجالات الملموسة وإهماله الجدل الفكري ونبذه التّجريد. والطّريقة هي عبارة عن تجمّع عدد من الأشخاص حول شيخ متصوّف من أجل الرّفع من شأن الجمعيّة الّتي ينتّمون إليها والزّيادة في نفوذها الرّوحي والمادّي.

وقد لاقت الطّرقيّة رواجا لموافقتها ما تصبو إليه العامّة، أي دين بسيط من حيث المعتقد فيه حيويّة وحرارة من حيث الطّقوس.



التعليمات

- تعرّف مظَاهر أزمة المجتمع الحفصي وأثرها في الأحداث الّتي عرفتها الدّولة خلال القرن السّادس عشر.
- أدرس تأثيرات الطّرق الصّوفيّة على الممارسات الدّينيّة وسياسة الحفصيّين تجاهَهَا.

النشاط الثالث

أتعرّف "المظاهر السّياسيّة لأزمة الدّولة الحفصيّة في القرن XVI.

الموارد

الوثيقة 7

التّطاحن على السّلطة داخل الأسرة الحفصيّة

«... بويع (أبو يحيى زكرياء)[1] وخرج بالمحلّة لتمهيد عافية المملكة وتأمين السّابلة فانخزلت[2] جماعة من عسكره، اختلقوا أنّ المحلّة أخذها الأعراب وأنّ السّلطان قد مات قتيلا فوثب على المُلْكِ ابن عمّه أبو محمّد عبد المؤمن إبراهيم بويع في رجب.. وبعد ذلك اتّضح الواقع وبَانَ أنّ السّلطان في قيد الحياة، وجاء إلى الحاضرة بمحلّته وفرّ ابن عمّه، واستقرّ أبو يَحْيَى على أريكة ملكه. وبعد أيّام جيء برأس ابن عمّه عبد المومن الفارّ»

ابن أبي الضّياف إتحاف أهل الزّمان ج 1 الدّار العربيّة للكتاب – تونس، 2001 ص 189

[1] – أبو يحيى زكرياء : حكم بين 1488 و 1493

[2] – اِنخزلت : هربَت.

الوثيقة 8

بداية فقدان السّيطرة على البلاد

«... وفي أيّام السّلطان محمّد[1] كانت وقائع بينه وبين العرب [الأعراب] وهزموه على القيروان ورجع إلى تونس في ثمانمائة [2] من الخيل. وفي أيّامه خرجت بلاد كثيرة عن حكمه. والسّلطان محمّد هذا كان ختام بني أبي حفص ومن بعده [انقلبوا] إلى اسم لارسم»

ابن أبي دينار [3]، المؤنس في أخبار إفريقية وتونس
تحقيق محمّد شمّام – المكتبة العتيقة – تونس 1967 ص 160

[1] هو أبو عبد اللّه محمّد الحفصي (1493 ـ 1525)

[2] – ثمانمائة من الخيل : بل ثمانية حسب ابن أبي الضّياف (ج 1 ص 190)

[3] – ابن أبي دينار : هو أبو عبد اللّه محمد بن القاسم الرّعيني القيرواني – توّفي سنة 1698

الوثيقة 9

تفاقم الأزمة السّياسيّة

... سمعت من يذكر من أهل تونس أنّ السّلطان الحسن [1] ساءت سيرته في النّاس واضطربت عليه البلاد، وخرجت عن طاعته مدينة سوسة، فقام فيها صهره القليعي، وقام عليه بالقيروان الشّيخ عرفة وكان من مرابطي القيروان من ذرّيّة الشّيخ سيدي نعمون وهو جدّ الشّابيّين [2].
وفي أيامه كانت قسنطينة في أيدي التّرك، وإنّما كان ولده أحمد نائبا ببلاد العناب (عنابة). وفي أيّامه تغلّبت الأعراب على جلّ البلاد، وكانت الشّوكة في أولاد سعيد وهادنهم السّلطان الحسن بستين ألف دينارا على الوطن.

ابن أبن دينار، المؤنس... مرجع مذكور ص 163.

[1] السّلطان الحسن (الحفصي) – حكم بين 1525 و1542 استنجد بالإسبان لاسترجاع عرشه بعد إزاحته من الحكم سنة 1534

[2] الشّابيّين : دولة مرابطية "قبليّة" أسّسها عرفة الشّابي غداة حملة شرلكان على تونس في 1535.

الوثيقة 10

تفاقم الأخطار الخارجيّة وبداية انحلال الدّولة الحفصيّة

«... ولّما تمكّن خير الدّين [1] بتونس جاءت عمارة (أسطول) من بلاد النّصارى استنجد بها الحسن من قبل الإمبراطور[2] فيها مائة ألف مقاتل وهذه الواقعة هي المعبّر عنها بخطرة الإربعاء[3]. وكان السّلطان الحسن أباح البلاد للنّصارى ثلاثة أيّام... وقيل في هذه الواقعة أسّر الثّلث ومات الثّلث وهرب الثلث وكانت هذه الواقعة سنة 941 هـ (1535 م) ...»

ابن أبي دينار [3]، المؤنس في أخبار إفريقية وتونس
تحقيق محمّد شمّام – المكتبة العتيقة – تونس 1967 ص 167.

[1] استيلاء خير الدّين على تونس في 1534

[2] الإمبراطور : هو شرلكان ملك إسبانيا – انتخب أيضا على رأس الإمبراطوريّة الرّومانيّة المقدّسة (ألمانيا والنّمسا...

[3] خطرة الإربعاء : حملة شرلكان على تونس في 1535

الوثيقة 11

مقتطفات من المعاهدة المفروضة على الدّولة الحفصيّة من قبل إسبانيا في 1535

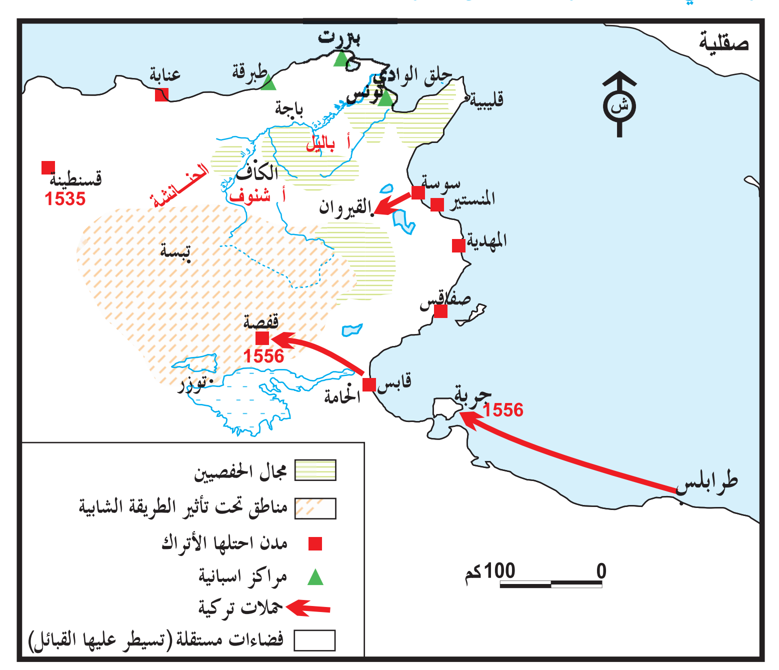
«يعترف ملك تونس أنّه عُزِلَ عن عرشه من قبل خير الدّين بربروس.... وأنّ جلالته (الامبراطور شرلكان) أتى بجيش قويّ من المسيحيّين لتأديب بربروس والقضاء علي حكمه ولينتقم لملك تونس...

- يلتزم ملك تونس بالسّماح للمسيحيّين ليقدموا إلى مملكته ويعيشوا فيها ويسكنوها بدون مضايقة كما يسمح لهم ببناء كنائس.
- وأنّ ملك تونس تخلّى وأحال حقوقه المتعلّقة بميناء حلق الوادي لصاحب الجلالة الامبراطور
- ويقرّ الملك أيضا بحريّة الملاحة بين حلق الوادي والبحيرة والقنال لجميع السّفن
- يقتطع ملك تونس من الرّسوم القمرقيّة المتأتّية من التّجارة البحريّة ما قدره (12000 دوكا) تُدفَع لفائدة الامبراطور...

عن المجلّة الإفريقيّة 1876 الجزء 20 ص 134 – 139

الدّوكا : عملة ذهبيّة في بعض المدن الإيطاليّة

الوثيقة 12 : مجال إفريقيّة في أواسط القرن السّادس عشر (1550 ـ 1556)



وردت في : "مقدّمات ووثائق في تاريخ المغرب الحديث – كلّيّة الآداب منّوبة 1995 ص 377

التعليمات

- بيّن المظاهر السّياسيّة لأزمة الدّولة الحفصيّة وتفاقمها خلال القرن XVI
- حدّد اِنعكاسات الأزمة على علاقات الدّولة الحفصيّة مع القوى الأجنبيّة في المتوسّط.

شهدت الدّولة الحفصيّة منذ نهاية القرن XV أزمة حادّة طالت كلّ الأصعدة السّياسيّة منها والاقتصاديّة والاجتماعيّة مما حوّلها إلى مجال صراع بين قوى متوسّطيّة متنافسة ومهّد إلى سقوطها.

I- المظاهر الاقتصاديّة للأزمة :

لقد تضافرت أسباب عِدّة، داخليّة وخارجيّة، لتُحوّلَ الأوضاع الاقتصاديّة الهشّة إلى أزمة شاملة بلغت حدّة غير معهودة. وتتنزّل هذه الأزمة في ظرفيّة متوسّطيّة تميّزت بنهضة أوروبا الغربيّة وبانتقال الطّرق التّجاريّة من المتوسّط إلى المحيط الأطلسي.

1- أزمة القطاع الفلاحي : الوثيقة 1

لئن آرتبطت هذه الأزمة بعوامل هيكلة عميقة، فإنّ العوامل الظّرفيّة المتمثّلة في تعسّف الأعراب وفي ثقَل الضّرائب المفروضة على المزارعين هي الّتي تفسّر أزمة القطاع الفلاحي وقد تجلّت في :

- اِنحسار المساحات المزروعة وتراجع الغراسات لصالح النّشاط الرّعوي والتّرحالي
- تراجع الإنتاج الفلاحي وتفقير الفلاّحين
- تضرّر الأرياف من الاقتصاد التّجاري غير المتوازن مع البلدان الأوروبيّة ممّا جعل دورها مقتصرا على تجميع الموادّ الأوّليّة الفلاحيّة وتحويلها إلى المدينة لغاية التّصدير.

وقد انعكس هذا الوضع على اقتصاد المدن وازداد ضغط البادية عليها وتضخّم عدد السّكّان داخل الأسوار.

2ـ أزمة النّشاط الحرفي الوثيقة 2

ترتبط أزمة النّشاط الحرفي بأزمة الأرياف عموما وبالمنافسة الأجنبيّة وخاصّة في ميدان النّسيج، إذ لم تتمكّن المدن الإفريقيّة من منافسة التّطوّر الحرفي الحاصل في المدن الايطاليّة وضمنها جنوة والبندقيّة أو القطالانيّة مثل برشلونة وغيرها من المدن التّجاريّة. ونلمس مدى تردّي أوضاع الحرفيّين وتفقيرهم من خلال وصف الرّحّالة "الحسن الوزّان" المعروف بـ"ليون لإفريقي" لصناع الملابس الجلديّة بالقيروان والّذي يشير أيضا إلى ثِقَلِ الضّرائب المفروضة عليهم من قبل الدّولة كعامل من عوامل ذلك التّردّي.

3ـ ركود التّجارة

لقد نتج عن أزمة البادية والمدينة وهيمنة البحريّة الأوروبيّة على التّجارة في المتوسّط ركود النّشاط التّجاري، كما تراجعت التجارة الصّحراويّة بعد أن اكتشف البرتغاليّون مصادر التبر السّوداني فحُرِمَت بلاد المغرب عموما وإفريقيّة على وجه الخصوص من موارد هامّة، ينضاف إلى ذلك كلّه انتقال الطّرقات التّجاريّة من المتوسّط إلى المحيط الأطلسي وما صحبه من تراجع في أنشطة المواني التّابعة للدّولة الحفصية.

II- المظاهر الاجتماعيّة للأزمة :

ساهمت الأزمة الاقتصاديّة وتوالي المحن، من أوبئة وحروب في تردّي الأوضاع الاجتماعيّة وفي احتداد التّناقضات بين عناصر المجتمع مما جعله يسير نحو المزيد من التّفكّك والانسياق وراء الطّرقيّة.

1 – تفكّك المجتمع : الوثيقة 4

لئن مثّلت هذه الظّاهرة إحدى مميّزات المجتمع الحفصي والمرتبطة ببنيته غير المتجانسة فأنّ الأزمة الشّاملة جعلت التّنافُرَ بين السّكّان المستقرّين بالمدن والقرى وقبائل الرّحل وشبه الرّحّل يتنامي ليولّد توتّرات وضغائن بين الطّرفين ويُساهم في تفكّك المجتمع وهو ما نَجِدُ صداه في فتاوى بعض العلماء أمثال ابن عرفة وتلميذه البُرْزلي (المتوفّى في 1437 م) والّتي تحثّ على مقاتلة الأعراب. أمّا في القرن XVI فإنّ بعض المالكين المستقرّين يلتجئون إلى سلطة الصّلحاء من جرّاء تعسّف الأعراب الّذين يفسدون زروعهم.
ومن أوجه تفكّك المجتمع الحضري نشير إلى تباين مواقف ربضيْ باب السّويقة وباب الجزيرة تجاه حملة خير الدّين بربروس على تونس سنة 1534 فبينما وقف الأوّل وراء الحسن الحفصي فقد انضمّ الثّاني إلى جيش خير الدّين .

2 – انتشار الطّرق الصّوفيّة: (وثيقة 4 ومعطيات مكمّلة)

يعود انتشار الطّرقيّة إلى القرن XIII (الشّاذليّة إلخ...) لكنّها زادت انتشارا بسبب تراجع الاجتهاد وعجز العلماء عن القضاء عليها وبسبب الظّرفيّة المتّسمة بانعدام الأمن وتعدّد الآفات وبتصاعد الخطر المسيحي. وممّا دفع السّكّان إلى الالتجاء إلى زوايا الأولياء تدهور الوضعيّة السّياسيّة وتفاقم مفعول "الحرابة" (قطع الطّرق والسّلب) القبليّة وأصبح الولي يؤمّن المستغيثين ويحمي المستنجدين. ومن ناحية أخرى مثّلت الطّريقة "الشّابيّة" المنحى الاحتجاجي للطّرقيّة في ظرف شعر فيه السّكّان بخطر الذّوبان من جرّاء الهجمة المسيحيّة، ومثّلت خاصّة ردّة فعل القبائل تجاه سياسة الحفصيّين المتخاذلة وعجزهم عن درء الخطر الأجنبي.
ومن نتائج انتشار الطّرق الصّوفيّة والزّوايا وذيوع صيت الأولياء ما سُمّي بالإقطاع الصّوفي إشارة لما كان يَجنيه كبار المتصوّفة من إعفاءات جبائيّة وتحبيس للعقّارات على زواياهم، مقابل المرونة الّتي يتوخونها في التّعامل مع السّلطة.
ومهما يكن من أمر فإنّ ازدهار حركة التّصوّف قد ساهم في إفساد المجتمع وفي تخدير العقول وفي تعميق الأزمة الشّاملة والسّياسيّة على وجه الخصوص.

III– المظاهر السّياسيّة للأزمة :

لئن تواترت عليها الأزمات الظّرفيّة فإنّ الدّولة الحفصيّة قد توصّلت إلى فرض الاستقرار حتّى نهاية حكم السّلطان أبي عمرو عثمان في 1488 إلاّ أنّ انخرام التّوازن الدّاخلي بمفعول عوامل عدّة جعل الأوضاع تسير إلى التّفكّك فالانهيار بلا رجعة منذ ذلك التّاريخ.

1ـ انحلال السّلطة المركزيّة : الوثيقة 7

لقد بدأ مسار التّفكّك والانهيار قبل أن يحلّ القرن XVI وقد تجلّى ذلك في المظاهر التّالية :

- الصّراعات بين أعضاء الأسرة بسبب غياب قانون ينظّم توارث الحكم ممّا له أوخم النّتائج على استقرار الأوضاع.
- عجز بعض الحكّام عن مواجهة الوضع لأسباب عدّة، داخليّة وخارجيّة.

2 – فقدان السّيطرة على أجزاء من البلاد : الوثيقة 8

● لقد استقلّت عديد المدن عن السّلطة المركزيّة بداية من حكم مولاي محمّد (1493 ـ 1526) مثل عنّابة وطرابلس وقسنطينة وجربة ومن بعدها صفاقس وسوسة، وهو ما ساهم في إضعاف الحكم المركزي إذ كانت المدن حليفه الاستراتيجي أيّام كان يمتلك القدرة على الرّدع.

● اِستفحال خطر القبائل البدويّة :

لقد كانت القبائل البدويّة وشبه الرّحّل صاحبة الأمر والنّهي في المناطق الدّاخليّة إلاّ أنّ خطرها على الدّولة استفحل منذ نهاية القرن XV ممّا اضطرّ السّلطان الحفصي إلى شراء ولائها أحيانا بالمال أو بإسنادها إقطاعات من الأراضي الزّراعيّة، بالإضافة إلى ما تلحقهُ من أضرار بالفلاّحين المستقرّين وما تفرضه عليهم من إتاوات وما تُمارسه من "حرابة " (قطع الطّرق والسّلب).

3 – بروز قوى داخليّة انفصاليّة : الوثيقتان 5 ـ 12

وقد بلغ خطر القبائل أوجه عندما تحالفت مع "الطريقة الشّابيّة" المرتكزة بالقيروان بقيادة عرفة الشّابي وذلك بتأسيس إمارة قبليّة مرابطيّة غداة الحملة المسيحيّة على تونس بقيادة "شرلكان" في 1535. وقد سيطرت هذه الدّولة على أغلب المجال القبلي في المناطق السباسبيّة بالوسط التّونسي وجزء من الشّرق الجزائري، وعجز السّلطان الحفصي "الحسن" عن القضاء عليها رغم محاولاته المتعدّدة.

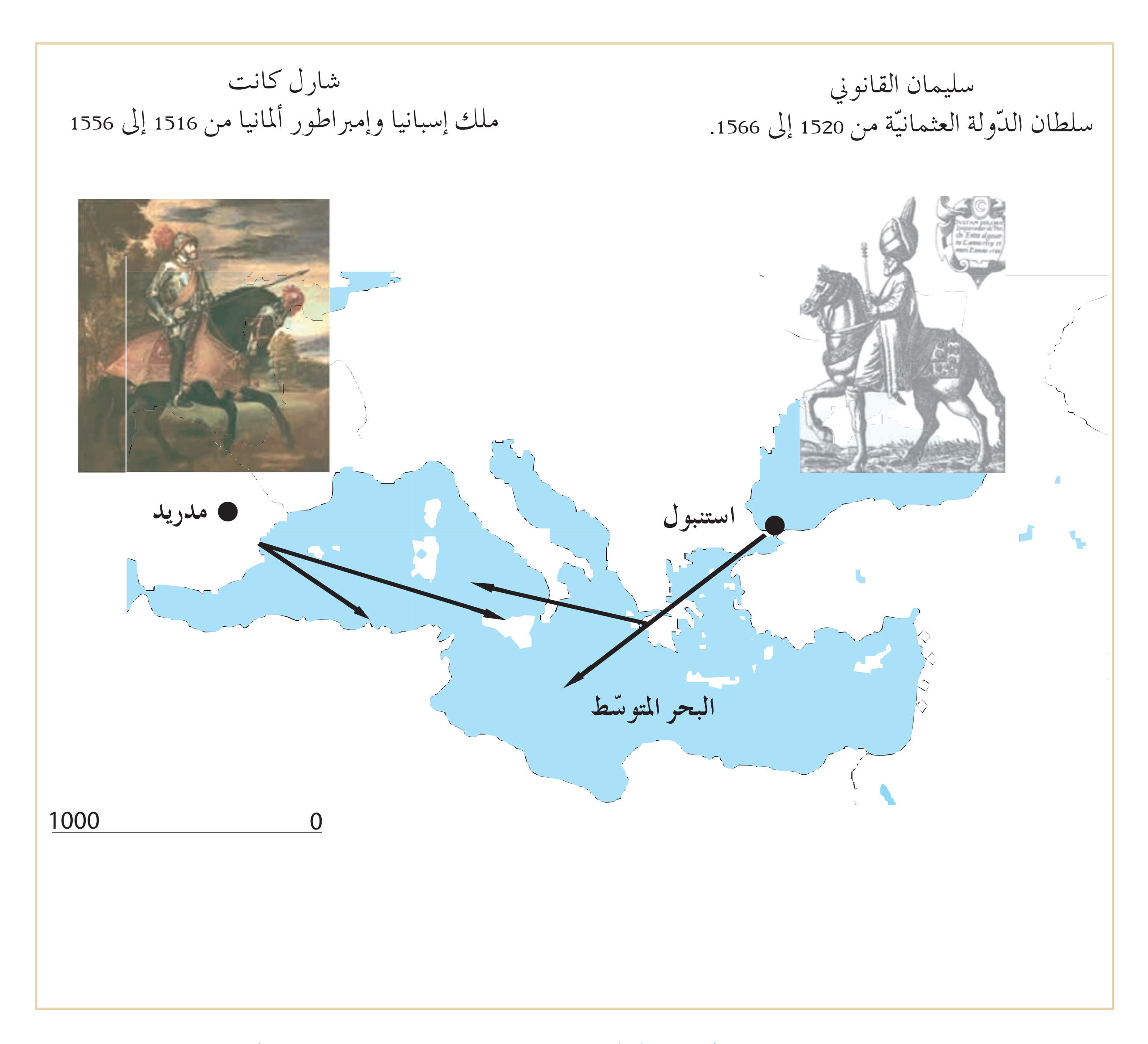
4 – تفاقم الخطر الخارجي : الوثيقتان 10 ـ11

تجلّي الخطر الخارجي في البداية في استيلاء إسبانيا على بعض المرافئ مثل بجاية وطرابلس في 1509 و1510 في نطاق مراقبة الملاحة في غرب المتوسّط. لكن سرعان ما تحوّلت إفريقيّة إلى مجال للصّراع الإسباني االعثماني وذلك لمدّة أربعين سنة (1534 ـ 1574). وكانت الحرب سجالا بين القوّتين العظميين و لم تقدر القوى المحليّة على المواجهة لعدم تمكّنها من التّقنيات الحربيّة العصريّة ولما كانت تتّسم به من تفكّك ووهن.

الخاتمة : عرفت الدّولة الحفصيّة منذ أواخر القرن XV أزمة شاملة لم تقدر على مواجهتها لعجزها عن التّأقلم مع ما عرفته أوروبا من نهضة في جميع الميادين وما عرفه العالم المتوسّطي من تحوّلات، فأصبحت بحكم موقعها الاستراتيجي مسرحا للنّزاع بين الامبراطوريّة العثمانيّة وإسبانيا المسيحيّة والّذي انتهى بسقوط الدّولة الحفصيّة وبدخول البلاد التّونسيّة طورا جديدا من تاريخها تحت الإدارة العثمانيّة.

الدّرس 7 الصّراع العثماني الإسباني وانتصاب العثمانيّين في تونس

المدخل



إمبراطوران يرمزان إلى قوّتين توسّعيّتين في القرن XVI وبينهما المجال المتوسّطي

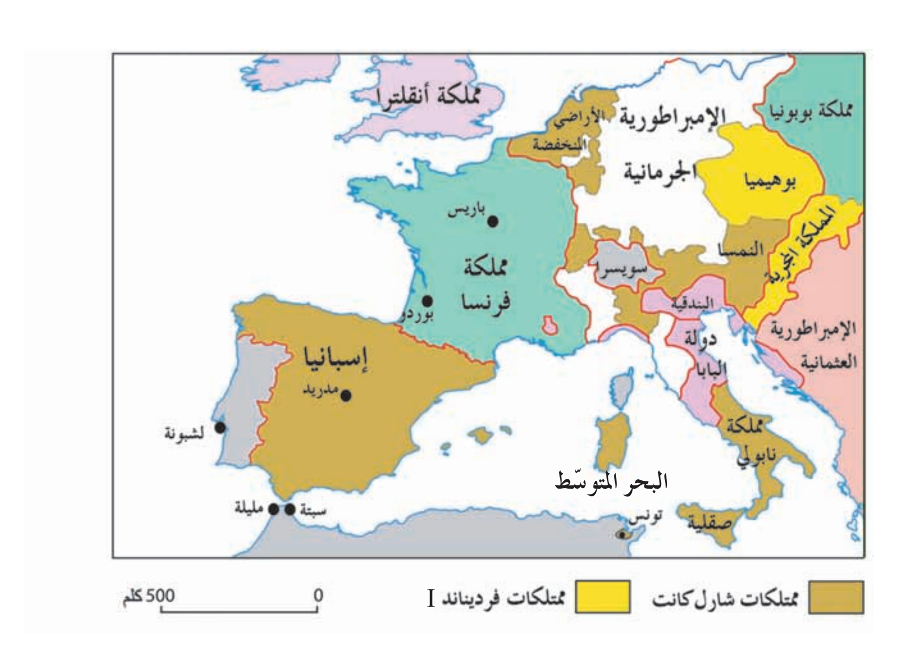
يعتبر الصّراع الّذي دار بين الدّولة العثمانيّة وإسبانيا على البحر المتوسّط من أهمّ الأحداث الّتي ميّزت القرن XVI.

أدرس هذا الصّراع لأتعرّف خلفياته ومراحله وانعكاساته على البلاد التّونسيّة.

النشاط الأوّل : أبيّن خلفيّات الصّراع العثماني الإسباني في القرن XVI

الموارد :

الوثيقة 1 : ممتلكات شارل كانت ملك أسبانيا وأمبراطور ألمانيا وأخيه فرديناند الأوّل ملك كلّ من بوهيميا والمجرّ



الوثيقة 2

جاء في المعاهدة الّتي أمضاها سليمان القانوني وفرديناند الأول سنة 1547 ما يلي :

"... لا تخل هذه الشّروط بتابعية فرديناند لأخيه الكبير ومتبوعه إمبراطور ألمانيا وملك إسبانيا شارل كانت.

– يقرّ شارل كانت شروط هذه المعاهدة سواء كامبراطور ألمانيا أو كملك إسبانيا.

– لا يستعمل الإمبراطور الملك صفة الإمبراطور في مكاتباته مع الجهات الدّيبلوماسيّة التّركيّة ولا يطلب استعمالها ويعتبر كملك لإسبانيا فقط ويوافق على استعمال عبارة "كارلوس ملك ولاية إسبانيا".

– لا يستعمل صفة الإمبراطور في أوروبا في المكاتبات الدّيبلوماسيّة مع تركيا إلاّ بالنّسبة "لباد شاه" العالم السّلطان سليمان.

– تتعهّد كلّ من دول فرنسا، البندقيّة والبابويّة برعاية شروط هذه المعاهدة"

عن يلماز أوزتونا : تاريخ الدّولة العثمانيّة، ترجمة عدنان محمود سلمان،
المجلّد الأوّل، منشورات مؤسّسة فيصل للتّمويل. استنبول 1988 ، ص 284

الوثيقة 3

بعث مسلمو غرناطة إلى السلطان سليمان القانوني برسالة سنة 1541 جاء فيها ما يلي :

«... مولانا السّلطان... الفايز بشرف الدّين والدّنيا من الجهاد في سبيل اللّه سلطان الإسلام والمسلمين.. ظلّ اللّه على الخليقة أجمعين.. وبعد، فإنّ عبيدك الفقراء المنقطعين بجزيرة الأندلس... رافعين شكواهم وما يلاقون من بلواهم باكين متضرّعين مستنصرين بعناية مولانا السّلطان... لما أصابهم من أعداء الدّين... وما هم فيه من مكابدة الكفّار... وتحريقنا إيانا بالنّار، قد تكالب العدوّ علينا ومدّد السّوء والضّرر إلينا وأحاطت بنا الأعداء من كلّ جانب... وخذلنا جيراننا وإخواننا ببلاد المغرب من أهل الإيمان.

وقد كان بجوارنا الوزير المكرّم المجاهد في سبيل اللّه خير الدّين، علم بأحوالنا... لما كان بالجزائر فاستغثنا به فأغاثنا، وكان سببا في خلاص كثير من المسلمين... ولما سمع الكافر اللّعين بذلك... جمع إليه أهل تدبيره وحزبه، فدبّروا ومكروا واتّفق رأيهم المعكوس على قتال الجزائر لئلاّ يبقى ببلاد المغرب لأهل الإسلام ناصر، فعاقبهم اللّه فجعلهم بسواحل البحر مابين أسير وقتيل... والآن اشتدّ غضبهم على أهل الإسلام، وهم [عازمون] على الجزائر ... يا مولانا ! المدد ! المدد ! لنصرة الجزائر...»

عن المجلّة التّاريخيّة المغربيّة، عدد 3 جانفي 1975، ص 43 – 46.

الوثيقة 4

جاء في رسالة كتبها رئيس أساقفة طليطلة وكان من غلاة التّوسّع المسيحي في شمال إفريقيا إلى الإمبراطور شارل كانت بتاريخ 8 سبتمبر 1531 :

"... لقد أكّد لي الأشخاص الّذين يعرفون البلاد أن لمدينة هنين[1] ومينائها أهمّيّة بالغة. فهنين بلدة محصّنة ذات أسوار منيعة، ولها قلعة حصينة جدّا ولا تبعد عن تلمسان إلاّ 12 مرحلة [45 كلم]. وهو أمر له أهمّيته العظمى بالنّسبة للحركة التّجاريّة الّتي يمكن أن نتبادلها مع العرب. كما أنّ امتلاكنا لمدينة هنين، يساعدنا بالأخصّ على إبقاء ملك تلمسان تحت تبعيّتنا. كما ستصبح وهران[2] أكثر أمنا إذ أنّ الملك لن يفكّر في مهاجمتنا عند ما يرانا قد تمكّنّا من البلاد داخل حدودنا الجديدة وتحصّنا بها.»

عن المجلّة الإفريقيّة عدد 19، 1875 ص 189

1 – هنين بلدة ساحليّة احتلّها الإسبان في 24 أوت 1531 و لم تعد موجودة الآن.

2 – وهران أهمّ قاعدة للإسبان في شمال إفريقيا ومقرّ الوالي العامّ آنذاك.

الوثيقة 5

وقع الألماني بلثمار ستورمر (B.Sturmer)في الأسر أثناء حملة شارل كانت على تونس سنة 1535. وهذه مقتطفات من التقرير الّذي كتبه عن الظّروف الّتي عاشها قبل الوقوع في الأسر :

«... عندما كنت في يوم من الأيّام بمسّينا[1] أعلن أحد فرسان القدّيس يوحنّا من رودس[2] بما مفاده أنّ كلّ من يريد الخروج إلى البحر لاستهداف الأتراك للمغامرة، عليه أن يحضر إلى كنيسة القدّيس فرنسوا فلم أتأخّر... وعلى ذكر رودس، فإنّنا مازلنا نتحدّث عن فرسانها على الرّغم من أنّ الأتراك أصبحوا أسيادا عليها. ويوجد مقرّ هؤلاء الفرسان الآن بجزيرة تسمّى مالطة... وكان الأتراك يجوبون في ذلك الوقت البحار بحثا عن غنائم ثمينة في المناطق الإيطاليّة وهو نفس ما نقوم به نحن تجاه الأراضي التّركيّة...»

عن المجلّة التّاريخيّة المغربيّة عدد 107 – 108، سنة 2002 ، ص 124

1 – مدينة ساحليّة في صقليّة.

2 – هزم العثمانيون فرسان رودس سنة 1523 فمنحهم شارل كانت جزيرة مالطة ثمّ سلّمهم طرابلس الغرب ويعتبرون من أشهر القراصنة المسيحيّين في البحر المتوسّط.

معطيات مكمّلة

القرصنة (La Course) تسمّى في العالم الإسلامي غزوات البحر أو الجهاد البحري. وكانت تقع بين الدّول المتنازعة، والهدف منها ضرب مصالح العدوّ بمهاجمة سواحله واعتراض سفنه ممّا يجعلها بهذا المعنى تخضع لقوانين وضوابط. وهي تختلف عن لصوصيّة البحر (La Piraterie) الّتي كانت تقوم على عمليّات النّهب والسّبي. و لم تكتس عبارة القرصنة معنى سلبيّا إلاّ في القرن XIX لمّا تخلّت أوروبا عن هذا النّشاط.

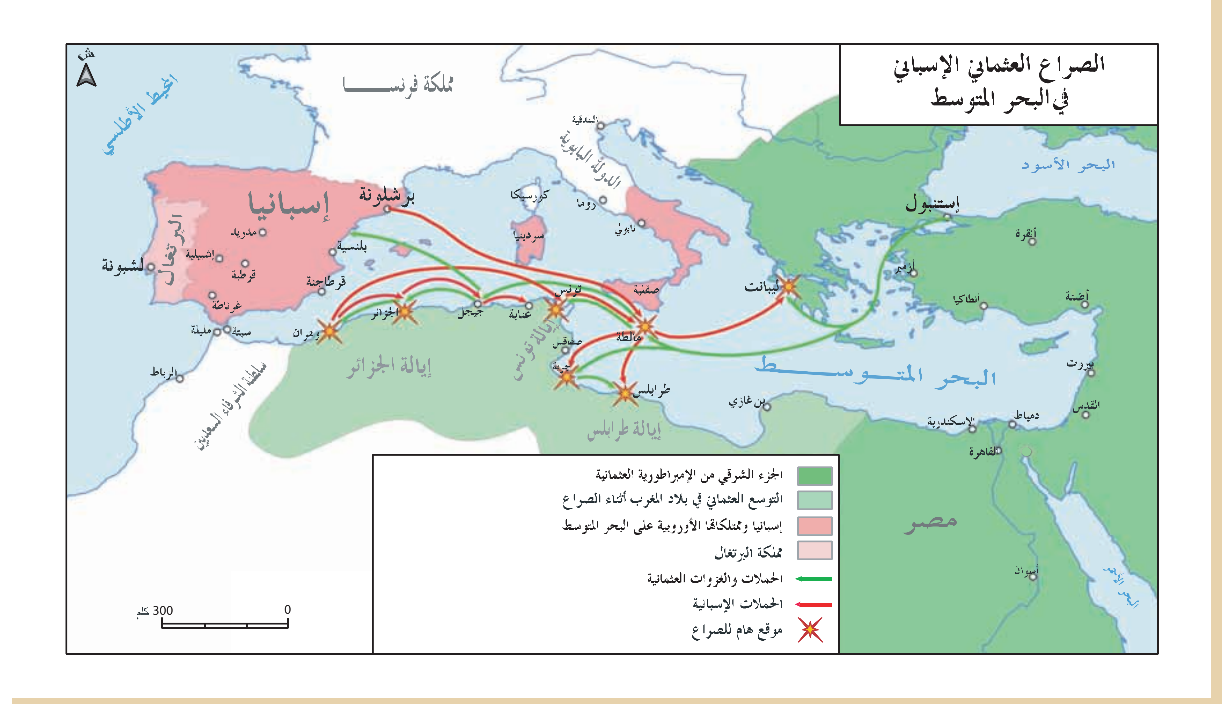
الوثيقة 6

ذكر البابا بيوس الخامس في الكتاب الّذي حرّره إلى ملك إسبانيا فيليبII بتاريخ 8 مارس 1570 ما يلي :

«... لا توجد في العالم المسيحي أيّة دولة مسيحيّة يمكنها أن تقف لوحدها تجاه [الدّولة] العثمانيّة. وبناء على ذلك يجب على كافّة الدّول المسيحيّة أن تتّحد لتكسر الغرور التّركي...»

عن يلماز أوزتونا، تاريخ الدّولة ... ص 371

الوثيقة 7



الوثيقة 8: المغرب العربي في بداية القرن XVI



التعليمات

1 – أَبرز التّناقضات وتضارب المصالح بين الدّولة العثمانيّة وإسبانيا.

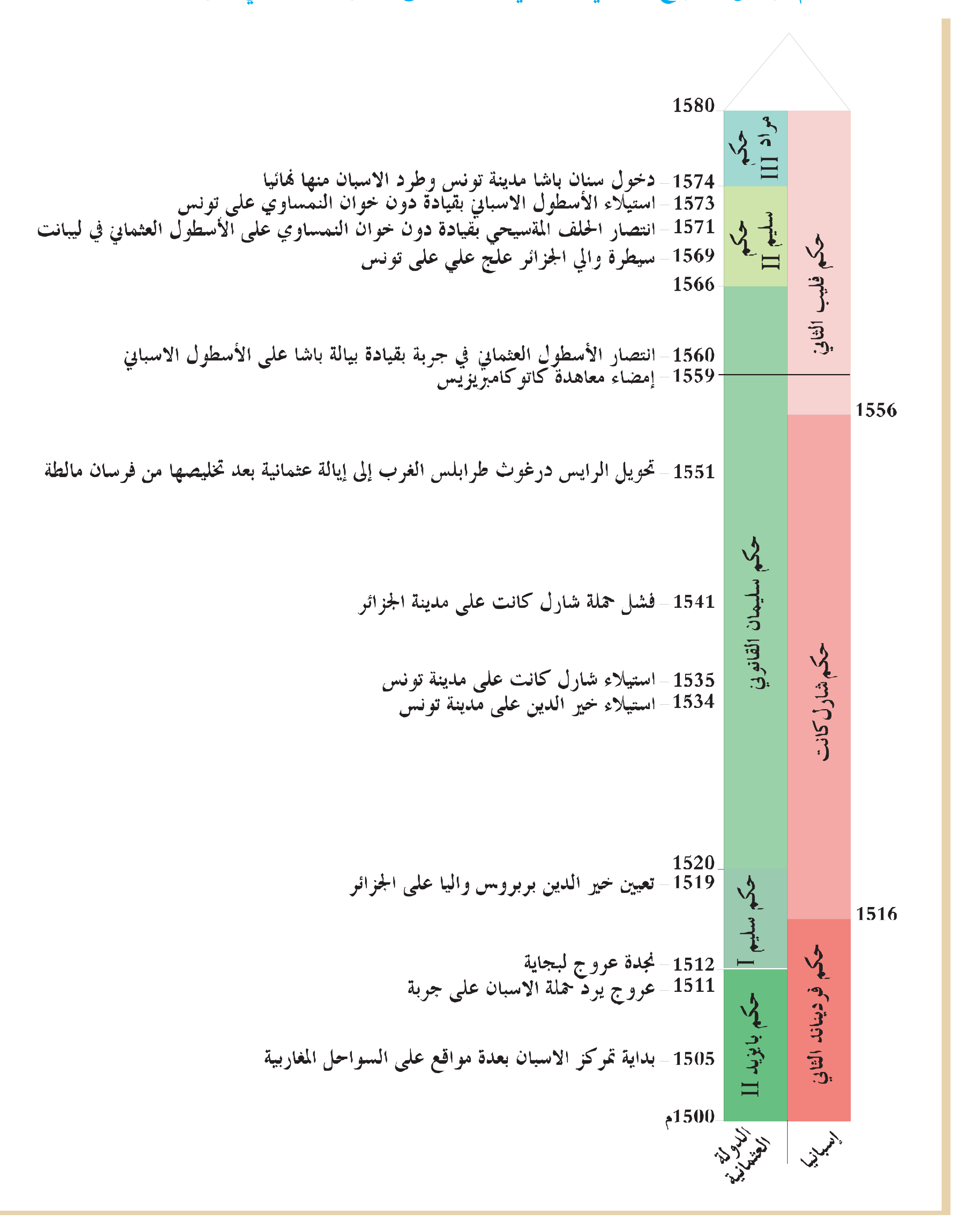
2 – عرّف بحركة القرصنة وبيّن دورها في توتّر العلاقات بين القوّتين.

3 – حدّد المجال الّذي تركز فيه الصّراع بين القوّتين واذكر العوامل الّتي تفسّر هذا التّركّز.

النشاط الثاني : أحدّد أهمّ مراحل الصّراع العثماني الإسباني

الموارد :

الوثيقة 9 : أهمّ مراحل الصّراع العثماني الإسباني للهيمنة على البحر المتوسّط في القرن XVI .



الوثيقة 10

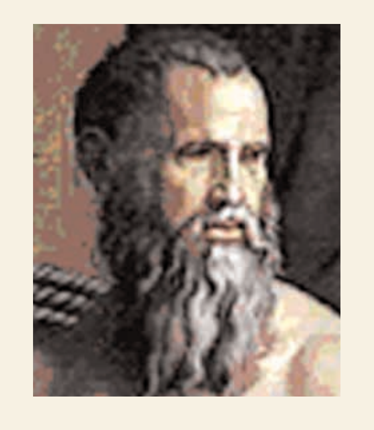
كتب فيليب II رسالة إلى دوق فلورنسا سنة 1559 وقد جاء فيها :

«...برضاء من اللّه تمت المعاهدة* وإقامة السّلم مع المسيحي الغيور الملك الفرنسي، فقد بدا لي أنّه طاعة للّه وخدمة للدّين المسيحي، وحتّى لا تبقى جميع السّفن الّتي تحت إمرتي بايطاليا عاطلة عن التّحرّك خلال هذا الصّيف، فإنّنا سنستعملها للقضاء على القراصنة لنضمن الحريّة البحريّة... وعلى هذا الأساس فقد أذنت بالحملة على طرابلس الغرب...»

المجلّة التّاريخيّة المغربيّة عدد 10 – 11 جانفي 1978، ص 13

* المقصود بها معاهدة كاتو كامبريزيس Cateau Cambrésis بين أسبانيا وفرنسا وأنقلترا سنة 1559

الوثيقة 11 : أهمّ قادة الحملات من الجانب الإسباني

بطرس النّفاري Pedro NAVARRO (1460 - 1528)	أندريا دوريا Andréa DORIA (1468 - 1560)	دون خوان النّمساوي Don Juan d'Autriche (1545 - 1578)
– قاد عدّة حملات إسبانيّة ضدّ مدن بلاد المغرب كوهران وبجاية وطرابلس في بداية القرن XVI	– أميرال من جنوة وضع نفسه في خدمة ملوك إسبانيا. – قاد الأسطول الإسباني في حملاته ضد المسلمين.	– الابن الطّبيعي لشارل كانت – قاد أسطول الحلف المقدّس أو المسيحي في ليبانت. – قاد حملة على تونس سنة 1573.
		

الوثيقة 12 : أهمّ قادة الحملات من الجانب العثماني

الرّايس عرّوج (1474 – 1518)

– يوناني الأصل، ينتمي مثل خير الدّين إلى عائلة بربروس.
– أسّره فرسان رودس في بداية حياته.
– نقل نشاطه إلى الحوض الغربي للمتوسّط.
– اتّخذ من جربة ثمّ جيجل قاعدة لنشاطه.
– وضع نفسه في خدمة الدّولة العثمانيّة



خير الدين بربوس (1476 – 1546)

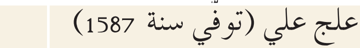
– أشهر غازي عثماني في البحر المتوسّط.
– عيّن واليا على الجزائر ثمّ أصبح قائدا للأسطول العثماني.
– واجه الإسبان وأنجد الموركسيين في عدّة مناسبات.
– نجح ابنه حسن في التّصدّي لهجوم إسباني على الجزائر سنة 1541.



الرّايس درغوث (توفّي 1565)

– من أبرز الغزاة.
– انتقل إلى الحوض الغربي للمتوسّط واتّخذ من جربة قاعدة لحملاته ضدّ الإسبان.
– وضع نفسه في خدمة الدّولة العثمانيّة.
– عيّن على رأس إيالة طرابلس سنة 1556.





علج علي (توفّي سنة 1587)

– كان مساعدا للرّايس درغوث.
– عيّن على التّوالي واليا على طرابلس ثمّ الجزائر.



سنان باشا (توفّي سنة 1596)

– غاز من أصل ألباني صاهر السّلطان العثماني.
– قاد الجيش العثماني في عدّة حروب ومنها الحملة على تونس ضدّ الإسبان سنة 1574.
تولّى الوزارة في الدّولة العثمانيّة خمس مرّات.



الوثيقة 13

صورة لمخطوط يمثّل الصّفحة الأخيرة من المعاهدة الّتي أملتها إسبانيا على الدّولة الحفصيّة وتتوسّطها إمضاءات كلّ من السّلطان الحسن والامبراطور شارل كانت. وجاء في بدايتها ما يلي : «منها يحلف كلّ منهما لصاحبه فيليبانطد فيه مواثيق نوثّق كلّ واحد من صاحبه على إمضاء العهد الّذي بينهما وجعلا ذلك في نسخ أربع اثنان منها بالخطّ العربي وإثنان بالخطّ النّصراني وتكون تحت يد كلّ واد منهما نسخة بالخط العربي ونسخة بالخط النّصراني وكتب كلّ واحد منهما خطّ كلّ نسخة من هذه النّسخ الأربع بهذا العهد المبارك واسمهم المبرور ريات... ولمعرّب عرّبها اللّه تعالي خيره... وكان في عهد السّلطان... تبارك عليه الحضرة الغالية فلذلك برح المكان على ميلين من حلق الوادي عهد إمام من نصّ... عن عام ألف وخمسمائة وخمس وثلاثين من مولد المسيح الموافق لسادس من شهر صفر الخير عام اثنين وأربعين من الهجرة وتسعمائة بحضرة... بكلّ من الشّهود الّذين حضروا العهد المذكور هم من نصارى... صاحب لغبانطد من أصحاب شأن عند السّلطان من المقرّبين وفرانتد قبانطد من أصحاب السّلطان أيضا الفذاذ إسم عزيز ومكرم ومحمّد الصّابر وأحمد عمران وعبد الرّحيم السّيد أحمد المولى عمر ويضيف العهد المذكور من فيليبانطد وفيه للسّلاطين المذكورة السلطان المبرور... الحسن المذكور من فيليبانطد بينهما فيها يشمل أنّ السّلطان فيليبانطد المذكور وورثته يأخذ من عمالة... الحسن...»

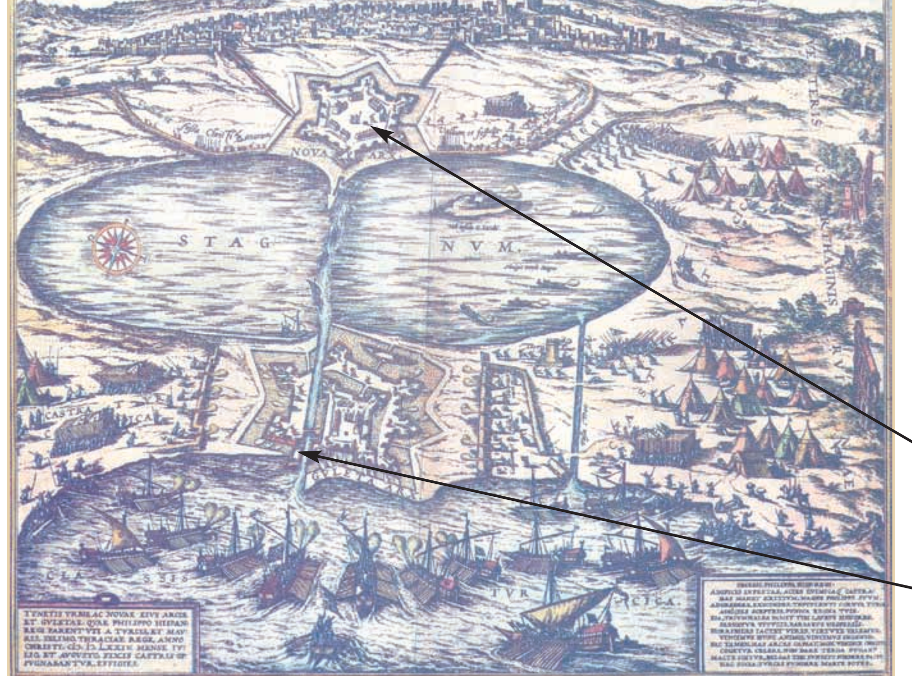
ورد في كتاب"حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا 1492 ـ 1792" لأحمد توفيق المدني الشّركة الوطنيّة للنّشر والتّوزيع، الجزائر 1976، ص 235

محاولة لقراءة مقاطع من هذا المخطوط من قبل المؤلّف

الوثيقة 14

حصار العثمانيّين لتونس وحلق الوادي سنة 1574 (أطلس برون هوقنبرق)

ورد ت هذه اللّوحة في كتاب موسوعة تونس لتوفيق بشروش، نشر كتابة الدّولة للبحث العلمي والتّكنولوجيا ص 204



حصن الباستيون بتونس

حصن حلق الوادي

الوثيقة 15 حصن حلق الوادي بين الأثر المكتوب والمعلم القائم

«تملك النّصارى حلق الوادي وبنوا فيه حصارهم [أي حصنهم] المشهور وشيّدوا فيه بناء لم يشيّده شدّاد، في إرم ذات العماد. وابتدأوا بناءه سنة سبع وثلاثين وتسعمائة [1]. وهدّموا أكثر أقواس الحنايا الّتي كانت لقرطاجنة. وأخذوا أحجارها لبنيانه. وجعلوا الرّمية على أهل البلاد من الجير والجصّ. وحصّنوه حصانة لم يكن لها نظير وأداروا به خندقا وأدخلوا له ماء البحر إى أن دار به دور السّوار وملؤوه بآلات الحرب والرّجال وما يحتاجون إليه بحيث صار غصّة في الحلق. وصارت النّصارى تمكّن بأغربتها[2] ومراكبها ويقطعون في البحر على المسافرين ويأخذون كلّ سفينة غصبا. وعمّ أذاهم المسلمين وملكهم إذ ذاك بإشبيليّة أعادها اللّه للإسلام.»

ابن أبي دبنار[3]، المؤنس في أخبار إفريقيّة وتونس، نشر المكتبة العتيقة، تونس 1967 ،ص 185

1 – ذكر بن أبي دينار سنة سبع وثلاثين وتسعمائة كتاريخ لتأسيس الحصن والحال أن الأسبان قد احتلّوا حلق الواد ي بعد هذا التّاريخ بخمس سنوات أي سنة 942 هجري (1535 م)

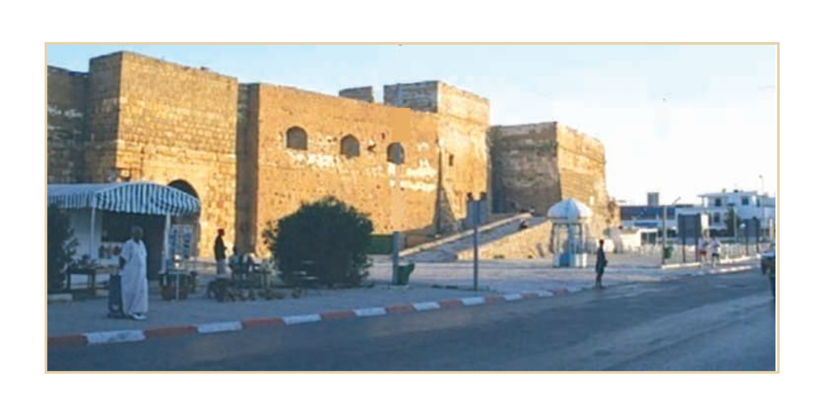
2 – الأغربة هي أنواع من السّفن،

3 – هو أبو عبد اللّه الرّعيني القيرواني : مؤرّخ تونسي توفّي حوالي 1698.



الحصن سنة 1535 عن "الحصون التّونسيّة" لناجي جلّول

نشر وكالة إحياء التّراث والتّنمية الثّقافيّة ص 78



الحصن حاليّا : وسّع الإسبان هذه القلعة وحصّنوها إلاّ أنّ عدّة أجزاء منها قد تعرضّت إلى عمليّات هدم بعد ذلك. كما وقع ترميمها وتوسيعها بإضافة عدة أجزاء مكمّلة لها في القرون الموالية.

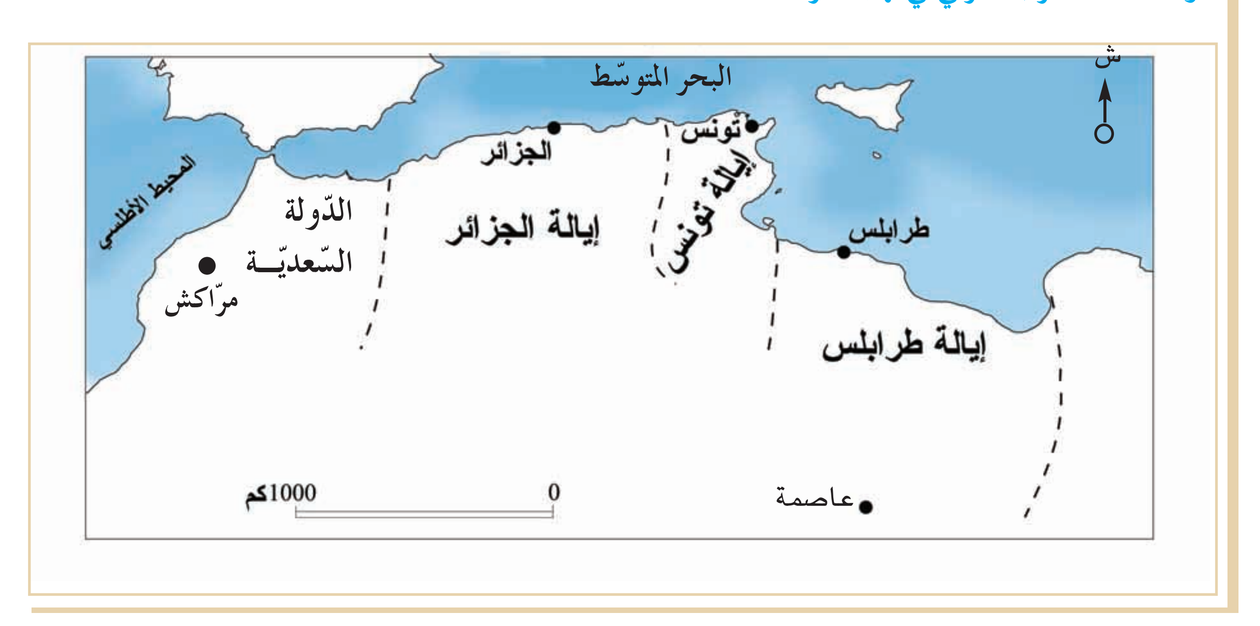
التعليمات

– بيّن أهمّيّة سنة 1559 في الصّراع العثماني الإسباني.
– أبرز أهمّ الخصائص المميّزة لكلّ مرحلة من المراحل الكبرى لهذا الصّراع واذكر أهمّ أطوارها.

النشاط الثالث : أدرس انتصاب العثمانين في تونس XVI

الموارد :

الوثيقة 16 : المغرب العربي في نهاية القرن XVI



الوثيقة 17

«...ولّما تمكن قدم العسكر العثماني في تونس... ورتّب الوزير سنان قوانين صارت من بعده ثابتة الرّسوم... رجع إلى دار سلطانه بالدّيار الرّوميّة* وخلف هذا العسكر المعبّر عنه بالينشرية فضبطوا ملك تونس ودعّمت قواعدهم.

واستمرّت بأيدهم خلفا عن سلف... وسكنوها وجعلوا دار الخلافة بها وهي المعبّر عنها بدار الباشا. وكذلك الدّيوان كان يرسم بها. وجعلوا قوانين يتميّزون بها... والمتصرّف في أحكام البلد باشا الوقت. ونظر العسكر في آغاهم. ودوّنت الدّواوين، وخرجت الولايات والجباة. ونشرت في الإقليم الإفريقي باسم السّلطة العثمانيّة الرّايات، وترنم الخطباء على المنابر باسم السّلطان العثماني، وضرب اسمه على الدّرهم والدّينار، وأضيفت إلى مملكته الشّريفة هذه الدّيار.»

ابن أبي دينار، المؤنس... ص 200

* المقصود بها استنبول.

الوثيقة 18

«وقبل عودة ورجوع [سنان باشا] إلى جانب السّلطنة العليّة خلف في مدينة تونس لمحافظتها، أربعة آلاف عسكري وهي دار معنيّة من ديار عسكر الينجريّة بآغاتهم ومقدّمي عسكرهم. وانتخب منهم أربعين رجلا من صناديد الرّجال الغزاة المجاهدين، ويسمّى كلّ منهم باسم داي كناية عن أصحاب الشّجاعة والخصال وقدم كلّ رجل من الأربعين على مائة من الأربعة آلاف عسكري لوقت الحاجة ومدافعة الأعداء. وقرّر بها أيضا أمير الأمراء الكرام المعين من الباب العالي المعظم حيدر باشا محافظة البلاد.

وعيّن لها أيضا قاضيا لإجراء الأحكام الشّرعيّة بين النّاس وهو العلامة المولى حسين أفندي.

وقد اقتبس أيضا اقتباسات من ديوان مصر والجزائر وبقيت أحكام العساكر ومرجع أمرهم لنظر آغاتهم وديوانهم. ووالي البلاد الباشا، وأمير الأوطان الباي في تصرّفاتهم واستجلاب الجبايا، وضبط الأموال لتصرف في مرتّبات العساكر. واستمرّوا على هذا النّظام برهة من الزّمان لكنّ حكّام أهل الدّيوان عظمت شوكتهم ونفذت كلمتهم وجاروا في أحكامهم. وبلغ من جورهم ما عمّ سائر النّاس خصوصا على العساكر، فضجروا من ذلك، فكان آخر أمرهم أن قام العسكر منهم، وأوقعوا السّيف والقتل في كبار أهل الديوان. وفي ساعة واحدة قتل ثمانون نفرا من طائفة البولكباشيّة[1]، وقطعوا رؤوسهم. وكانت فتنة عظيمة سنة تسع وتسعين وتسعمائة [999 / 91 - 1590] فتداركها العقلاء، وحضرة االباشا وأعيان العسكر. وعقدوا ديوانا باتّفاق من عسكرها أن يقدّموا من ينظر في أمرهم واحدا من الدّايات الأربعين المقدّم ذكرهم.»

حسين خوجة[2] : ذيل بشائر أهل الإيمان بفتوحات آل عثمان، الدّار العربيّة للكتاب، ليبيا– تونس 1975، ص 87-89

1 – الضباط السّامون في الوجق العثماني ويتولّون قيادة فرق جيش المشاة.
2 – مؤرّخ تونسي توفّي سنة 1732

معطيات مكمّلة : قائمة الباشوات الأوائل :

حيدر باشا	حكم البلاد إلى أواخر 1575
رجب باشا	عيّن أواخر سنة 1575 تقريبا. سلك سياسة عادلة في البداية ثمّ جار فعزل
حيدر باشا	أعيد تعيينه مرّة ثانية. سلك سياسة جائرة فعزل
رمضان باشا	حكم إلى سنة 1579

الوثيقة 19

«... أمّا عثمان داي فإنّه أخذ في تشتيت أكبر الدّايات... وهو أوّل داي انفرد بالكلمة... فباشر الولاية بجأش متين... وكانت له شجاعة قويّة بحيث يباشر الأمور بنفسه وربّما سمع ببعض الجناة في الغابة للمفسدين من الأتراك ينتهبون الغلّة فيخرج بجماعته في طلبهم حتّى يظفر بهم.

وكان أهل البساتين قبل ولايته إذا طابت غلاته طلبوا من أهل الدّيوان من يحرسهم ممّن يجترئ عليهم من العسكر لنهب غلاتهم. فيعينون لكلّ مكان ساقجيا* يحرسهم ويجعلون له جعلا على ذلك فأبطل عثمان عادتهم وصار يحرسهم بعنايته فخافه النّاس...

وسافر عثمان بنفسه للمحلّة مرّتين... ومهد البلاد وجعل قوانين للرّعايا.»

ابن أبي دينار : المؤنس... ص 202 - 204

* أي حارس الغابة.

التعليمات

1 – حلّل خصائص النّظام الجديد الّذي أرساه سنان باشا بتونس سنة 1574 وأذكر أهمّ مؤسّساته.
2 – بيّن مظاهر تطوّر هذا النّظام حتّى أواخر القرنXVI والعوامل المفسّرة لذلك.

لم يكن البحر المتوسّط يحظى باهتمام كبير قبل القرنXVI لدى كلّ من الدّولة العثمانيّة وإسبانيا لتركيز اهتمامهما على مجالات أخرى، إلاّ أنّ الظّرفيّة الجديدة الّتي تميّز بها هذا القرن قد دفعت القوّتين إلى التّركيز على هذا المجال فنشأت بينهما علاقات تضاربت فيها المصالح وتقاطعت وأدّت إلى اندلاع صراع امتدّ بينهما حوالي 70 سنة وكان له وقع كبير على البلاد التّونسيّة.

I- خلفيّات الصّراع :

نتج الصّراع العثماني الإسباني على البحر المتوسّط عن خلفيّات متعدّدة.

1 – التّناقضات وتضارب المصالح بين طرفي الصّراع : الوثائق من 1 إلى 8

تعتبر كلّ من إسبانيا والدّولة العثمانيّة القوّتين البارزتين على السّاحة الدّوليّة في القرن XVI.

أ – إسبانيا قوّة مسيحيّة :

تملك إسبانيا أقوى جيش وأوسع مجال في أوروبا المسيحيّة وتقوم هذه الدّولة على أساس من التّعصّب الدّيني والتّوسّع الاستعماري فبعد توحيد البلاد وافتكاك غرناطة سنة 1492 أصبح الفكر الصليبي هو المحرّك الأساسي للسّياسة الخارجيّة للدّولة واستهدف المسلمين بدرجة أولى دون هوادة. وكان وراء هذا المدّ المسيحي غلاة التّعصّب الدّيني مثل الملوك ورجال الكنيسة. كما كان هذا التّوسّع يستجيب لرغبة الملوك في السّيطرة وفي دعم قوّة الدّولة ومواردها ويتماشى مع سعي فئات اجتماعيّة عديدة للحصول على المكاسب المادّيّة. ولتوفير ظروف النّجاح لهذه السّياسة تحالفت إسبانيا مع أغلب الدّول المسيحيّة.

ب – الدّولة العثمانيّة قوّة إسلاميّة :

كانت الدّولة الإسلاميّة الوحيدة القادرة آنذاك على التّحرّك السّياسي والعسكري على جميع الجبهات. ويُنعت صاحبها بـ"ملاذ المستغيثين" وخاصّة من المسلمين المضطهدين. كما سعت الدّولة العثمانيّة إلى التّوسّع لأسباب سياسيّة، فالسّلطان العثماني يرى أنّه الوريث الوحيد للدّولة البيزنطيّة. و لم تكن الاعتبارات الاقتصاديّة غائبة أيضا عن هذا الصّراع وأهمّها الدّفاع عن المصالح التّجاريّة ودعمها والجري وراء الغنائم. ولتحقيق هذه الأهداف سعت الدّولة العثمانيّة إلى شقّ صفوف العالم المسيحي والتّحالف مع بعض دوله مثل فرنسا في مراحل عديدة من الصّراع.

فالتّناقضات إذن كبيرة والمصالح متضاربة ومتقاطعة بين القوّتين ممّا جعل العلاقات بينهما مرشحة للتّصادم. وزادت ظاهرة القرصنة في تصاعد هذا التّوتّر.

2 – دور القرصنة في الصّراع الإسباني العثماني :

تعتبر القرصنة نشاطا قديما وهي نوع من الحروب البحريّة بين الدّول المتنازعة وبهذا المعنى فهي تختلف عن لصوصيّة البحر. وقد مارستها البلدان المسيحيّة والبلدان الإسلاميّة على حدّ السّواء.

أ – القرصنة المسيحيّة :

ينتمي القراصنة المسيحيّون إلى بلدان مختلفة ومنها إسبانيا. ويُعدّ فرسان القدّيس يوحنّا بمالطة من أبرزهم. وكانوا يعتبرون نشاطهم "واجبا دينيّا مقدّسا" ومورد أرباح طائلة. وقد تقلّص نشاط القرصنة المسيحيّة في البحر المتوسّط وتحوّل إلى المحيط الأطلسي مع اكتشاف القارّة الأمريكيّة في ظرف تنامت فيه بشكل واضح القرصنة الإسلاميّة.

ب – القرصنة الإسلاميّة :

كانت تسمّى غزوات البحر أو الجهاد البحري. وقد وضع أغلب القراصنة المسلمون إمكانيّاتهم في خدمة الدّولة العثمانيّة فتحرّكوا باسمها وبتأييد منها وبذلك أصبح نشاطهم رسميّا ومدعّما وضربوا بعمليّاتهم الجريئة مصالح الدّول الأوروبيّة المعادية وفي مقدّمتها إسبانيا.

تُعتبر حركة القرصنة على هذا الأساس عاملا هامّا من عوامل الصّراع العثماني – الإسباني وأحدى حلقاته الأساسيّة في البحر المتوسّط.

3 – السّعي إلى الهيمنة على البحر المتوسّط :

اتّجهت أنظار كلّ من الدّولة العثمانيّة وإسبانيا وهما القوّتان المتوسّطيّتان إلى البحر المتوسّط أيضا فتحوّل إلى مجال للصّراع بينهما في القرن XVI.

أ – عوامل الاهتمام الكبير بالبحر المتوسّط

* **الأهمّيّة التّجاريّة :** لم يفقد البحر المتوسّط أهمّيّته التّجاريّة على الرّغم من تحوّل الطّرقات التّجاريّة الكبرى عنه وتراجع دور الوساطة الّتي كان يقوم بها العرب على ضفافه الجنوبيّة والشّرقيّة وظلّت موانيه القديمة التّابعة للدّول الإسلاميّة أو المسيحيّة نشيطة. وتدعّمت حركيّتها بفضل المتاجرة بغنائم القرصنة الّتي ازدهرت كثيرا آنذاك.

* **الأهمّيّة الاستراتيجيّة :** يحظى البحر المتوسّط بأهمّيّة كبيرة سواء في حوضه الشّرقي أو الغربي فالعثمانيّون تحكّموا في حوضه الشّرقي بينما سيطر الإسبان على مناطق أخرى شاسعة لاسيّما في الحوض الغربي وهو ما جعل القوّتين تتنافسان بضراوة للهيمنة عليه.

ولئن تعدّدت مناطق الصّراع بين القوّتين في هذا البحر فإنّ أغلبها كان في بلاد المغرب نظرا لعجز هذه المنطقة عن التّصدّي لهذين القوّتين بسبب ما لحقها من أزمات.

ب – أزمات بلاد المغرب

تعدّدت مظاهر الأزمة ببلاد المغرب واستفحلت فكانت في نفس الوقت سياسيّة واقتصاديّة واجتماعيّة وهو ما أفقد الكيانات السّياسيّة الّتي تتقاسمها المناعة اللاّزمة ويسّر تسرّب الأخطار الخارجيّة المحيطة إليها منذ أواخر القرنXV وبداية القرن XVI. إذ احتلّ البرتغاليّون عدّة مواقع على سواحل المغرب الأقصى مثل طنجة وآسفي كما تهافت الإسبان على افتكاك مواقع أخرى مثل الجزائر وطرابلس. وتتالت مراحل الصّراع بعد ذلك.

I- أهمّ مراحل الصّراع : الوثيقة 7 والوثائق من 9 إلى 15

تواصل الصّراع متقطّعا بين 1505 و1574 وامتدّ على مرحلتين كبيرتين.

1 – مرحلة النّزاعات المحدودة من 1505 إلى 1559

لم يستأثر هذا الصّراع بالأولويّة المطلقة في اهتمامات إسبانيا إذ كانت منشغلة آنذاك بمشاكلها في أوروبا وسياستها التّوسّعيّة في القارّة الأمريكيّة. بينما لم يحظ هذا الصّراع بأهمّيّة كبيرة في مشاغل الدّولة العثمانيّة في تلك المرحلة إذ كانت تركز على جبهات أخرى مثل المجرّ والدّولة الصّفويّة فكان تدخّلها في أغلب الأحيان غير مباشر.

أ – التّمركز الإسباني على السّواحل المغاربيّة في بداية القرنXVI
نقل الإسبان المعركة إلى الضّفّة الجنوبيّة من البحر المتوسّط وتمركزوا بعدّة مواقع ساحليّة امتدّت من مرسى الكبير غربا إلى طرابلس شرقا بين 1505 و 1511 وقاد بُطرس النّفاري أغلب الحملات الإسبانيّة.
ب – تدخّل عرّوج في بلاد المغرب باسم الدّولة العثمانيّة
وضع عرّوج بربروس، وكان من أهمّ القراصنة المسلمين نفسه منذ 1516 في خدمة الدّولة العثمانيّة وقدنجح في استعادة أغلب المواقع الجزائريّة الّتي كان قد احتلّها الأسبان باستثناء وهران وعوضه أخوه خير الدين. بعد وفاته سنة 1518.
ج – تدخّل خير الدّين بالجزائر :
وجد خير الدّين كلّ الدّعم من الدّولة العثمانيّة واستولى على الجزائر وحوّلها إلى إيالة تابعة لها. ووقع تعيينه على رأس هذه الإيالة سنة 1519. واستردّ عدّة مواقع من الإسبان. وتمكّن من ردّ هجومات أسطولهم الّذي كان يقوده الأميرال "أندري دوريا" وأنجد مسلمي الأندلس كلّما سنحت له الفرصة. وأمام نجاحاته المتواصلة، استدعاه السّلطان لأوّل مرّة إلى الباب العالي وعيّنه أيضا قائدا عامّا للأسطول العثماني.
د – الصّراع العثماني الإسباني الأوّل على تونس : 1534 ـ 1535
– استولى خير الدّين على مدينة تونس سنة 1534 دون عناء وفرّ منها مولاي الحسن السّلطان الحفصي ليستنجد بالإسبان.
– قاد الإمبراطور شارل كانت حملة عسكريّة ضخمة على تونس وتمكّن من احتلالها سنة 1535 وأعاد تنصيب السّلطان الحفصي على العرش بعد أن أمضى معه معاهدة تضع البلاد تحت حماية إسبانيا. ودعما لاحتلالها أقامت إسبانيا عدّة تحصينات مثل حصن حلق الوادي.
هـ – انحسار المدّ الإسباني : تجلّى في مناسبتين
– دفع هذا الانتصار شارل كانت إلى تنظيم حملة على مدينة الجزائر في أكتوبر 1541 إلاّ أنّها فشلت.
– نظم الرّايس درغوث، وكان قد برز بعد وفاة خير الدّين، حملات جريئة ضدّ المسيحيّين كان من أهمّ نتائجها تخليص طرابلس من حكم فرسان مالطة المتحالفين مع إسبانيا وتحويلها إلى إيالة عثمانيّة سنة 1551.

2 – مرحلة احتداد الصّراع بين 1559 و 1574

نجح فيليب II في تهدئة الأوضاع في أرووبا ولو نسبيا فأمضى سنة 1559 معاهدة كاتو كامبريزيس Cateau Cambresis مع فرنسا العدو التّقليدي لإسبانيا ليحوّل اهتمامه إلى المجال المتوسّطي ممّا جعل الصّراع يحتدّ، فقد تركّز في هذه المرحلة على مواقع توجد في الحوض الشّرقي لكن لا تبعد كثيرا عن ملتقى الحوضين ومثّلت تونس حلقة هامّة بينهما وتتعدّد أطوار هذه المرحلة ومن أبرزها :
أ – **تنظيم إسبانيا لحملة بقيادة جيان أندري دوريّا** : في اتّجاه جربة ثمّ طرابلس. إلاّ أنّ الأسطول العثماني قد أفشل هذه الحملة في جربة سنة 1560.
ب – سيطرة والي الجزائر "علج" علي على تونس :
قدم الجيش العثماني من الجزائر بقيادة علج علي واستعاد تونس من الإسبان دون عناء سنة 1569 فالتجأ السّلطان الحفصي مولاي أحمد إلى الإسبان في حصن حلق الوادي.

ج – معركة ليبانت وهزيمة الدّولة العثمانيّة

تتمتّع جزيرة قبرص بموقع استراتيجي هامّ وبحركة تجاريّة نشيطة وقد سعت الدّولة العثمانيّة إلى أخذها إلاّ أنّ البندقيّة الّتي كانت تمتلكها رفضت ذلك، فاحتلّها الأسطول العثماني وكان عقدُ الحلف المقدّس بين الدّول المسيحيّة ضدّ الدّولة العثمانيّة ردّ فعل على ذلك واندلعت الحرب بين الأسطول العثماني وأسطول الحلف المسيحي الّذي كان يقوده "دون خوان النّمساوي" وآلت إلى انتصار كبير لهذا الحلف في ليبانت سنة 1571.

د – تجدّد الصّراع على تونس

هاجم الأسطول الإسباني مدنية تونس بقيادة دون خوان النّمساوي بعد انتصار ليبانت واستولى عليها بسهولة سنة 1573 وأنشأ الإسبان بها حصن الباستيون ووقع تنصيب محمّد بن الحسن الحفصي على البلاد لكن هذا الوضع لم يعمّر طويلا إذ قرّر الباب العالي التّدخّل بصفة مباشرة لأوّل مرّة في تونس وأوفد أسطولا بقيادة سنان باشا دخل مدينة تونس وحرّرها من الاحتلال الإسباني بصفة نهائيّة وأطاح بالدّولة الحفصيّة سنة 1574.

راجعت إسبانيا سياستها الخارجيّة بعد سنة 1574 وأصبحت تركن إلى التّهدئة مع العثمانيّين. ويعود هذا الموقف الجديد إلى فداحة الخسائر الّتي تكبّدتها ومضاعفات الأزمات الماليّة الّتي أصبحت تتخبّط فيها إضافة إلى تحوّل أنظارها إلى القارّة الأمريكيّة وما توفّره من آفاق واعدة. وتبعا لكلّ هذا حصرت وجودها في بلاد المغرب على قلّة من المراكز تتوزّع بين وهران والمرسى الكبير وسبتة ومليلة.

أنجرّت عن هذا الصّراع مخلّفات عديدة من أهمّها انتصاب العثمانيّين بتونس.

I- انتصاب العثمانيّين بتونس : الوثائق من 16 إلى 19

أفرز هذا الصّراع نتائج هامّة كان لها الأثر الكبير على الأوضاع العالميّة السّائدة آنذاك فقد هيمنت الدّولة العثمانيّة على جزء هامّ من المجال المتوسطي وسقطت الحكومات المحليّة القائمة ببلاد المغرب. ونشأت ثلاثة إيالات عثمانية ومنها تونس.

1 – تركيز النّظام الجديد بتونس

ألحق سنان باشا البلاد التّونسيّة بالدّولة العثمانيّة وحوّلها إلى إيالة تابعة لها سنة 1574 على غرار إيالتي الجزائر وطرابلس. وركّز فيها نظاما جديدا على أنقاض النّظام الحفصي المنهار وقد راعى فيه الجوانب العسكريّة والأمنيّة أساسا باعتبار خصوصيّات الظّرفيّة الصّعبة الّتي تمرّ بها البلاد آنذاك، وسلّم مقاليد السّلطة إلي ضباط الانكشاريّة التي تراوح عددها ما بين 3 و 4 آلاف .

ويقوم النّظام الجديد على مؤسّسات وتنظيمات عديدة اقتبس أغلبها من النّظام العثماني وكانت شبيهة في خطوطها الكبرى بالمؤسّسات القائمة بكلّ من الجزائر ومصر وأهمّها :

الباشا : يعينه السّلطان العثماني كممثّل عنه في الإيالة لمدّة ثلاث سنوات ويمنحه فرمان التّولية ومهمّته حفظ الأمن وجمع الضّرائب. وقد تعدّد الباشوات الّذين تعاقبوا على الحكم في هذه المرحلة. ومنهم من كانت سياسته عادلة ارتاح لها السّكّان مثل حيدر باشا في ولايته الأولى ومنهم من اتّبع سياسة قاسية أثارت غضب الأهالي وتشكّياتهم للباب العالي مثل رجب باشا. ومهما يكن من أمر ظلت سلطة الباشا صوريّة لقصر المدّة الّتي يزاول فيها الحكم ولسيطرة الدّيوان على الدّواليب الفعليّة للدّولة.

الدّيوان: يمثّل المجلس الأعلى للجيش ويتكوّن من الضبّاط السّاميين وباعتباره أعلى هيئة في الإيالة فقد احتكر النّفوذ الحقيقي على حساب الباشا.

الدّاي: يطلق إسم الدّاي آنذاك على كلّ ضابط يقود إحدى الفرق الأربعين المكوّنة للجيش الانكشاري الّذي أبقاه سنان باشا في تونس

الباى : كان يقود عسكر المحلّة التي تقوم بجمع الضّرائب المفروضة على المحاصيل الزّراعيّة في الجهات ونشر الأمن بين القبائل.

القاضي **أفندي** : كان مكلّفا بالنّظر في القضايا والنّوازل الّتي يكون الجند طرفا فيها إلاّ أنّ نفوذه شمل أيضا القضاء المدني وقد كان حنفيّا، وتتحدّث المصادر عمّا كان يتّصف به هذا القاضي من قلّة الكفاءة وسيطرة النّزعة العسكريّة على تكوينه وتصرّفاته وضعف قدرته على التّواصل مع السّكّان.

تلك هي ملامح المرحلة الأولى من الوجود العثماني بتونس وتميّزت بتركيز مؤسّسات النّظام الجديد إلاّ أنّ سير هذه التّنظيمات كثيرا ما كان يختلّ بسبب ما كان يأتيه أعضاء الدّيوان من تجاوزات ممّا دفع بالإنكشاريّة إلى الثّورة عليهم.

2 – ثورة الانكشاريّة وتطوّر نظام الحكم :

استبدّ الضبّاط الكبار في الدّيوان على من دونهم رتبة في الجيش وجاروا في تصرّفاتهم فثار عليهم عامّة الجند وصغار الضبّاط سنة 1591 وعمدوا إلى تصفيتهم واختاروا بدلا عنهم الدّايات لتسيير شؤون الإيّالة بصورة جماعيّة. ولئن بقي النّظام ذا طابع عسكريّ فإنّه أصبح يمثّل الجند تمثيلا مباشرا.

وقد تبيّن بسرعة أنّ هذه "الدّيمقراطيّة العسكريّة" تبقى صعبة التّحقيق إذ أخذ الدّايات بدورهم يوسّعون نفوذهم وبرز منهم خاصّة عثمان داي الّذي استغلّ ثقة الانكشاريّة فيه ووزنه الاجتماعي كأحد أثرياء البلاد ليتفرّد بالسّلطة سنة 1598 وحوّل بذلك حكم الدّايات من حكم جماعي إلى حكم فردي. وتثبيتا لسلطته اتّخذ إجراءات عديدة منها قضاؤه على منافسيه من الدّايات وفرض نفسه على الممثّلين الرّسميّين للباب العالي مثل الباشا. وبالتّوازي مع ذلك سعى إلى إحداث نوع من التّوازن بين الفئات الاجتماعيّة الموجودة بالإيالة. فقد حاول مراعاة مصالح الأهالي وبخاصّة منهم الحضر والمستقرين ولو نسبيّا، وحماهم من التّجاوزات.

و لم تمس هذه الإجراءات امتيازات الطّائفة العسكريّة التّركيّة. إلاّ أنّ هذا التّوجّه في سياسة عثمان داي بقي محدود التّأثير خلال هذه المرحلة إذ ظلّ الأتراك يشعرون بالتّفوّق والاستعلاء تجاه الأهالي وواصلوا سيطرتهم شبه المطلقة على المؤسّسات القائمة في الإيالة فتعدّدت انتهاكاتهم للأشخاص والأملاك ممّا أثار حفيظة السّكّان.

الخاتمة :

يعتبر الصّراع العثماني الإسباني من أهمّ الأحداث الّتي ميّزت بداية العصور الحديثة فقد شمل مناطق عديدة من المجال المتوسّطي وامتدّ على فترة طويلة من القرن XVI وأفضى إلى تحوّل كبير في موازين القوى السّائدة آنذاك وكان له وقع مباشر على استقرار الأوضاع السّياسيّة بالبلاد التّونسيّة.

ملفّ منهجي تقييمي

قراءة لوحة فنّيّة

تعتمد الآثار الفنية كوثائق مهمّة في دراسة التاريخ ويمكن اعتبار اللوحات الفنية والمعالم المعمارية (المدنية والدينية) والتماثيل من أهمّ هذه الآثار خلال الفترتين الحديثة المعاصرة. وتخضع دراسة هذه الآثار الفنية في خطوطها الكبرى إلى نفس التمشي المنهجي ونقترح في هذا الملف منهجية قراءة اللوحة الفنية:

1 – التقديم:

تقدّم اللوحة بتعريف:

العنوان، صاحب اللوحة، تاريخ الإنجاز، المقاسات، مكان الحفظ (متحف، قصر، كنيسة، ملكية خاصة...). وهي معطيات يوفّرها عادة التعليق المرافق، وتكون أحيانا ضرورية لفهم الأثر.

النوع: صورة شخصية، رسم، أشياء غير حيّة nature morte، مشهد طبيعي، صورة رمزية (تمثيل فكرة الحرية أو الجمهورية في شكل امرأة)، مشهد ديني، مشهد أسطوري، مشهد لحدث تاريخي، مشهد من الحياة اليومية، تمثيل العادات والتقاليد الشعبية...

موضوع اللوحة: يُحدّد من خلال ملاحظة المكان والشخصيات والأشياء الممثّلة على اللوحة.

الظرفية التاريخية والثقافية والفنية التي أنجزت فيها اللوحة.

2 – تحليل الأسلوب الفنّي المعتمد:

لدراسة الطريقة المعتمدة في إنجاز اللوحة ينبغي تحديد:

التقنية المستعملة: رسم بالقلم الجاف، رسم فحمي، رسم مائي، رسم زيتي، نقش أو حفر...

المواد المستعملة : الخشب، القماش، الجدران...

مكونات اللوحة: ينبغي تمييز مختلف أبعاد (أجزاء) اللوحة باعتماد المنظور ووصف ما هو ممثّل ثمّ إبراز الهندسة الخفيّة للوحة أي الخطوط الكبرى الموجّهة (العمودية والأفقية والمائلة) التي تنظّم وتربط بين مختلف مكوّنات اللوحة. كما ينبغي دراسة موقع الشخصيات والأشياء وأشكالها ووضعياتها (هيئاتها). ويمكن في النهاية رصد محاولات البحث عن التوازن أو الحركة التي توحي بها مكونات اللوحة وكذلك أنواع الأشكال الهندسية التي تنظّم الأجسام (مستطيل، مربّع، دائرة...).

الألوان: إبراز خاصيات لوحة الألوان أي ضرورة البحث عن الألوان المهيمنة، والنسق اللوني العام (فارق لوني حار يمثّله الأحمر والبرتقالي والأصفر. وفارق لوني بارد يمثّله الأخضر والأزرق والبنفسجي)، وكذلك البحث في استعمال الألوان المتكاملة (الأزرق والبرتقالي، البنفسجي والأصفر، الأحمر والأخضر).

الأضواء: ضرورة البحث في توزيع الأضواء بتحديد مصدرها أو مصادرها وتأثيرها المنتظر والمتمثّل في إبراز شخصيّة أو شيء ما مع تحديد التباينات الناتجة عنها.

3 – تأويل اللّوحة :

من خلال كلّ ما سبق يمكن البحث عن المدلول التاريخي والفني للوحة وعن مقاصد الفنان والرسائل أو الدلالات الإضافية التي أراد تبليغها. كذلك يمكن إبراز ما إذا كانت اللوحة موضوع الدرس مجدّدة أو ممثّلة لتيار فني أو فكري مهيمن خلال فترة ما.

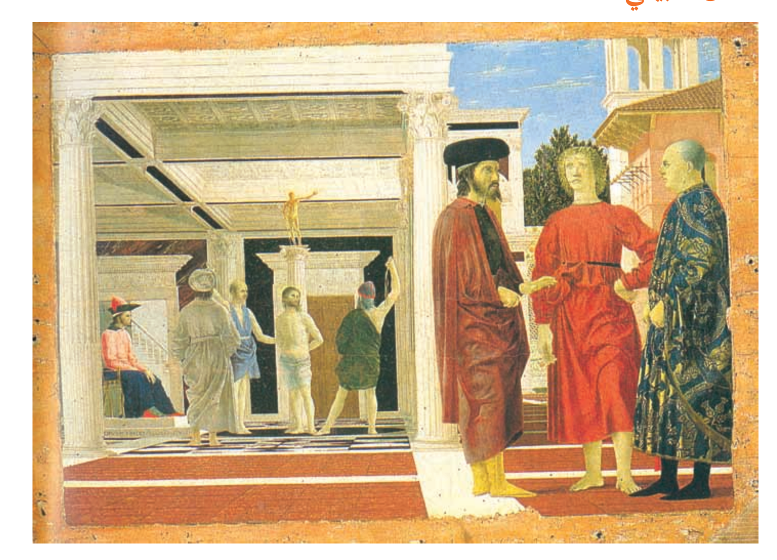
يتطلب تأويل اللوحة الفنية اللجوء إلى تفسير الرموز من جهة واعتماد الحسّ الفني من جهة ثانية لذلك فإنّه لا وجود لتأويل نموذجي بل تعدّ كلّ التأويلات والتفسيرات مقبولة شريطة أن تتوفّر فيها الموضوعية واحترام الدلالات الإيقونية (الأيقنة هي دراسة كل ما يمثّل عهدا أو شخصا شهيرا من رسوم وتماثيل).

4 – الخاتمة :

إبراز أهمية اللوحة من حيث:

– الخصوصيات المميّزة
– موضوعية موقف الفنان الذي تعبّر عنه اللوحة.
– الأهمية التاريخية
– أصداء اللوحة في الأوساط المعاصرة لها.
– مكانتها الحالية في تاريخ الفن...

مثال تطبيقي:



1
بييرو دلا فرنشيسكا Piero della francesca، لوحة جلد المسيح. 1460. خشب، 59x 81,5 صم، رواق الفنون الوطني، أوربينو، إيطاليا.

2
بييرو دلاّ فرنشيسكا (1416 ـ 1492)

"ولد بييرو في (مدينة) بورقو سان سيبولكرو...وسمّي دلاّ فرنشيسكا نسبة إلى أمّه التي ربّته بعد وفاة والده ومكّنته بفضل ثروتها من الوصول إلى مرتبة اجتماعية مهمّة.

درس منذ صغره الرياضيات و لم يهملها حتّى بعد توجّهه إلى الرسم منذ سنّ الخامسة عشرة. ونتيجة ما حقّقه من تقدّم كبير في هذين الاختصاصين تمّت دعوته من قبل...دوق أوربينو...لإنجاز العديد من اللوحات الجميلة...وبذلك ذاع صيته في بلاط هذه المدينة...كما تمّت دعوته لتزويق قاعات قصر دوق فرّاري. ثمّ توجّه إلى روما بطلب من البابا نيكولا الخامس.

لقد بذل "بييرو" في أبحاثه النظرية جهدا كبيرا وقد ركّز على دراسة المنظور..."

فزاري، حياة الفنانين...،1550

3
تفسير اللوحة

حسب رواية تعود إلى أواخر القرن السادس عشر يمثّل المشهد الأمامي للوحة حاكم زأوربينوس الشاب محاطا بمستشاريه بينما يشير المشهد الخلفي الّذي أطلق عليه عنوان جلد المسيح إلى حادثة اغتيال هذا الحاكم عام 1444 أثناء انتفاضة شعبية. لكن النقاد المعاصرين قدّموا قراءة أخرى فاعتبروا أن ما يمثّله المشهد الخلفي ليس مجرّد تخليد لذكرى مأساة عائلة حاكمة محلية بل هو تمثيل للإمبراطور البيزنطي بقبّعته المذبّبة وحذائه الأرجواني وعلى يمينه يظهر السلطان العثماني بزيّه التركي وهو يصدر الأمر بالجلد وفي ذلك رمز إلى الأحداث السياسية التي عرفها العالم في منتصف القرن الخامس عشر والمتمثلة أساسا في سقوط القسطنطينية في أيدي الأتراك سنة 1453 وما نتج عنه من مآسي بالنسبة للكنيسة الأرتودوكسية التي انشقّت عن الفاتيكان لكنها فشلت في الصمود أمام أعداء المسيحية. وفي هذه الحالة يمكن فهم الثالوث الموجود في المشهد الأمامي على أنّه مشروع تحالف بين حكام القوى المسيحية الكبرى للإعداد لحرب صليبية ضدّ الأتراك. لكن هذه التأويلات تبقى قابلة للنقاش ويمكن أن تظهر قراءات أخرى وهذا ما يميّز كلّ عمل فني.

التّعليمة : طبّق منهجيّة قراءة اللّوحة الفنّيّة على لوحة جلد المسيح باعتماد الجدول التّالي :

التقديم	
تحليل الأسلوب الفني	
التأويل	
الخاتمة	

المحور الثّاني

تحوّلات العالم الغربي في القرنين XVII و XVIII



مقدمة:

لقد تواصلت التحولات التي عرفها العالم الغربي منذ القرن السادس عشر و تعمقّت خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر لتشمل كافة الميادين.وكان السّبق لإنقلترا التي شهدت تحوّلات اقتصادية هامّة منذ القرن السابع عشر وقد أسهم المثال الإنقليزي في ظهور فكر التنوير الذي أشّع من فرنسا أساسا على كامل العالم الغربي خلال القرن الثامن عشر ويعتبر فولتير من أبرز رموزه والموسوعة من أهمّ إنجازاته. وكانت الثورة الفرنسية وما نتج عنها من تغييرات تتويجا لفكر التنوير.



كاركاتور للثّورة الفرنسيّة (1789) : شرارة الحريّة تقلب الموازين وتسقط الحكّام المغتصبين.

الدّرس الثّامن : التحولات الاقتصادية في أوروبا : المثال الأنقليزي

الدّرس التاسع : فكر التنوير

الدّرس العاشر : دراسة أثر فنّي من عهد التنوير : الموسوعة

الدّرس الحادي عشر : الثورة الفرنسية و انتصار المبادئ الجديدة



الدّرس 8

التّحوّلات الاقتصاديّة في أوروبا في القرنين السّابع عشر والثّامن عشر : المثال الإنقليزي

المدخل أدرسُ عوامل التحولات الاقتصادية وأبرزَ مظاهرها في إنقلترا خلال القرنين XVII و XVIII لأتبيّن أسبقية هذا القطر الأوروبي الغربي في إرساء اقتصاد عصري وفي تركّز النظام الرأسمالي.

النشاط الأول : أتعرّفُ العوامل المساهمة في التحولات الاقتصادية بإنقلترا.

الموارد :

الوثيقة 1

النموذج الإنقليزي

"... لدراسة نمط الإنتاج الرأسمالي وعلاقات الإنتاج والمبادلات التي تفرزها، فإنّ إنقلترا هي المكان التقليدي لهذا النمط. ولهذا السبب أخذت من هذا البلد الظواهر والأمثلة الأساسية التي اعتمدتها في بلورة أطروحاتي ... فهو البلد الأكثر تطوّرا صناعيا والذي قدّم لبقية البلدان التي اتبعته على المستوى الصناعي صورة لما سيكون عليه مستقبلها ... "

كارل ماركس ، رأس المال ، ج 1 ، ص 4
مقدمة الطبعة الأولى 1867
نشر غاليمار، باريس، 1977

الوثيقة 2

مقتطفات من لائحة "إعلان الحقوق" 1689

– الفصل الأول : ليس من حقّ الملك إلغاء القوانين أو تعطيلها بدون موافقة البرلمان.
– الفصل الثاني : من حقّ الرعايا رفع الشكاوي إلى الملك . ويعتبر غير قانوني سجنهم أو تتبعهم لأجل ذلك.
– الفصل الرابع : جمع الضرائب لفائدة العرش و بدون مصادقة البرلمان يعتبر غير شرعي.
– الفصل الثامن : يجب أن تكون الانتخابات لعضوية البرلمان حرّة.
– الفصل التاسع : كلّ الخطب أو المداخلات أثناء جلسات البرلمان لا تعرّض أصحابها إلى أيّ تتبع .

وردت بكتاب نووال لوفيني ، تاريخ 1500 – 1848، ص 268
نشر المركز البيداغوجي الفرنسي،1961

الوثيقة 3

حرّية التجارة

" ... طيلة القرن الماضي، كان الاعتقاد بأنّ التحكم في تجارة دولة ما يتحقق بإقرار حواجز مطلقة وغير معقولة، و هذا خطأ كبير ...

فالحرية الطبيعية هي التي تنتج ما نبحث عنه .

فهل ندرك بأننا بمنع السلع الأجنبية نقوم بدفع الأجانب إلى عدم شراء سلعنا !

أدام سميث، بحوث حول مصدر ثروة الأمم وأسبابها، 1776

نشر فلاماريون، باريس، 1991

الوثيقة 4

البند الرابع من معاهدة باريس[1] 1763

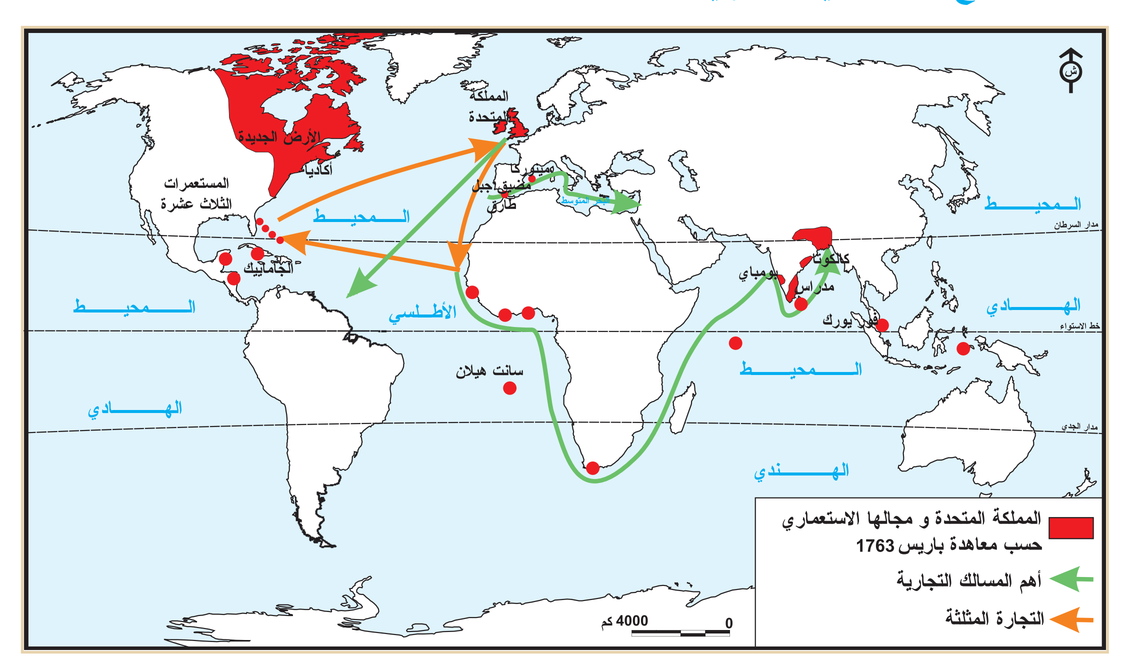
يتعهد ملك فرنسا بالكفّ عن إدّعائه امتلاك أكاديا[2] بكلّ أجزائها و يسلمها بأكملها إلى ملك بريطانيا العظمى بالإضافة إلى ذلك يتعهد جلالة ملك فرنسا بالتخلي عن كندا وكلّ ما يتبعها وكذلك جزيرة الرأس البروطوني (Cap Breton) وكلّ الجزر الأخرى والسواحل الواقعة في خليج نهر سان لوران.

وردت بنشرية جامعة كامبريدج ، 1962 ص 112

[1] معاهدة باريس : وقعت في 10 فيفري 1763 بين إنقلترا وفرنسا وإسبانيا والبرتغال.

[2] أكاديا : المنطقة الممتدة عل الساحل الجنوبي الأطلسي لكندا.

الوثيقة 5 : التّوسّع الاستعماري الإنڤليزي ومسالك التّجارة البعيدة

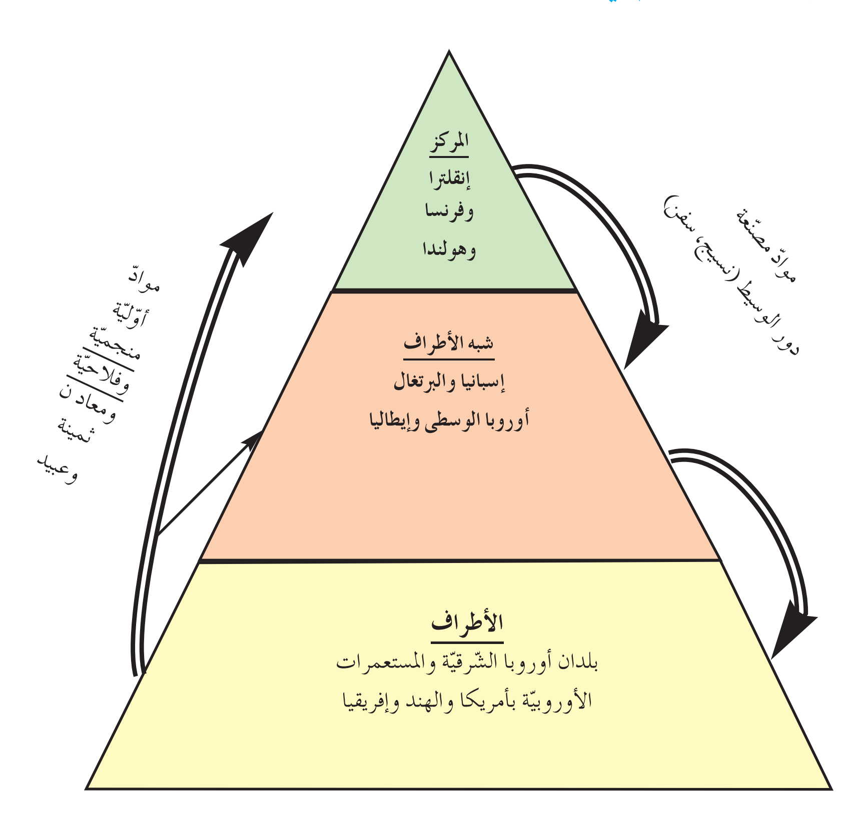


الوثيقة 6 : تطوّر عدد السّكّان (مليون نسمة)

السّنة	1700	1750
إنقلترا	5	7.3
أوروبا	120	140

"مصادر مختلفة"

الوثيقة 7 : رسم لنظام الاقتصاد – عالم في أواخر القرن XVII



معطيات مكمّلة

المركنتيلية

المركنتيلية مصطلح من أصل إيطالي (ماركنتي وتعني التاجر الثري)، وتمثل مذهبا اقتصاديا طبّق منذ أواخر القرن XVI بتدخل الدولة و إشرافها، فالمركنتيلية تكتسي صبغة قومية وتعتمد على مبدأين أساسين :

– ربط قوة الدولة بثروتها : تتجسد الثروة في رصيد الدولة من الذهب والفضة.

– تطبيق القومية الاقتصادية لتنمية الثروة : تتخذ الدولة سياسة حمائية للحد من الواردات وتشجع على تكثيف الإنتاج وتحسين جودته لدفع التصدير، كما تقوم الدولة بفتح أسواق جديدة بالتوسع الاستعماري وبدعم نشاط الشركات الاحتكارية .

التعليمة

– بيّنْ العوامل التي ساعدت على تحقيق التحولات الاقتصادية بإنقلترا.



النشاط الثاني : أحدّد التّطوّرات الّتي شهدها القطاع الفلاحي بإنقلترا.

الموارد :

الوثيقة 8

حركة التّسييج

"..ليس من النادر أن نرى أربعة أو خمسة من مربي الماشية الأثرياء يستولون على منطقة بأكملها،كانت حتى عهد قريب مقسّمة بين ثلاثين أو أربعين مزارعا، وعدد مماثل لهم من صغار المكترين أو الملاّكين : لقد وجد هؤلاء أنفسهم ودفعة واحدة خارج أراضيهم، ممّا أثّر في نفس الوقت على عدد من العائلات الّتي كانت مرتبطة بصورة أساسيّة بهم في عملها وقوّتها، أي عائلات الحدّادين والنّجّارين وبقيّة الحرفيّين، زيادة على أجراء وخدم الضّيّعات...

أدينغتون*، بحث ميداني حول حركة التّسييج، 1776

* أنطوان أدينغتون : طبيب إنقليزي عاش بين 1713 و 1790.

الوثيقة 9 : تطوّر حركة التّسييج

الفترة	عدد قرارات التسييج	المساحة المسيّجة (آكر *)
1760 - 1727	56	74518
1792 - 1761	339	478259

فليس دين ، تطوّر الاقتصاد الإنقليزي
"نشرية جامعة كمبريدج " ص 272

* آكر (Acre) : وحدة قيس مساحة وتساوي 40.47 آر.

الوثيقة 10

ضيعة بنورفولك(Norfolk) في جنوب شرقي إنقلترا

"هذه الضيعة شاسعة جدّا و تقدّر مدا خيلها السنوية بـ 1600 جنيه إسترليني .
وتشغل الضيعة ثلاثين عاملا قارا، وفي فترة الحصاد التي تدوم خمسة أسابيع يرتفع العدد إلى ستين عاملا.
وتستعمل الضيعة سبعون حصانا.

المركيز دي لا روشفوكو ، خواطر حول إنقلترا، 1784
أوردها فرنسوا بيرو، النظرية العامة للتطور الاقتصادي، باريس 1957

الوثيقة 11

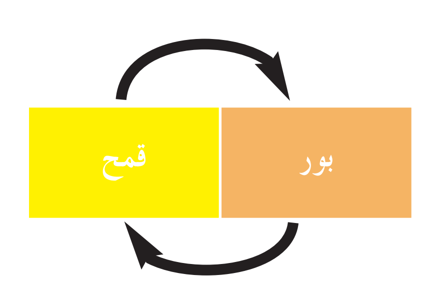
الدّورة الزّراعيّة الرّباعيّة وتربية الماشية

" ... إنّ الأرض لا تستريح أبدا، إذ أنها مقسمة إلى أربعة أجزاء تتعاقب فيها أربعة زراعات متتالية في دورة تدوم أربعة سنوات : اللفت، الشعير مع الفصة، الفصة والقمح ... وتوجد بالضيعة 2000 شاة تغذّى في فصل الشتاء بالفصة و اللفت.ويتمّ سنويا تسمين 520 شاة و30 ثورا بتغذيتها باستمرار باللفت والأعلاف المتنوّعة ... "

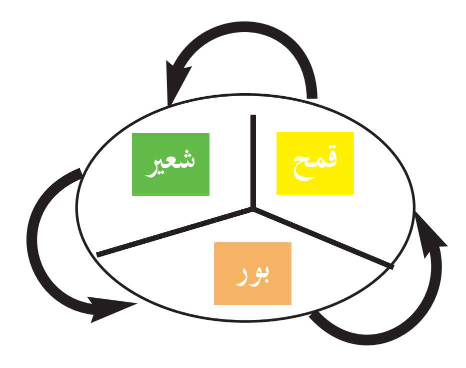
المركيز دي لا روشفوكو، خواطر حول إنقلترا،1784
أوردها فرنسوا بيرو، النظرية العامة للتطور الاقتصادي، باريس 1957

الوثيقة 12 رسوم بيانيّة للدورات الزراعية*

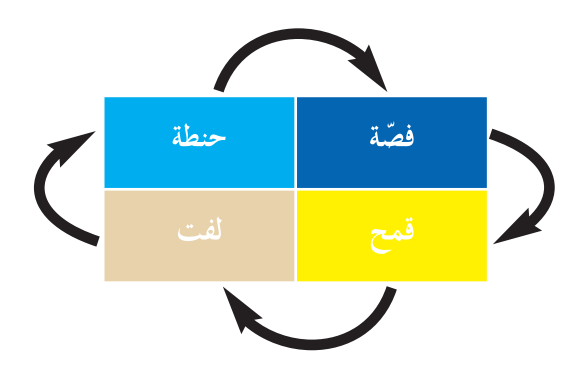




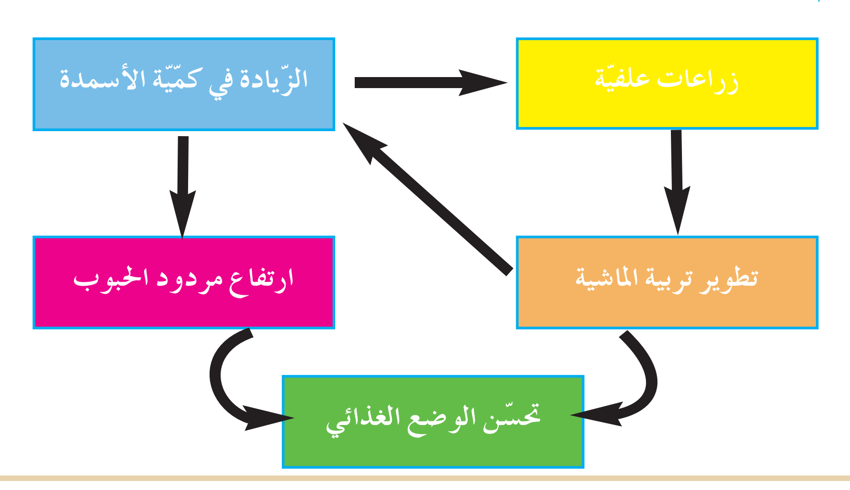
2- الدورة الزراعية الثلاثية
(عدم استغلال 1/3 مساحة الأرض)



3- الدورة الزراعية الرّباعيّة
(استغلال كامل المساحة)



الوثيقة 13 :رسم حول فوائد الزّراعات العلفيّة



التعليمات

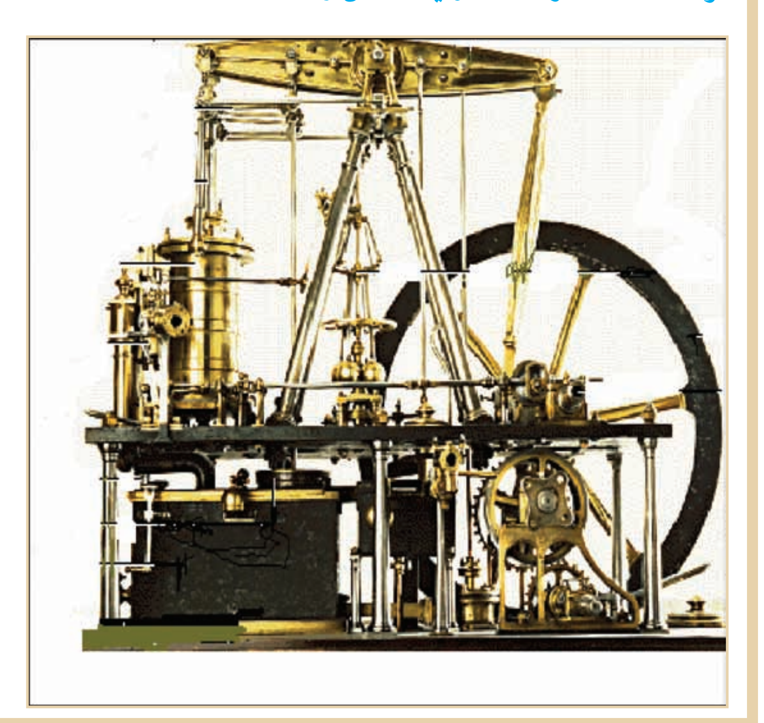
– أبرز التحولات العقارية التي عرفتها الفلاحة الإنقليزية.
– بين تطوّر وسائل وطرق الاستغلال وحدّد نتائجها.



النشاط الثالث : أتعرّفُ بوادر الثورة الصناعية بإنقلترا.

الموارد :

الوثيقة 14 : المحرّك البخاري لجيمس واط



معطيات مكمّلة

جامس واط (James Watt) (1736 - 1819) مهندس و ميكانيكي اسكتلندي عمل كمشرف على صيانة المعدّات الفيزيائية بجامعة غلاسغو، طوّر في سنة 1764 المضخة البخارية التي اخترعها طوماس نيوكومن، وفي سنة 1769 تحصل على براءة اختراع آلة بخارية أقلّ استهلاكا للفحم و قابلة للاستعمال في عدّة مجالات.

الوثيقة 15 : تطوّر استهلاك الصوف والقطن في الصناعة الإنقليزية (مليون رطل إنقليزي*)

السنة	الصوف الخام	القطن الخام
1695	40	1
1741	57	2
1772	85	3
1799	98	50

بول بيروك ، الثورة الصناعية والتخلف، ص 234

* رطل إنقليزي = 453,5 غرام

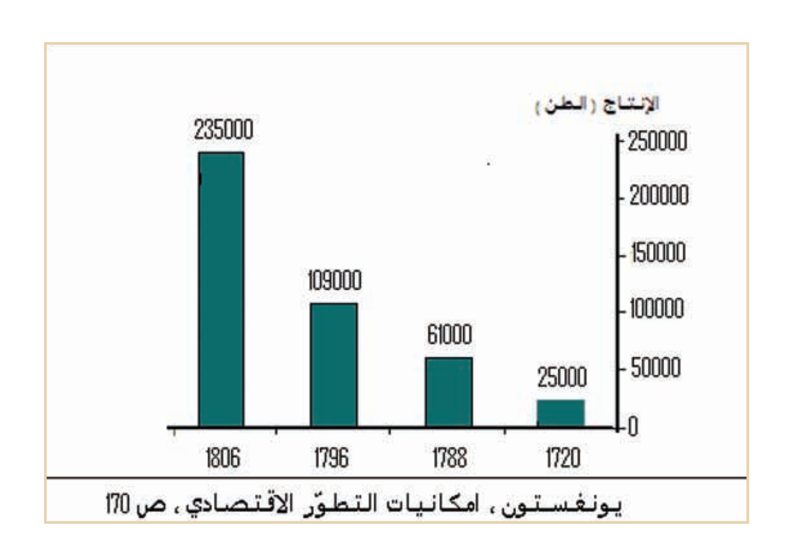
الوثيقة 16

تطوّر صناعة الصلب

" ... استأجر صهري **أبراهام داربي** معملا لتذويب الحديد لا يحتوي إلاّ على فرن عال قديم يشتغل بالفحم الخشبي، حيث لم يكن الفحم الحجري مستعملا آنذاك. وبعد فترة من الزمن رأى أنه قد يكون من المفيد أكثر استعمال الفحم الحجري في الفرن، لكن النتيجة كانت دون المنتظر. غير أنّ ذلك لم يثنه عن عزمه فقام بحرق الفحم الحجري فكانت النتيجة إيجابية. وسرعان ما راج الاكتشاف وأُستعمل على نطاق واسع.

ورد بكتاب ميشال دنيس، القرن الثامن عشر ، ص 52

الوثيقة 17 : تطوّر إنتاج الصّلب بإنقلترا



يونغستون ، امكانيات التطوّر الاقتصادي ، ص 170

الوثيقة 18 : تطوّر إنتاج الفحم الحجري بإنقلترا

السّنة	الإنتاج (مليون طن)
1780	2,5
1789	10

فليس دين، تطوّر الاقتصاد الإنقليزي. ورد بنشرية جامعة كامبريدج، 1962 ص 272

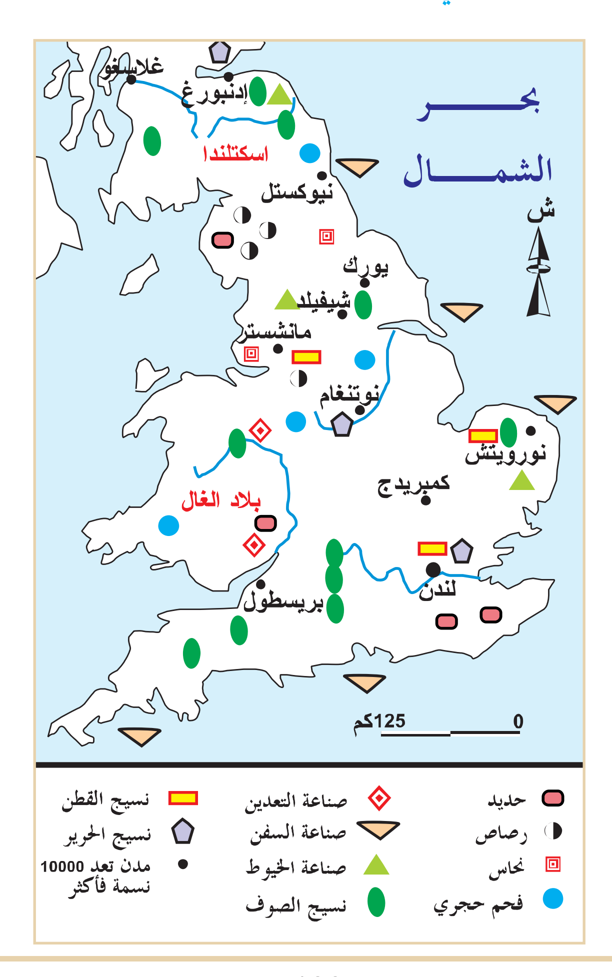
الوثيقة 19

وصف السيد ماي (May) المندوب الروسي بإنقلترا
لمدينة مانشستر سنة 1792

" ... تعدّ مدينة مانشستر مئات المعامل ذات الخمسة أو الستة طوابق. وعلى جانب كلّ معمل ترتفع مدخنة كبيرة يتدفق منها الدخان مما يدلّ على وجود محرّكات بخارية قوية.
ويكوّن الدخان الذي يتصاعد من المداخن سحابا كثيفا يمكن مشاهدته قبل الوصول إلى المدينة بعدّة كيلومترات. و قد أصبحت المنازل سوداء، كما أنّ مياه النهر الذي بنيت على ضفافه مانشستر تبدو وكأنها محملة بالأصباغ فلونها يشبه حوض الصباغة ... "

ورد بكتاب ميشال دنيس ، القرن الثامن عشر، ص 64

الوثيقة 20 : خريطة الصّناعة الإنقليزيّة في القرن الثامن عشر



الوثيقة 21 : تطورّر الأسطول التّجاري الإنقليزي

السنة	عدد السفن
1702	3300
1764	8100
1776	9400

ميشال دنيس، القرن الثامن عشر، ص 34

التعليمة

حدّد بوادر التّصنيع بإنقلترا.

المقدمة : 1

تعتبر إنقلترا رغم تواضع مساهمتها في حركتي الاكتشافات الكبرى والنهضة من أبرزالأقطار الأوروبية المستفيدة من نتائجها، فقد تمكنت خلال القرن XVII من التفوّق علي بقية أقطار أوروبا الغربية في مجالات استراتيجية كسيطرتها على التجارة البعيدة وتكوينها لإمبراطورية استعمارية شاسعة، و هذا ما ساعدها على أخذ الأسبقية وتحقيق خلال القرن XVIII تحولات اقتصادية هامة.

I - العوامل المساهمة في تحقيق التحولات :

استفادت إنقلترا خلال القرن السابع عشر من عوامل مختلفة ومتفاعلة مهدت لتحولات اقتصادية هامة في القرن الثامن عشر.

1 - العوامل السياسية والفكرية : الوثائق 2 - 3

- الاستقرار السياسي وتكريس الحكم الملكي النّير :

تميز الوضع السياسي الإنقليزي في أغلب ردهات القرن XVII بالحكم الملكي المطلق وبالصراعات السياسية و الدينية، لكن بإصدار البرلمان الإنقليزي "لائحة الحقوق " في فيفري 1689، والتي حدّت من سلطات الملك وأقرّت بعض الحرّيات تكرّس الحكم الملكي النّير.

ولقد جسدت هذه التحولات السياسية الدّور الفاعل للطبقة الرأسمالية الصاعدة والمتفاعلة مع الفكر التحرّري.

- انتشار الأفكار الاقتصادية الجديدة :

راجت منذ مطلع القرن XVIII الأفكار المطالبة برفع القيود على الحركة الاقتصادية بالحدّ من تدخل الدولة ومن هيمنة التجمعات الحرفية، وبتشجيع الإنتاج وحرّية ترويجه. كما دعا الفيزيوقراطيون إلى الاعتناء بالأرض باعتبارها مصدرا أساسيا للثروة.

لقد ساهمت هذه الأفكار في بروز عقلية جديدة لدى الأرستقراطية ولدى رجال الأعمال الذين اتجهوا إلى الاستثمار في الفلاحة والصناعة بهدف تحقيق الأرباح.

2 - تزايد الطلب والتوسع الاستعماري : الوثائق 4 - 5 - 6

- تزايد الطلب و اتساع آفاق الترويج :

ارتفع منذ بداية القرن XVIII نسق النمو الديمغرافي ، فقدّرت الزيادة في عدد السكان بإنقلترا بنسبة 50 ٪ بين 1700 و1750. و في نفس الفترة مرّ عدد سكان أوروبا من 120 إلى 140 مليون نسمة، و لذلك تكثف الطلب على المواد الفلاحية و على المصنوعات و خاصة منها النسيجية.

كما فتح التوسع التجاري الاستعماري آفاقا جديدة للتصدير، ولذلك أصبح من الضروري تطوير الفلاحة والصناعة لتلبية الحاجيات المتزايدة.

– تكوين إمبراطورية استعمارية :

نجحت إنقلترا خلال القرن XVII في بناء أسطول بحري تجاري و حربي ضخم وظّفته للسيطرة علي المراكز الإستراتيجية وعلى المسالك التجارية و على أراضي المستعمرات الغنية . فقد دخلت في تنافس ومواجهات مع بقية القوى الأوروبية وخاصة هولندا اسبانيا و فرنسا بهدف توسيع مجال نفوذها الاستعماري.

فقد شملت هيمنتها في القرن XVII الساحل الشمالي الشرقي الأمريكي بإنشاء 13 مستعمرة كما انتزعت الجماييك من اسبانيا و تركزت ببومباي (1662) و كلكوتا (1698) في الهند .

و استغلت خلال القرن XVIII انشغال بقية القوى الأوروبية المنافسة بالأحداث القارية التي ساهمت في إثارتها لدعم نفوذها الاستعماري، فكانت أبرز مستفيد من معاهدة " أوتراخت"(Utrecht) الموقعة بهولندا سنة 1713 ، إذ انتزعت من اسبانيا جبل طارق و جزيرة مينوركا بالمتوسط ، و تحصّلت على حقّ احتكار تجارة العبيد مع كلّ المستعمرات الأوروبية بالقارة الأمريكية لمدّة 30 سنة (سيطرتها على التجارة المثلثة) كما قلصت النفوذ الفرنسي بكندا، فطبقا لمعاهدة باريس لسنة 1763 كرّست إنقلترا هيمنتها على أمريكا الشمالية.

إنّ تكوين إمبراطورية استعمارية شاسعة فتح آفاقا جديدة أمام الاقتصاد الإنقليزي .

3 – الهيمنة الإنقليزية في نظام "الاقتصاد – العالم": الوثائق 4 - 5 - 7

أفرزت الاكتشافات الجغرافية الكبرى تحولات اقتصادية جذرية في جزء هام من العالم، فمنذ بداية القرن XVI بدأ نظام "الاقتصاد – العالم " يتبلور وقد ربط أوروبا ومستعمراتها الأمريكية وعديد المواقع على سواحل إفريقيا و الشرق الأقصى بعلاقات تبادل غير متكافئة. وتميز هذا النظام ببنية هرمية تعكس التقسيم العالمي للعمل بين أقطار المركز (إنقلترا وفرنسا وهولندا) المحتكرة للتجارة البعيدة وترويج المصنوعات، وشبه الأطراف (إسبانيا والبرتغال وأوروبا الوسطى وإيطاليا) التي تلعب دور الوسيط، وأخيرا الأطراف (أوروبا الشرقية والمستعمرات الأوروبية بأمريكا والهند وإفريقيا) والتي توفّر المواد المنجمية وخاصة الذهب والفضة والمواد الفلاحية كالقطن، كما كانت إفريقيا توفّر العبيد كطاقة عاملة.

وخلال القرنين XVII و XVIII شهدت هيكلة نظام "الاقتصاد – العالم " تحولا تدريجيا، بارتباط مع تغير موازين القوى السياسية والعسكرية والاقتصادية والاستعمارية لصالح إنقلترا التي استفادت من العوامل التالية :

- نجاحها في تطبيق السياسة المركنتيلية منذ مطلع القرن XVII .
- سيطرتها على التجارة البعيدة خاصة إثر إصدار " قانون الملاحة " في سنة 1651 الذي نصّ على احتكار السفن الانقليزية للتجارة بين المستعمرات والمواني الإنقليزية .
- النمو السريع لأسطولها التجاري والحربي وسيطرتها على البحار والمحيطات .
- توسّعها الاستعماري .
- حركية الطبقة الرأسمالية التجارية الإنقليزية المتكونة من كبار التجار ومجهزي السفن والصناعيين الذين سعوا إلى تنمية ثرواتهم.

بفضل هذه العوامل تمكنت إنقلترا من إضعاف القوّة الهولندية ومن القضاء على دور الوساطة الذي كانت تلعبه شبه الأطراف وخاصة البرتغال وإسبانيا، كما حدّت من الدور الفرنسي. وبالتالي هيمنت على نظام "الاقتصاد – العالم "، وأصبحت خلال القرن XVIII أهم مستقطب للمعادن الثمينة التي ستساعد على تحقيق تحولات اقتصادية بارزة شملت الفلاحة ثمّ الصناعة.

II - التحولات الفلاحية :

كانت الفلاحة تمثل النشاط الأساسي لأغلبية السكان بإنقلترا، وتتميز بطابعها العتيق ومردودها الضعيف ، ومع مطلع القرن XVIII انطلقت "ثورة فلاحية" غيرت المشهد الريفي الإنقليزي بتحوّل الهياكل العقارية وتجديد تقنيات الاستغلال وطرقه.

1 - تركز الضيعات الرأسمالية الكبرى : الوثائق 8 - 9 - 10

كانت الأراضي الفلاحية ملكا لفئتين : فئة النبلاء المحتكرة لملكيات شاسعة مستغلة بطريقة مباشرة أو مقسمة إلى قطع صغرى يتصرّف فيها الفلاّحون الفقراء على وجه الكراء، ثمّ فئة صغار الفلاّحين الذين يستغلون أراضيهم في إطار اقتصاد معاشي.

كما كانت مساحات شاسعة من "الريف المفتوح" أراض مشاعة تستغل بصفة جماعية كمراعي أو تغمرها المستنقعات .

لكن في بداية القرن XVIII اهتم النبلاء أكثر بأراضيهم بهدف تنمية مداخيلهم والمحافظة على مكانتهم الاجتماعية خاصة وأنّ الطبقة الرأسمالية التجارية بدأت تستثمر في القطاع الفلاحي .

وأدى هذا التحول إلى ارتفاع قيمة الأرض وحدوث نزاعات فرضت تدخل الدولة التي أصدرت قوانين تقضي بوجوب تثبيت الملكيات العقارية، وأمام عجز صغار الفلاّحين على تقديم الوثائق المطلوبة تحوّلت أراضيهم بالانتزاع أو بالتفويت لفائدة النبلاء و الرأسماليين ، فتهيكلت الضيعات الكبرى في ظرفية نشطت فيها حركة تسييج الملكيات حسب قرارات يصدرها البرلمان، فبين 1761 1792 بلغ عدد ها 339 قرارا سمحت بتسييج 478259 آكر (الآكر = 40,47 آر).

لقد أفضت هذه التحولات إلى هيمنة الضيعات الرأسمالية الشاسعة المسيجة و المعتمدة على يد عاملة أجيرة وعلى أساليب استغلال جديدة، وإلى بروز مشهد جديد يتمثل في "الريف المغلق" .

2 - تطوّر تقنيات و طرق الاستغلال : الوثائق 11 - 12 - 13

اتجه الفلاّحون الأثرياء إلى استعمال الوسائل والطرق الكفيلة بالزيادة في الإنتاج والتقليص من كلفته لكسب أكثر ما يمكن من الأرباح، وهذا السعي مكن من تحقيق "ثورة فلاحية" تتجلى مظاهرها في :

– استعمال تقنيات جديدة تتمثل في تعويض المحراث الخشبي بالمحراث الحديدي، واختراع جترو تول (Jethro Tull) لمبذر ميكانيكي ولآلة جارفة متعدّدة الأسنان تستعمل في تمشيط و بسط الأراضي الفلاحية.

– استصلاح الأراضي وتجفيف المستنقعات بطرق جديدة مما سمح بتوسيع المساحات الصالحة للاستغلال.

– التخلي عن الدورات الزراعية الثنائية والثلاثية المرتكزتين على البور أي إراحة جزء من الأرض لقلة الأسمدة، واعتماد الدورة الزراعية الرباعية التي تتداول فيها الحبوب (القمح والشعير) والزراعات العلفية (الفصة واللفت والحنطة) والبقول.

– تكثيف تربية الماشية إذ مكن انتشار الزراعات العلفية من تنمية الثروة الحيوانية وتوفير الأسمدة الطبيعية لتخصيب الأرض، كما تمّ تحسين سلالات الأغنام والأبقار .

3 – ارتفاع المردود و الإنتاج : الوثيقة 13

مكنت التحولات الهيكلية والتقنية من الترفيع في المردود النباتي وخاصة الحيواني فبين 1710 و1795 وبوحدة الرطل الإنقليزي (الرطل = 453,5 غرام) ارتفع معدل وزن العجل من 350 إلى 800 رطل و معدل وزن الشاة من 38 إلى 80 رطل. و إجماليا سجل الإنتاج الفلاحي الإنقليزي خلال القرن XVIII ارتفاعا قدّرت نسبته السنوية بـ 0,4 ٪ . وتزامنا مع هذا التطوّر الداخلي عمل المعمرون الإنقليز في المستعمرات على مسايرة حاجيات السوق الإنقليزية بنشر الزراعات التجارية كالقطن والقصب السكري والتبغ.
لقد تحولت الفلاحة الإنقليزية من فلاحة معاشية إلى فلاحة تسويقية يحتكرها كبار الملاّكين الذين حققوا أرباحا طائلة وظفت في تطوير الصناعة .

III – بوادر حركة التّصنيع :

مكن تراكم رؤوس الأموال المتأتية من أرباح التجارة البعيدة و الفلاحة من بعث مؤسسات مالية ومن أهمها "بنك إنقلترا" سنة 1694، "بورصة لندن" سنة 1698 و"بنك لندن" سنة 1707 وهذه المؤسسات لعبت دورا هاما في انطلاقة التصنيع بتشجيع المبادرات الفردية وتمويل المشاريع و تأسيس شركات المساهمة المختصة.

1 – أهمية التحولات التقنية : الوثائق 14 ـ 15 ـ 16

حافظ النشاط الصناعي حتى منتصف القرن XVIII على طابعه الحرفي ، ثمّ و نتيجة للاختراعات التقنية المتعاقبة انتشرت تدريجيا التألية و شملت مجالات مختلفة :
– استغلال الطاقة البخارية : كانت الطاقة معتمدة على مصادر طبيعية (الرياح والمياه الجارية) أو العضلية (الحيوان والإنسان)، لكن منذ أواخر القرن XVIII تعدّدت محاولات استغلال الطاقة البخارية فالإنقليزي نيوكومن (Newcomen) اخترع سنة 1705 محركابخاريا أستغلّ في استخراج الفحم الحجري ، وفي سنة 1769 توصل الاسكتلندي جيمس واط (James Watt) إلى اختراع محرك بخاري متعدّد الاستعمالات و يولد طاقة محرّكة هائلة، وانتشر استعمال هذا المحرك بداية من 1785 في ضخّ المياه من المناجم وفي المصانع والمطاحن.
– تألية صناعة النسيج : أخذت هذه الصناعة الأسبقية في التحول من الطور اليدوي إلى الطور الآلي بفضل الاختراعات المتعاقبة للفنيين الإنقليز في الغزل والنسيج ، ففي سنة 1733 اخترع جون كاي (John Key) "المكوك الطائر " و هو دولب خشبي زاد في سرعة حركة الخيوط بين طرفي النول ومكن من نسج أقمشة أكثر عرْضا.
ولتحقيق التوازن بين مرحلتي الغزل والنسيج اخترع هارغريفيس(Hargreaves) سنة1765 جهاز " جيني " الذي مكن من غزل عدّة خيوط في نفس الوقت والرفع في المردود 120 مرّة، وفي سنة 1779 اخترع كرومبتون (Crompton) آلة جديدة قادرة على غزل400 خيط دقيق ومتين في نفس الوقت فتفوقت طاقة الغزل طاقة النسيج حتى اختراع " النول الآلي " المعتمد على المحرك البخاري من طرف كارترايت (Cartwright) سنة 1785.
– تطوّر صناعة التعدين : تزايد الطلب على الحديد لتكثف استعماله في صنع الأدوات الفلاحية و آلات النسيج، وهذا ما دفع لتطوير طرق التعدين باللجوء إلى تعويض الفحم الخشبي بالفحم الحجري. ولكن بقي الصلب المصنوع سريع الانكسار لاحتوائه على كمية مرتفعة من مادة الكربون إلى أن توصل أبراهام داربي (Abraham Darby)حوالي سنة 1734 إلى صنع الفولاذ في أفران عالية باستعمال الكوك أي الفحم الحجري المصفى من جزء هام من الكربون . ونجح هنري كورت (Henry cort) سنة 1784 في الفصل بين الحديد و الفحم أثناء عملية الصهر وتحصل على قضبان أكثر صلابة و أقل كلفة.

2 – ارتفاع الإنتاج والتحوّل التنظيمي للصناعة : الوثائق 17 - 18 - 19 - 20

– تنوّع وارتفاع الإنتاج : شهدت الصناعة الإنقليزية خلال القرنXVIII تنوعا في الأنشطة فإلى جانب الصناعات الغذائية كتحويل السكر والمطاحن نشطت الصناعات الإستراتيجية كالتعدين والسفن والنسيج والصناعات الميكانيكية .

كما حقق الإنتاج الصناعي نموا سريعا ففي الصناعة النسيجية و بين 1695 و 1799 ارتفع إنتاج الصوف من 22000 طن إلى 54000 طن، والقطن من 500 طن إلى 25000 طن، وتطوّر مؤشر صناعة السفن من 100 سنة 1700 إلى 3000 سنة 1789، وبالنسبة للتعدين تضاعف إنتاج الصلب بأربع مرّات بين 1720 - 1769.

وبانتشار استعمال المحرك البخاري و الأفران العالية سجل إنتاج الفحم الحجري ارتفاعا هائلا من 2,5 مليون طن سنة 1780 إلى 10 مليون طن سنة 1789.

إنّ تنامي الإنتاج يرتبط بالتقنيات الجديدة وكذلك بتغير الهياكل التنظيمية للصناعة .

– بروز المصانع الكبرى : كان النشاط الحرفي ذا صبغة عائلية داخل المنازل أوفي الو رشات الصغرى، وباستعمال الآلات الجديدة برزت المانفكتورات أي المعامل الصغرى ثمّ شيدت المصانع الكبرى ذات الطوابق والمعتمدة على المحركات البخارية وعلى عدد كبير من العمال، وهذه المصانع تركزت قرب مناجم الفحم حيث برزت مدن صناعية مثل مانشستر وشيفيلد و ليفربول.

3 – تطوّر المواصلات : الوثائق 20 - 21

فرضت ضرورة توفير حاجيات الصناعة من المواد الأولية وترويج الإنتاج المتنوع والمتزايد وتسهيل حركة السكان تطوير شبكات النقل في ظرفية توحدت فيها السوق الداخلية بإلغاء الحقوق الجمركية و حقوق المرور، وتكونت سوق وطنية تتحرّك فيها بحرّية رؤوس الأموال واليد العاملة والمنتجات، وأصبحت فيها السوق الخارجية أساسية لجلب المواد الأولية كالقطن و لترويج المنتجات الإنقليزية المتنوعة.

لقد استفادت وسائل النقل من التطور التقني فصنعت عربات أكثر متانة و سرعة، و شيدت شبكة هامة من الطرقات الصلبة (قوالب صخرية و رمل)، و في سنة 1759 تم حفر أول قناة لربط مدينة مانشستر بمناجم الفحم و في أواخر القرن XVIII أصبحت القنوات تمتد على 2500 كلم، و في سنة 1779 شيد أول جسر حديدي على نهر سيفرن. ويبقى النقل البحري أبرز مستفيد إذ تضخم الأسطول التجاري فمرّ عدد السفن من 3300 سنة 1702 إلى 9400 سنة 1776، كما تعدّدت الموانى النشيطة مثل لندن و ليفربول و بريسطول.

الخاتمة :

كانت إنقلترا أبرز مستفيد من نظام " الاقتصاد – العالم " ومن الصراعات التي ميزت القرن XVII ، ولذلك أخذت خلال القرن XVIII الأسبقية في تحقيق تطورات اقتصادية هامة غيرت جذريا ملامح المجتمع الإنقليزي، وساهمت في دعم قوتها الاستعمارية وسيطرتها على البحار والمحيطات على حساب بقية القوى الأوروبية كفرنسا وبلجيكيا وهولندا التي ستسعى بطرق مختلفة إلى مسايرتها والحدّ من هيمنتها في ظرفية نشطت فيها حركة فكرية تحرّرية مطالبة بالتغيير في كلّ المجالات.



المدخل

"لم يطمح فكر التنوير خلال القرن الثامن عشر إلى تفسير العالم فحسب، بل طمح أيضا إلى تغييره"
أ. كوري A.Koyré ، محاضرة حول كوندورصي، في دراسات تاريخ الفكر الفلسفي، 1971، قاليمار، ص107

أدرس فكر التّنوير لأتبيّن أسسه ودوره في التأسيس للتحوّلات التي شهدتها أوروبا في الميادين السياسية والاجتماعية والاقتصادية.

النشاط الأول : أتعرّف الأسس الّتي قام عليها فكر التّنوير وأحدّد مفهومه.

الموارد

الوثيقة 1

الاعتماد على العقل

"...العقل هو أعدل الأشياء توزّعاً بين الناس، لأن كل فرد يعتقد أنه قد أوتي منه الكفاية...وهكذا، فإن اختلاف آرائنا لا ينشأ عن كون بعضنا أعقل من بعض، بل ينشأ عن كوننا نوجّه أفكارنا في طرق مختلفة ولا نطالع الأشياء ذاتها. إذ لا يكفي أن يكون الفكر جيداً وإنما المهمّ أن يطبّق تطبيقاً حسناً..."
رونيه ديكارت، مقال في المنهج، 1637، ترجمة د. كمال الحاج (إنترنت). WWW.Fikrwanakd, aljabriabed.Com



رونيه ديكارت René Descartes(1596 ـ 1650) : فرنسي الجنسية، هو فيلسوف وعالم في الرياضيات والفيزياء والمورائيات.أشهر مؤلفاته: مقال في المنهج (1637)، تأملات ميتافيزيقية (1641). زار العديد من البلدان الأوروبية. توفي في السويد سنة 1650. يعدّ ديكارت من أبرز رواد فكر التنوير.

الوثيقة 2

دور العقل

"...هذا الفكر المعمّق والمعتمد على العقل والذي نشره كثير من المفكّرين في كتاباتهم وفي مناقشاتهم ساهم كثيرا في تثقيف الأمّة وتهذيبها فقد قضى نقدهم على كل الأفكار المسبقة التي كانت تعفّن المجتمع مثل تكهّنات المنجّمين وتنبّؤات السّحرة ومختلف أنواع الشعوذة والمعجزات والأعاجيب المزيّفة والعادات المبنية على خرافات باطلة."

فولتير، الموسوعة: "l'Encyclopedie" ص 73



فولتير Voltaire (1694 ـ 1778) ينتمي إلى أسرة ثريّة (الطبقة البرجوازية). من أبرز وجوه التنوير. عاش مدّة في إنقلترا. تنقّل في العديد من البلدان الأوروبية. دخل السجن عدّة مرات بسبب أفكاره وصودرت مؤلفاته.

من أبرز مؤلفاته:

- رسالة حول التسامح (1763)
- القاموس الفلسفي (1764)
- عديد المسرحيات والقصص

الوثيقة 3

الحرية حقّ طبيعي

"...الحرية هي أن أفعل ما أشاء في شتى الأمور التي لا ينصّ عليها القانون، وأن لا أكون خاضعا للإرادة الاعتباطية، المتقلّبة، غير المعروفة وغير الثّابتة، لأي إنسان آخر. تماما مثل حرية الطبيعة التي لا تخضع لأي قيد سوى قانون الطبيعية. هذه الحرية من السلطة المطلقة والاعتباطية ضرورية ووثيقة الصّلة ببقاء الفرد، وإلى درجة أنّه لا يستطيع التخلي عنها دون أن يسقط حقّه في البقاء والحياة معا..."

جون لوك، مقالتان عن الحكومة، 1690، ترجمة د. سعيد زيداني، (إنترنت) /http/home birzeit.edu



جون لوك John locke(1632 ـ 1704)، فيلسوف ومفكّر سياسي إنجليزي، كتب عن التّسامح وعن أنظمة الحكم، أشهر كتاباته : مقالتان عن الحكومة (1690).

الوثيقة 4

أهمّيّة الحرّيّة

"... لم يحصل أيّ إنسان من الطبيعة على حقّ التحكّم في الآخرين. فالحرية هي هبة من السماء وكلّ فرد له الحق في أن يتمتّع بها طالما أنّه يتمتّع بالعقل."

ديدرو Diderot، الموسوعة L'Encyclopedie ص58



ديدرو Diderot أديب ومفكر فرنسي اشتهر بإشرافه صحبة دلمبار D'Alembert على إصدار "الموسوعة" L'Encyclopédie. دخل السجن وتمّت مصادرة مؤلفاته.

الوثيقة 5

المساواة حقّ طبيعي

"...أن يكون المرء حرّا ومساويا للجميع فتلك هي الحياة الحقّ، حياة الإنسان الطبيعيّة وكل حياة أخرى لا تعدو أن تكون خدعة حقيرة وملهاة رديئة يؤدّي فيها أحدهم شخصية السيد والآخر دور العبد..."

فولتير، فلسفة الأنوار، ذكره فولغين، فلسفة الأنوار، تعريب هنريات عبودي، ص 29

الوثيقة 6

مفهوم التنوير

"ما هو التنوير؟ (التنوير) هو خروج الإنسان من حالة القصور...والقصور هو حالة العجز عن استخدام العقل (عند الإنسان) خارج قيادة الآخرين. والإنسان (القاصر) مسؤول عن قصوره لأن العلّة في ذلك ليست في غياب الفكر، وإنما في انعدام القدرة على اتخاذ القرار وفقدان الشجاعة على ممارسته، دون قيادة الآخرين. لتكن لك الشجاعة على استخدام فكرك بنفسك : ذلك هو شعار التنوير(...)
ولكن أن يكون للناس الآن مجال أرحب في ممارسة هذا [التفكير الخاص] بحرية، وأن يكون عدد العقبات أقل نسبياً من ذي قبل، في الطريق نحو عصر شامل للتنوير يخرج بالناس من حالة القصور التي يقون هم المسؤولون عنها، فهذا ما لنا عليه مؤشرات مؤكدة. من هذا المنطلق يمكن القول إن هذا القرن (الثامن عشر) هو قرن التنوير."

إمانوئيل كانط ، مجلّة برلين الشهرية، 1784



إمانوئيل كانط (Emmanuel Kant) (1724- 1804) فيلسوف بروسي (ألماني) من رواد التنوير في أوروبا ومن المعاصرين لفلاسفة التنوير الفرنسيين أمثال مونتسكيو وفولتير وديدرو.

– عمل مدرسا في الجامعة التي تخرج منها مدة خمسة عشر عاما قام خلالها بتدريس العديد من المواضيع ومن ضمنها الميتافيزيقا والمنطق والرياضيات وعلم الأخلاق.

– كان ذا نزعة عقلية واهتم بالعلوم الطبيعية التجريبية.

– أبرز مؤلفاته: "نقد العقل المحض"، مقال ماهو التنوير جوابا على سؤال طرحته مجلة برلين الشهرية سنة 1784

التعليمات

– وضّح دور العقل في فكر التنوير.
– بيّن أهمية الحرية والمساواة في فكر التنوير.
– حدّد مفهوم التنوير..

النشاط الثاني : أرصد في فكر التّنوير جوانب نقد الوضع السّياسي السّائد والبدائل المقترحة لتغييره.

الموارد :

الوثيقة 7

الحكم المطلق

"...وكأنّه يمكن نسيان أنّ في شخصي وحده تكمن السلطة المطلقة، وأنّ منّي أنا وحدي تستمدّ مجالسي عدالتها ونفوذها(...)وأنّ لي وحدي السلطة التشريعية لا يشاطرني فيها أحد ولا أخضع فيها لمشيئة أحد(...) ومنّي أنا أيضا ينبثق النظام العام بأكمله(...) كما أن حقوق الأمة ومصالحها التي يتجرأ البعض على جعلها هيكلا منفصلا عن الملك هي بالضرورة متّحدة مع حقوقي ومصالحي ولا يمكن أن تكون إلاّ بين يديّ"

خطاب لويس الخامس عشر* أمام برلمان باريس (1766)، بريال 1996، ص157

* ملك فرنسا (1715 - 1774)

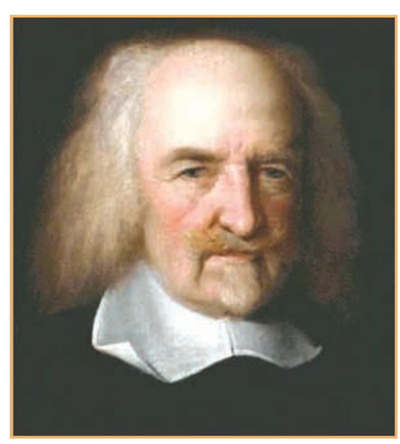
الوثيقة 8

في العقد الاجتماعي

"...إن الطريقة الوحيدة لإقامة قوة مشتركة...تحمي الناس من الغزو الخارجي ومن الأذى الذي يسبّبه أحدهم للآخر، وتوفّر لهم الأمن...هي، أن يمنحوا كل قوّتهم لشخص واحد أو لمجلس من النواب يكون قادرا على اختزال إرادتهم، عن طريق التصويت بالأغلبية، إلى إرادة واحدة...

يقال عن مجتمع أنه تأسّس عندما يتّفق جمهور من النّاس ويتعاهدون، كلّ واحد مع الآخر، على التّالي: بغضّ النظر عن الشّخص أو المجلس الذي يمنح من قبل الجزء الأكبر من الناس حقّ تمثيل شخصيّتهم جميعا، فعلى كلّ واحد منهم، سواء صوّت مع أو ضدّ ذلك، أن يصادق على جميع أفعال وأحكام هذا الشخص أو المجلس، وكأنها أعماله وأحكامه وذلك لكي يعيش المتعاقدون بسلام فيما بينهم وفي حماية من الناس الآخرين..."

توماس هوبس Thomas Hobbes، التنين (1651)، من الفصلين 16 و17، ترجمة د. سعيد زيداني (إنترنت)/http//home birzeit.edu



توماس هوبس Thomas Hobbes (1679-1588) مفكر إنقليزي. عاش في فرنسا أحد عشر عاما حيث التقى ديكارت وفيها نشر أبرز أعماله "التنين" (1651) حيث عبّر عن أفكاره السياسية. من أبرز مؤلفاته أيضا "الهيئة السياسية" (1640)

الوثيقة 9

فصل السلطات

"...يوجد في كلّ دولة ثلاث سلطات: السلطة التشريعية والسلطة التنفيذية...والسلطة القضائية...وتنعدم الحرية إذا اجتمعت السلطتان التشريعية والتنفيذية بين يدي شخص واحد أو مجلس واحد لأنه يخشى أن يقوم الملك أو المجلس بإصدار قوانين جائرة ويطبّقها بطريقة استبدادية. كما تنعدم الحرية إذا لم تفصل السلطة القضائية عن السلطتين السابقتين. ففي حال ضمّ السلطة القضائية إلى التشريعية يصبح التحكّم في حياة المواطنين وفي حريتهم أعتباطيا، إذ قد يتحوّل القاضي إلى مشرّع، وفي حال ضمّها إلى السلطة التنفيذية يمكن أن يكون للقاضي نفوذ الحاكم..."

مونتسكيو، روح القوانين، (L'Esprit des Lois) ، كلاسيك لاروس (Classique Larousse)ص 47 - 84



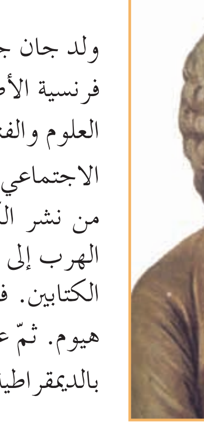
مونتسكيو Montesquieu ينتمي إلى أسرة نبيلة، درس الحقوق، شغل عدّة وظائف عليا، من أهم مؤلفاته : –الرسائل الفارسية (1721) – روح القوانين (1748)، نادى بالتسامح الديني وبفصل السلطات.

الوثيقة 10

العقد الاجتماعي وسيادة الشعب

"...رأينا أن السّلطة التشريعية تخصّ الشّعب ولا يمكن أن تخصّ إلاّ الشّعب...فما هي الحكومة إذن؟ إنها هيئة وسيطة بين الرّعايا وصاحب السيادة من أجل الاتّصال المتبادل بينهما، مكلّفة بتنفيذ القوانين وبالمحافظة على الحرية المدنيّة والسياسيّة على السواء...إنّني...أطلق اسم أمير أو وال أو حاكم على الشّخص أو الهيئة المكلّفة بهذه الإدارة... فالحكومة تتلقّى من صاحب السّيادة الأوامر التي يصدرها إلى الشّعب ولكي تكون الدّولة في توازن سليم يجب، مع توازن الكلّ، أن توجد هناك مساواة بين سلطة الحكومة في حدّ ذاتها وسلطة المواطنين الذين هم أصحاب سيادة من جهة ورعايا من جهة أخرى...وكلما تجاوزت هذه الحكومة السّيادة الشعبية يلغى العقد الاجتماعي..."

ج.ج. روسو، العقد الاجتماعي (1762)، الكتاب الثالث، الفصل الأول، (إنترنت) /http//home birzeit.edu



ولد جان جاك روسو Jean Jacques Rousseau سنة 1712 من عائلة فرنسية الأصل في مدينة جنيف في سويسرا. أشهر مؤلفاته: "مقال في العلوم والفنون" (1750)، "مقال في التفاوت بين البشر" (1755)، "العقد الاجتماعي" و"إميل" (1762). حكم برلمان باريس بعد عشرين يوماً فقط من نشر الكتابين الأخيرين بحرقهما وسجن مؤلفهما مما اضطره إلى الهرب إلى سويسرا والتي بدورها كانت قد أصدرت حكماً مماثلاً على الكتابين. فلجأ روسو إلى إنجلترا حيث تعرف هناك على المفكر دافيد هيوم. ثمّ عاد إلى فرنسا ليعمل ناسخا حتى وفاته في عام 1778. نادى بالديمقراطية وبالتسامح الديني.

التعليمات

- حدّد خصائص النظام السياسي السائد التي نقدها فلاسفة التنوير.
- أبرز الحلول البديلة التي قدّمها فلاسفة التنوير لتغيير الوضع السياسي السائد.

النشاط الثالث: أرصد في فكر التّنوير جوانب نقد الأوضاع الاجتماعيّة والاقتصاديّة السّائدة والبدائل المقترحة لتغييرها.

الموارد :

الوثيقة 11

الفوارق الاجتماعية وعدم المساواة

"لا يمكن لنا أن نعيش معا في كنف المساواة. ولذلك يتعيّن أن يحكم البعض منا البعض الآخر الذي يكون مطالبا بالطاعة. فالبعض يهب نفسه لخدمة الإله، والبعض الآخر يتولّى حماية الدولة بواسطة السلاح، فيما يكون الجزء الباقي مسؤولا على تموين الجميع...تلك هي الطبقات الثلاث التي تكوّن الأمّة..."

لوازو*، مقالة حول الطبقات والمناصب

* لوازو Loyseau : مفكر ورجل قانون فرنسي

الوثيقة 12

تمسّك النبلاء في فرنسا بامتيازاتهم

"نحن (نبلاء مونتارجيس) نعلن أننا لا نوافق أبدا على اندثار الحقوق التي ميّزت على الدوام طبقة النبلاء والتي ورثناها عن أجدادنا. وإننا نلزم نائبنا بمعارضة كلّ ما من شأنه أن يضرّ بملكية أراضينا، أو بالحقوق الشرفية المتعلّقة بها..."

كراس مطالب نبلاء جهة مونتارجيس بفرنسا، ورد في كتاب بيير قوبير Pierre Goubert 1789، الكلمة للفرنسيين

معطيات مكمّلة

مفهوم الطبقة لا يؤدّي المعنى الحديث بل يستعمل في هذا الإطار بمعنى المرتبة الاجتماعية وتقابل المصطلح الفرنسي ORDRE

الوثيقة 13

نقد اللامساواة

"...وإذا تتبّعنا استفحال اللامساواة في مختلف مراحل تطوّرها...نجد أنّ إقرار...حقّ الملكية كان عنصرها الأول...إنّ اللامساواة التي كانت منعدمة تقريبا في حالة الفطرة أصبحت في آخر الأمر قارّة ومشرّعة بإقرار الملكية والقوانين..."

ج.ج. روسو، مقال حول أصول اللامساواة بين البشر وأسسها، نشر فلمّاريون ص 234 – 235

"...إنّ جميع الحقوق الطبيعية هي من حقّ الأمير والبستاني على حدّ السواء، فمن المفروض أن يكون لكليهما حقّ متماثل في التصرّف في شخصيهما وبأسرتيهما وبأملاكهما. (إنّ) البشر متساوون إذن في الجوهر..."

فولتير، فلسفة الأنوار، ذكره فولغين VOLGUINE، فلسفة الأنوار، تعريب هنرييت عبودي ص 32،

الوثيقة 14

التعصّب الديني

"إنّ المتعصّبين هم الذين يقضون بإعدام أولئك الذين لا جرم لهم سوى أنهم لا يفكرون مثلهم. وعندما يفسد التعصّب العقول، فإنّ المرض يكاد يكون غير قابل للشفاء (...) فبماذا تردّ على شخص يقول لك أنّ طاعته لله (...) تجعله متيقّنا بفوزه بالجنّة إن هو قام بذبحك..."

فولتير، القاموس الفلسفي، 1764، نشر فلمّاريون، ص 190

الوثيقة 15

الدعوة إلى التسامح الديني

"...يجب أن تكون العقائد بسيطة وقليلة العدد ومحددة بدقة دون تفسير ولا تعليق. إن الإيمان بوجود إله قادر...وبحياة ثانية، وبسعادة الصالحين، وعقاب السيّئين وبقدسية العقد الاجتماعي وبالقوانين، هي العقائد الإيجابية. أما فيما يتعلق بالعقائد السلبية، فإنني أقصرها على واحدة، هي عدم التسامح: إنها تدخل في العبادات التي استبعدناها...

والآن، إذ لم يبق ولا يمكن أن يكون قد بقي دين قومي منفرد، ينبغي التسامح مع جميع الأديان التي تتسامح مع غيرها، بقدر ما لا تنطوي عقائدها على شيء مضاد لواجبات المواطن. ولكن كل من يجرؤ على القول: لا سلام مطلقا خارج الكنيسة يجب أن يطرد من الدولة.

ج.ج. روسو، العقد الاجتماعي (1762)، الكتاب الرابع، الفصل الثامن: ترجمة قرقوط (إنترنت)

الوثيقة 16

التعليم حقّ للجميع

"من لا يعرف الكتابة ويجهل الحساب، لا يمكن أن يكون مساويا للذين أمدّتهم التربية بمعارف. ولا يمكنه أن يمارس الحقوق نفسها ويتمتّع بالاستقلال ذاته(...) بمعنى أن الشخص الذي لا يمتلك ثقافة حول القوانين الأولى المنظمة لحق الملكية، لا يستطيع التمتع بهذا الحق بالطريقة نفسها التي يتمتع بها الشخص الذي يعرف تلك القوانين. فإذا اختصما، فإنهما لن يتحاربا بأسلحة متكافئة(...)

"... استنفذوا جميع الترتيبات الممكنة لضمان الحرية. وإذا لم تشمل هذه الترتيبات وسيلة لتنوير جميع المواطنين، فإن جهودنا ستذهب سدى(...) إن الجهل هو الذي يسبب الفوضى ويهدّد النظام بالانهيار..."

كوندورصي* Condorcet ، مذكّرة حول التعليم العام، الأعمال الكاملة،1847، أراقو أو كنور Arago O'Conor، الجزء السابع، ص 169

* مفكّر وسياسي فرنسي واكب أحداث الثورة الفرنسية. نادى بتعميم التعليم وبالمساواة بين المرأة والرجل

الوثيقة 17

الوضع الاقتصادي السائد: الحواجز القمرقية في فرنسا

"لا يمكن لنا أن نخطو خطوة واحدة في هذه المملكة الشاسعة (فرنسا) دون أن نجد قوانين مختلفة، وعادات متضاربة، وامتيازات...وقد أدّى عدم الانسجام هذا إلى تعقيد الإدارة وأدخل الاضطراب على سيرها...وسبّب كثرة المصاريف..."

كالون[1]، مذكّرة إلى الملك لويس السادس عشر[2]، 1786

(1) سياسي ومفكّر اقتصادي فرنسي. شغل خطّة مراقب عام للمالية في عهد لويس السادس عشر.

(2) ملك فرنسا (1774 ـ 1792)

الوثيقة 18 : الحواجز القمرقيّة : المثال الفرنسي



الوثيقة 19

الوضع الاقتصادي السائد: المنظمات المهنية:

"يقتصر تعاطي مختلف الحرف...على عدد صغير من الأعراف المتجمّعين داخل منظّمات مهنيّة ولهؤلاء الحقّ دون غيرهم من المواطنين في صنع المواد وبيعها...وطبقا لذلك لا يستطيع مواطنونا...الراغبون في تعاطي الحرف تحقيق أمانيهم إلاّ إذا تحصّلوا على شهادة تمنح لهم بعد أن يكونوا قد اجتازوا بنجاح اختبارات طويلة وعديمة الفائدة..."

تورقو*، مقتطف من قرار إلغاء المنظمات المهنية، 1776.

* تورقو Turgot: سياسي ومفكر اقتصادي فرنسي. شغل خطّة مراقب عام للمالية في عهد لويس السادس عشر

الوثيقة 20

أبرز مبادئ المدرسة الاقتصادية الفيزيوقراطية

كتب كيناي* في المبادئ الأساسية العامة للتسيير الاقتصادي في مملكة فلاحية :

المبدأ الثالث: لا يجب أن يغيب عن نظر الملك والأمّة أنّ الأرض هي المصدر الوحيد للثروات وأنّ الفلاحة هي التي تنمّي هذه الثروات.

المبدأ الثالث عشر: يجب أن يكون كل واحد حرّا في أن يزرع في حقله كلّ ما من شأنه...أن يمكّنه من الحصول على أكبر إنتاج ممكن.

المبدأ الخامس والعشرون: يجب إقرار حرية التجارة الكاملة لأنّ السياسة التجارية الداخلية والخارجية الأكثر نفعا هي التي تمكّن المنافسة من الحرية التامّة.

العصور الحديثة (كتاب مدرسي فرنسي). 1991، ص 78

* كيناي Quesnay (1694 - 1774) : مفكّر فرنسي من روّاد المدرسة الاقتصاديّة الفيزيوقراطيّة.

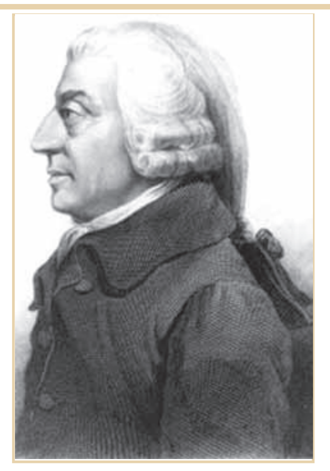
الوثيقة 21

المدرسة الاقتصادية الكلاسيكية

"...إنّ إقرار نظام الحرية الطبيعية يجعل كلّ شخص...حرّا تماما لتحقيق مصلحته الشخصية ويمكنه في نفس الوقت من المشاركة بنشاطه وبرأسماله في المنافسة مع غيره...تتمثّل مصلحة أي أمّة من الأمم في علاقاتها التجارية مع الأمم الأخرى في أن تستورد بأقلّ ثمن ممكن وأن تصدّر بأرفع ثمن ممكن. ويتسنّى لها أن تشتري البضائع بأسعار منخفضة عندما تفتح بمقتضى حرية التجارة أسواقها أمام بضائع كل الأمم الأخرى. كما يتسنّى لها أن تبيع بأسعار مرتفعة عندما يكثر المشترون الأجانب في أسواقها..."

أدام سميث*، ثروة الأمم، التراث الأوروبي، هاشيت، ص 182

* أدام سميث Adam Smith (1723 - 1790): عالم اقتصاد إنجليزي، ألّف كتاب ثروة الأمم من أبرز رواد المدرسة الاقتصادية الكلاسيكية. منظّر الرأسمالية الحرة.



أدام سميث Adam Smith (1723 - 1790)

التعليمات

– أبرز القيم الاجتماعية والدينية السائدة التي رفضها فلاسفة التنوير مع تحديد الحلول البديلة.
– وضّح خصائص الوضع الاقتصادي التي نقدها رواد الفكر الاقتصادي الحديث مع التعريف بالمدرستين الّتين برزتا خلال القرن الثامن عشر.

المقدّمة

التنوير هو حركة فكرية اعتمدت **العقل** لإخراج الإنسان من ظلمات الجهل والقصور إلى نور العلم والمعرفة والتحرّر من الأحكام المسبقة والمعتقدات البالية ومن كل أنواع التسلّط.

تعود جذور حركة التنوير إلى النهضة التي شهدتها أوروبا في القرن السادس عشر والتي تواصلت في بعض الأقطار الأوروبية خلال القرن السابع عشر. إلاّ أن القرن الثامن عشر يعدّ بالفعل عصر الأنوار الشيء الذي جعله يحتلّ مكانة خاصة في التاريخ البشري. وما كان لهذا القرن أن ينفرد بهذا الوضع المتميز، لو لم يقدّم نفسه على أساس أنه كيان موحّد ومنظّم ومتجانس، انبنى على فكر هادف يدعو إلى الثورة على الأوضاع السائدة والتأسيس لعالم جديد قوامه الحرية والمساواة والعدل والديموقراطية وحماية حقوق الإنسان.

ما هي الأسس التي انبنى عليها فكر التنوير؟ ما هي الأوضاع التي نقدها فلاسفة التنوير؟ وما هي الحلول البديلة التي قدّموها لتغيير تلك الأوضاع ؟

I- أسس التنوير:

انبنى فكر التنوير الذي عرفته أوروبا خلال القرن الثامن عشر على جملة من الأسس كان من أبرزها:

1 – الإيمان بالعقل: **الوثيقتان 1+2**

لقد اعتبر فلاسفة التنوير العقل أبرز وسيلة للتفكير واكتساب المعارف المختلفة. فقد جاء على لسان المفكر الإنقليزي "جون لوك" أنّه : "على الإنسان أن يفكر ويعرف نفسه". وأكّد الفيلسوف الفرنسي "ديكارت" أن استعمال العقل "بصورة صحيحة" أهم شرط، ليس فقط للوصول إلى معرفة حقيقة الأشياء، بل أيضا كمنهج لدراسة موضوع المعرفة نفسها، وقال جملته الشهيرة "أنا أفكّر إذن فأنا موجود". و لم يكن المفكر الفرنسي فولتير أقلّ حماسا من لوك وديكارت فقد بيّن أن العقل هو دعامة التفكير النيّر وركيزة النقد البنّاء الهادف إلى نبذ التزمّت والتسلّط والأحكام المسبقة.

2 – الحرية والمساواة: **الوثائق من 3 إلى 6**

اعتبر مفكرو عصر التنوير الحرية حقا طبيعيا لا يمكن للإنسان أن يعيش حياة كريمة بدونه. وقد أكّد المفكّر الإنجليزي "جون لوك" الارتباط الوثيق بين الحرية وحقّ كل فرد في البقاء وحقّه في الحياة. أما الفرنسي "ديدرو" فقد ربط بين الحرية والعقل فطالما تمتّع الإنسان بالعقل كان له الحق في التمتّع بالحرية. ومن هنا كان إجماع كل فلاسفة التنوير على المطالبة بحرية التفكير والتعبير ومقاومة كل أنواع القهر وشجب كل أشكال العبودية.

أما الحق الطبيعي الثاني الذي آمن به فلاسفة التنوير فهو المساواة بين كلّ الناس وخاصة المساواة أمام القانون بغضّ النظر عن الجنس واللون والانتماء الاجتماعي وحجم الثروة. وقد دعا "جان جاك روسو" إلى الحدّ من الفوارق الاجتماعية.

لقد شنّ فلاسفة التنوير، باسم العقل والحرية والمساواة، حملة نقد شعواء ضدّ مختلف الأوضاع السائدة وقدّموا الحلول البديلة لإصلاحها.

II- الدعوة إلى تغيير الوضع السياسي

شجب فلاسفة التنوير الوضع السياسي السائد ودعوا إلى تغييره

1 – الوضع السياسي: **الوثيقة 7**

ظهر فكر التنوير في ظل نظام حكم استبدادي دعمته الكنيسة المسيحية بمنحها ملوك أوروبا وأمرائها حقّا يسمح لهم بممارسة النفوذ المطلق على رعاياهم سمّي **بالحقّ الإلهي** الذي يعتبر أن الحاكم يستمد سلطته من الله وتعلو إرادته إرادة المحكومين فهو المشرّع وهو المنفّذ وهو القاضي. كما تميّز الوضع السياسي السائد بسيطرة النبلاء وكبار رجال الدين على الحياة السياسية وسعيهم المتواصل إلى إقصاء الفئات الرأسمالية الصاعدة المكوّنة من التجار والصناعيين والفلاحين الأثرياء عن المشاركة فيها.

2 – الحلول البديلة: **الوثائق من 8 إلى 10**

دعا فلاسفة التنوير إلى استبدال **الحقّ الإلهي بـ العقد الاجتماعي** بين الحاكم والمحكوم على أساس أن الشعب هو مصدر السلطات، وبذلك عبّروا عن اتفاقهم حول ضرورة الفصل بين الدين والدولة وأرجعوا أصول الدولة إلى مصادر دنيوية وجرّدوا الملوك من "الهالة الإلهية" التي نعموا بها قروناً طويلة.

لكن فلاسفة التنوير اختلفوا في تحديد مفهوم العقد الاجتماعي، وتباينت وجهات نظرهم حول القوانين ومبادئ الحقوق والواجبات. فقد ذهب توماس هوبس Hobbes إلى أن الشعب أعطى السلطة المطلقة للحاكم، بعد التزام هذا الأخير بتطبيق القوانين التي اتفقت عليها المجموعة. بينما دعا مونتسكيو إلى الفصل بين السلطات الثلاث. وعبّر فولتير عن إعجابه بالنظام الملكي الدستوري الإنقليزي. أمّا جان جاك روسو الذي تأثّر بالمفكر الإنقليزي جون لوك فقد نادى بالنظام الجمهوري وتكريس الديمقراطية. وسمّى الدولة – بوصفها شخصاً معنوياً متجسداً بمجموعة أنظمة ومؤسسات تعبّر عن الإرادة العامة – "جمهورية" أو "هيئة سياسية"، واعتبر أن جميع المواطنين متساوون بمقتضى العقد الاجتماعي الذي يربط بينهم وبين الحكومة وأن لهم الحق في عزلها إن لم تلتزم بالقانون. فالشعب الذي يكون خاضعاً للقوانين يجب أن يكون حسب روسو هو واضعها. كما نادى روسو أيضاً بالفصل بين السلطات الثلاث. ورغم الانتقادات التي وجّهت إلى هذه النظرية، فإنها ساعدت على انتشار المبادئ الديمقراطية وتقرير حقوق الأفراد وحرياتهم.

III- نقد الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية

مثلما نقد فلاسفة التنوير الوضع السياسي وقدّموا بدائل للنظام القائم، توجّهوا بالنقد أيضا للأوضاع الاجتماعية والاقتصادية واجتهدوا في اقتراح حلول لتجاوز الأزمات التي تردّت فيها مجتمعاتهم.

2 – الوضع الاجتماعي: **الوثائق من 11 إلى 16**

ندّد فلاسفة التنوير بالوضع الاجتماعي القائم على عدم المساواة، فقد كان النبلاء ورجال الدين يمثّلون الفئة المحظوظة التي تتمتّع بامتيازات موروثة مثل الإعفاء من دفع الضرائب واحتكار الوظائف الدينية والسياسية.

نادى المفكّرون بإلغاء الفوارق الاجتماعية وبالمساواة بين الناس على اختلاف مراتبهم الاجتماعية أمام القانون وبإسناد الوظائف حسب الكفاءة. وقد ذهب روسو إلى حدّ المطالبة بالتوزيع العادل للثروة معتبرا الملكية الفردية أساس التفاوت الاجتماعي لذلك اعتبر من رواد الاشتراكية التي برزت في القرن التاسع عشر.

إلاّ أنّ النقد بلغ أوجه في ما يتعلّق بما نسجته الكنيسة المسيحية من معتقدات وأساطير وخرافات شعبية تراكمت خلال قرون عديدة. وفي الواقع فإن نقد هذه المعتقدات والأساطير الشعبية بدأ منذ عصر النهضة. وقد حاول البعض التوفيق بين الدين وبين المناهج العقلية فاعتبر الإنقليزي جون لوك أن الحلّ الوحيد للخروج من النزاع الديني هو التسامح وتعايش الحركات الدينية. أمّا في فرنسا فقد كان بعض المفكرين **ربوبيا** (دهريّا) (Deiste) (يؤمن بوجود الله وينكر الرسل والأديان) مثل فولتير وروسو وكان البعض الآخر ملحدا تماما مثل ديدرو. وقد تميّز فولتير خاصة بالجهود الكبيرة التي بذلها لمقاومة التعصّب الديني والدعوة إلى التسامح والتعايش بين الأديان. ومهما يكن من أمر فإن فكر التنوير، سواء دعا إلى التسامح الديني أو نقد الدين مباشرة، قد أسهم كثيراً في تطور حركة فصل الدين عن الدولة.

أمّا الجانب الاجتماعي الآخر الذي ركّز عليه معظم فلاسفة التنوير جهودهم فهو التعليم الذي اعتبروه من أوكد واجبات الدولة تجاه مواطنيها. وقد نادى هؤلاء الفلاسفة بتعميمه لجعل المساواة المصرّح بها قانونا مساواة واقعية، وحتّى يكتمل العمل الدستوري الذي طالما دعوا إلى إنجازه. وقد أكّد المفكر الفرنسي كوندورصي(1794) على أنّ سيادة الشعب لن تتحقّق إلاّ إذا كان هذا الأخير متنوّرا. ولا يتم التنوير إلا بفضل مدرسة عمومية ديمقراطية. بمعنى أن الحرية تقتضي الأنوار المعرفية.

3 – **النظام الاقتصادي القائم:** **معلومات مكملة + الوثائق من 17 إلى 21**

شملت حركة النقد التي شنّها فلاسفة التنوير النظام الاقتصادي السائد في معظم بلدان أوروبا والمسمّى بالمركنتيلية (Mercantilisme) . وهو يقوم على تدخّل الدولة لتسيير الاقتصاد قصد ضمان الاكتفاء الذاتي وذلك بفرض الحواجز القمرقية للحدّ من التوريد وإرغام الحرفيين على الانخراط في منظمات مهنيّة تقوم بتحديد كميات الإنتاج وأنواعه وأسعاره. وجّه المفكرون الاقتصاديون نقداً شديداً لهذا النظام، واعتبروا أن إزالة القيود الاقتصادية، وإلغاء الامتيازات، واطلاق الحريات هي الشروط الضرورية للانتعاش والتقدم الاقتصادي. إلا أنّ الاختلاف حول مصادر الثروة وعناصرها أدى إلى بروز مدرستين اقتصاديتين خلال القرن الثامن عشر:

– المدرسة الفيزيوقراطية: برزت في فرنسا، وكان كيناي وتورقو من أهمّ روادها. اعتبر الفيزيوقراطيون الأرض هي المصدر الوحيد للثروة لذلك طالبوا بتحريرها من كل القيود ونادوا بتنمية الفلاحة وبالتبادل الحرّ للمنتجات الفلاحية.

– المدرسة الكلاسيكية: وكان من أبرز روادها المفكر الإنقليزي أدام سميث الذي بيّن في مؤلّفه "ثروة الأمم" أن هناك قوانين طبيعية تنظم الاقتصاد العالمي وتحدد "حصة" كل أمة من الثروة العالمية، واعتبر الضرائب والحواجز القمرقية تدخلا في عمل الطبيعة. كما أكّد سميث أنّ عمل الإنسان هو المصدر الرئيس للثروة لذلك نادى بتحريره وأنّ الصناعة هي السبيل الوحيد لتنمية الإنتاج لذلك نادى بفسح المجال للتنافس الحرّ كما أكّد أيضا على حرية المبادلات وبذلك كان أدام سميث منظّر الرأسمالية الحرة.

هكذا ساهم المفكرون الاقتصاديون في التأسيس لنظام اقتصادي جديد شعاره "اتركه يعمل ودعه يمرّ" أي الإنتاج الحر والتبادل الحرّ

الخاتمة:

لقد ساهم فكر التنوير بفضل ما تضمّنه من مبادئ وقيم جديدة مثل الحرية والمساواة والإيمان بالعقل في زعزعة أركان النظام القديم بمختلف ميادينه السياسية والاجتماعية والاقتصادية. و لم يقتصر فلاسفة التنوير على النقد بل اقترحوا حلولا لمعالجة الأوضاع الفاسدة. وقد استغلّت الفئات الاجتماعية الصاعدة (البورجوازية) مبادئ التنوير للثورة على القديم وإرساء نظام جديد وقد تجسّم ذلك في الثورة الفرنسية التي اندلعت سنة 1789.



الدّرس 10 دراسة أثر من عهد التّنوير : الموسوعة

ENCYCLOPEDIE,
OU
DICTIONNAIRE RAISONNÉ
DES SCIENCES,
DES ARTS ET DES MÉTIERS,
PAR UNE SOCIÉTÉ DE GENS DE LETTRES.

Mis en ordre & publié par M. DIDEROT, de l'Académie Royale des Sciences & des Belles-Lettres de Prusse ; & quant à la PARTIE MATHEMATIQUE, par M. D'ALEMBERT, de l'Académie Royale des Sciences de Paris, de celle de Prusse, & de la Société Royale de Londres.

Tantùm series juncturaque pollet,
Tantùm de medio sumptis accedit honoris! HORAT.

TOME PREMIER.



A PARIS,
Chez BRIASSON, rue Saint Jacques, à la Science.
DAVID l'aîné, rue Saint Jacques, à la Plume d'or.
LE BRETON, Imprimeur ordinaire du Roy, rue de la Harpe.
DURAND, rue Saint Jacques, à Saint Landry, & au Griffon.

M. DCC. LI.
AVEC APPROBATION ET PRIVILEGE DU ROY.

صورة الصّفحة الأولى من الجزء الأوّل من "الموسوعة" كُتب عليها :
"الموسوعة" أو المعجم العقلاني للعلوم والفنون والمهن. بقلم نخبة من رجال الفكر

ويتوسّط الصّفحة
رسم يمثّل "الحقيقة" في شكل ملاك يُشعّ بـ"الأنوار"

الجزء الأوّل 1751 بموافقة الملك وامتيازه

المدخل أتعرّف "الموسوعة" لأُحدّد دورها في تجسيد جوانب من "فلسفة التّنوير" وفي ترويجها في فرنسا وخارجها خلال النّصف الثّاني من القرن XVIII .

النشاط الأول : أُقدّم "الموسوعة" كأثر من عصر التّنوير وأهدافها.

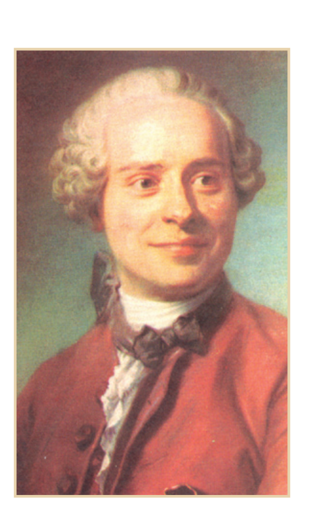
الموارد :

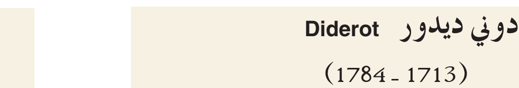
معطيات مكمّلة

تختلف الموسوعة عن القاموس في مستوى اختيار المواضيع وطريقة عرضها، فهي تجمع المعارف ضمن عدد محدود من المقالات الّتي تحاول إبراز التّوجّهات العامّة وإعطاء أفكار إجماليّة، على عكس القاموس الّذي يستنفذ كافّة الموادّ، وهو ما يعني أنّ الموسوعة تهدف إلى تقديم معارف بشكل منهجيّ وبطريقة عقلانيّة.

الوثيقة 1







دوني ديدور Diderot

(1784 - 1713)

هو ابن حرفي ميسور من إقليم الوسط الشّرقي لفرنسا، درس بباريس. لم يسع إلى تحقيق رغبة والده الّذي أراد له أن يكون طبيبا أو محاميا وخيّر الحياة غير المستقرّة، لكنّه اكتسب خبرة واسعة ومعارف كثيرة. كتب في أغراض عديدة وكان بلا منازع مُحرّك مجموعة "الموسوعة" لمدّة عشرين سنة ألّف العديد من مقالاتها كما تابع ونقّح عددا أكبر منها وكانت له مساهمة فعّالة في توضيب الموسوعة وتهيئتها للنّشر.

جان لوران دالمبير D'Alembert

(1783 - 1717)

هو الابن الطّبيعي للسّيّدة دوتنسان Mme de Tencin صاحبة الصّالون الثّقافي الشّهير بباريس، تربّى في أحضان زوجة حرفي فقير. أصبح عالما رياضيّا وكان عضوا في أكاديميّة العلوم في سنّ الأربعة والعشرين من عمره. شارك صديقه ديدرو في الإشراف على نشر "الموسوعة" وألّف عدّة مقالات فيها وخاصّة الجزء المتعلّق بالرّياضات وكذلك "الخطاب التّمهيدي" للموسوعة.

الوثيقة 2

أهداف "الموسوعة"

"... إنّ المؤلّف الّذي شرعنا في إنجازه (والّذي نأمل أن نتمّه) له غايتان : فمن حيث هو موسوعة، ينبغي أن يعرِض– قدر الإمكان – نظام المعارف الإنسانيّة وتسلسلها، ومن حيث هو "قاموس عقلاني للعلوم والفنون والحرف ينبغي أن يحتوي على مبادئ عامّة تمثّل قاعدة كلّ علم أو فنّ– سواء كان ليبيراليا[1] أو ميكانيكيّا[2] – وعلى التّفاصيل الأساسيّة الّتي تجسّد شكلها ومضمونها.»

ج.ل.دا لمبير "الموسوعة". "الخطاب التّمهيدي"
hltp = Fr. Wiki pedia - Org/wili/Denis - Diderot

1 – المقصود بها : الفنون المبنيّة على إعمال العقل أكثر من الأيدي

2 – : هي الّتي تعتمد على العمل اليدوي وتعني أيضا التّقنية

الوثيقة 3

من أهداف "الموسوعة"

«إنّ هدف أيّ موسوعة هو تجميع المعارف المشتّتة... وعرض نظامها العامّ للنّاس الّذين نعيش معهم وتمريرها للّذين سيأتون من بعدهم. يجب أن نتفحّص وأن نحرّك كلّ شيء بدون استثناء ولا مُهادنة... يجب أن تُداس كلّ الصّبيانيات البالية تحت الأقدام وأن يُزال من الحواجز ما لم يضعه العقل وأن تعاد للعلوم والفنون الحرّيّة الّتي هي في حاجة أكيدة لها. ولقد قلت أن محاولة إنجاز "موسوعة" لن تصدُر إلاّ عن قرن الفلسفة، كما يجب أن يُوجدَ زمن عقلاني لن نبحث فيه البتّة عن القواعد لدى المؤلّفين بل في الطّبيعة».

د.ديدرو – ورد في الموروثات الأوروبيّة–سلسة هاشات1981، ص ص 108.

الوثيقة 4

الاهتمام بالحِرف والحرفيّين

«لقد كتبنا الكثير عن العلوم لكنّنا لم نكتب عن مُعظم الفنون اللّيبراليّة و لم نكتب شيئا تقريبا عن الفنون الميكانيكيّة. كلّ شيء يحتّم علينا الاستعانة بالعمّال. لقد توجّهنا إلى أكثرهم مهارة بباريس والمملكة. وتحمّلنا مشقّة الذّهاب إلى ورشاتهم لنُسائلَهم ونكتُب ما يقولونه ولنُطوّر أفكارهم ونستخرج منها المصطلحات الخاصّة بحرفهم وأنجزنا لها جداول واستنبطنا لها تعاريف»

د.ديدرو – البيان (Prospectus) عن الموسوعة. 1750

معطيات مكمّلة

جدول زمني لصدور مجلّدات "الموسوعة"

التّاريخ	الحدث
1751	صدور المجلّدين الأوّلين
1752	قرار منع المجلّدين بإيعاز من التّيّار الديني
1753 إلى 1757	استئناف إصدار الموسوعة بفضل حماية مناصريها في جهاز الدّولة (صدور الأعداد من 3 إلى 7)
1759	توقّف صدور الموسوعة وسحب التّرخيص بنشرها وإدانتها بالتّهجّم على المسيحيّة.
1765	إصدار المجلّدات من 8 إلى 17 سرّا مع الإيهام بطبعها في سويسرا
بين 1762 و 1772	إصدار المجلّدات الإحدى عشرة (11) للوحات التّصويريّة.

في مضامين الموسوعة ومنجزيها

– تتألّف الموسوعة من 28 مجلّدا تضمّنت 71818 مقالة كثيرة التّنوّع و 2885 لوحا قصد تقريب واقع المهن والفنون للقارئ.

– شارك في تأليفها ورسم ألواحها ما يربو عن 200 مشاركا تحت إشراف "ديدور ودالمبير و"دي جوكور" ومن أبرز المشاركين في إنجازها نذكر :

الحقل المعرفي	الشّخصيّة أو الشّخصيّات
الآداب والفلسفة	هلْفِسيوس والأباتي دي كونديك
التّاريخ والأخلاق	دوكلو و صاسي sacy
الهندسة المعماريّة والفنون الجميلة	بلوندال وروسو
علم الفلك	لورُوا
الطب والجراحة	دوبوردو – لويس وماري
العلوم	دولباخ وكوندورسي
الجغرافيا	لاكودامين
متفرّقات	فولتير ررسو تورقو كيناي مونتسكيو وعديد الحرفيّن الكبار والعمّال

التعليمات

- حدّد الظّروف الّتي حفّت بصدور أجزاء "الموسوعة" وتعثّر نشرها.
- وضّح خصائص "الموسوعة" وعلاقتها بفكر التّنوير.



النشاط الثاني : أستقرئ مقتطفات من "الموسوعة" وأرصُدُ الأفكار التّنويريّة فيها.

الموارد :

الوثيقة 5

الحريّة

«تعتبر أولى الحالات الّتي يكتسبها الإنسان بالطّبيعة أثمن ما يمكن اِمتلاكه ألا وهي حالة الحرّيّة، فهذه الحالة لا يمكن أن تتمّ مبادلتها بأخرى ولا بيعها ولا فِقدانها، فالنّاس يُولدون طبيعيّا أحرارا أي أنّهم لا يخضعون لسلطة سيّد يسيطر عليهم ولا حقّ لأيّ كان أن يمتلكهم وبمقتضي ذلك يستمدّ النّاس من الطّبيعة نفسها القدرة على فعل ما يروق لهم، والتّصرّف في أفعالهم وأملاكهم كيفما شاؤوا شريطة ألاّ يأتوا ما يتنافى مع قوانين الحكومة الّتي يخضعون لها».

"دي جوكور" – مقال "الحرّيّة" الموسوعة
ورد بالكتاب المدرسي الفرنسي Belin1996 ص 185

*دي جوكور، De JAUCOURT (1704 - 1779)
من أصل نبيل وكان من أبرز مساعدي ديدرو
في إنجاز الموسوعة – كتب في عديد الميادين

الوثيقة 6

الحريّة والسّلطة

« لم يحصل أيّ إنسان من الطّبيعة على حقّ التّحكّم في الآخرين، إنّ الحرّيّة هبة من السّماء، ولكلّ فرد من الجنس البشري الحقّ في التّمتّع بها طالما أنّه يتمتّع بالعقل وإن حدث أن أرست الطّبيعة سلطة ما، فهي السّلطة الأبويّة، إلاّ أنّ لهذه السّلطة حدودا، وفي الحالة الطّبيعيّة فهي تنتفي حالما يكون الأبناء قادرين على تدبّر أمورهم. وكلّ سلطة أخرى فمأتاها من خارج الطّبيعة.

ولنتفحّص ذلك جيّدا فسترجع السّلطة دوما إلى إحدى المصدرين التّاليين : فإمّا إلى قوّة من استولى عليها وعنْفه وإمّا إلى موافقة الّذين امتثلوا لها وفقا لعقدٍ مبرم بينهم وبين من فوّضوا له السّلطة[1] ... إنّ السّلطة الّتي تُكْتسبُ بالعنف ليست إلاّ "اغتصابا" ...»

ديدور "الموسوعة"الجزء 1 مقالة السّلطة السّياسيّة 1751

[1] انظر العلاقة بين هذا و ما ورد في "العقد الاجتماعي" لروسّو والّذي صدر لاحقا (1762)

التعليمة

حدّد العلاقة بين السّلطة والحقّ في الحرّيّة حسب ديدرو

الوثيقة 7

هيمنة رجال الكنيسة على المجتمع

«إنّه من المريح أن يهيمن المرء على نظرائه، لقد عرَف القساوسة توظيف المكانة الرّفيعة التي غرسوها في أذهان مواطنيهم، فادّعوا أنّ الآلهة تظهر لهم، فأعلنوا عن أوامرهم ودرّسوا أركان العقيدة. وقرّروا ما ينبغي الاعتقاد فيه وما ينبغي رفضه، وضبطوا ما يُرضي الآلهة وما لا يُرضيها، وأفصحوا بالوحي الإلهي وتنبّؤوا بالمستقبل للإنسان الحائر والفضولي وجعلوه يرتجف خوفا من العقاب الّذي تُهدِّد به الآلهة الغاضبة المتهوّرين الّذين تُسوّل لهم أنفسهم الشّكّ في رسالتها أو نقد مذهبها.»

دولباخ* مقال عن القساوسة – الموسوعة
hltp = Fr. Wiki pedia - Org/wiki/Denis - Diderot

* دولباخ (1723 - 1789) : نبيل برتبة بارون – وضع ثروته لصالح الموسوعة شارك بمقالات في الكيمياء وعلم المعادن عُرف بإلحاده وبدعاياته المعادية للمسيحيّة وهو ينزع إلى الأخلاق المبنيّة على التّضامن

التعليمة

– تبيّن موقف "الموسوعيّين" من الكنيسة الكاثوليكيّة من خلال الدّور الّذي يتقمّصه القساوسة في أدائهم لمهمّتهم الدّينيّة.

الوثيقة 7

ردّ الاعتبار للأعمال اليدويّة

«إنّ تفوّق الفنون اللّيبراليّة على الفنون الميكانيكيّة (التّقنيّة) والمستند إلى حجم العمل الّذي تفرضه الفنون اللّيبراليّة على الذّهن وإلى صعوبة التّميّز فيها لتُقابله الفائدة الكبرى الّتي توفّرها أغلب الحرف. فالمجتمع الّذي يحترم – عن حقّ – كبار العباقرة الّذين يُنيرون سبيله لَحَرِيٌّ به أن لا يُحقّرَ الأيدي الّتي تخدِمُه.

فاكتشاف البوصلة ليس أقلّ فائدة للعبقريّة البشريّة ممّا يمثّله شرح خصائص تلك الإبرة بالنّسبة لعلم الفيزياء.

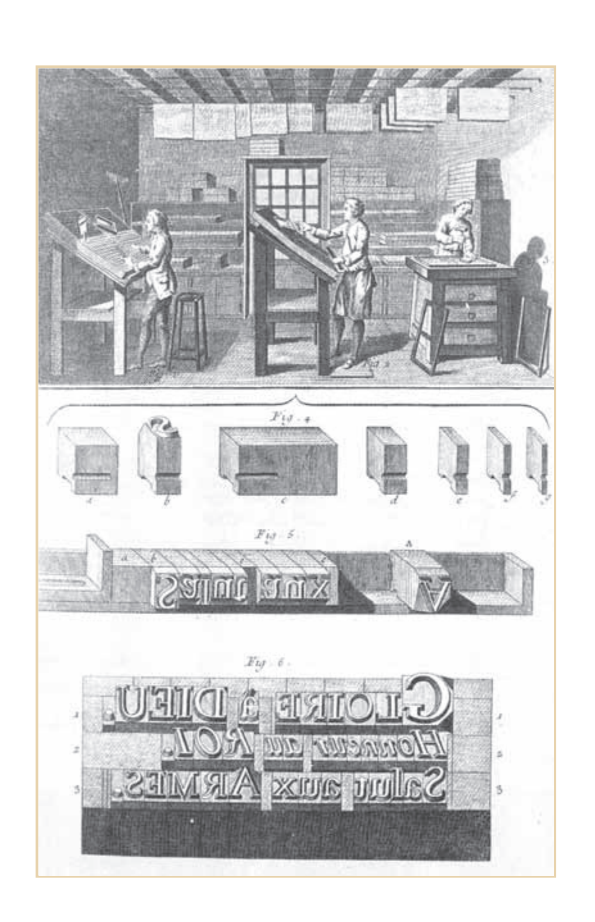
إنّ احتقارنا للحرَف قد أثّر – ولاشكّ – وإلى حدّ ما – على مخترعيها أنفسهم، فأسماء هؤلاء الّذين لهم فضل على الجنس البشري تكاد تكون مجهولة، بينما لا يجهل أحد تاريخ مدمّريه أي غُزاته – ولعلّنا في حاجة إلى البحث لدى الحرفيّين عن أعجب الأدلّة على نباهة الفكر وصبره وموارده.

ج .ل دالمبير – الخطاب التّمهيدي للموسوعة

ورد بكتاب القرن VIII لاقارد ميشار – نشر بوداس ص 238 - 1969

* غُزاته : أي كبار الفاتحين الّذين خلّد التّاريخ أسماءهم.

الوثيقة 9



لوحة من الموسوعة تبيّن سير العمل في غرفة الجمع في داخل ورشة للطّباعة (وفقا للرّسوم 4 ـ 5 ـ 6 أسفله)

– أعلى اللّوحة وإلى يسار الصّورة عامل الجمع ينقل الحروف المعدنيّة (مثل حرف " S ")والفراغات المختلفة الأحجام اللاّزمة للفصل بين الكلمات كما هو مبيّن في (1) من صناديق الحروف إلى المصف (2) لتكوين سطر.

– أعلاه في وسط الصّورة عامل آخر ينقل سطرا إلى صينيّة " للحروف لكي يكوّن مع سُطور أخرى جزءا من صفحة.

– أعلى اللّوحة إلى يمين الصّورة عامل ثالث وقد أدرج صفحتين من الحروف في طوق معدني يسوّي السّطح الطباعي للطّبع.

ورد برسالة اليونسكو العدد 326 ص 28 سنة 1988

الوثيقة 10

المزارعون

«المُزارعون هم أولئك الّذين يمتلكون خيرات البوادي ويجعلون لها قيمة ويوفّرون الثروات والموادّ الأساسيّة لدعم الدّولة...

... إنّ الفلاّحين الصّغار[...] لا يمثّلون المزارع الحقيقي. أمّا المزارع الغنيّ الّذي يزرع مساحات كبيرة والّذي يحكم ويعطي الأوامرويُضاعف المصاريف لرفع الأرباح. والّذي يصنع الخير العامّ، هو ذلك الّذي يُشغّل سكّان البوادي ويقدر على اختيار الأوقات المناسبة لتسويق حبوبه ولشراء وبيع حيواناته.

إنّ أغنياء المزارعين يخصّبون الأراضي ويضاعفون عدد الحيوانات. ويجلبون سكّان البوادي ويعملون على استقرارهم كما يصنعون قوّة الأمّة»

فرانْسُوا كينابي*، مقال في الموسوعة – ورد "بقرن التّنوير" ملفّ 4 – التّوثيق الفرنسي

فرانسوا كيناي Quesnay (1694 ـ 1774)

طبيب وعالم اقتصاد ورائد المدرسة الفيزيوقراطيّة – حرّر مقالين في "الموسوعة" حول المزارعين والحبوب.

الوثيقة 11

الفلاحة

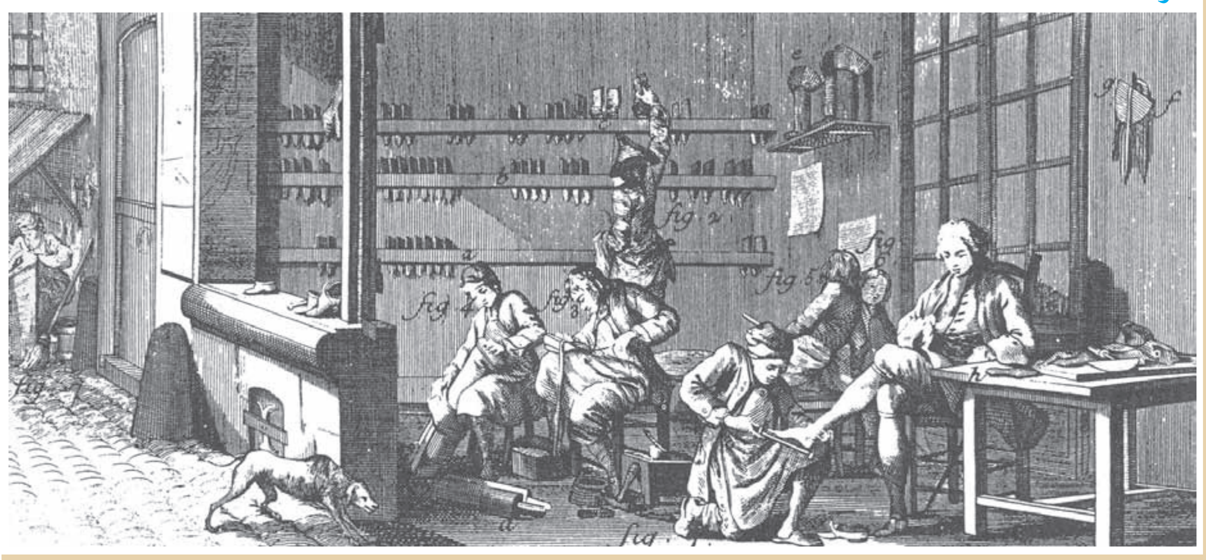
«الفلاحة هي – كما تنصّ عليه الكلمة – فنّ فلاحة الأرض. وهذا الفنّ هو الأوّل والأنفع والأكثر انتشارا ولعلّه الضّروريّ بين كلّ الفنون.

ددِيدُرُو – مقتطف من مقال حول "الفلاحة"، "الموسوعة"، المجلّد الأوّل، 1751.

التعليمة

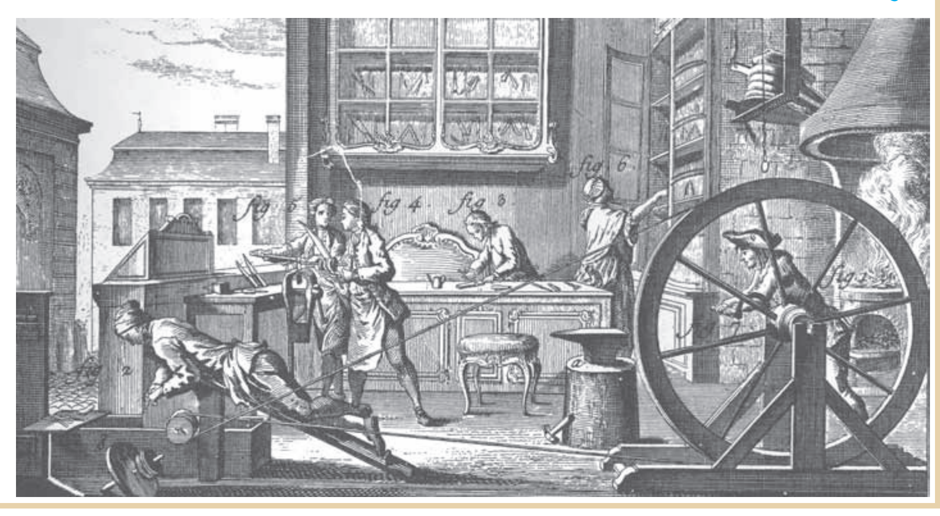
تبيّن أسباب اهتمام الموسوعيّين بالفلاحة وبتعصيرها وأثر ذلك على تحقيق أهداف التّنوير.

الوثيقة 12



لوحة تبيّن دكّان حذّاء، ويلاحظ داخله الحذّاء وهو يأخذ مقاسات لزبون، بينما يشتغل أحد أعوانه بخياطة نعل، وآخر يختار القالب المناسب إلخ .
ملاحظة : ترفق كلّ لوحة بتعاليق ضافية حول الأدوات المستعملة وبوصف للأعمال المنجزة في الدّكّان.

الوثيقة 13



لوحة دكّان صانع سكاكين بباريس (وهي مرفقة بقائمة الأدوات المستعملةوبوصف للأعمال المنجزة في المشهد (ورد بكتاب "ديدرو "الموسوعة" نشر
Bookking International (Bratislava (1996)

التعليـمة

أستخرج الجوانب التّنويريّة من المقتطفات الواردة في مختلف الموارد (نصوص ولوحات) ودوّنها في جدول تنجزه في كرّاسك حسب التّصنيف التّالي : الأفكار الدّينيّة – الأفكار السّياسيّة – الاقتصاد – المطالب الاجتماعيّة والانسانيّة.

المطالب الاجتماعيّة والانسانيّة	الاقتصاد	الأفكار الدّينيّة	الأفكار السّياسيّة

مقدّمة :

مثّل صدور "الموسوعة" أو "القاموس العقلاني للعلوم والفنون والحرف" في النّصف الثّاني من القرن XVIII حدثا فكريّا بارزا في فرنسا لما اتّسمت به من طرافة وجدّة جعلت منه الأثر الأوسع انتشارا والرّافد الأساسي لفكر التّنوير في ذلك العصر و لم يزل محلّ اهتمام متجدّد في العصر الحاضر.

I- "الموسوعة" أهدافها وظروف إنجازها :

حوّل المفكّر "ديدرو" مشروع ترجمة قاموس إنقليزي لاقى رواجا كبيرا إلى عمل أوسع أفاقا وأكثر انصهارا مع الحراك الثّقافي الّذي تعيشه فرنسا أنذاك والمسمّى بالتّيار الفلسفي. وقد أشرك معه في إنجاز هذا العمل العالم الرّياضي «دالمبير» وعددا كبيرا من الأدباء والعلماء والفلاسفة والأخصّائيين في التّقنيّات العسكريّة والبحريّة والهندسة وكذلك الحرفيّين وغيرهم حتّى يكون ذخيرة من المعلومات ومظهرا من مظاهر الفلسفة.

1- أهداف الموسوعة : وثائق 2 و 3

– نزع "الموسوعيّون" – وعلى رأسهم "ديدور" و"دالمبير" – إلى جعل كلّ أنواع المعارف في متناول الجمهور العريض وذلك من خلال ما بذلوه من مجهود لتبسيط مضامين الموسوعة. كما قرّروا أن يكون قاموسهم "القاموس العقلاني للعلوم والفنون والحرف" وفي ذلك إشارة صريحة إلى إراد ة إعلاء العقل وإسقاط كلّ الأحكام المسبقة.

– كما جعلوا "الموسوعة" بمثابة أداة نضال من أجل سعادة الجنس البشري بواسطة التّقدّم الحضاري وانطلاقا من هذا المبدأ انضمّ "الموسوعيّون إلى العمل الإنساني الّذي قام به الفلاسفة، فهاجموا التّعصّب وأدانوا العبوديّة والحرب.

– وعمل الموسوعيّون من أجل إضفاء الاعتبار للعمّال اليدويّين وللتّقنيّين وللمنتجين عموما.

وهو ما يُؤكّده عدد اللّوحات المهتمّة بدكاكين الحرفيّين قصد لفت الانتباه لكرامة الحرفي المتفاني في عمله ولدوره الإجتماعي كما وضّحه "دا لمبير" في الخطاب التّمهيدي للموسوعة.

2ـ تعثر مسيرة الموسوعة:

– أثار صدور المجلّدين الأوّلين في 1751 سخط كلّ المتشبّثين بالمنظومة التّقليديّة في فرنسا في ذلك العهد وضمنهم رجال الدّين وعدد من أعضاء برلمان باريس وغيرهم، ونَجح هؤلاء في استصدار قرار بمنع "الموسوعة".

– لكنّ مناصري "الموسوعة" من داخل الإدارة وحتّى في القصر الملكي تمكّنوا من تجاوز معارضة ما يُسمّى بالتّيّار الدّيني ممّا سمح باستئناف نشر المجلّدات الخمسة (من 3 إلى 7) بين 1753 و 1757.

– وفي سنة 1758 انسحب دالمبير العضد الأيمن لديدرو من جرّاء السّجّال بين أنصار "الموسوعة" وخصومها الّذين عملوا جاهدين على التّنديد بها واصفين إيّاها كإنتاج لحزب منظّم مناوىء للحكومة.

ورغم كلّ العقبات وبفضل حماية السّيّد "ماليرب" المسؤول عن المكتبة الملكيّة، واصل ديدرو إصدار الأعداد المتبقّية سرّا موهما بطبعها في سويسرا وذلك بين سنة 1762 و 1765. أمّا المجلّدات الخاصّة بالألواح المصوّرة وعددها إحدى عشرة فقد نُشرت بين 1762 و 1772 دون صعوبة تذكر. ولا غرابة أن تلاقي "الموسوعة" مثل هذه الصّعوبات لما احتوتْ عليه من مضامين مُجدّدة وجريئة وما توخّاه مؤلّفوها من منهجيّة ثوريّة كما نلمسه في النّماذج التّالية.

II- "الموسوعة" ونشر الأنوار :

لقد وجّه "الموسوعيّون" اهتمامهم لكلّ مجالات المعرفة. لكنّهم خصّوا التّجربة الإنسانيّة باهتمام أكبر وهو ما جعلهم يُمسِكون بأحد مفاتيح فِكر القرن الثّامن عشر ومفاده أن العقل توجّه نحو الكائن البشري الّذي أصبح غاية ذلك الفكر. كما عكست الموسوعة حرص مؤلّفيها على الانصات لمجتمع عصرهم وأن يعبّروا عن طموحاته العميقة بما فيه الاهتمام الموجّه إلى النّهوض بالفنون الميكانيكيّة (التّقنيّة). وقد تركّز جهد الموسوعيّين الجماعي على الوسائل الكفيلة بضمان حياة سعيدة عبر تنمية معارفهم النّفعيّة دون غيرها.

1 – أفكار "الموسوعة" في الحقل الدّيني : وثائق 7

لقد وُجّهت إلى "الموسوعة" تهمة إرساء أسس اللاّئدين لذلك كان على "الموسوعيّين" تجاوز الرّقابة وتفادي المواجهة المباشرة مع المؤسّسة الدّينيّة، لكن ديدرو وأصدقاؤه عمدوا إلى تمرير أفكار جريئة دفاعا عن العقل ونقدوا سلطة العقيدة والوحي، كما شكّكوا في المعجزات، ونقدوا بلذاعة التّقوى الظّاهريّة ودرسوا النّصوص المقدّسة بعيون الأدباء والفلاسفة، كما عابوا على الدّيانة الكاثوليكيّة تعصّبها وعدم تسامحها. وقد كان أغلب "الموسوعيّين" مثلهم مثل عديد الفلاسفة الآخرين رُبوبيّين أي أنّهم يعتقدون في وجود اللّه و لم يؤمنوا بالدّيانات المنزّلة، أمّا بعضهم فكان يميل إلى الإلحاد.

2 – الأفكار السّياسيّة : وثائق 5 و 6

لم يكن "الموسوعيّون" بالجرأة الّتي اتّصفوا بها في الميدان الدّيني، فقد رفعوا أفكار "مونتسكيو" ورفضوا الاستبداد دون أن ينادوا بالجمهوريّة بل استحسن بعضهم الملكيّة الانقليزيّة في ذلك العهد والّتي تجمع بين الحريّة والملكيّة على حدّ السّواء" حسب قول دي جوكور (De Jaucourt). كما ندّدوا بالامتيازات وبسوء توزيع الضّرائب. لكنّهم لم يتّصفوا بالثّوريّة بل اكتفوا بالمطالبة بإصلاح التّجاوزات الصارخة لاغير.

3 – في الميدان الاقتصادي :

عمل كلّ من ديدرو وكيناي وتورقو على توعية قارئ الموسوعة بمشاكل الفلاحة وهي مورد ثروة الأمّة (المدرسة الفيزيوقراطية)، كما أشاروا إلى شروط ازدهار الفلاحة وكلّ ما يتعلّق بالمردوديّة وأسعار بيع الحبوب وتحرير المبادلات إلخ.. كما أكّد روسّو في مقاله حول الاقتصاد السّياسي على مسؤوليّات الدّولة فيما يتعلّق بضمان تربية الأطفال وبضرورة سهرها على توفير أسباب العيش للمواطنين وحسن توزيع الضّرائب إلخ...

4 – مطالب "الموسوعة" الاجتماعيّة والإنسانيّة :

شاركت "الموسوعة" "الفلاسفة" في عملهم الإنساني، فهاجمت التّعصّب وعدم التّسامح وأدانت الاسترقاق والتّعذيب والحرب.

كما ردّ "الموسعيّون" الاعتبار للعمل اليدوي والتّقنية، ووضعوها على قدم المساواة مع المعارف "النّبيلة" وقد بدا هذا المسعى بكلّ جلاء في الألواح الواردة في المجلّدات الأخيرة والّتي خُصِّصت للحِرَفِ وبقيّة الفنون، العسكرية منها والمدنيّة.

الخاتمة :

شهدت "الموسوعة" اِنتشارا واضحا خاصّة في الأوساط الميسورة وازداد انتشارها بفضل المكتبات و"نوادي القراءة" بباريس وفي الأقاليم وحتّى خارج فرنسا وساهمت في نشر أفكار التّنوير رغم تفاوت محتواها من حيث النّوعيّة، وفي نشأة رأي عامّ متحفّز للتّغيير خاصّة في صفوف البورجوازيّة والنّبلاء المتفتّحين وحتّى بعض رجال الدّين ومهّدت بالتّالي للثّورة الفرنسيّة في 1789.

الدّرس 11 الثورة الفرنسيّة وانتصار المبادئ الجديدة

المدخل

أدلى الفيلسوف الألماني"هيڤل"* بالشّهادة التّالية بخصوص الثّورة الفرنسيّة :

"وفجأة برزت فكرة الحقوق [أي حقوق الإنسان] على السّاحة. فلم تتمكّن البنية الاجتماعيّة العتيقة الّتي كانت قائمة على الظّلم من الصّمود أمامها. وهكذا قام **الدّستور** حول فكرة الحقوق ومنذ ذلك التّاريخ شكّل هذا المبدأ الأساس الّذي ينبني عليه كلّ شيء».

ف. هيڤل – محاضرات في فلسفة ا التّاريخ 1798.

* فريدريش هيڤل (1770 -1831) فيلسوف ألماني عاصر الثورة الفرنسيّة



لوحة حقوق الإنسان والمواطن

ويلاحظ في أعلاها : إلى اليمين ترمز المرأة المجنّحة إلى القانون، وتمثّل العين في الوسط العقل، أمّا المثلّث المشعّ فيرمز إلى "الكائن الأعلى" (وهو ربّ دعاة الدّين الطّبيعي الّذين لا يعتقدون في الدّيانات المُنزّلة). وإلى اليسار امرأة تُكسّرُ قيودا حديديّة رمزا للحرّيّة.

إعلان حقوق الإنسان والمواطن، المصادق عليه في 26 أوت 1789 غداة تشكّل الجمعيّة الوطنيّة التّأسيسيّة والأحداث الثوريّة الّتي شهدتها فرنسا في صائفة 1789

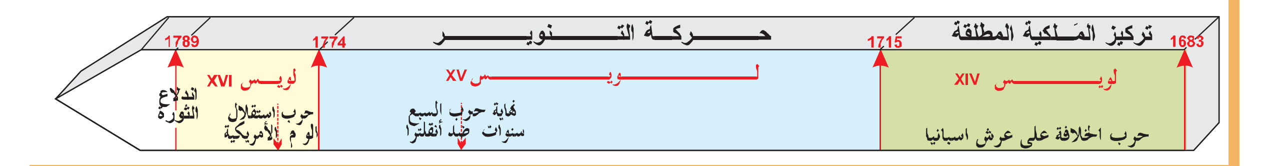
انطلاقا من من شهادة "هيڤل" أدرس ثورة 1789 في فرنسا لأتعرّف أسبابها ونتائجها وما حقّقته من إشعاع للمبادئ الجديدة الّتي رفعها فكر التّنوير في القرنXVIII .

النشاط الأوّل : أتبيّن أسباب اِندلاع ثورة 1789 في فرنسا

الموارد :

الوثيقة 1

أهمّ الأحداث السّياسيّة والفكريّة الّتي عرفتها فرنسا بين 1683 و 1789



الوثيقة 2

الملْكيّة والمؤسّسات السّياسيّة

قال برناف[1] Barnave في سنة 1792 في كتابه "مدخل إلى الثورة الفرنسيّة" :
"إنّ هيمنة الأرستوقراطيّة قد تواصلت طالما كانت جماهير الفلاحين يجهلون الصّناعة أو يهملونها وطالما مثّلت مِلكيّة الأرض الثروة الوحيدة... وحالما تتوصّل الصّناعة والتّجارة إلى الانتشار في أوساط الشّعب[2] وتخلق وسيلة جديدة للثروة في صالح الطّبقة الكادحة تتهيّأ ثورة في القوانين السّياسيّة... إن توزيعا جديدا للثروة ينجم عنه توزيع جديد للسّلطة. وكما أنّ ملكيّة الأراضي رفعت الأرستوقراطيّة فإنّ المِلْكيّة الصّناعيّة ترفع سلطة الشّعب، فيكتسبَ الحرّية ويتعزّز عدده ويبدأ تأثيره في الشّؤون العامّة...»

ورد بكتاب م .دونيس (Denis M) القرن XVIII ص 46
نشر أ. كولان 1970

[1] برناف (1761 – 1793) : محامي وسياسي فرنسي لعب دورا هامّا في بداية الثّورة كان من أنصار الملكيّة الدّستوريّة ولذلك أعدِمَ في سنة 1793 على أيدي الحكومة الثوريّة.
[2] يقصد بالشّعب "البورجوازيّة" أساسا

الوثيقة 3 :تطوّر عدد سكّان بعض المدن الفرنسيّة بين 1700 و 1789

المدينة	في 1789	نسبة النّموّ ٪ بين 1700 إلى 1789	الوظيفة والموقع
باريس	600.000	20	العاصمة
ليون	150.000	55	مدينة صناعيّة
بوردو	110.000	120	ميناء أطلسي
مرسيليا	110.000	47	ميناء متوسّطي

عن أ .سوبول. فرنسا قبيل الثورة – Sedes سيديس ص 66

معطيات مكمّلة

– تطوّر عدد السّكّان في فرنسا بين 1700 و 1789 من 18 ألى 26 مليون
– وتطوّر عدد السّفن التّجاريّة من 1800 إلى 2340 بين 1760 و 1780
– نما إنتاج الصلب بـ 72 ٪ بين 1738 و 1789

الوثيقة 4

فولتير والنّموذج الإنقليزي

«...إنّ الأمّة الإنقليزيّة هي الوحيدة الّتي استطاعت تحديد سلطة الملوك على هذه الأرض بأن قاومتهم وقد تمكّنت بعد جهد من إقامة هذا الحكم الرّشيد حيث تُطلَق الحريّة للأمير عندما يبغي الخير وتقيّدُ يداه عندما ينوي الشّرّ... وحيث يشارك الشّعب في الحكم دون فوضى. إنّ مجلِسَي اللّوردات والعموم[1] حكّام [2] الأمّة بينما يعتبر الملك الحكم الأعلى».

فولتير – من الرّسائل الفلسفيّة VIII 1734

(أورده فولغين – فلسفة الأنوار – تعريب هنريات عبودي ص 34)

[1] مجلس اللّوردات : يتكوّن من النّبلاء المعيّنين مدى الحياة

مجلس العموم : يتكوّن من أعضاء منتخبين. ويكوّن كلا المجلسين البرلمان الإنقليزي.

[2] حكّام : ج حَكَم.

الوثيقة 5

صدى الثورة الأميركيّة

«...إنّ أوروبا كلّها منشغلة بقضيّتنا [تأسيس اتّحاد الدّول الأميركيّة المستقلّة] وهي تهتف لجهودنا من أجل ذلك وترافقنا بأمانيها. فالنّاس الّذين يعيشون تحت نير الحكم الاستبدادي لا يقبلون به ولا يتمنّون إلاّ التّحرّر منه... وهناك فكرة بصدد الانتشار أكثر فأكثر في أوروبا وهي أنّ الأنظمة الّتي ستستمرّ في الحكم مجبرة على توخي مزيد المرونة ومنح أكثر حريّة للشّعوب إن هم أرادوا الحدّ من تضخّم الهجرة (نحو أمريكا)...»

بنجمان فرانكلان* – رسالة من باريس 1777. ورد
بكتاب التّاريخ 2 : الموروثات الأوروبيّة نشر "هشات" ص 140

* فرانكلان (1706 ـ 1790) – سياسي أمريكي وأحد محرّري إعلان استقلال المستعمرات الإنقليزيّة 13 بأمريكا... تحوّل إلى فرنسا لعقد تحالف معها. هو أيضا عالم في الفيزياء ومخترع الواقي من الصّواعق.

معطيات مكمّلة

1770 ـ1783	ثورة المستعمرات الإنقليزيّة (13) بشمال أمريكا ضدّ سياسة بريطانيا المركنتيليّة مثلتّ الشّرارة الأولى لسلسلة من الثورات في عدّة أنحاء من أوروبا ومنها:
1783 ـ 1787	ثورة بالمقاطعات المتّحدة (هولاندا)
1787 ـ 1790 1788 ـ 1794 1768 ـ 1782	ثورة الأراضي المنخفضة النمساويّة (بلجيكيا) ضدّ السّياسة الاستبداديّة النّمساويّة الثورة البولونيّة الثورات الديمقراطيّة بجينيف.

الوثيقة 6

اِمتيازات الأرستوقراطيّة

«...إنّ كلمة أرستوقراطيّة [1] في معناها اليوم (1789) تنطبق على كلّ الّذين يجدون التّقدير بسبب مولدهم وثروتهم ونفوذهم السّياسي والقضائي والجبائي واحتلالهم لمناصب شرفيّة ووظائف إداريّة يتميّزون عن المجموعة الكبيرة [2] الّتي لا تعيش إلاّ بالعمل الدّؤوب».

من كُتيب نُشِرَ سنة 1789 – ورد بالتّوثيق الفرنسي المصوّر أفريل 1969

[1] الأرستوقراطيّة : هي الفئة المحظوظة وتشمل في النّظام القديم نبلاء البلاط وكبار رجال الدّين

[2] المجموعة الكبيرة : هي الهيئة ordre الثّالثة (98 ٪ من المجموع)

الوثيقة 7

ما هي الهيئة(ordre) الثّالثة ؟

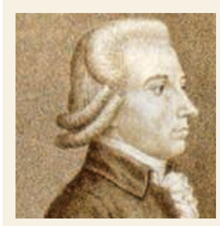
«من يجسُر على القول أنّ الهيئة الثّالثة لا تملكُ كلّ ما يلزم لتشكيل أُمّة تامّة ؟ إنّها الرّجل القويّ والمتين الّذي ما تزال ذراع منه مُكبّلة. فإذا نزعتَ الهيئة صاحبة الامتيازات [1] لا تخسر الأمّة شيئا بل إنّها تزداد غِنى وهكذا، ما هي الهيئة الثّالثة ؟ هي كلّ شيء معطّل ومقسور. ماذا تصبح بدون الفئة المحظوظة ؟ كلّ شيء، إنّما كلّ شيء حرّ ومزدهر لا شيء يسير بدونها وكلّ شيء يسير بشكل أفضل بما لا نهاية له بدون الآخرين فالهيئة الثّالثة تحتضن بالتّالي كلّ ما يخصّ الأمّة. وكلّ ما ليس الهيئة الثّالثة لا يمكن اعتباره كأنّه من الأمّة...»

سيّاس، ما هي الهيئة الثّالثة ؟

ورد بتاريخ الثورة الفرنسيّة. أ. سوبول (ص 29) نشر عويدات.

[1] الهيئة : صاحبة الامتيازات هي الأرستوقراطيّة من نبلاء السّيف وكبار رجال الدّين.

[2] سيّاس (1748 ـ 1836) – رجل دين وسياسي اشتهر بكتيّبه «ما هي الهيئة الثّالثة» واكب كلّ مراحل الثورة وأزيح من قبل نابليون بونابارت بعد أن مهّد له الطّريق لإنجاز انقلاب "برومار" في 1799.



الوثيقة 8

لويس XVI (1754 ـ 1793)

اِرتدى الملك بدلة خاصّة بحفل "التّكريس" (Le sacre) وهو حفل ديني يُقام بكنيسة "رانس" (Reims) عند تنصيب ملوك فرنسا ويشرف عليه أسْقُف،وهو يُضفي على الحكم الملكي الصّبغة الإلهيّة.

وكان لويس XVI يمارس حكمَه مثل ملوك الإطلاق بواسطة مراسيم وأوامر تُنفّذ من قبل ممثّليه في الأقاليم. لكنّه كان يُتّهم بضعف الشّخصيّة وقلّة الاهتمام بشؤون الحكم وشدّة التّأثر بآراء زوجته "ماري انطوانيت" الملقّبة بـ"النّمساويّة".

الوثيقة 9

عريضة صغار التّجّار بمنطقة روون [1] (Rouen)

«... يجب أن تنصرف أولى اِهتمامات "مجلس الهيئات العامّة"[2] إلى تثبيت دستور فرنسا وإلى رسم الخطوط الفاصلة بين سلطة الملك وحقوق الأمّة. يجب أن توضع حدود لسلطة الملك حيث تبدأ التّجاوزات ولن تزعج تلك الحدود مَلِكًا عظيما لأنه لن يُريد إلاّ ما كان عدلا، فالأمراء الضّعاف وحدهم ينزعجون من حقوق رعاياهم.»

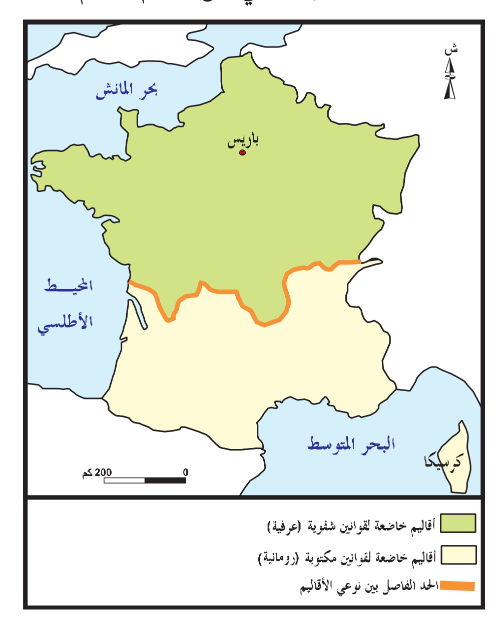
ورد بكتاب التّاريخ : موروثات أوروبيّة Héritages Européens
نشر هاشات 1981. ص 120

[1] روون : مدينة تقع شمال غرب باريس

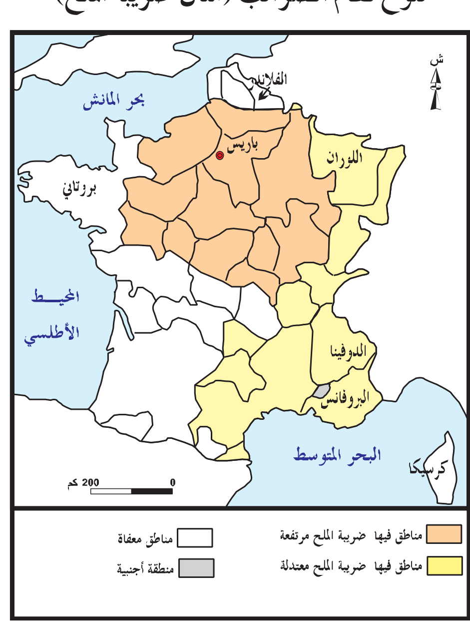
[2] مجلس يضمّ نوّاب الهيئات الثلاث (رجال الدّين – النّبلاء والهيئة الثّالثة)

الوثيقة 10 : عدم اكتمال وحدة المملكة

اختلاف القوانين في ظلّ النّظام القديم







التعليمة

اَستخرج الأسباب العميقة للثورة الفرنسيّة وصنّفها في جدول حسب النّموذج التّالي بعد نقله على كرّاسك.

الأسباب السّياسيّة والإداريّة	الأسباب الفكريّة	الأسباب الاقتصاديّة	الأسباب الاجتماعيّة
....	....	....	....
....	....	....	....
....	....	....	....

الوثيقة 11 تطوّر سعر القمح بفرنسا من 1787 ألى 1790

معطيات مكمّلة

الأزمة الاقتصاديّة بفرنسا قبيل ثورة 1789

- توالي مواسم فلاحيّة رديئة منذ 1770 وخاصّة 1787 و 1788.
- تراجع الانتاج الصّناعي لتقلّص طلب الفلاحين على المصنوعات وبسبب المنافسة الإنقليزيّة (معاهدة التّبادل الحرّ مع انقلترا في 1786) ⟵ تضرّر الفئات الشّعبيّة وظهور اضطرابات سنة 1788 بسبب ارتفاع أسعار الموادّ الأساسيّة.

ورد بكتاب التّاريخ 6 ثانوي م.ق.ب 1992

اللّيرة : هي العملة الفرنسيّة آنذك Livre tournois

الوثيقة 12

مقتطفات من برنامج تورڤو* (1744)

«... لا لإعلان إفلاس الدّولة، للزّيادة في الضّرائب، لا للجوء إلى الاقتراض بل سلوك سياسة تقشّفيّة، إنّه من واجبي أن أذكّر جلالتكم بضرورة التّقشّف وإعطاء المثل في ذلك... إنّني أتوسّل إليكم أن تتساءلوا عن هذه الأموال الّتي توزّعونها بسخاء على حاشيتكم وأن تقارنوا ترفها ببؤس أولئك الّذين آنتزعت منهم هذه الأموال... إنّه من الضّروري اقتصاد عشرين مليونا سنويّا لتسديد الدّيون القديمة وبدون ذلك ستضطرّ الدّولة إلى إعلان إفلاسها..

مقتطف من منشور أصدره تورڤو (1775)

«... يجب على موظّفي إدارة الماليّة الانكباب على تحقيق توزيع عادل للضّرائب وبذلك فقط يصبحون أهلا لمحبّة السّكّان وثقتهم...

ورد بالتّوثيق الفرنسي المصوّر – أفريل 1969

* تورڤو (Turgot) 1727 ـ 1781 : يُعدّ من أبرز المفكّرين المنتمين إلى التّيّار الفيزيوقراطي – تولّى مهمّة مراقب عامّ للماليّة وسعى إلى إصلاح الأوضاع الماليّة.

معطيات مكمّلة

محاولات إ صلاح الوضع المالي في عهد لويسXV على أيدي مراقبي الماليّة الآتي ذكرهم

الفترة	مراقب الماليّة
1774 ـ1786	تورڤو
1777 ـ 1781	نيكر Necker
1783 ـ 1787	كالون
1787 ـ 1788	بريان Brienne
1788 ـ 1790	نيكر للمرّة الثّانية

- فشل كلّ محاولات الإصلاح بسبب تشبّث الارستقراطيّة بامتيازاتها الجبائيّة.
- تمرّد الارستوقراطيّة ضدّ المساعي الاصلاحيّة سنة 1787 ومطالبتها بدعوة "الهيئات العامّة للانعقاد لإيجاد حلّ للأزمة الّتي تحوّلت إلى أزمة سياسيّة.
- رضوخ الملك لمطلب الأرستوقراطيّة ودعوته تلك المؤسّسة الاستشاريّة إلى الانعقاد في ماي 1789 بعد انسداد كلّ الافاق لحلّ المعضلة الماليّة.

الوثيقة 13: ميزانيّة الدّولة الفرنسيّة (بملايين اللّيرات)

المقابيض	المصاريف
503 ومنها ضرائب مباشرة 158 ضرائب غير مباشرة 208	629 ومنها مصاريف مدنيّة 158 مصاريف عسكريّة 208 خدمة الدين 318
العجز 126 مليون ليرة أي 20٪	

ومن أسباب الأزمة الماليّة :
– مشاركة فرنسا في حرب استقلال الولايات المتّحدة الأميركيّة والّتي كلّفتها مليارين من اللّيرات وتمّت تغطيتها بقروض داخليّة.

المرجع : تاريخ الثورة الفرنسيّة
أ سوبول – (نشر عويدات)

التعليمة

أبرز الأسباب المباشرة للثورة الفرنسيّة.

النشاط الثّاني : أتعرّف أهمّ نتائج ثورة 1789 في فرنسا وما جسّمته من مبادئ جديدة

الموارد :

الوثيقة 14 :

تمثيل الطبقات داخل المجلس المنعقد في فترة ماي – جوان 1789	
رجال الكنيسة	291 نائبا
النّبلاء	270 نائبا
الهيئة الثّالثة	578 نائبا

معطيات مكمّلة

مجلس "الهيئات العامّة" مؤسّسة استشاريّة موروثة عن العهد الفيودالي لم تجتمع منذ 1614 أي منذ تركيز الحكم الملكي المطلق ويتكوّن من نوّاب هيئات الأمّة الثلاث (رجال الدّين النّبلاء والهيئة الثّالثة) وتتمتّع داخلها هيئتا رجال الدّين والنّبلاء بالأغلبيّة نظرا لأنّ التّصويت كان يتمّ حسب الهيئة وليس حسب عدد النّوّاب وهما تكوّنان الأرستقراطيّة.

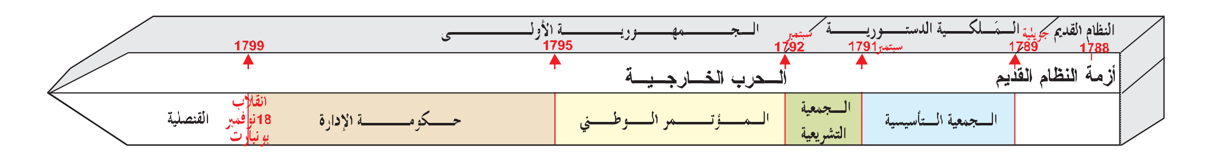
الوثيقة 15 :

قائمة أحداث صائفة 1789 والقرارات الثوريّة المتّخذة	
5 ماي 1789	– افتتاح اجتماع "الهيئات الهامّة" بقصر فرساي (ضاحية لباريس)
17 جوان 1789	– إعلان نوّاب الطّبقة الثّالثة ومن تحالف معهم من النّبلاء ورجال الدّين أنفسهم "جمعيّة وطنيّة" محقّقين الثورة القانونيّة.
20 جوان 1789	– الجمعيّة الوطنيّة تتحوّل إلى "جمعيّة تأسيسيّة" لإعداد دستور للبلاد.

الوثيقة 16

الجماهير الباريسيّة تدعم "الجمعيّة التّأسيسيّة وتستولي على سجن "الباستي" La Bastille رمز الاستبداد الملكي في 14 جويلية 1789.

الوثيقة 17: أطوار الثّورة وتطوّر النّظام السّياسي



معطيات توضّح السّلّم

- القسم العُلوي يُمثّل تطوّر النّظام السّياسي من الملكيّة الدّستوريّة إلى النّظام الجمهوري
- القسم السّفلي يمثّل تطوّر المجالس التّشريعيّة وهي على التّوالي : الجمعيّة التّأسيسيّة – الجمعيّة التّشريعيّة – المؤتمر الوطني – مجلس الشّيوخ والـ 500 في نظام حكومة الإدارة.
- يُمثّل انقلاب 9 – 10 نوفمبر 1799 نهاية الثورة وبداية الحكم الفردي لنابلون بونبارت الّذي أعلن الامبراطوريّة في 1804.

الوثيقة 18

إلغاء النّظام الإقطاعي والامتيازات

قرار الجمعيّة الوطنيّة التّأسيسيّة ليلة 04 أوت 1789

الفصل 1 : إنهاء النّظام الإقطاعي وإلغاء الحقوق والواجبات الإقطاعيّة على الأشخاص دون تعويض وجعل بقيّة الحقوق (المسلّطة على الأرض) قابلة للشّراء.

الفصل 4 : إلغاء المحاكم الإقطاعيّة دون أيّ تعويض

الفصل 5 : إلغاء العشر* بجميع أشكاله.

الفصل 7 : إلغاء بيع الوظائف ... بداية من هذه اللّحظة

الفصل 9 : تلغى الامتيازات الماليّة في ميدان الضّرائب وتشمل جبايتها كافّة المواطنين وكلّ الممتلكات بنفس الطّريقة...

الفصل 11 : يكون قبول المواطنين في جميع الوظائف بقطع النّظر عن مولدهم ولا تستثني من هذا أيّة مهنة

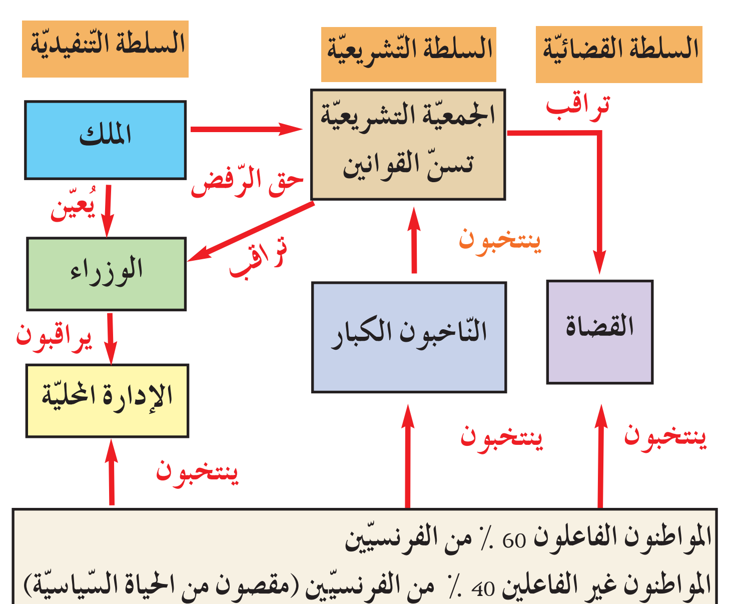
* العشر : ضريبة عينيّة تدفع للكنيسة.

معطيات مكمّلة

النّظام الإقطاعي : ينحدر من العصور الوسطى ويقوم على العلاقة الشّخصيّة بين السّيّد الّذي يحتفظ بملكيّة الأرض والفلاح الّذي لا يتمتّع إلاّ بالملكيّة المفيدة ويدفع أتاوات سنويّة إلى السّيّد.

وكان لهذا الأخير على أراضيه حقّ القضاء وحقّ الصّيد وضرائب الانتقال وبعض الاحتكارات الاقتصاديّة (استعمال الطاحونة والمعصرة والفرن الّتي ترجع للسّيّد) وتسمّى جملة الإتاوات والضّرائب المفروضة على الفلاّحين بالحقوق الاقطاعيّة وهي واجبات على الفلاّحين وكانت تمثّل أعباء لدى الشّعب ولا تستند البتّة إلى شرعيّة مقبولة.

الوثيقة 19 : توزيع السّلطات في دستور 1791



معطيات مكمّلة

قرارات الجمعيّة الوطنيّة الخاصّة بالضّرائب وتوحيد السّوق :

- إلغاء الضّرائب القديمة وإقرار المساواة بين المواطنين أمام الضّرائب
- إحداث ثلاثة ضرائب مباشرة
- توحيد السّوق الدّاخليّة بإلغاء كلّ الحواجز القمرقيّة والجبائيّة وتوحيد المكاييل والموازين.
- إقرار الحرّيّة الاقتصاديّة وإلغاء التّجمّعات المهنيّة (قانون 2 مارس 1789 المسمّى قانون "ألارد" وهذا الأخير هو مقرّر لجنة الضّرائب العامّة.

الوثيقة 20

التّناقض بين المبادئ الجديدة والقانون الانتخابي في 1791

«هل يُعبّر القانون عن الإرادة العامّة إذا ما يُحرَمُ من المساهمة في سنّه بصفة كُليّة العدد الأوفر ممّن جُعلَ لتسيير شؤونهم ؟ لا... أتكون الأمّة صاحبة السّيادة إذا ما تُجرّد أغلبيّة أفرادها من الحقوق السّياسيّة الّتي تجسّد [تلك] السّيادة ؟ لا... إذن ما معنى إعلانكم عن الحقوق إذا ما بقيت تلك الأوامر [الانتخابيّة التّمييزيّة] سائرة المفعول ؟ [ما هو إلاّ] عبارة جوفاء. ما تكون الأمّة [في هذه الحالة] ؟ [ستكون] مجرّد أمَة* إذ الحريّة هي الامتثال لقوانين وقع اختيارها والعبوديّة هي الإكراه على الإذعان إلى إرادة الغير...».

* أمَة : هي المرأة غير الحرّة.

من خطاب لروبسبيار في المجلس الوطني التّأسيسي في 1791

كتاب التّاريخ السّادسة ثانوي – م ق.ب 1992 ص 208)



روبسبيار (1758 – 1794)

ينتمي إلى أسرة من البورجوازيّة الصّغيرة – اٍمتهن المحاماة بمدينة "آراس" في شمال فرنسا. انتُخب نائبا عن الطّبقة الثّالثة سنة 1789 . كان من أنصار التّيّار الدّيمقراطي ورؤى"رُوسو" وبرز في فترة الحكم الثوري سنة 1794 وذهب ضحيّة تحمّسه من أجل نُصرة الثورة والحرّية.

الوثيقة 21

قرار الجمعيّة الوطنيّة التّأسيسيّة في 2 ـ 11 ـ 1789 (حول تأميم أملاك الكنيسة)

«...تعلن الجمعيّة الوطنيّة أن جميع أملاك رجال الدّين تصبح تحت تصرّف الأمّة الّتي تتولّى مصاريف إقامة الشّعائر الدّينيّة ودفع مرتّبات القائمين عليها وإسعاف الفقراء.

ورد بكتاب التّاريخ 2 ثانوي – الموروثات الأوروبيّة

كتاب نشر هاشات 1981 ص 123

الوثيقة 22



إصدار العملة الورقيّة المسمّاة "الأسّينيا" Assignat المضمّنة على قيمة أملاك الكنيسة منذ أن وقع تأميمها. ولقد شهدت هذه العملة انخفاضا مستمرّا في قيمتها وأضرّت بالحياة الاقتصاديّة وأحوال عديد الشّرائح في المجتمع.

الوثيقة 23

عقلنة المؤسّسات

قرار الجمعيّة الوطنيّة التّأسيسيّة في 22 - 12 - 1789

الفصل 1 : تُقسّم المملكة تقسيما جديدا إلى محافظات (83) تمثّل كلّ واحدة دائرة انتخابيّة.

الفصل 2 : تُقسّم كلّ محافظة إلى مناطق.

الفصل 3 : تُقسّم منطقة إلى نواحٍ.

الفصل 5 : يركّز في عاصمة كلّ محافظة مجلس منتخب.

الفصل 7 : تبعث بلديّات جدديدة في كلّ المدن والقرى.

قرار 16 - أوت 1790

فصل 1 : يُعيّن في كلّ ناحية قاض.

فصل 4 : ينتخب قاضي النّاحية انتخابا فرديّا وبأغلبيّة الأصوات.

(ورد بالتّوثيق الفرنسي المصوّر 1980)

الوثيقة 24

قرار الجمعيّة الوطنيّة التّأسيسيّة في 25 - 03 -1791

الفصل 7 : بداية من غرّة أفريل القادم يسمح لكلّ شخص بأن يتعاطى أيّة تجارة وأن يمارس أيّة حرفة أو مهنة يختارها بكلّ حريّة.

التّوثيق الفرنسي المصوّر جوان 1980

الوثيقة 25

قانون لو شابلیي (جوان 1791)

البند الثّامن : «كلّ تجمّع مكوّن من حرفيّين أو عمّال – قارّين أو يوميّين أو كلّ تجمّع تحضّه [هذه الفئات] على النّيل من حرّيّة ممارسة الحرفة أو العمل... سيعتبر تمرّدا ... وعلى هذا الأساس ستُفرّقه القوّة العموميّة وستناله صرامة القوانين»

التّوثيق الفرنسي (مرجع سابق)

الوثيقة 26

مقتطفات من إعلان حقوق الإنسان والمواطن (26 أوت 1789)

«إنّ ممثّلي الشّعب الفرنسي المنتظمين في جمعيّة وطنيّة، اعتبارا منهم أنّ جهل حقوق الإنسان أو تناسيها أو احتقارها هي الأسباب الوحيدة للمصائب العامّة ولفساد الحكومات، قد قرّروا إبراز حقوق الإنسان الطّبيعيّة والثّابتة والمقدّسة في إعلان مشهود حتّى يكون هذا الإعلان راسخا في أذهان كلّ أعضاء الكيان الاجتماعي يُذكّرهم دوما بحقوقهم وواجباتهم... وتبعا لذلك تُقرّ الجمعيّة الوطنيّة وتعلنُ أمام الكائن الأعلى وتحت رعايته حقوق الإنسان والمواطن...»

البند 1 : يولد النّاس ويبقون أحرارا ومتساوين في الحقوق ولا يُمكن للفوارق الاجتماعيّة أن تبنى إلا على المنفعة العامّة.

البند 2 : أنّ الهدف من أيّ مؤسّسة سياسيّة هو الحفاظ على حقوق الإنسان الطّبيعيّة الّتي لا يمكن التّنازل عنها وهي الحريّة وحقّ الملكيّة والأمن ومقاومة الاستبداد.

البند 3 : إنّ مبدأ كلّ سيادة يكمن في الأمّة أساسا. ولا يجوز لأيّ مجموعة أو لأيّ شخص أن يمارس سلطة لا تستمدّ من الأمّة صراحة...

البند 4 : إنّ الحرّيّة هي القدرة على إنجاز كلّ عمل لا يلحق الضّرر بالآخرين لذا فإنّ ممارسة أيّ إنسان لحقوقه الطّبيعيّة لا تتوقّف إلاّ عند الحدود الّتي تضمن لبقيّة أفراد المجتمع التّمتّع بتلك الحقوق ذاتها والقانون هو وحده الكفيل بضبط تلك الحدود.

البند 6 : إنّ القانون هو تعبير عن الإرادة العامّة. لذا فإنّ من حقّ كلّ المواطنين أن يساهموا في إعداده إمّا بأنفسهم أو عن طريق ممثّليهم، وينبغي أن يُطبّق نفس القانون على الجميع... وبما أنّ كلّ المواطنين متساوون أمام القانون فلهم نفس الحقّ في أن يشغلوا كلّ الرّتب وكلّ المناصب والوظائف العموميّة كلّ حسب قدراته لا تمييز لواحد على الآخر إلاّ بالفضائل والمواهب.

البند 9 : يعتبر كلّ إنسان بريئا ما لم تثبت إدانته.

البند 10 : لا يجوز إزعاج أيّ كان بسبب آرائه حتّى وأن كانت دينيّة بشرط ألاّ يُخِلّ التّعبير عنها بالنّظام العامّ الّذي يضبطه القانون.

البند 11 : إنّ التّعبير الحرّ عن الأفكار والآراء لمن أثمن حقوق الإنسان فلِكلّ مواطن الحقّ في الكلام والكتابة والنّشر بكلّ حرّيّة إلاّ أنّه مسؤول عن كلّ تجاوز قد ينتج عن تلك الحرّيّة حسب الحالات الّتي يحدّدها القانون...

البند 16 : إنّ كلّ مجتمع لا تُضمن فيه الحقوق ولا تفصل فيه السّلطات إنّما هو مجتمع بلا دستور

البند 17 : إنّ الـمِلكيّة حقّ مُقدّس لا يمكن المسّ به، لذا لا يجوز أن يُحرَم منها أيّ كان إلاّ فيما اِقتضته صراحة الضّرورة العامّة المثبتة قانونيّا وبشرط تعويض عادل مسبّق.

(صادقت عليه الجمعيّة التّأسيسيّة في 26 أوت 1789)

التعليمات

– حدّد الأهداف الّتي رفعتها الثورة الفرنسيّة ومدى تجسيدها في النّظام الّذي إقامتْه بعد الإطاحة بالنّظام القديم في فرنسا.

– أبرز الأبعاد الإنسانيّة لمبادي الثّورة الفرنسيّة.

الوثيقة 27

قرار 15 ديسمبر 1792

«قرّر المؤتمر الوطني [1] :

في البلدان المحتلّة أو الّتي سيقع احتلالها من قبل جيوش الجمهوريّة يعلن قوّاد الجيش فورا باسم الأمّة الفرنسيّة سيادة الشّعب وإلغاء كلّ السّلط القائمة والضّرائب أو الغرامات الموجودة وإبطال العشر والإقطاع والحقوق المولويّة [2] وكلّ الامتيازات على الإطلاق.

ويعلنون للشّعب أنّهم يأتونه بالسّلم والإعانة والإخاء والحرّيّة والمساواة...»

ورد بكتاب السّادسة ثانوي م.ق.ب. 1992

1 – المؤتمر الوطني هو النّظام الّذي رُكّز بعد إلغاء الملكيّة في 10 أوت 1792

2 – الحقوق المولويّة : هي الحقوق السّياديّة وتعتبر مأخوذة بالقوّة وهي حقوق الشّرف والعدل والضّرائب (المرور والأسواق) وحقوق الصّيد البرّي والبحري والسخرة الشّخصيّة في خدمة السّيد إلخ... وإن يرى البعض أنّ هذه الحقوق لم تعد بالثّقل المعهود.

الوثيقة 28

حقّ شعب الألزاس* في تقرير المصير

«...أتُلزِمُ شعب فرنسا وكذلك شعب "الألزاس" الاتّفاقيّات القديمة الّتي تقرّر بموجبها إلحاق هذا بذاك في عهد الاستبداد ؟ إنّ شعب الألزاس اتّحد مع الشّعب الفرنسي لأنّه أراد ذلك فإرادته وحدها ولا معاهدة مونستار المبرمة في 1648 هي التي تجعل الوحدة شرعيّة.»

من خطاب نائب بالجمعيّة التّأسيسيّة في 28 ـ 10 ـ 1790

ورد بتاريخ الثورة الفرنسيّة أ.سوبول ص 199

* الألزاس : منطقة في شرق فرنسا متاخمة للمقاطعات الألمانيّة يمتلك فيها أمراء ألمان إقطاعات وفقا لمعاهدة مونستار في 1648 وقد رفض هؤلاء الاعتراف بقرار إلغاء الإقطاع (4 أوت 1789).

الوثيقة 29

كتب الألماني "غُوتة"Goethe حول الثّورة الفرنسيّة

«...عندما سمعنا بالحديث عن الحقوق المشتركة بين كلّ النّاس وعن الحرّيّة المنعشة وعن المساواة العزيزة... أصبح كلّ واحد منّا يأمل في التّمتّع بحياته. ألم تتجه كلّ أنظار الشّعوب المضطهدة نحو عاصمة العالم ؟

لكن سرعان ما اكفهرّت السّماء حيث تكالبت فئة من المفسدين لتنتفع من الهيمنة وتضطهد الشّعوب المجاورة ... لقد نهبونا وتزايد الاضطهاد من ساعة إلى أخرى... فأقسمنا على الثّأر لهذه الإهانات ولخيبة االأمل المرّة.

ورد بوثائق التّاريخ الحيّة – المنشورات الاجتماعيّة

(كتاب التّاريخ 5 م.ق.ب. بـ ص 217)

* غوته (1749 ـ 1832) كاتب ألماني عاصر الثورة االفرنسيّة وتوسّعاتها داخل أوروبا وخاصّة في عهد نابليون بونبارت.

الوثيقة 30

حرب الفتح والرّوح الجمهوري

– قال سان جوست* في خطاب بتاريخ 12 فيفري 1793 معلنا أنّه لا ينتظر النّصر «...إلاّ بنسبة التّقدّم الّذي يكون قد أحرزه الرّوح الجمهوري في الجيش».

* سان جوست (1767 – 1794) أحد قادة تيّار الجبليّين (اليساري) في المؤتمر الوطني إلى جانب روبسبيار، برز كمدافع عن الثّورة وكحليف للطّبقات الشّعبيّة داخل الحكومة الثوريّة (1793 – 1794)

– أعلن بونابارت* في خطابه يوم 26 مارس 1796 قُبيل حملته على إيطاليا :

«أيّها الجنود أنتم عراة سيّئو التّغذية وأريد أن أقودكم إلى أخصب سهول العالم وستكون مقاطعات غنيّة من المدن الكبيرة تحت سيطرتكم وستجدون فيها السّعادة والمجد والغنى...»

ورد في أ سوبول تاريخ الثورة الفرنسيّة ص 476

* نابوليون بونابارت Bonaparte (1763 ـ 1821)

كورسيكي الأصل امتهن العمل العسكري وانخرط في الثورة برز كجنرال مظفّر في حروب الثورة وفرض حكمه الفردي بداية من 1799 ثمّ أعلن نفسه اِمبراطورا تحت إسم نابليون الأوّل.

معطيات مكمّلة

- حرمت كلّ من الجمعيّة التّأسيسيّة والجمعيّة التّشريعيّة (1789 – 1792) الملوّنين والنّساء من المساواة المدنيّة ممّا أنجرّ عنه انتفاضة العبيد بجزيرة "سانت دومانق "Saint Domingue" في أمريكا الوسطى سنة 1791 (وهي إحدى جزر الأنتيل ومن الممتلكات الفرنسيّة في تلك المنطقة).
- ألغي الجبليون وهم الجناح الأيسر من المؤتمر الوطني العبوديّة في المستعمرات في 1794 بينما قامت حكومة الإدارة (بداية من 1795) بإعادة العمل بها.

التعليمة

– وضّح أوجه اِنتشار مبادئ الثورة الفرنسيّة وأثرها على العلاقات مع الشّعوب الأخرى.

واجه النّظام الملكي في فرنسا أثناء الرّبع الأخير من القرن XVIII أزمة شاملة أدّت إلى اندلاع ثورة 1789.
وتشترك الثورة الفرنسيّة مع سابقتيها الثورة الإنقليزيّة (1688 – 1689) والأميركيّة (1775 – 1783) في أسبابها العميقة والمرتبطة بالتّحوّلات الاقتصاديّة والاجتماعيّة والفكريّة في القرن XVIII، كما كانت لها أسباب خاصّة بأوضاع فرنسا الدّاخليّة.
وقد أحدثت ثورة 1789 قطيعة مع "النّظام القديم" الّذي كان قائما على مَلَكيّة الحقّ الإلهي الضّامنة لامتيازات الأرستوقراطيّة لتُحلَّ محلّه نظاما جديدا على أسس مستوحاة من فكر فلاسفة التّنوير.
وشكّلت نقطة تحوّل هامّة في تاريخ فرنسا الحديث بل وفي تاريخ أوروبا والعالم لما أنجزته من عمل تأسيسي في ميدان الممارسات السّياسيّة.هو اليوم من أسس نموذج "الدّولة الأمّة" فضلا عمّا يمثّله إعلان حقوق الإنسان والمواطن من إسهام في سبيل تحرير الإنسان رغم ما انتابه من انحرافات في مستوى التّطبيق.

I - أسباب الثورة :

تعتبر الثورة الفرنسيّة حلقة من سلسلة الهزّات الثّوريّة ضدّ الحكم المطلق ومن أجل الحرّيّات وتشترك معها في أسبابها العميقة والمرتبطة بنشأة الرأسماليّة وبصعود قُوى اجتماعيّة تستمدّ قوّتها من الأنشطة التّجاريّة والماليّة والصّناعيّة خاصّة.

1ـ الأسباب العميقة : الوثائق : من 2 إلى 9

أ – التّحوّلات الاقتصاديّة والاجتماعيّة منذ القرن XVIII :
وتتلخّص في :
- النّموّ الدّيموغرافي الهامّ الّذي نجم عنه تزايد في الطّلب على الموادّ الغذائيّة والمصنوعات ممّا جعل الاستهلاك يرتفع وكذلك الأسعار.
- اِستفادة البورجوازيّة من الأنشطة التّجاريّة وخاصّة منها التّجارة الكبرى والأنشطة الماليّة وبداية التّصنيع. ويعكس هذا الازدهار نموّ الموانى الأطلسيّة في فرنسا كبوردو ونانت والمتوسّطيّة كمرسيليا.
- إلاّ أنّ هذه التّحوّلات حصلت داخل هياكل تقليديّة معرقلة إذ حافظ المجتمع الفرنسي على بنيته الموروثة عن العصور الوسطى وظلّ مقسّما إلى فئتين متباينتين وغير متجانستين :

– الفئة المحظوظة المتركّبة من النّبلاء ورجال الدّين (2 ٪ من مجموع السّكّان) والّتي تحظى بامتيازات عديدة شرفيّة وجبائيّة كما تحتكر أعلى الوظائف المدنيّة والعسكريّة إلى جانب الحقوق الإقطاعيّة المفروضة على الفلاّحين. و لم تكن الارستوقراطيّة تكوّن طبقة منسجمة من حيث الثروة والمكانة وقد كان البعض منها متفتّحا على الأفكار الجديدة والأنشطة الاقتصاديّة العصريّة مثل الصّناعة.
– الفئة غير المحظوظة والّتي تمثّلها "الهيئة الثّالثة" أي ما يقارب 98 ٪ من مجموع السّكّان وضمنها البورجوازيّة من سكّان المدن والمشتغلين بالتّجارة والحرف أو المهن الحرّة إلى جانب الفئات الشّعبيّة... وضمنها الرّيفيّة منها والحضريّة. ويجمع بين عناصر الهيئة الثّالثة رفضها للامتيازات وثقل الجباية ولا سيّما فئة الفلاّحين الّتي تمثّل أغلبيّة المجتمع. وقد أصبحت فئة البورجوازيّة تتطلّع إلى تحطيم الهياكل القديمة لتوسيع أنشطتها ولتبوّء المكانة الّتي تخوّلها لها كفاءتها وثرواتها خاصّة وأنّها وجدت كلّ الدّعم المعنوي والفكري من "حركة التّنوير".

ب – ظهور الأفكار الجديدة وانتشارها : (أنظر درسي فكر التّنوير والموسوعة)
لقد أسهم تيّار التّنوير. ولا سيّما في فرنسا عن طريق النّوادي والصالونات والمقاهي وغيرها في انتشار الأفكار التحرّريّة والإيمان بالتّقدّم والسّعي من أجل تحقيق السّعادة ممّا مهّد إلى بروز رأي عامّ متنوّر وعقلاني متحفّز للتّأثير في الأحداث مثلما كان الحال إبّان أزمة النّظام االقديم بين 1787 و 1789.
وقد كان للثورة الأميركيّة من أجل الاستقلال عن إنقلترا الوطن الأمّ والتّحرّر من سياستها المركنتيليّة، الصّدى الكبير في كامل أوروبا وفي فرنسا على وجه الخصوص، فضلا عمّا كان للمثال الإنقليزي من جاذبيّة لدى الفلاسفة من حيث التّوصّل إلى الموازنة بين سلطة الملك ومشاركة الشّعب في الحكم عن طريق نوابه في البرلمان.
ج – أزمة المؤسّسات :
ظلّت الملَكيّة في فرنسا مثالا للحكم المطلق منذ أن وقع تركيزه خلال القرنXVII خاصّة في عهد لويسXIV و لم تستجب إلى تطلّعات شرائح هامّة من المجتمع وبقي الملوك متشبّثين بنفوذهم مثل سابقيهم دون أن يكونوا دائما في مستوى مهمّتهم مثلما كان الحال بالنّسبة للويس XVI الّذي تولى الحكم سنة 1774.
و لم يشهد الجهاز الإداري تطويرا ولا تحديثا يتماشى ومتطلّبات التّطوّر الاقتصادي والاجتماعي الحاصل، إذ كانت الأقاليم تختلف عن بعضها البعض في مستوى القوانين والمكاييل والموازين ويفصل بينها حواجز جمركيّة ممّا يحول دون وجود سوق وطنيّة موحّدة.
و لم يكن النّظام الضّرائبي أكثر عقلانيّة ولا أكثر عدلا من حيث التّوزيع ولا من حيث الجباية فقد كانت الأرستوقراطيّة تتمتّع بامتيازات عديدة بينما أثقل كاهل الطّبقة الثّالثة بمختلف الضّرائب الملكيّة إضافة إلى العشر الّذي تستخلصه الكنيسة. وقد أجمعت العرائض المحرّرة استعدادا للمشاركة في اجتماع الهيئات العامّة حول المطالبة بالمساواة بين الجميع أمام الضرائب وتوزيعها المنطقي.

2 – الأسباب المباشرة | الوثائق : 11 – 12 – 13 |

أ – الأزمة الاقتصاديّة والاجتماعيّة قبيل الثورة :
عاشت فرنسا بين سنتي 1787 و 1789 مواسم فلاحيّة رديئة وكانت الأزمة الزّراعيّة في سنة 1788 أعنف ما عرفه القرنXVIII وكان لهذا الوضع أشدّ الوقع بالنّسبة للطّبقات الشّعبيّة، وقد انعكس ذلك على القطاع الصّناعي المتضرّرمن المنافسة الإنقليزيّة بعد إبرام معاهدة التّبادل الحرّ سنة 1786. فكثر التّسوّل النّاجم عن البطالة وظهرت الاضطرابات في الأقاليم من جرّاء ارتفاع أسعار الموادّ الأساسيّة.
ب – الأزمة الماليّة والسّياسيّة :
ظلّ النّظام الملكي في فرنسا يعاني منذ زمن بعيد من أزمة ماليّة. اِزدادت حدّة بسبب المشاركة في حرب استقلال الولايات المتّحدة الأمريكيّة. وقد تعدّدت محاولات إصلاح الأوضاع الماليّة والحدّ من عجز الميزانيّة وآلت إلى الفشل نتيجة معارضة أصحاب الامتيازات من النّبلاء ورفضهم التّخلّي ولو عن جزء منها.
وتركّزت معارضتهم داخل البرلمانات (المحاكم العليا)وخاصّة منها برلمان باريس الّذي يضطلع بمهمة تسجيل القوانين ممّا أدّى بالملك لويس XVI إلى فرض الإصلاحات القضائيّة والماليّة بالقوّة وهو ما رفضه النّبلاء وطالبوا بدعوة مجلس «الهيئات العامّة» إلى الانعقاد قصد إيجاد حلّ للأزمة. فرضخ الملك إلى مطلبهم وهو ما يُعتبر مدخلا للثورة.

وحُدّد تاريخ اِنعقاد ذلك المجلس في شهر ماي 1789 واستعدادا لذلك دعي السّكّان حسب الهيئات الاجتماعيّة إلى اختيار نوابهم وإلى تحرير عرائض يضمّنونها مطالبهم ومقترحاتهم ولئن اِضطرّ الملك إلى القبول بمبدأ مُضاعفة عدد نواب الهيئة الثّالثة الّتي تمثّل 98 ٪ من السّكّان تقريبا فإنّه لم يأخذ بمبدإ التّصويت الفردي ممّا شكّل نقطة خلاف في أعمال "الهيئات العامّة" وقع تجاوزها بإعلان نوّاب "الهيئة الثّالثة" أنفسهم "جمعيّة تأسيسيّة" كسُلطة مقابلة للسّلطة الملكيّة إيذانا بالثّورة.

II - أهمّ نتائج ثورة 1789 وتجسيم المبادئ الجديدة

أفضى اجتماع "الهيئات العامّة" في ماي وجوان 1789 إلى ثورة أنجزها نوّاب الطّبقة الثّالثة ومن تحالف معهم من النّبلاء ورجال الدّين المتحرّرين منذ 17 جوان 1789 وتمكّنوا من الإطاحة بالنّظام القديم ليُحِلّوا محلّه نظاما جديدا يستندُ إلى إعلان حقوق الإنسان والمواطن ودستور 1791.

1 – المبادئ المرفوعة في 1789 ومدى تطبيقها : الوثائق : من 23 إلى 26

- إنّ إعلان حقوق الإنسان والمُواطن هو بمثابة "التّعاليم الدّينيّة" للنّظام الجديد، وهو يوضّح جوهر حقوق الإنسان وحقوق "الأمّة" في مقدّمته وفي بنوده السّبع عشرة ويؤكّد على الحرّيّة ويربَطها بالمُساواة وتعني المساواة المدنيّة فقط، فالقانون واحد للجميع، وجميع المواطنين متساوُون أمامه.
- كما خصّص الإعلان عددا من البنود إلى حقوق الأمّة، والأمّة هي جميع المواطنين وفيها تكمن السّيادة والقانون تعبير عن إرادة المجموع.
- أمّا فيما يتعلّق بحقوق المواطن فإنّه من حقّ جميع المواطنين العمل على صياغة القانون إمّا بأنفسهم أو بواسطة ممثّليهم (بند 6)، وحقّهم في مراقبة الأموال العامّة وإدارتها (بند 14 و 15)
- ويؤكّد الإعلان على قُدسيّة حقّ الملكيّة، فهي حقّ طبيعي ولا يمكن حرمان أحد منها إلاّ للضّرورة العامّة وشرط تعويض مسبق وعادل (البند 17)،
- كما تضمّن الإعلان عن حقوق الإنسان والمواطن حقوق الإنسان الفرديّة ويُقرّ أساسا المساواة المدنيّة (أمام القانون) والحرّيّة الفرديّة وحقّ الملكيّة، مجسّدا أفكار فلاسفة التّنوير وهو ما لقي الصّدى العميق لدى المثقّفين الأوروبيّين (هيقل وغوته مثلا) الّذين انبهروا بالثورة الفرنسيّة.

2 – إعادة بناء فرنسا : الوثائق : من 17 إلى 23

– المستوى السّياسي :

استند النّظام السّياسي الّذي أرسته الجمعيّة التّأسيسيّة إلى دستور 1791 وهو أوّل دستور مكتوب في فرنسا. وقد بني هذا الدّستور على مبدإ سيادة الأمّة عوضا عن سيادة الملك وعلى الفصل بين السّلطات وتقتصِر سلطة الملك الّذي يلقّب بملك الفرنسيّين عوضا عن ملك فرنسا – على السّلطة التّنفيذيّة، وهو مدعوّ إلى أداء القسم على احترام الدّستور، وقد مُنح حقّ الرّفض لمدّة سنتين للاعتراض على مشاريع القوانين الّتي تتقدّم بها الجمعيّة التّشريعيّة.

أمّا السّلطة التّشريعيّة فإنّها من خصوصيّات الجمعيّة (أو المجلس) التّشريعيّة المنتخبة لسنتين وهي الّتي تعدّ مشاريع القوانين وتصادق عليها كما تعدّ الميزانيّة وتراقب السّلطة التّنفيذيّة وتجسّم الجمعيّة التّشريعيّة سيادة الأمّة وفقا لمبدإ العقد الاجتماعي وإن كانت تمثيليّتها منقوصة إذ يحرم دستور 1791 ثلاثة ملايين من المواطنين من حق الانتخاب.

والملاحظ أنّ هذا الانحراف عن المبادئ المعلنة في إعلان حقوق الإنسان والمواطن قد وقع تجاوزه بعد إلغاء الـمَلَكيّة في 10 أوت 1792 باعتماد مبدإ الاقتراع العامّ لانتخاب المؤتمر الوطني أو "الكونفنسيون"، ثمّ وقع التراجع عنه من جديد بعد سقوط الحكومة الثوريّة في جويلية 1794.

– المستوى الإداري :

عملت الجمعيّة التّأسيسيّة من أجل تجاوز سلبيّات الجهاز الإداري القديم وعقلنة المؤسّسات عموما وذلك :

- بإلغاء التّقسيمات الإداريّة غير المتجانسة وتعويضها بأخرى جديدة متجانسة ومتراتبة من محافظات ومناطق ونواح وبلديّات.
- باعتماد اللاّمركزيّة في التّسيير وانتخاب المسيّرين الإداريّين في مستوى المحافظات والبلديّات.

تنظيم القضاء على مستوى المحافظة واعتماد قاعدة الانتخاب والمجانيّة فيه كما أصبح القضاة يتقاضون مرتّبات بعد إلغاء بيع الوظائف.

– المستوى الاقتصادي :

- توحيد السّوق الدّاخليّة بإلغاء الحواجز الجمركيّة الدّاخليّة وتوحيد المكاييل والموازين.
- تحرير العمل والتّجارة وإلغاء كلّ العوائق مثل التّكتّلات المهنيّة.
- منح الإنتاج الوطني حماية جمركيّة ضدّ المنافسة الأجنبيّة.
- لكنّ قانون لوشابوليي Le chapelier 14 جوان 1791 منع الحقّ النّقابي والإضراب
- المحافظة على نظام "الحصر التّجاري" فيما يتعلّق بتجارة المستعمرات (12 مارس 1791) أي أن هذه الأخيرة لا تستطيع أن تتاجر إلاّ مع المتروبول (أي الوطن الأمّ).

– الإصلاح الجبائي :

- تفكيك النّظام الجبائي القديم غير العادل وإلغاء الضّرائب غير المباشرة.
- إحداث ثلاث ضرائب مباشرة تدفع من طرف كلّ المواطنين وتكون متماشية مع الدّخل .
- تكليف البلديّات بجباية االضّرائب.

– الإصلاح المالي وإعادة تنظيم الشّؤون الدّينيّة :

- تأميم أملاك الكنيسة لحلّ الأزمة الماليّة وبعث نقد ورقي سمّي بالأسينيا (Assignat) مع ضمان قيمته ببيع أملاك الكنيسة.
- إقامة علاقة جديدة وفقا "للدّستور المدني لرجال الدّين" الّذي يجعل من هؤلاء موظّفين لدى الدّولة ومطالبين بأداء اليمين لاحترام الدّستور بينما أصبح التّعليم والمساعفة الاجتماعيّة من مشمولات الدّولة.

3 – مدى انتصار المبادئ الجديدة : الوثائق : من 20 – 27 – 28 – 29

لقيت مبادئ الثورة ولاسيّما الحريّة والمساواة وحقوق الإنسان عموما صدى عميقا داخل فرنسا وخارجها واكتست صفة العالميّة، وغدت الثورة الفرنسيّة ومثيلاتها البورجوازيّة المثال الأوحد للشّعوب الّتي تروم معارضة الإقطاعيّة والاستبداد.

إلاّ أنّ قصر حق الانتخاب على المالكين ليعتبر إخلال بمبدإ المساواة وقد وقع تبرير ذلك بضرورة توفّر حدّ أدنى من التّعليم وبالتّالي من الثروة للمُمارسة حقّ التّصويت كما أن إعلان حقوق الإنسان والمواطن لا يخلو من التّحفّظات والشّروط الّتي تحدّ من أهمّيته والهدف منها التّسلّح ضدّ كلّ محاولة شعبيّة لتقويض النّظام الضّامن لمصالح البورجوازيّة.

تعهّدت حكومة المؤتمر الوطني عند دخولها في حرب ضدّ ملوك النّمسا وبروسيا في 1792 بتطبيق مبادئ الثورة كسيادة الشّعب وإلغاء الإقطاع وأنّ الجيوش الفرنسيّة تأتي إلى شعوب البلدان المحتلّة بالسّلم والحرّيّة والمساواة.

لكنّ الحروب الدّفاعيّة الّتي خاضتها الثورة الفرنسيّة لحماية نفسها من الثّورة المضادّة انقلبت شيئا فشيئا إلى حرب غزو واستغلال واضطهاد واجهته الشّعوب المحتلّة بالمقاومة فضلا عمّا أحدثه ذلك من خيبة أمل لديها وخاصّة منذ 1796 على يد نابلون بونابارت إلى حدود 1815.

و لم تلق مبادئ الثورة في أوّل الأمر الصّدى الجدير بها في البلدان العربيّة والإسلاميّة وإن مثّلت بالنّسبة لمصر الّتي تعرّضت إلى حملة نابليون بونابارت بين 1798 و 1801 حافزا من أجل بناء نهضتها الحديثة بعد أن اكتشفت التّقدّم الأوروبي وتخلّف العرب والمسلمين، إلاّ أن زعماء النّهضة العربيّة وجلّ المفكّرين العرب والمسلمين في القرن التّاسع عشر وبعده من أمثال الطّهطاوي وخير الدّين وابن أبي الضّياف وغيرهم قد انبهروا بالمبادئ الّتي رفعتها الثورة الفرنسيّة وآمنوا بضرورة تكريسها لإخراج بلدانهم من التّخلّف والانحطاط.

خاتمة :

تمثّل الثورة الفرنسيّة لسنة 1789 تحوّلا سياسيّا واجتماعيّا وفكريّا بالغ الأهمّيّة تمكّنت من خلاله النّخبة البورجوازيّة المتنورّة بدعم من الطّبقات الشّعبيّة الحضريّة والرّيفيّة من تحقيق تطلّعاتها على مختلف الأصعدة ومن بناء دولة حديثة تجسّدت فيها مبادئ التّنوير وإنّ بدرجة متفاوتة وقد اكتست أبعادا إنسانيّة كما كان لها دور تأسيسي في أرساء قواعد الممارسة السّياسيّة الدّيمقراطيّة.

المقال التاريخي 2

I - تعريف المقال وأصنافه :

1 – تعريف المقال: هو عمل تأليفي يعالج إشكاليّة يطرحها الموضوع ويسوجب تعبئة المعلومات والقدرة على التّحليل والاستنتاج.

2 – أصنافه :

الموضوع التحليلي :

يتناول هذا الصنف تحديد مختلف جوانب حدث ما أو ظاهرة تاريخية وتحليلها.

ويتطلب هذا الصنف من المواضيع اعتماد تخطيط غالبا ما يتضمن العناصر التالية : الأسباب المظاهر النتائج.

أمثلة :

– سياسة الإصلاح في تونس في القرن XIX .

– أثر أفكار التنوير في التحولات السياسية والاجتماعية في فرنسا بين 1789 و 1799 .

الموضوع اللوحة أو الحصيلة :

يتمثل في دراسة ظاهرة تاريخية أو الأوضاع في بلد ما أو في منطقة من العالم أوفي العالم في تاريخ محدّد (يمكن أن تكون المدّة الزمنية سنة أو فترة أو قرنا كاملا).

ويتطلّب هذا الصنف من المواضيع اعتماد تخطيط حسب محاور الاهتمام (الجانب السياسي والاقتصادي والاجتماعي).

أمثلة :

– الإيالة التونسية سنة 1574.

العلاقات العثمانية الأوروبية خلال القرن XVI م.

الموضوع التطوّري :

يتناول هذا الصنف دراسة تحولات وضع أو ظاهرة خلال فترة محدّدة زمنيا بتاريخين ، وتفرض إشكالية هذا الصنف من المقالات تخطيطا يبرز مراحل التطوّر المميزة للفترة موضوع الدراسة.

أمثلة :

تطوّر النظام السياسي في فرنسا بين 1789 و 1799.

مقاومة الاستعمار بالبلاد التونسية بين 1881 و 1914 .

موضوع المقارنة :

يتعلق بدراسة مقارنة لظاهرة أو لأحداث تاريخية في نفس البلد أو في بلدين أو في منطقتين من العالم ، ويعتمد تخطيطا في جزأين يتعلقان بأوجه التشابه وأوجه الاختلاف.

ملاحظة هامة : ينبغي تجنب التطرّق إلى طرفي المقارنة كلّ على حدة.

أمثلة :

قارن التطوّر السياسي في إيالتي تونس والجزائر في القرن XVIII.

قارن الأفكار الإصلاحية لكلّ من خير الدين باشا وجمال الدين الأفغاني.

II - منهجيّة المقال:

ينبني المقال بمختلف أصنافه على المكونات التالية :

1 – المقدمة : تتضمن الأجزاء التالية :

– وضع الموضوع في إطاره العام .

– طرح الإشكالية (أي الإعلان عن التخطيط وذلك بتحديد العناصر الأساسية).

2 – الجوهر : ينظم حسب عناصر أساسية (اثنين أو ثلاثة) وتقدّم في منطلق كلّ عنصر الفكرة الرئيسية ثم يليها التحليل ويختم العنصر بجملة تخلّص وربط مع العنصر الموالي. ويتطلب التحليل حسن توظيف المعطيات التاريخية.

3 – الخاتمة : تتكوّن من جزأين :

حصيلة الاستنتاجات للتحليل المنجز.
فتح آفاق للموضوع بطرح إشكالية جديدة.

III – طريقة الإنجاز ومراحله :

يتطلّب إنجاز المقال التمشيات التالية :

– قراءة الموضوع بصفة مركزة وفهمه ثم تفكيكه مع تنزيله في الزمان والمكان.
– تعبئة المعلومات المرتبطة بالموضوع وترتيبها وتصنيفها حسب محاور الاهتمام أو حسب الفترات الزمنية.
– تحديد الإشكالية أو الإشكاليات التي يطرحها الموضوع
– بناء المقدمة وتخطيط مفصل .
– تحرير المقال بعناية مع الحرص على فصل مكوناته في ورقة التحرير.
– قراءة أخيرة للعمل المنجز وإصلاح الأخطاء.

IV- مثال تطبيقي

– الموضوع :

أُدرس تأثير أفكار التّنوير في التّحوّلات السّياسيّة والاجتماعيّة في فرنسا بين 1789 ـ 1799.

المحور الثّالث

الإمبراطوريّة العثمانيّة والمغرب العربي في القرن الثّامن عشر

مقدمة:

يتناول المحور بالدّرس بداية ضعف الإمبراطوريّة العثمانيّة وتراجعها في فترة كانت أوروبا الغربيّة تشهد خلالها تحوّلات مهمّة في كلّ الميادين الأمر الّذي جعل الإمبراطوريّة في مواجهة مباشرة للعديد من التّحدّيات الدّاخليّة والخارجيّة. ورغم محاولات الإصلاح المتعدّدة عجزت الإمبراطوريّة عن الخروج من أزمتها وعن المحافظة على وحدة مجالها الجغرافي الّذي شهد تقلّصا بفقدان بعض أجزائه الأوروبيّة وبتركّز كيانات شبه مستقلّة في المغرب العربي أصبحت بدورها عرضة للهيمنة الأوروبيّة.



من مظاهر أزمة الإمبراطوريّة العثمانيّة : هزيمة الأسطول العثماني أمام الأسطول الرّوسي بمعركة تشيسمي (1770) قبالة جزيرة المورة

أزمة الإمبراطوريّة ومحاولات الإصلاح الأولى

التّطوّر السّياسي للإيالات العثمانيّة والمغرب الأقصى في القرن الثامن عشر

الدّولة الحسينيّة في القرن الثامن عشر : علاقة السّلطة بالمجتمع

الدّرس 12 أزمة الإمبراطورية العثمانية في القرن الثامن عشر

المدخل

أدرس عوامل تأزّم الأوضاع الداخلية والخارجية للإمبراطورية العثمانية في القرن الثامن عشر لأتبيّن كيفيّة انتقال هذه القوّة من طور التوسّع والازدهار إلى طور التقهقر والانحدار رغم محاولات الإصلاح الأولى التي قام بها بعض سلاطين آل عثمان.

النشاط الأول : أتبيّن عوامل ومظاهر الأزمة السياسية التي عرفتها الإمبراطورية العثمانية خلال القرن الثامن عشر.

الموارد :

الوثيقة 1

ضعف السّلطة المركزيّة

"في تلك الأثناء اتّجه انتباهي إلى أسباب هذه الثورة [1]...ولم أخطئ بإيجاز (هذه الأسباب في) الاستخدام العاطل لمؤسّسات الدولة، وتراخي الوزراء وكبار الإداريين، وعدم اضطلاعهم بمسؤولياتهم...ومن المناسب الاعتقاد بأنّ علامات الوهن في جسم الدولة وهذه المظاهر من الضّعف ليست إلاّ التنبّؤ بانحطاطها وانحلالها..."

إبراهيم متفرّقة [2]، أصول الحكم في نظام الأمم، ذكره: وحيد قدّورة، بدايات الطباعة العربية في اسطنبول وسوريا، ص 212

(1) ثورة الإنكشاريين وعلماء الدين ضدّ السلطان أحمد الثالث سنة 1730

(2) من الدّعاة إلى الإصلاح في القرن الثامن عشر

الوثيقة 2

فساد الإدارة العثمانية

قال السلطان سليم الثالث مخاطبا حاكم مقاطعة القرم:
"...ماذا يمكنني أن أفعل بمفردي...فكلّ الباشوات منحطّون ومرتشون ولا همّ لهم سوى العيش بين الموسيقيين والجواري الحسان. إنّي أعمل من أجل أن تنتظم الأمور في الإمبراطورية لكن لا يوجد شخص واحد يريد أن يساعدني في ذلك..."

ورد في دي لا جونكيير De la Jonquiere ، تاريخ الإمبراطورية العثمانية، ص374

الوثيقة 3

تراجع القوّة العسكريّة

"...إنّ (الإنكشاريين) لا يعرفون شيئا من صناعتنا الحربيّة. فلا أزياء عندهم، ولا نظام، ولا يمتثلون لأمر. فتجمّعهم غوغاء، وسيرهم فوضى...وحربهم شقاوة ولصوصيّة. سلاحهم الأوّل قرابينة[1] إنقليزيّة طولها ثلاثون قيراطا ويحملون في أوساطهم غدّارتين[2] مشدودتين إلى الثّوب ببيرم[3] من حرير...ويتدلّى من حمّالة في جنبهم الأيمن سيف معقوف قلّما نشاهد نظيره في أوروبا..."

فولناي Volney ، رحلة إلى مصر والشام،
ورد في دي لا جونكيير، de la Jonquiere
تاريخ الإمبراطورية العثمانية، ص 376

(1) بندقيّة قصيرة (2) بندقية خفيفة (3) حبل مبروم

الوثيقة 4

انحلال الجيش الانكشاري

"... إنّ تطبيق القوانين العسكرية القديمة أصبح يعتريه الخلل... كما صار مصدر ضرر... وسيؤدّي حتما نظرا لكثرة عيوبه إلى خراب البلاد التام ممّا لا ينفع بعده النّدم...إنّ انعدام النظام والانضباط في صفوف جيوش السلاطين تسبّب في اضطرابات خطيرة وانجرّت عنه نفقات باهضة استنزفت كامل ميزانية الدولة..."

إبراهيم متفرّقة، أصول الحكم في نظام الأمم، ذكره: وحيد قدّورة، بدايات الطباعة العربية في اسطنبول وسوريا، ص 214

الوثيقة 5

الحركة الانفصالية في مصر

"لقد كانت كلّ مساعي علي بك (الكبير)[1] ترمي إلى تحقيق هدف واحد، ألا وهو تنصيب نفسه سلطانا على مصر. ولذلك قام بطرد الباشا[2]...ورفض دفع ما كان مطالبا به من مال للخليفة العثماني ثمّ عمد أخيرا إلى سكّ العملة باسمه وكان ذلك في سنة ..1176."

فولناي Volney رحلة إلى مصر والشام،
ورد في دي لا جونكيير، de la Jonquiere
تاريخ الإمبراطورية العثمانية، ص 377

[1] أحد زعماء المماليك، تلقّى الدّعم من روسيا فانفصل عن العثمانيين ووسّع نفوذه فاستولى على الحجاز وبلاد الشام ولقّب بالكبير نظرا لكثرة انتصاراته.

[2] والي مصر وممثّل السلطان العثماني.

الوثيقة 6

انفصال الوهابيّين في شبه الجزيرة العربيّة

"اعلم أنّ السّلطان سليم الثالث (1789 - 1807) حدث في مدّة سلطنته فتن كثيرة... منها فتنة الوهابية الّتي كانت في الحجاز حتّى استولوا على الحرمين ومنعوا وصول الحجّ الشّامي. ولمّا قام ابن عبد الوهاب ومن أعانه بدعوتهم... الّتي كفّروا بسببها المسلمين ملكوا قبائل الشّرق قبيلة بعد قبيلة، ثمّ اتّسع ملكهم فملكوا اليمن والحرمين وقبائل الحجاز وبلغ ملكهم قريبا من الشّام..."

أحمد بن زين بن أحمد دحلان المكي الشّافعي*،
فتنة الوهابية، موقع السّنة والجماعة (إنترنات)

* مؤرّخ وفقيه ومفتي المذهب الشّافعي بمكّة المكرّمة وسيخ الإسلام بها. ولد بمكّة سنة 1815 وتوفّي بالمدينة المنوّرة سنة 1886.

التعليمات

– بيّن عوامل ومظاهر تأزّم الوضع السياسي في الإمبراطورية العثمانية في القرن الثامن عشر.
– حدّد عوامل ومظاهر تراجع القوّة العسكريّة العثمانيّة في القرن الثامن عشر.

النشاط الثاني

أرصد عوامل ومظاهر تردّي الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية العثمانية في القرن الثامن عشر.

الموارد :

الوثيقة 7

الوضع في الأرياف العثمانية

"...كان السلاطين فيما مضى ينتبهون لحماية المزارعين من الضغوط والاغتصاب، فلم يصب الخراب أيّة قرية. وفي حقبة تالية ترك بعض الفلاحين مصادر رزقهم وهاجروا إلى المدينة، وحاليا فإنّ اسطنبول تعجّ بأعداد منهم. ومنذ سنة 1622...أصاب الخراب المزيد من القرى وسبب ذلك بات معروفا؛ فخراب الريف في الدولة العثمانية يعود إلى الضريبة الاغتصابية، والضبّاط هم الذين يفرضون الضرائب الباهظة ويلزمون الفلاحين بدفعها".

حاجي خليفة*، رسالة إلى محمد الرابع، 1653 ذكرها خالد زيادة،
اكتشاف التقدّم الأوروبي، دار الطليعة، بيروت، ص 27

* حاجي خليفة (1608-1657): من الدعاة إلى الإصلاح العثماني.

الوثيقة 8

ضعف الاهتمام بالصّناعة

"وقد ظهر في ذلك العصر (أحمد الثالث) ميل الدولة إلى السير في طريق المدنيّة ورغبتها في ترتيب عسكر منظّم غير أنها تركت الرؤوس وتمسّكت بالأذناب بل شرعت في زخرفة البنيان من غير أن تنظر إلى أساسه. وذلك بدلا من أنّها تبذل الهمّة في رواج أسواق الصناعة والفنون المنتشرة في أوروبا انخدعت لسفهاء واسترسلت في طريق الإسراف..."

تاريخ جودت، ترجمة عبد القادر الدنا، بيروت،ص75
(ورد في كتاب خالد زيادة اكتشاف التقدّم الأوروبي، دار الطليعة، بيروت)

الوثيقة 9

تدهور الصناعة العثمانية

"...إنّ الصناعة المحليّة (العثمانية) وخاصّة صناعة النسيج بدأت تتراجع أمام المنتوجات الغربيّة، لتفوّق التقنيّة الغربيّة، ولرخص أسعار البضائع الغربيّة بالمقارنة مع الإنتاج المحلّي. كما أنّ الامتيازات والمعاملة التفضيلية في الضرائب (الموظّفة على) البضائع الغربيّة، مع حرمان الصناعة المحلية من كلّ حماية، ساعد على ذلك. وقد تضرّر الصنّاع كثيرا من المنافسة الأجنبيّة..."

شارل عيساوي،
التاريخ الاقتصادي للهلال الخصيب (1800-1914) ص24 - 52

الوثيقة 10

الواردات والصادرات العثمانية

كتب المفكر الاقتصادي الإنقليزي آدم سميث Adam Smith
"إنّ سكّان المدن التجارية (العثمانية) استوردوا من الأقطار الأكثر غنى البضائع المتأنّقة...وسلع الترف ذات الأسعار الباهضة وبهذا غذّوا عجرفة كبار الملاكين الذين أقبلوا على شراء هذه البضائع بشره ودفعوا ثمنها بكميات كبيرة من خامات محاصيل أراضيهم..."

ذكره لوتسكي : Lotsky تاريخ الأقطار العربيّة الحديث، ص 19

الوثيقة 11

تقلّص دور الإمبراطورية العثمانية في التجارة العالمية

"...الآن أصبح الأوروبيون يعرفون العالم كلّه، فيرسلون مراكبهم إلى كل بحار العالم وسيطروا على أهمّ المواني. وكانت بضائع الهند والسند والصين تصل، قبل ذلك، إلى السويس فيتولّى المسلمون توزيعها نحو كلّ أصقاع الدنيا. أما الآن فإنّ تلك البضائع يتمّ نقلها على متن مراكب برتغالية وهولندية وإنقليزية مباشرة نحو بلاد الفرنجة* ومن هنا تصدّر إلى مختلف أنحاء العالم. ويحمل التجار الأوروبيون إلى اسطنبول وإلى بقيّة المدن الإسلامية بضائع يبيعونها بخمسة أضعاف سعرها الحقيقي وهو ما يؤدّي إلى تضاؤل الذّهب والفضّة في بلاد الإسلام. يجب على الدولة العثمانية أن تسيطر على مواني اليمن وعلى التجارة التي تمرّ منها وإلاّ فإنّه لن يمرّ وقت طويل ويسيطر الأوروبيون على بلاد الإسلام...

"عمر طالب: 1625 (ورد في كتاب خالد زيادة، اكتشاف التقدّم الأوروبي، دار الطليعة، بيروت، وفي كتاب برنار لويس، ظهور تركيا الحديثة ص28)

* بلاد الفرنجة : أوروبا

الوثيقة 12

انهيار قيمة العملة العثمانيّة

"إنّ اضطراب العملة وتدنّي قيمتها لا يشكّلان سببا ثانويا في تردّي الأوضاع بالإمبراطورية العثمانية...وإنّ التجّار الأوروبيين يذهبون بأغلى ما تملكه هذه الأخيرة (من بضائع وعملات ذات قيمة) حتّى أنّه لم يعد يوجد بها سوى النحاس، الذي كثيرا ما يقع اللجوء إلى التخفيض من قيمته. ويتسبّب ذلك في خسائر فادحة للسكّان..."

بيتيس دي لا كروا Petis de la Croix ، مذكّرات، 1725، الجزء1

الوثيقة 13

الامتيازات القنصليّة

"...وفي هذه السنة (1740) تحصّل سفير فرنسا على تجديد الامتيازات القنصلية (...) يجوز لرعايا (البلدين) وتابعيهم...التجوّل في بلاد الطرف الآخر والمجيء إليها والإقامة بها...بقصد الاتّجار... بكامل الحرية، بدون أن يحصل لهم أدنى تعدّ عليهم أو على متاجرهم..."

محمد فريد بيك المحامي، تاريخ الدولة العليّة العثمانية،
تحقيق إحسان حقّي، دار النفائس، بيروت، 1988

الوثيقة 14

بيع المناصب

"إنّ مظاهر التعسّف تتجلّى بصورة مذهلة حقّا فيما تعانيه الأقاليم من بؤس وتعاسة. فالباشا، الذي تحصّل على منصبه بعد دفعه لمبالغ ماليّة باهظة، لا يسعه إلاّ أن يثقل كاهل السكّان بالضرائب ويجمعها بدون أيّ تردّد، وبأكثر ما يمكن من السّرعة، لاعتقاده أنّه قد لا يحتفظ طويلا بمنصبه، وأنّه في مأمن من العقوبات..."

مراد جاه دوهسن*، وضع الإمبراطورية العثمانية، 1788

*كبير المترجمين بسفارة النمسا بإسطنبول

الوثيقة 15

تفاقم فقر الفلاّحين وظاهرة النّزوح

"إنّ الحروب والكوارث الطبيعيّة، وتعسّف الحكّام، وأعمال النّهب المختلفة، قد حوّلت الريف إلى صحاري بالمقارنة مع المناطق الأوروبية الأقلّ سكّانا...ويتجلّى انخفاض سكّان الإمبراطورية العثمانية في الأرياف قبل غيرها. وكان سكّان جدد يردون باستمرار على المدن. بعد أن غادروا مقرّهم الأصلي، وجاؤوا يبحثون عن وسائل رزق بها..."

وليم إيتن * William Eaten ، وضع الإمبراطورية العثمانية التاريخي والسياسي

* قنصل بريطانيا بإسطنبول في أواخر القرن الثامن عشر

التعليمات

– بيّن مظاهر أزمة الاقتصاد العثماني في القرن الثامن عشر مبرزا عواملها.
– أبرز عوامل أزمة المجتمع العثماني في القرن الثامن عشر مبيّنا مظاهرها.

النشاط الثالث : أتبيّن مظاهر تراجع النفوذ الخارجي للدولة العثمانية.

الموارد :

الوثيقة 16

مقتطفات من وصيّة قيصر روسيا بطرس الأكبر

"على الروس أن ينتشروا يوما فيوما شمالا في سواحل بحر البلطيق وجنوبا في سواحل البحر الأسود.
ينبغي الاقتراب بقدر الإمكان من اسطنبول والهند وحيث أنّه من القضايا المسلّمة أنّ من يحكم على اسطنبول يمكنه حقيقة أن يحكم على الدنيا بأسرها فلذلك من اللازم إحداث الحروب المتتابعة تارة مع الدولة العثمانية وتارة مع الدولة الإيرانية، وينبغي ضبط البحر الأسود شيئا فشيئا...
ينبغي أن نستميل لجهتنا جميع المسيحيين الذين هم من الروم المنكرين لرياسة البابا الروحية والمنتشرين في بلاد المجر والممالك العثمانية...وأن نجعلهم يتخذون دولة روسيا مرجعا ومعينا لهم..."

ذكره محمد فريد بك، تاريخ الدولة العلية العثمانية، ص 300 – 334

الوثيقة 17

من رسالة وزير الخارجية الفرنسي إلى سفير فرنسا بإسطنبول

باريس في الثامن من أفريل 1793

"...ما زال بإمكاننا أن نمنع روسيا من أن تستغلّ الظروف الحالية لتقيم في هذه المنطقة (البحر المتوسّط) مركز نفوذ على حساب الباب العالي. فالسويد مستعدّة لدعم موقفنا وستشاغب هذه القوّة في منطقة البلطيق حتّى تتخلّى عن أغراضها الطموحة، فاستغلّ صداقاتك القديمة في بولونيا لتحقيق انضمام عدد كبير من الوطنيين البولونيين إلى الجيش التركي، وسنعمل على إرسال ضبّاط ذوي خبرة إلى اسطنبول..."

عن إ. دي مرسار E.de Marcere ، سفارة في اسطنبول، الجزء الأول

الوثيقة 18

مقتطف من معاهدة كارلوفيتز (1699)

"وبعد مخابرة طويلة، أمضيت بين الدولة العليّة (من جهة) والنمسا والروسيا والبندقية وبولونيا (من جهة ثانية) معاهدة كارلوفيتز[1]. فتركت الدولة (العثمانية) بلاد المجرّ بأجمعها وإقليم ترنسلفانيا[2] لدولة النمسا. وتنازلت عن مدينة أوزوف(3)...للروسيا فصار لها بذلك يد على البحر.

محمد فريد بيك المحامي، تاريخ الدولة العليّة العثمانية، تحقيق إحسان حقّي، دار النفائس، بيروت، 1988

(1)مدينة كرواتية تقع على نهر الدانوب

(2) يوجد برومانيا حاليا.

(3) تقع على السواحل الشمالية للبحر الأسود.

الوثيقة 19

مقتطفات من معاهدة كجك قاينارجه (جويلية 1774)

بين عبد الحميد الأول وكاترين الثانية إمبراطورة روسيا

المادّة الأولى: كلّ ما سبق وقوعه بين الدولة العليّة ودولة الروسيا من عداوة ومخاصمة قد محي وأزيل من الآن إلى الأبد...

المادّة الحادية عشر: قد تقرّر لأجل منفعة الدولتين سير سفنهما وسفن تجّارهما بلا مانع في جميع بحارهما، وتعطى الرخصة من جانب الدولة العليّة إلى سفن روسيا وسفن تجّارها بأن تتمتّع بالتجارة في كلّ (الموانئ) وكلّ محلّ بالوجه الذي اجازته الدولة العليّة فيها لسائر الدول وأن يمكنوا في المعابر والثغور المتصلة بالبحار المذكورة وفي عموم (الموانئ) والشطوط الساحليّة، من البحر الأبيض إلى البحر الأسود ومن البحر الأسود إلى البحر الأبيض...

محمد فريد بيك المحامي، تاريخ الدولة العليّة العثمانية، تحقيق إحسان حقّي، دار النفائس، بيروت، 1988، ص374

* قاينارجه: مدينة ببلغاريا



كاترين الثانية (1725 ـ 1787)



عبد الحميد الأول (1730 ـ 1754)

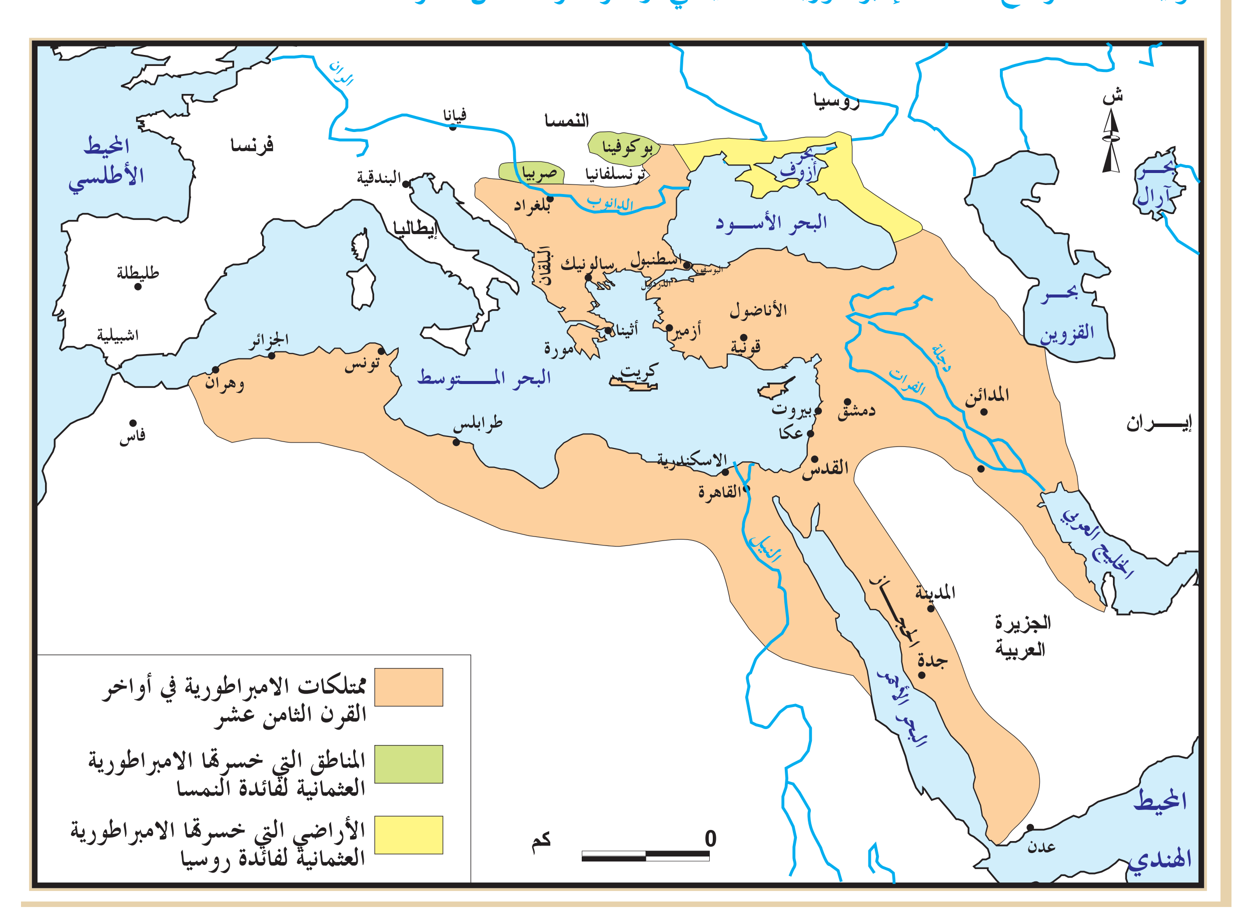
الوثيقة 20

معاهدة ياسي (1792)

"...ثمّ توسّطت إنقلترا وبروسيا وهولندا بين الدولة العليّة والدولة الروسية. ودارت المخابرات مدّة ثمّ الصّلح بين الطرفين على أن تمتلك الرّوسيا بلاد القرم نهائيا...والأقاليم الواقعة (على السواحل الشمالية للبحر الأسود)...وأمضيت بذلك معاهدة في مدينة ياسي أطلق عليها اسم هذه المدينة نسبة إليها..."

محمد فريد بيك المحامي، تاريخ الدولة العليّة العثمانية، تحقيق إحسان حقّي، دار النفائس، بيروت، 1988، ص 375

الوثيقة 21 : تراجع مساحة الإمبراطورية العثمانية في أواخر القرن الثامن عشر



التعليمات

– حدّد الأطماع التوسعية الأوروبية في الإمبراطورية العثمانية.
– بيّن مظاهر عجز الإمبراطورية العثمانية عن التصدّي للأطماع الأوروبية.

النشاط الرابع : أتعرّف الإصلاحات العثمانية خلال القرن الثامن عشر لتقييم مدى نجاعتها في تجاوز الأزمة.

الموارد :

الوثيقة 22 :

السلاطين العثمانيون
خلال القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر

27	أحمد الثالث.	1115هـ/1703م
28	محمود الأول.	1143هـ/1730م
29	عثمان الثالث.	1168هـ/1754م
30	مصطفى الثالث.	1171هـ/1757م
31	سليم الثالث.	1203هـ/1789م
32	مصطفى الرابع.	1222هـ/1807م

الوثيقة 23 :

الحاجة الماسّة إلى الإصلاح

"...ينبغي معاينة طريقة الحرب الجديدة المعتمدة من جانب الأعداء بدقّة ودراستها بتعمّق، فيظهر للجميع أصل الخطأ، ومصدر عدم الاكتمال في قواعدنا العسكريّة...فمن الضروري معرفة وتطوير المبادئ والقواعد المبتكرة، منذ وقت قصير، والمستخدمة في جيوش الملوك والأمم المسيحيّة...والتي جهّزت مؤخرا بمكتشفات جديدة، مختلفة تماما عن القديمة، ومجهّزة بآلات وأسلحة جديدة، ممّا يجعل القواعد والجهود القديمة عديمة الجدوى..."

إبراهيم متفرّقة، أصول الحكم في نظام الأمم، ذكره: خالد زيادة، اكتشاف التقدّم الأوروبي' ص 42

الوثيقة 24 :


أحمد الثالث (1703- 1730)

محاولات أحمد الثالث الإصلاحيّة

"... إلى الأماجد الأعيان، عندما يبلغكم هذا الأمر الشريف، يصبح معلوما لديكم أنّه، لضبط قواعد الدين، ونظام الملك، وسياسة الأمم، وللمحافظة على أخبار الوقائع والأحداث التاريخيّة وتوسيع دائرة المعارف الإنسانية والعلوم، وجب تدوين الكتب في نسخ كثيرة، حتى تنقل إلى الأجيال القادمة..."

أحمد الثالث: مرسوم 1728.

ورد في كتاب وحيد قدورة: بدايات الطباعة العربية في اسطنبول وسوريا، ص 93

الوثيقة 25 :

محدودية الإصلاحات

"وقد ظهر في ذلك العصر (أحمد الثالث) ميل الدولة إلى السير في طريق المدنية ورغبتها في ترتيب عسكر منظّم غير أنّها تركت الرؤوس وتمسّكت بالأذناب بل شرعت في زخرفة البنيان من غير أن تنظر إلى أساسه. وذلك أنّها بدلا من أن تبذل الهمّة في رواج أسواق الصناعة والفنون المنتشرة في أوروبا انخدعت للسفهاء واسترسلت في طريق الإسراف، والحاصل أنّ سبل المدنية قد فتحت على ما يقتضيه الوقت أيام صدارة إبراهيم باشا(*)، فأسّست صناعة الطباعة في دار السعادة إلاّ أنّ كبار المأمورين أفرطوا في السفاهة حتى نفرت عنهم طباع العامة فظهرت الفتنة العظيمة...و لم يبق في الآستانة إلاّ الطباعة"

تاريخ جودت، ترجمة عبد القادر الدنا، بيروت، ص 75، ورد في كتاب خالد زيادة، اكتشاف التقدم الأوروبي، ص 45

* الصدر الأعظم في عهد أحمد الثالث، عرف بميله إلى الإصلاح.

معطيات مكمّلة

إصلاحات مصطفى الثالث:

- استقدام خبراء أوروبيين لتدريب الجيش تدريبا عصريّا
- تأسيس مدرستين حربيّتين بإسطنبول لتكوين الضبّاط
- بناء العديد من الحصون


مصطفى الثالث (1757 - 1774)

الوثيقة 26 :

إصلاحات سليم الثالث

"... لم يكتف صاحب الجلالة السلطانية (سليم الثالث) بإصلاح الأخطاء التي دخلت سابقا ولا بإصلاح مختلف أقسام الإدارة، فقد أراد أن يقيم قوّات جديدة منظّمة على الطريقة الأوروبيّة..."

محمود رئيف، جدول التنظيمات الجديدة، ورد في كتاب خالد زيادة، اكتشاف التقدّم الأوروبي، مرجع مذكور ص 49



سليم الثالث (1789 - 1807)

معطيات مكمّلة

التنظيمات الجديدة لسليم الثالث:

- تنظيم القضاء
- تحصين الحدود وتسليح قلاعها
- استخدام مهندسين من السويد وفرنسا
- ترتيب مدرسة البحرية وتوظيف ضباط فرنسيين بها
- الحثّ على طبع عدّة مؤلفات معتبرة في فنون الحرب وفي الرياضيات
- إنشاء دار كتب بها أربعمائة مؤلف من أحسن المؤلفات العسكرية الفرنسية.

الوثيقة 27 :

معارضة الإنكشارية لإصلاحات سليم الثالث

"...وفي هذه الأثناء، حصلت في داخليّة الدولة بعض الاضطرابات بسبب شروع السلطان سليم الثالث في تنظيم الجيوش على النظام الجديد. فإنّ الإنكشارية لم ينظروا لهذه الإصلاحات العسكرية بعين الارتياح لخوفهم من أن تكون مقدّمة لإلغاء وجاقاتهم*... وسعى الإنكشارية، مع بعض العلماء (المعارضين) لكلّ أمر مستحدث، بدون نظر إلى ما يجرّ من النّفع لدى جلالة السلطان، وتحصّلوا على (إلغاء) الفرق المنتظمة..."

محمد فريد بيك المحامي، تاريخ الدولة العليّة العثمانية، تحقيق إحسان حقّي، دار النفائس، بيروت، 1988

* وجاقات أو أوجاق: فرق الجيش الإنكشاري

التعليمات

- عرّف أبرز الإصلاحات العثمانية في القرن الثامن عشر.
- بيّن عوامل تعثّر هذه الإصلاحات.

المقدّمة

بدأت بوادر الأزمة تلوح في الإمبراطورية العثمانية منذ عهد سليمان القانوني الذي اعتبره الكثيرون فترة القوّة والمجد بالنسبة لهذه الإمبراطوريّة، فقد كتب لطفي باشا، أحد وزراء سليمان السابقين، رسالة حوالي سنة 1541، عرض فيها أزمة الدولة الإدارية والاقتصادية وتزايد فقر الفلاّحين منذ ذلك الوقت المبكّر. ثمّ تفاقمت هذه الأزمة خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر. ولئن حاول بعض السلاطين العثمانيين، خلال القرن الثامن عشر، إصلاح الأوضاع فإن كلّ محاولاتهم باءت بالفشل وسارت الإمبراطوريّة العثمانيّة نحو التدهور والانحلال. فما هي مظاهر هذا التدهور والانحلال؟ ولماذا فشلت الإصلاحات المتعثّرة في إنقاذ الإمبراطورية من الانهيار؟

I- تأزّم الأوضاع الداخلية :

لقد استفحلت الأزمة في الإمبراطورية العثمانية خلال القرن الثامن عشر وشملت كلّ الميادين وخاصّة منها الميدان السياسي.

1 – الأزمة السياسية : وثائق من 1 إلى6

تركّزت أسباب الأزمة السياسية في ما يلي:

أ – **ضعف السلطة المركزيّة** : تجلّت الأزمة السياسية في ضعف السلطة المركزيّة وعجزها عن ممارسة نفوذها فقد اعتمد السّاسة العثمانيون لتعويض النقص الحاصل في مداخيل الدولة أساليب تعسّفية كان من أبرزها:

– بيع الوظائف، إذ لم تكن المسؤوليات الإدارية تسند حسب الكفاءة بل حسب ما يدفعه الأشخاص من أموال.

– نظام اللزمة أو الالتزام: كانت الدولة تبيع عملية جمع الضرائب لكبار التجار والإقطاعيين مقابل تسليمها مسبقا المبالغ الجبائية المقرّرة على سكان جهة ما وتضمن لهم الحماية عند جمعهم للضرائب. وفي سبيل تحقيق الربح يجمع الملتزمون من السكان أضعاف ما دفعوه للدولة.

– الرشوة، وقد عمّت هذه الظاهرة المجتمع العثماني وتسرّبت إلى كلّ الميادين حتّى ميدان القضاء.

ب – **ضعف الجيش الإنكشاري**: منذ القرن السابع عشر فقد الجيش الإنكشاري الميزة القتالية التي عرف بها أثناء فترة التوسّع وتفشّت بين صفوفه الفوضى ويعود ذلك إلى عدّة عوامل منها:

– التخلّف عن مواكبة التطوّر التّقني الذي عرفته الجيوش الأوروبية.

– تقاعس الإنكشاريين عن المشاركة في الحروب وانشغالهم بالزراعة والأعمال التجارية والحرفيّة.

– إرهاق خزينة الدولة بسبب مطالبتهم المستمرّة بالزيادة في الأجور، فأصبحوا عبئا على الدولة بعد أن كانوا ذراعها القوي.

– التدخّل في الصراع على السّلطة إذ أصبح الإنكشاريون يشاركون في المؤامرات ضدّ السلاطين والوزراء وقد وصل بهم الأمر إلى خلع بعضهم واغتيال البعض الآخر.

– معارضة الجيش الإنكشاري لكلّ إصلاح يهدف إلى إنشاء قوات نظامية مدرّبة تدريبا جديدا يمكّن الإمبراطورية من الصمود أمام الغزو الأوروبي المتزايد.

ج – **ظهور الحركات الانفصالية**: ظهرت الحركات الانفصالية في البلاد العربيّة أساسا واتّخذت أشكالا متعدّدة منها:

– قيام دول وراثية مستقلّة تربطها بالإمبراطورية روابط صورية كذكر اسم السلطان في خطبة الجمعة وسكّ العملة باسمه وينطبق هذا المثال على الدولة الحسينية في تونس (1705).

– ظهور دول تولّى فيها قادة الجيش الإنكشاري الحكم دون استشارة السلطان العثماني مثل دايات الجزائر.
– الانفصال الكلّي لبعض الدول عن الإمبراطورية العثمانيّة مثل مصر في عهد علي بك الكبير (1769).
– ظهور حركات معادية للعثمانيين مثل الحركة الوهابية وهي حركة دينية سياسية نجحت في إنشاء دولة مستقلّة عن العثمانيين في شبه الجزيرة العربيّة ناصبتهم العداء.

2 – تردّي الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية

أثبتت الدراسات الحديثة أنّ أسباب الأزمة العميقة التي عصفت بالإمبراطورية العثمانية تتمثّل أيضا في تردّي الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية :

أ – تردّي الأوضاع الاقتصادية : الوثائق من 7 إلى 13

تتلخّص أسباب تردّي الأوضاع الاقتصادية في:
– تراجع دور مرافئ المتوسّط منذ القرن السادس عشر نتيجة تقدّم البحريّة الأوروبية، بحيث أصبحت السفن التجارية الأوروبية تصل إلى الهند عبر رأس الرجاء الصالح وبذلك فقدت الإمبراطورية العثمانيّة دور الوسيط بين الشرق والمدن الأوروبية.
– اكتشاف القارة الأمريكية مكّن الأوروبيين من الحصول على موارد مناجم الذهب والفضّة في البيرو والأرجنتين ممّا أدّى إلى انخفاض قيمة العملة العثمانية. وللتعويض عن الحاجة إلى مزيد من النقد، اتّبع العثمانيون سياسة بيع المواد الأولية والمواد الفلاحيّة للأوروبيين لكنهم كانوا يدفعون أثمانا باهظة لاقتناء المواد المصنّعة.
– منافسة المصنوعات الأوروبية الشديدة لمنتجات الصناعات العثمانية التي بقيت تقليدية الأمر الذي أدّى إلى إفلاس الصنّاع والحرفيين وتفاقم العجز التجاري.
– تفاقم الأزمة المالية نتيجة سيطرة التجار الأوروبيين على مبادلات الإمبراطورية الخارجيّة بفضل خبرتهم الكبيرة وأموالهم الوفيرة وما وفّره لهم نظام الامتيازات من تخفيضات في الأداءات الجمركيّة وحرية في التنقل والاتّجار في كامل أرجاء الإمبراطوريّة.
– تفاقم الأزمة النقديّة والتجاء الإدارة العثمانية إلى مضاعفة الضرائب على الفلاحين الأمر الذي أفضى إلى كثرة الاضطرابات في الأرياف وهجرة الفلاحين إلى المدن وترك أراضيهم.

ب – تدهور الأوضاع الاجتماعية : الوثيقتان 14 و 15

ساهمت الأزمة الاقتصادية التي عرفتها الدولة العثمانية خلال القرن الثامن عشر في تدهور الأوضاع الاجتماعيّة وتعدّدت مظاهر هذا التدهور وكان من أبرزها:
– **انتشار الفقر والفاقة**، إذ باستثناء الطبقة الحاكمة، وكبار الملاكين وعلماء الدين الذين كانوا يعيشون حياة الترف، كانت الأغلبيّة الساحقة من سكّان الإمبراطوريّة تشكو من شظف العيش وقلّة الموارد. فقد غادر سكان الأرياف أراضيهم فرارا من ملاحقة الملتزمين، وتحوّل بعضهم إلى رحّل والبعض الآخر إلى قطّاع طرق ونزح قسم ثالث إلى المدن فاكتظّت بالسكان وانتشر فيها الفقر وتعدّدت المجاعات وكثرت الاضطرابات والقلاقل.
– **انتشار الجهل والأمية** في المجتمع العثماني خلال القرن الثامن عشر، فقد تفشّت الخرافات والعقائد البالية وتعدّدت الزوايا وبرزت الطرق الصوفية التي كان لها تأثير شعبيّ واسع فكانت تجسّم التعصّب والمحافظة، وتتصدّى بعنف لكلّ محاولات الإصلاح والتجديد.
– **الجمود الفكري والثقافي** نتيجة معارضة عدد كبير من علماء الدين الذين كانوا يمسكون بالنظام المدرسي والقضائي لكلّ تجديد، إذ اعتبروا أنّ كلّ ما يقتبس من العالم الغربي هو كفر وإلحاد وتجاهلوا ما كان يجري في العالم، وخصوصا في أوروبا المجاورة، من تحوّلات. ويكفي أن نذكر أنّهم تصدّوا لحركة الترجمة من اللغات الأوروبية إلى اللغة التركية، كما أنّهم عارضوا إنشاء المطابع والمدارس الحديثة.

II- تنامي الأطماع الأوروبية وعجز الإمبراطورية العثمانية عن التصدّي

لئن بدت الإمبراطوريّة العثمانيّة قويّة وقادرة على حشد القوات العسكريّة على الجبهات الأوروبيّة والشرقيّة مع إيران وتحقيق بعض الانتصارات فإنّ النظام القديم الذي تستند إليه كان يتصدّع وقد تأكّد ذلك سنة 1699 بتوقيع معاهدة كارلوفيتز التي كانت بداية سلسلة من الهزائم والمعاهدات المفروضة انتقلت على إثرها الإمبراطوريّة من طور الهجوم إلى طور الدفاع عن ممتلكاتها أمام الأطماع الأوروبيّة المتزايدة.

1 – الأطماع الأوروبية : الوثيقتان 16 و 17

اختلفت الأطماع التوسّعية الأوروبية في الإمبراطورية العثمانية بحسب اختلاف المصالح والأهداف.

أ – الأطماع الروسية والنمساوية :

– تمثّل الهدف الإستراتيجي لروسيا في الوصول إلى البحار الدافئة وخاصّة البحر المتوسّط عبر البحر الأسود ومضيقي البوسفور والدردنيل. ولكي تبرّر تدخّلها في الأراضي العثمانية ادّعت القيام بمهمّة حماية المسيحيين الأرتودوكس الذين يقطنون هذه الأراضي.

– أما النمسا فكانت تطمح إلى احتواء منطقة البلقان والهيمنة على بحر الأدرياتيك.

ب – الأطماع الفرنسية والإنقليزية :

اتّسم موقف فرنسا وإنقلترا من الإمبراطورية العثمانية بالمرحلية:

– مساندة كلّ من فرنسا وإنقلترا للإمبراطورية العثمانية في صراعها ضدّ روسيا والنمسا للوقوف ضدّ أطماع هاتين القوّتين. لذلك كانت العلاقات خلال هذه المرحلة سلميّة وودّية.

– السعي إلى تدعيم الامتيازات داخل الإمبراطورية، وقد تمكّنت فرنسا منذ منتصف القرن الثامن عشر من جعل امتيازاتها أبديّة ومن الحصول على حقّ حماية المسيحيين الكاثوليك من سكان الإمبراطورية. أمّا إنقلترا فقد ضمنت المزيد من التغلغل التجاري بالحصول على امتيازات مماثلة للامتيازات الفرنسية.

– محاولات التوسّع الفرنسيّة التي برزت منذ أواخر القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر مع حملة نابليون بونبارت على مصر (1798).

2 – عجز الإمبراطورية عن التصدّي للأطماع الأوروبية : الوثائق من 18 إلى 21

لقد تجلّى عجز الإمبراطورية العثمانية عن التصدّي للأطماع الأوروبية في الهزائم المتتالية والمعاهدات المفروضة التي تكبّدت على إثرها الإمبراطورية خسائر ترابية جسيمة وكان من أبرز هذه المعاهدات:

أ – **معاهدة كارلوفيتز** (1699): تمّ توقيعها مع النمسا وروسيا وبولونيا والبندقيّة. وقد تخلّت بموجبها الإمبراطورية العثمانية عن المجر وإقليم ترانسلفانيا للنمسا، وإقليم آزوف على البحر الأسود لروسيا.

ب – **معاهدة كجك قينارجه** (1774): على الرغم من أنها لم تفقد الإمبراطورية العثمانية سوى أراض قليلة، فإنها تعدّ من أسوأ المعاهدات التي وقّعتها الدولة على امتداد تاريخها، حيث أنهت سيطرة العثمانيين على البحر الأسود، ودعّمت مكانة روسيا ورفعتها دفعة واحدة إلى مصافّ الدول القوية بعد إنجلترا وفرنسا.

ج – **معاهدة ياسي**: انقادت الجيوش العثمانية إلى الهزيمة مرّة أخرى سنة 1791 أمام جيوش النمسا وروسيا وكادت تكون نهاية الإمبراطورية لولا انسحاب النمسا من الحرب نتيجة انشغالها بالثورة الفرنسية. ونتج عن هذه الهزيمة توقيع معاهدة ياسي (1792) التي حصلت روسيا بمقتضاها على الإشراف على كامل شبه جزيرة القرم.

هكذا تغيّر ميزان القوى فقد أدّى تحالف الدول الأوروبية الاستعمارية ضدّ الدولة العثمانية وإنزال الهزائم المتلاحقة بجيوشها إلى تدهور قدرتها العسكرية وتقلّص رقعتها الترابية لذلك شعر سلاطين تلك الفترة بالحاجة الماسّة إلى الإصلاح.

III- الإصلاحات المتعثّرة :

شعرت النخبة الحاكمة في إسطنبول بضرورة الإصلاح. وقد حاول السلاطين الستة الذين تداولوا على الحكم خلال القرن الثامن عشر القيام بإصلاحات نعتها المؤرخون بالمتعثّرة.

1 – بدايات الإصلاح : الوثائق 22، 24، 25

أ – **إصلاحات أحمد الثالث** (1703 – 1730): استخدم أحمد الثالث بعض الخبراء الأجانب لإنشاء مدرسة للمدفعيّة، ثمّ عيّن منذ 1718 وزيرا أكبر إبراهيم باشا المعروف بتحمّسه للإصلاح، وكان من أبرز أعماله إيفاد سفير إلى فرنسا سنة 1720 للاطلاع على أحوال هذا البلد، وقدّم عند عودته تقريرا صوّر فيه أحوال العمران والتنظيم والجيش والمجتمع في فرنسا. وقد مهّدت تلك الزيارة لإنشاء أول مطبعة رسمية عثمانية أسندت مهمّة تسييرها إلى المصلح إبراهيم متفرّقة، الذي باشر العمل في طباعة الكتب سنة 1727 بعد الحصول على تصريح من شيخ الإسلام الذي اشترط عدم طباعة الكتب الدينية، فطبع عدد من المؤلفات التاريخية والجغرافية واللغوية والقواميس. كما اهتمّت الإصلاحات ببناء القصور المحاطة بالحدائق على غرار قصر فرساي بباريس. لكن عهد أحمد الثالث انتهى بثورة أطاحت به، وأحرقت القصور والمنشآت وقتل الوزير المصلح.

ب – **إصلاحات مصطفى الثالث (1754 – 1773)** : استعان مصطفى الثالث بخبراء أوروبيين لإنشاء فرقة مدفعيّة ومدرسة رياضيات وأخرى للبحريّة، كما أنشأ مصانع للأسلحة واقتنى أسلحة حديثة من أوروبا، وحصّن المضائق وأحاطها بالقلاع. وفي عهد مصطفى الثالث تمّ تعيين أحمد رسمي سفيرا للإمبراطورية العثمانية في فيينا سنة 1757. وقد عرف هذا الأخير بالرسالة التي نشرها تحت عنوان "خلاصة الاعتبار" التي وضّح فيها أسباب صعود روسيا على المسرح الدولي وأسباب تراجع الإمبراطورية العثمانية وانتقد معارضة القوى المحافظة (الانكشارية وعلماء الدين) الشّديدة للإصلاح وبذلك عبّر عن نشأة نظرة عقلانية وواقعيّة لدى النخبة الحاكمة آمنت بضرورة التّغيير.

هكذا اكتست الإصلاحات الأولى الطابع العسكري لإنقاذ الإمبراطورية من الأطماع الأوروبية المتزايدة.

2 ـ إصلاحات سليم الثالث أو النظام الجديد(1789 – 1807) : الوثيقتان 26 ، 27

أ – **الظروف الممهّدة للنظام الجديد:**

أجرى سليم الثالث مراسلات مع ملك فرنسا لويس السادس عشر لمّا كان وليّا للعهد، من أجل الإعداد لمشروع إصلاحي متكامل. ثمّ قامت الثورة الفرنسية في نفس السنة التي تولّى فيها الحكم (1789) فصرفت أحداثها الدول الأوروبية عن الدولة العثمانية.

سارع سليم الثالث بإنشاء مجلس مشورة لضمان النجاح لمشروعه الإصلاحي وكان من بين أعضاء هذا المجلس خبراء أجانب.

ب – إجراءات النظام الجديد:

تتلخّص إجراءات المشروع الإصلاحي لسليم الثّالث في :

– إعداد جيش جديد من المشاة مستقلّ عن الجيش الإنكشاري ومدرّب على النمط الغربي ومجهّز بأحدث الأسلحة.

– إنشاء مدارس عسكرية ومدارس لتعليم الهندسة والرياضيات واستقدام خبراء أجانب لتسييرها.

– إنشاء صندوق خاص "إيراد جديد" لتغذية موارد الدولة تتكوّن مداخيله من الضرائب الموظفة على القهوة والتبغ والكحول وبعض المواد الأخرى.

– تشجيع الطباعة والنشر والترجمة وقد حضيت اللغة الفرنسية بمكانة خاصة، فكانت مطبعة السفارة الفرنسية في إسطنبول تصدر نشرات دورية لإبلاغ المبادئ والأفكار الثوريّة إلى النخبة العثمانية.

– إرسال بعثات دبلوماسية دائمة إلى العواصم الأوروبية.

ج – نتائج النظام الجديد :

واجه النظام الجديد ثورة عارمة من قبل الإنكشاريين بمساندة من معظم علماء الدين، وتمّ خلع سليم الثالث سنة 1807 وتنصيب مصطفى الرابع بدلا منه، وأحرقت المنشآت التي أقامها، وألغي النظام الجديد. ولّما قامت ثورة مضادّة تنادي بعودة السلطان المخلوع عمد الإنكشاريون إلى اغتياله سنة 1808. وقد أثار اغتيال السلطان المصلح التساؤل حول أزمة الإصلاح العثماني، فمحاولات الإصلاح المتعثّرة دامت قرنا كاملا منذ أن بادر السلطان أحمد الثالث في مطلع القرن الثامن عشر بمحاولة الانفتاح على أوروبا والاستفادة من تقدّمها. ولا يمكن تفسير هذا التعثّر إلا بوقوف القوى المحافظة من الإنكشارية وعلماء الدين وطرق التصوّف الشعبية ضدّ كلّ محاولات الإصلاح والتغيير، وقد حصلت قناعة بأنّه لن يكتب النجاح لأي محاولة إصلاحية قبل أن يتمّ القضاء على القوّة المحافظة المسلّحة الممثّلة بالإنكشارية.

الخاتمة:

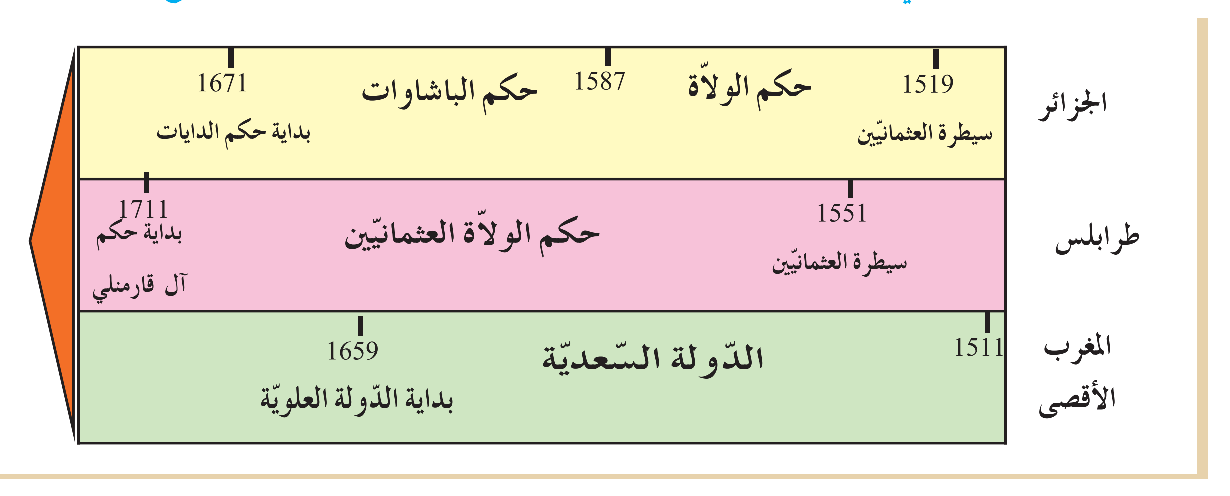
هكذا ازدادت الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية في الإمبراطورية العثمانيّة تردّيا خلال القرن الثامن عشر، مما أدّى إلى تراجع نفوذها الخارجي وتتابع هزائمها أمام القوى الأوروبية الصاعدة. وقد ازدادت أطماع القوى الأوروبية في الاستيلاء على المزيد من ممتلكات هذه الإمبراطوريّة بعد تعثّر محاولات الإصلاح ثمّ فشلها. لكن تأثير الفكر الأوروبي والاقتناع بضرورة التخلّص من القوى المناهضة للإصلاح جعلا سلاطين القرن التاسع عشر أكثر إصرارا على التغيير والانفتاح على العالم المتقدّم فهل أطال الإصلاح عمر الإمبراطورية العثمانية أم ساهم في تقويضها ؟

الدّرس 13 التّطوّر السّياسي للإيالات العثمانيّة والمغرب الأقصى في القرن XVIII

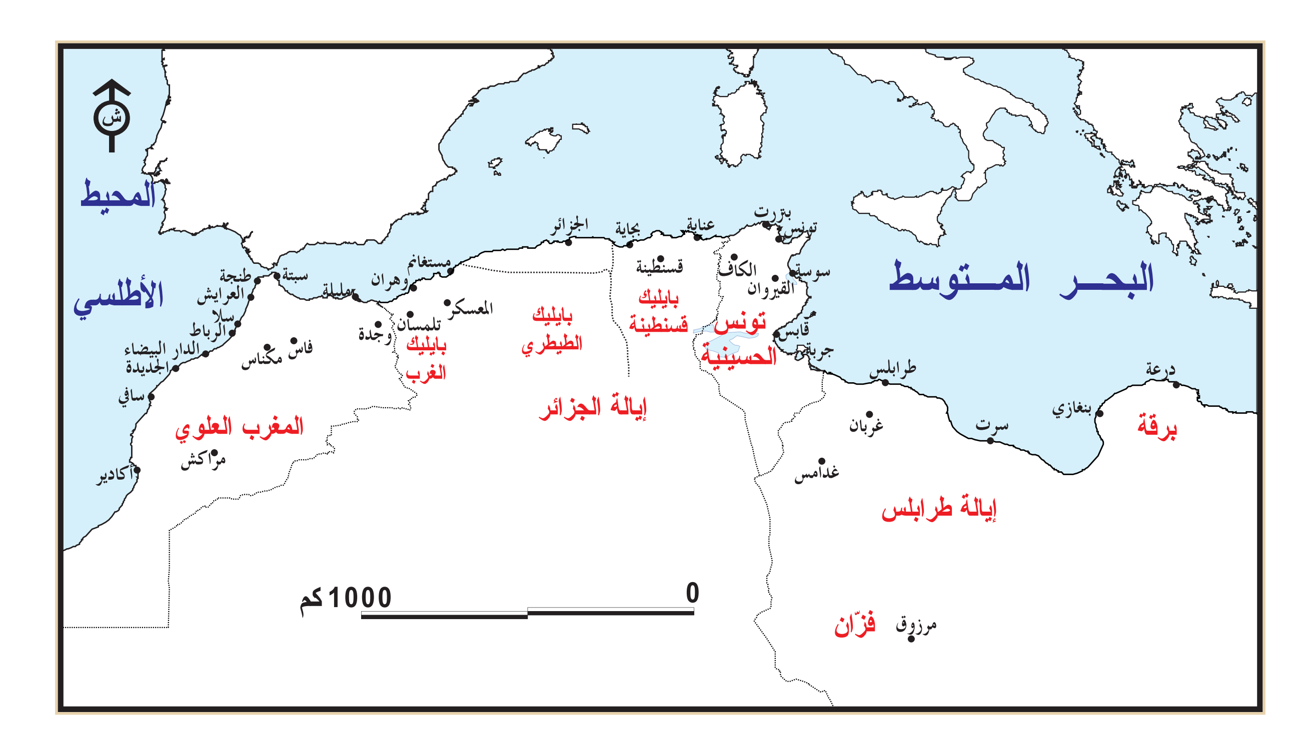
المدخل

أدرس التطور السياسي بالجزائر وطرابلس كإيالتين عثمانيتين وبالمغرب الأقصى ككيان مستقل خلال القرن XVIII، وهياكلها السّياسيّة وعلاقاتها بمجتمعاتها وبالأطراف الخارجية لأتبيّن انقلاب موازين القوى الاقتصادية والعسكرية لفائدة القوى الأوروبيّة.

الوثيقة 1 : التّطوّر السّياسي بالجزائر وطرابلس والمغرب الأقصى خلال القرنين السّادس والسّابع عشر.



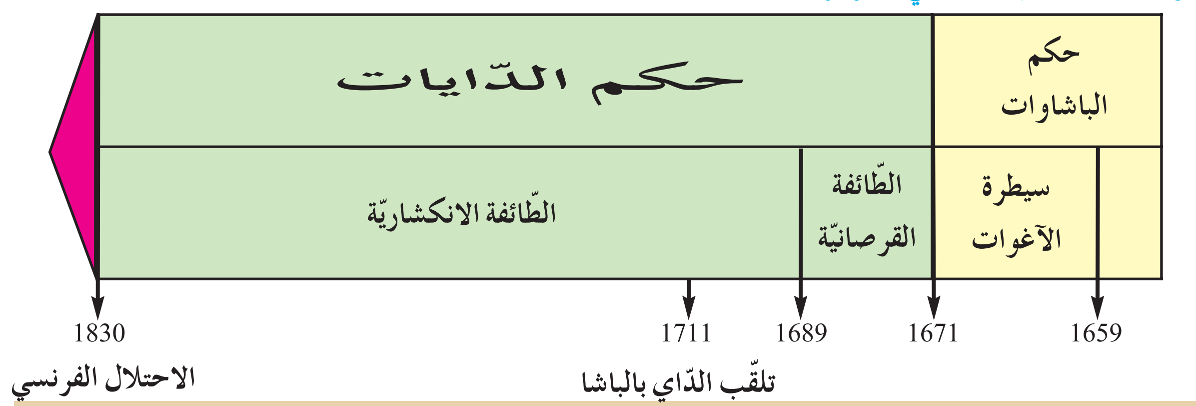
الوثيقة 2 : الخريطة السّياسيّة لبلاد المغرب سنة 1750



النشاط الأول : أتبيّن التطوّر السّياسي بكلّ من الجزائر وطرابلس والمغرب الأقصى خلال القرن XVIII

الموارد :

الوثيقة 3 : التطوّر السّياسي بالجزائر



الوثيقة 4

انتقال السّلطة بين الدّايات

"... وعندما يموت الباشا (الداي) القائم بالمُلك يجتمع أعضاء الديوان* حسب القوانين المقرّرة و ينتخبون من بينهم من توفّرت فيه جميع الشروط اللاّزمة لهذا المنصب، ثم يصرّحون باسم هذا الباشا الجديد، وفي الحين يجلسونه على الصفّة (الأريكة) المخصّصة للباشاوات بعد ما يلبسونه قفطان الداي المتوفى ... وبعد ذلك يعيّنون شخصا ليتكلّف بمأمورية الذهاب إلى الباب العالي من أجل إخباره بموت الباشا وبالانتخاب الّذي تم على أيدي الديوان ...

حمدان بن عثمان خوجة، المرآة ، ص 107

*الديوان : مجلس لضباط الجيش الإنكشاري .

الوثيقة 5

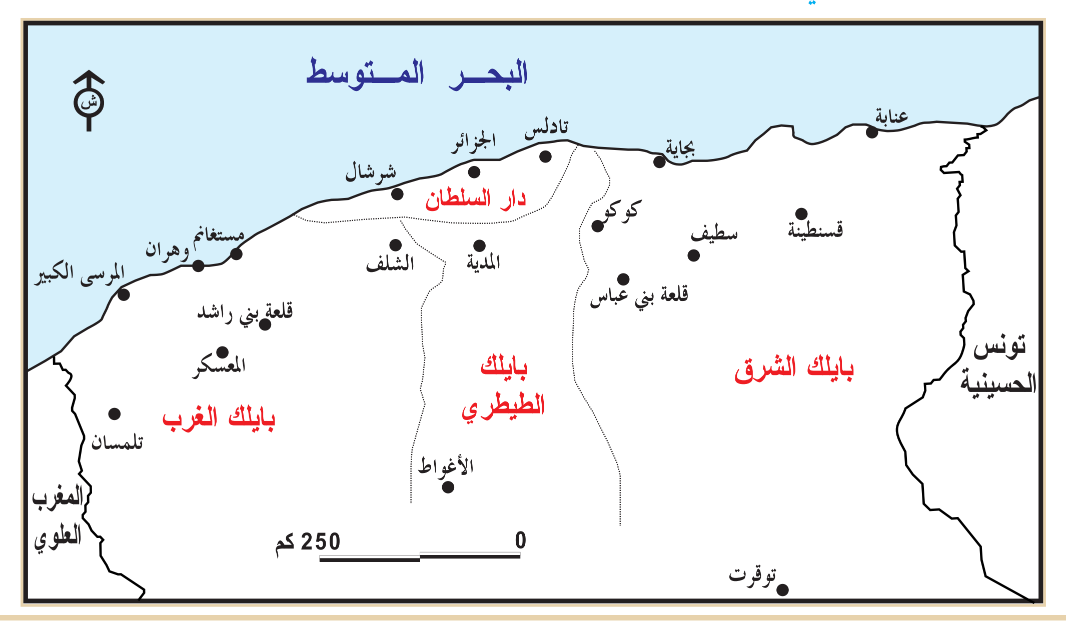
بياليك الجزائر

« كان للأتراك بأرض الجزائر ثلاثة بايات : باي وهران و باي قسنطينة، و باي المدية و هم مرتّبون على حسب فتوحات الأتراك الأوائل، فأول فتوحهم كان ناحية تيطري ، فأولوا هناك بايا وسموه باي البايات و اسكنوه المدية، وجعلوا له خليفة و أعوانا و أغوات ، أغا الدوائر، و هم من الأعراب و أغا الصبايحية وهم من الأتراك.
ثم لما فتحوا ناحية الغرب ، تلمسان و أحوازها، و معسكر و نواحيها، والقلعة ومستغانم وما جاورها، جعلوا في معسكر بايا يسمونه باي الغرب .
وأخيرا فتحوا الناحية الشرقية ، و نصبوا فيها بايا و سموه باي الشرق ، و كانت قسنطينة بيد ملوك تونس فلما رجعت لحكم الجزائر سكن باي الشرق بها، فكان هذا الباي هو أصغر البايات في التقديم، وأما من حيث القوة ووفرة الرعية فلا يضاهيه باي تيطري وباي الغرب، ولزمته* لا تعادلها لزمتهما.»

من مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار، تحقيق أحمد توفيق المدني، الجزائر 1980 ، ص 35 .

* اللزمة : قيمة المال الّذي يدفع للداي مقابل جمع الضرائب في البيليك.

الوثيقة 6 : خريطة الجزائر في القرن XVIII



الوثيقة 7

وضعية الداي في الجزائر

« ... ومنصب الداي هو من الخطورة إلى درجة أنّ الكثيرين يرفضونه فيفضلون المنفى على قبول تقلّده، والداي ليس له مورد سوى معاشه كضابط قديم، أي مبلغ مائة وستة قروش في السنة وهو أعلى مرتّب يمكن تقاضيه في الجزائر ... »

من أرشيف الخارجية الفرنسية، أورده جمال قنان ،
نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر الحديث ، الجزائر 1987.

معطيات مكمّلة

تطور حكم الدايات

- 1700 ـ 1766 : تعاقب 11 دايا انتهى حكمهم بالقتل أو بالعزل .
- 1766 ـ 1805 : استقرار نسبي فالداي محمد بن عثمان حكم من 1766 إلى 1791 .
- 1805 ـ 1817 : تعاقب على الحكم ستة دايات كانت نهايتهم بالعزل أو بالقتل .

التعليمة

حدّد التحولات السياسية الّتي شهدتها إيالة الجزائر .

الوثيقة 8

سياسة الولاة العثمانيين بطرابلس

« ... أما الوالي سليمان باشا فيذكر أنّه بسط في الناس يد الجور ، وأطلق يد الجند، و أباح لهم نهب قرية تاجوراء، فجاسوا خلالها ودمروها وساموا أهلها سوء العذاب، و نهبوا جميع أموالهم وكافة مواشيهم ...أما خليل باشا آخر هؤلاء الولاة (1700 ـ 1711) فقد تورط في الحروب والخلافات الناشبة بين تونس والجزائر (تحالف مع المراديين ضد أتراك الجزائر)، وأدى هذا إلى مهاجمة والي تونس (إبراهيم الشريف) لطرابلس (1704) واضطراب الأمر فيها ... »

أحمد الأنصاري، المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب، ص 242 و ص294

الوثيقة 9

سيطرة أحمد قارمنلي على الحكم

ونجح أحمد قارمنلي في التغلب على القوة البحرية الّتي أرسلتها الدولة العثمانية بهدف إعادة الوالي العثماني خليل باشا إلى السلطة ، ووقع هذا الوالي في يد قوات أحمد قارمنلي فقتله. وأعلن أحمد قارمنلي ولاءه للسلطان العثماني، وبعث له وللمقربين منه بهدايا. فاضطر السلطان لتثبيته في الولاية ومنحه رتبة الباشوية.

أورده نيكولا زيادة ، برقة الدولة العربية الثامنة ، ص 45 ، بيروت 1950

الوثيقة 10 : التّطوّر السّياسي بإيالة طرابلس

الوثيقة 11

سيطرة علي برغل على طرابلس

« ... و في ذي الحجة من سنة 1207. سبع ومائتين وألف (أوت 1793) ، قدم لتونس علي باشا بن أحمد باشا قارمنلي ... لما استولى علي برغل على مدينة طرابلس ...وذاك أن علي باشا قارمنلي (1754 1792) ساءت حاله و انحلّت عرى مملكته ...»

أحمد بن أبي الضياف، إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس و عهد الأمان، ج 3 ، ص 29

التعليمة

بيّن ظروف نشأة دولة القارمنليين بطرابلس وتطورها السياسي .

الوثيقة 12

ظروف قيام الدولة العلوية

« ...إنّ الدولة السعدية [1] لمّا وَهَى أمرها واختلّ نظامها وتساوت فيها الأسافل والأعالي نبغ في كلّ جهة قائم ... وتقاسم الثوار البلاد وصاروا كملوك الطوائف بالأندلس، فكان بمراكش مع اليسير من أحوازها مولاي محمد الشيخ السعدي وقد شقّ علية العصا في وسط البلاد أقوام من أخلاط السوس.

... وكان أمر فاس ومكناسة وما أنضاف إليهما إلى وادي أم الربيع بيد أهل زاوية الدلاء [2] ... وقام بصقع سوس الأقصى وما أنضاف إليه من بلاد الصحراء و سجلماسة أبو حسون علي بن محمد السملالي وكان مولاي الشريف[3] مقدما عند أهل سجلماسة ... »

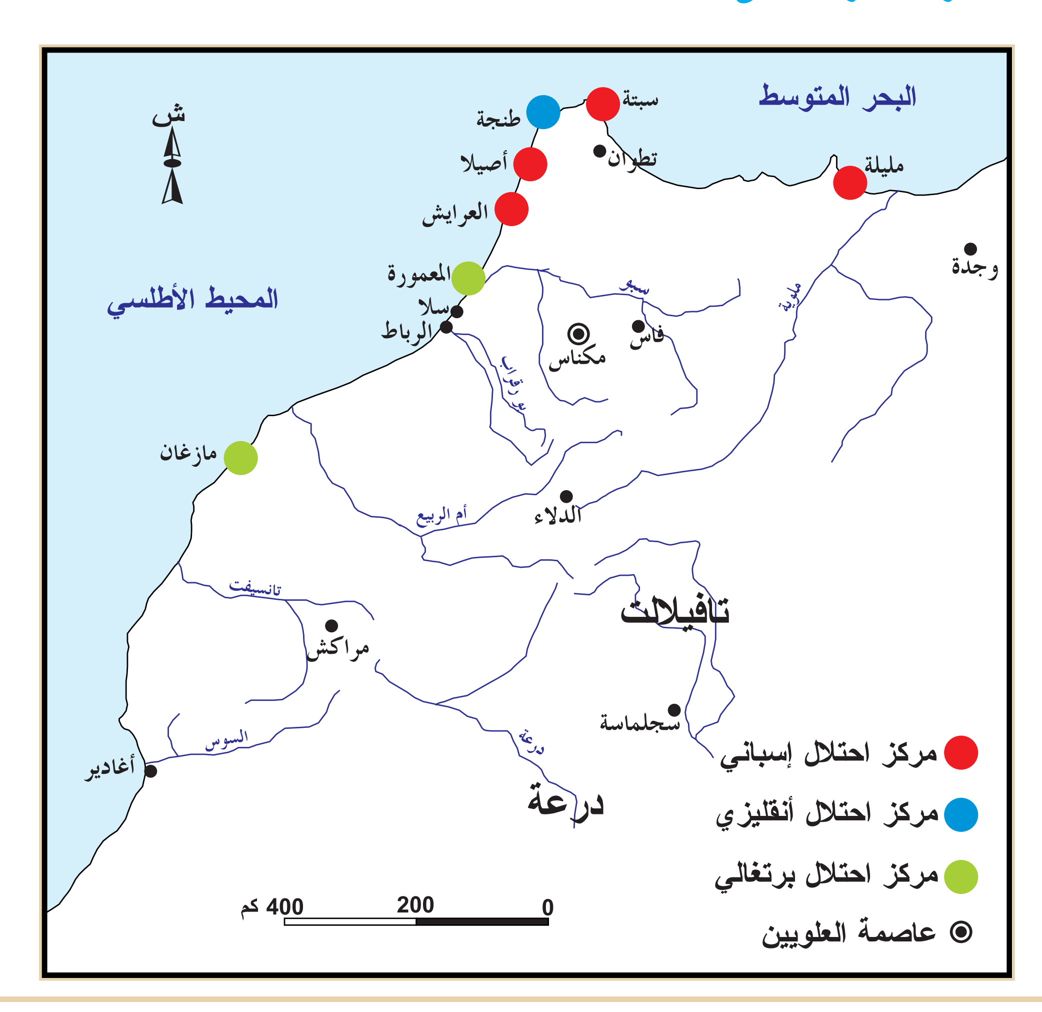
ابن محمد اليفرني المراكشي ، روضة التعريف بمفاخر مولانا اسماعيل بن الشريف ، ص 31 ، طبع بالرباط 1962

(1) الدولة السعدية : حكمت المغرب الأقصى بين 1511 ـ1659 .

(2) الدلاء : قبيلة بربرية وتنسب لها الزاوية الدلائية .

(3) مولاي الشريف : جد العلويين .

الوثيقة 13: خريطة المغرب الأقصى



الوثيقة 14

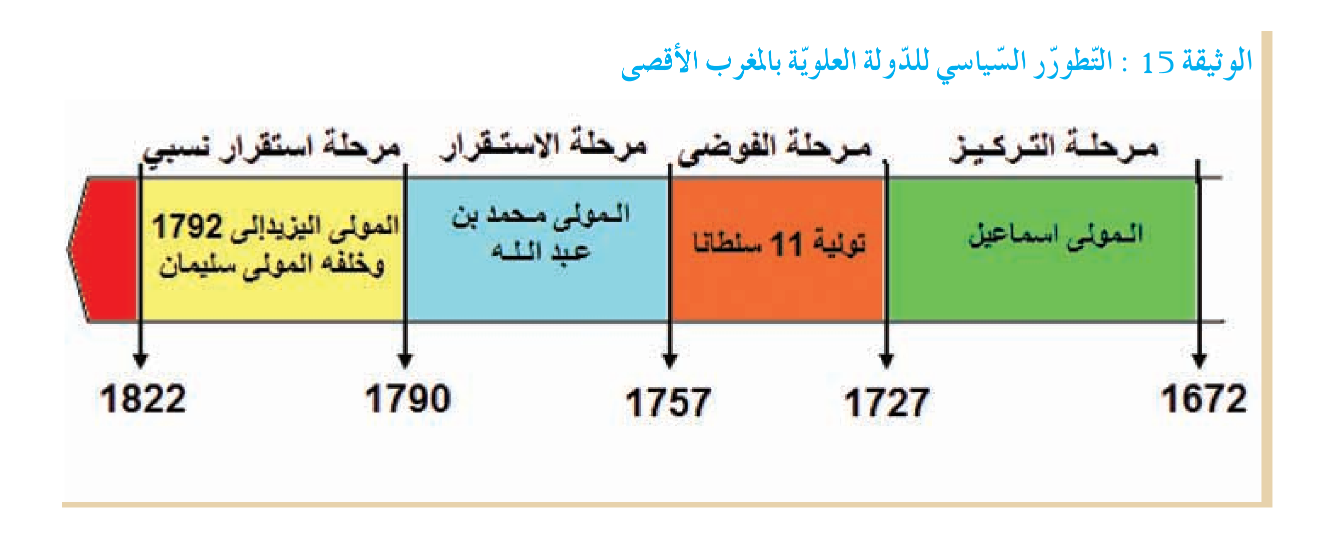
انتقال السلطة في المغرب الأقصى

« ... لم يكن نظام الوراثة على العرش في المغرب مضبوطا ... فقد كان مرتبطا بالظروف ... ولئن كان من المعتاد أن يرث العرش أكبر الأبناء سنّا فإن غياب ترتيب يحدد هذه المسألة يجعل تعيين السلطان خاضعا للصدفة ... ولتأثير الجيش وشخصية المتقدّم للسلطة وخاصة لمدى سيطرته على خزينة المالية، فالأموال تُمكّن من كسب مساندة الجيش وتجعل صاحبها يُخشى جانبه ... »

لويس شينياي، بحوث حول تاريخ الماوريين.

لويس شينياي : دبلوماسي و مؤرخ فرنسي مثّل فرنسا لدى سلطان المغرب بين 1767 و1782

الوثيقة 15 : التّطورّر السّياسي للدّولة العلويّة بالمغرب الأقصى



الوثيقة 16 : رسم للسلطان العلوي محمد بن عبد الله (1757 ـ 1790)



معطيات مكمّلة

بلاد المخزن: المناطق والقبائل الموالية أو الخاضعة للسلطة المركزية .
بلاد السيبة : المناطق وخاصة القبائل الرافضة لسيادة السلطة، وتتوسّع بلاد السيبة في فترات عدم الاستقرار وضعف السلطة .

التعليمة

ادرس خصائص التطوّر السياسي للدولة العلوية بالمغرب الأقصى خلال القرن XVIII .

النشاط الثاني: **أتعرّف الهياكل الّتي اعتمدتها الكيانات المغربية للسيطرة على مجتمعاتها وتأثير علاقاتها الخارجية على مسارها السياسي.**

الموارد :

معطيات مكمّلة

جيش عبيد البخاري

جيش عبيد البخاري شكّله المولى إسماعيل بداية من 1688 بشراء كلّ العبيد بالمغرب وبسبي الزنوج من بلاد السودان ونظمهم ودرّبهم على نمط الجيش الإنكشاري، وعُرف هذا الجيش بعبيد البخاري أو " البواخر" نسبة إلى كتاب الإمام البخاري الّذي كانوا يؤدون عليه يمين الطاعةً والولاء للسلطان. وقد بلغ عدد هذا الجيش في أواخر عهد مؤسّسه 150000.

الوثيقة 17

المولى محمد وجيش العبيد

«وفي شهر شوال عام اثنين وتسعين ومائة وألف 1192 هـ / 1778 م خالف الوصفان أمر السلطان سيدي محمد بن المولى عبد الله بن إسماعيل ، وبايعوا ولده المولى اليزيد ...
فنزع لهم الخيل والعدة والبغال وكان الجميع يباع ويعمرون الأسواق عليهم بدار عربي من أهل الغرب وبني حسن وهم يشترون الخيل والعدة والسلاح والبغال ويجمعونه للسلطان ...ثم كتب السلطان لبني حسن وأهل الغرب أنه أهاب عليهم العبيد فالرجال يحطبون لهم الحطاب والنساء يسقون لهم وأولادهم يسرحون لهم المال، فكان العبد يذهب لناحية وزوجته تذهب لناحية وولده كذلك وهم يتعانقون مع بعضهم بعضا ويبكون ... »
محمد الرباطي، تاريخ الضعيف الرباطي، الجزء1 دراسة وتحقيق محمد البوزيدي الشيخي، ص 333 **336.**

الوثيقة 18

الأمحال والجباية بالجزائر

« ... وكان هؤلاء البايات كل ثلاث سنوات، وخلفاؤهم يدنّشون* مرتين كلّ سنة وعندما يدنّش البايات لا يدنّش خلفاؤهم .

فكان قدوم باي تيطري وباي الشرق وقائد سباو ، يقع في الربيع كل ثلاث سنوات وقدوم باي الغرب يقع في الخريف ... الخلفاء يأتون في آخر الربيع ، فيخرجون معهم الأمحال ليستخلصوا الخراج والزكاة والأعشار، وهكذا وضع الأوائل الجباية على المنهج الشرعي والأواخر صاروا يخرجون المحلات لاستخلاص المغارم والظلمات ونهب أموال المسلمين... »

مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهّار نقيب أشراف الجزائر، تحقيق أحمد توفيق المدني ، الجزائر 1980، ص 36 .

* يدنّشون : يعلنون الولاء للداي ويسلّمونه قسما من الجباية .

الوثيقة 19

سياسة يوسف باشا قارمنلي

« إنّ يوسف باشا لما انتقل من طور الشبيبة إلى طور الشيبة استهان بأهل الإيالة واغتر بظاهر طاعة من أهلها ، وحملهم بمقتضى ما كان من إطلاق التصرف من مصاريف شهواته وألوان لذاته أكثر من طاقتهم حتى آل الأمر إلى فاقته وفاقتهم ، فباع من أسطول الإيالة الحربي وسكّ مدافعه فلوسا، وأرخى عنان التصرف لأبنائه و أصهاره ، وقسّم الإيالة بينهم . »

أحمد الأنصاري ، المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب ، ص 348

الوثيقة 20

من رسالة الفقيه أبو علي اليوسي إلى السّلطان إسماعيل

«... فليعلم سيدنا أن المال الذي يُجبى من الرعية قد أُعدّ للمصالح التي ينتظم بها الدين وتصلح الدنيا ... فلينظر سيدنا فإن جباة مملكته قد جرُّوا ذيول الظلم على الرعية فأكلوا اللحم وشربوا الدم وامتشوا العظم وامتصوا المخّ ولم يتركوا للناس دينا ولا دنيا ، أما الدنيا فقد أخذوها وأما الدين فقد فتنوهم عنه . وهذا شيْ شهدناه لا شيْ ظنناه ... »

أوردها أحمد الناصري، الاستقصاء بأخبار دول المغرب الأقصى ،ج 7 ، ص 83

الوثيقة 21

العلاقات بين المغرب الأقصى والدولة الحسينية

«وفي السنة 1206 هـ (1790 م) اجتاز بالحاضرة مولانا اليزيد ابن السلطان مولانا محمد ، ابن السلطان مولانا عبد الله ، ابن السلطان مولانا إسماعيل الشريف العلوي ، قاصدا أداء فريضة الحج ، فاهتزّ الباي (حمودة باشا باي) لمقدمه وتفنّن في إكرامه ، وأنزله بقصره من بساتين منّوبة ... وبالغ في إكرامه لما بين الدولة الحسينية وهذه السلطنة الشريفة من المحبّة والوُصلة ...»

أحمد بن أبي الضياف ، إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان ، الجزء 3 ، ص 28 29 .

معطيات مكمّلة

المساعدات الّتي قدّمها سلطان المغرب للسلطان العثماني عبد الحميد الأول (1774 1789) أثناء حربه مع روسيا:

– 650 ألف ريال .
– 4 مراكب محمّلة بملح البارود.
– 4000 برميل بارود .
– 4 مراكب قرصانية.

الوثيقة 22

نشاط القرصنة بالجزائر

« في يوم 4 رجب 1213 (12 ديسمبر 1798) عادت المراكب إلى مدينة الجزائر بعد أن أخذت ثماني مراكب من بلد اليونان و غنمت منها حمولتها المتكوّنة من الحبوب والكاغظ والصابون والمشروبات الروحية .

وكانت مراكب الغزو متكونة من فرقاطة* للحاج يعقوب ، ومربعة* لأحمد رايس وباطاش* لأحمد دنقزلي وكرويطة* للرايس حميد وشباكات* لكل من الحاج سليمان والرّايس نعمان والرايس مصطفى .

عن أ . ديفول ، دفاتر الغنائم البحرية، المجلة الإفريقية عدد 15، 1871 ، ص 44

* فرقاطة، مربعة ، باطاش، كرويطة ،شبَاكْ : أنواع مختلفة من السفن تستعمل فيعمليات القرصنة.

الوثيقة 23

تطوّر نشاط القرصنة الجزائر

السنة	عدد السفن	عدد الأسرى
1650	70	35000
725	24	4000
1789	10	2000

"مصادر مختلفة"

الوثيقة 24

من المعاهدة التجارية بين فرنسا و المغرب الأقصى (1767)

« ... لَملك الفرنسيس أن يجعل بسلطنة سيدنا نصره الله من القناصل ما أراد وفي أي بلد شاء (مدينة) ليكونوا وكلاء له في مراسي سيدنا أيده الله ليعينوا التجار ورؤساء البحر والبحرية في جميع ما احتاجوا إليه ويسمعوا دعاويهم ويفصلوا بينهم في ما يقع من النزاع ... ولا يتعرض لهم أحد من حكام البلد و غيرهم ... ومن استخدمه القناصل المذكورون من كتّاب وترجمان وسماسرة وغيرهم ، فانه لا يتعرض لمن استخدموه بوجه ولا يكلفون بشيء من التكاليف أيا كانت، في نفوسهم وبيوتهم ولا يمنعون من قضاء حاجات القناصل والتجار في أي مكان كانوا ... »

أوردها عبد الرحمان زيدان، إتحاف أعلام الناس، ج 3، ص 270 .

الوثيقة 25

سيطرة اليهود على التجارة الجزائرية

«... هل بإمكان البعض أن يتصور أن كل تجارة المتوسط ستقع بأيدي يهوديين جزائريين ؟ الحق أن هذا صحيح. أي مكان هام لا نجد فيه وكلاء لبكري وبوشناق ؟ مرسيليا، جنْوة، ليفورن، نابولي، إزمير، الإسكندرية، تونس وغيرها . إنهم يتمتعون في كل هذه الأمكنة بقليل أو بكثير من القوة حسب طبيعة الحكومات وحسب المصلحة التي كان عليهم أن يسيطروا عليها ... وإذا تعلق الأمر بإطلاق سراح الأسرى يكونون هم الوسطاء . وإذا ضايقهم تاجر أوروبي طردوه ، وتفشل السلطة القنصلية أمام رصيدهم . إن سبب تضاؤل رصيدنا في بربارياً* هو تزايد رصيد اليهود. فالإنقليز مدينون لهم بما حصلوا عليه، و لم يكن بإمكان الأمريكان أن يظهروا في هذه البحار بدونهم، وأخيرا فإنهم يعدّون بسرّية ويتابعون بإصرار مشروعا لإخضاع تونس للجزائر مقيمين نظاما جديدا سيكون مدمّرا لفرنسا ... »

من رسالة جون بول سانت أندري ، القنصل الفرنسي بالجزائر ،1798

أوردها محمد خيري فارس ، تاريخ الجزائر الحديث ، ص 105

*بربارياً Barbarie : مصطلح يطلق على شمال إفريقيا.

الوثيقة 26

مقتطفات من المعاهدة الجزائرية الاسبانية (9 ديسمبر 1791)

– يقع تسليم وهران لأتراك الجزائر بجميع تحصيناتها... على أن يتم جلاء الأسبان عنها في ظرف ستة أشهر ...
– يسمح لاسبانيا بإقامة مركز تجاري بمرسى الكبير مقابل ضريبة سنوية قدرها 120000 ليرة ...

أوردها مولود قايد ، الجزائر تحت حكم الأتراك ، ص 165

التعليمات

– أبرز الهياكل الأساسية الّتي اعتمدتها الكيانات المغربية لفرض بقائها ونفوذها على المجتمع.
– بيّن تطورات العلاقات القائمة بين هذه الكيانات والأطراف الخارجية وخاصة الأوروبية منها.

المقدمة

تواجدت على الساحة المغربيّة في الفترة الحديثة كيانات سياسية في إطار مجالات جغرافية محدّدة، وهذه الكيانات لم تكن منبثقة من أعماق المجتمع أو قائمة على ع صبية محلية بل فرضتها قوى دخيلة مستوطنة كنظام الدايات الأتراك بالجزائر ونظام آل قارمنلي ذوي الأصول التركية بطرابلس، أو قوى منطلقة من هوامش المجتمع والمجال كالأشراف العلويين بالمغرب الأقصى.

ولقد حدّدت التطور السياسي لهذه الكيانات خلال القرن XVIII عوامل ومؤثرات مختلفة من أبرزها التطور الّذي ميّز الهياكل والآليات التي اعتمدتها للسيطرة على المجتمع وعلاقاتها الخارجية خاصة مع القوى الأوروبية.

I - التطوّر السّياسي للكيانات المغربيّة :

1 – نظام الدّايات بالجزائر : الوثائق : 1 - 2 - 3 - 4 - 5 - 6 - 7

خضعت الجزائر لنفوذ الطائفة العسكرية التركية المتمركزة بالبلاد والتي بقيت منفصلة عن المجتمع ومتسلّطة عليه بقوتها العسكرية وجبايتها.

لقد بدأ التوجّه الاستقلالي عن الباب العالي سنة 1659 بتحويل السلطة الفعلية إلى ديوان الجيش الإنكشاري ممثلا في الآغا مع الإبقاء على الباشا كممثّل شرفي للسلطان، وقد تواصل حكم الآغوات بين 1659 - 1671، ثمّ استغلّت طائفة الريّاس (قادة القراصنة) اضطراب الوضع السياسي ومهاجمة القوى الأوروبية السواحل الجزائرية فاستولت على السلطة وفرضت أحد زعمائها حاكما على الجزائر بلقب داي. وقد تواصلت سيطرة طائفة القراصنة إلى غاية 1689 حيث استغلّ ديوان الجيش الإنكشاري تأزّم النشاط القرصني أمام العمليات الانتقامة الأوروبية ليسترجع السلطة ويختار دايا من بين ضبّاطه حاكما للبلاد.

هكذا كان تشكّل السلطة الحديثة في الجزائر عبر مسار الصراعات والانقلابات الدمويّة، وحافظت هذه السلطة على طابعها العسكري وعلى انغلاقها وانفصالها عن المجتمع المحلّي الخاضع لتسلّطها، كما دعمت استقلاليّتها عن الباب العالي في سنة 1711 .بمنع الداي علي شاوش دخول الباشا المعيّن من قبل اسطنبول إلى الجزائر وبإضافة لقب الباشا إلى الداي.

لقد انحصر النفوذ المباشر للداي في حدود دار السلطان (مدينة الجزائر ومحيطها القريب) إذ قسّمت بقيّة مناطق البلاد إلى ثلاثة بياليك أسندت قيادتها إلى البايات الّذين يعيّنهم الداي من أقرب رجاله ويفوّض لهم مراقبة وجباية مناطقهم، ولتجنّب محاولات التمرّد و الانفصال أخضع منصب البايات للتجديد المتواصل كما حرص الداي على استقدام البايات إلى الجزائر العاصمة بصفة منتظمة لتقديم «الدّنوش» أي الولاء وقسط من الجباية .

تميّز حكم الدايات خلال النصف الأول من القرن XVIII بعدم الاستقرار فبين 1700 - 1766 تعاقب على السلطة 11 دايا كانت نهايتهم بالقتل أو بالعزل. لكن في عهد الداي محمد بن عثمان (1766 – 1791) استقرّ الوضع السياسي نظرا لتحسّن مداخيل الخزينة المتأتية من الجباية والضريبة المفروضة على بايات تونس والإتاوات الّتي تدفعها الدول الأوروبية مقابل عدم تعرّض سفنها للقرصنة. ومع مطلع القرن XIX رجعت الاضطرابات، ثم تمكّن الداي علي الخوجة من تقتيل وتشريد أغلب أفراد الجيش الإنكشاري معتمدا على عناصر محلية من قبيلة زواوة وعلى الكورغلية، وعيّن بنفسه خلفا له الداي حسين الذي بقي في السلطة إلى سنة 1830 تاريخ الاحتلال الفرنسي.

2 ـ تركّز حكم وراثي بطرابلس : الوثائق : 1 ـ 8 ـ 9 ـ 10 ـ 11

تحولت طرابلس إلى إيالة عثمانية منذ 1511 تحت إشراف وال تمثّلت مهامّه في حماية السواحل وحفظ النظام والأمن وتجميع الضرائب بالاعتماد على فرق من الجيش الإنكشاري.

لقد تواتر تجديد تعيين الولاّة خشية ترسّخ أقدامهم في طرابلس وانفصالهم عن الدولة العثمانية ، وترتّب عن هذا التغيير المستمر إضعاف نفوذ الولاّة أمام قيادة الإنكشارية ورؤساء القرصان ممّا أدّى إلى تعاقب الفتن والاضطرابات الداخلية خاصة خلال النصف الثاني من القرن XVIII وتزامن ذلك مع تكثّف الضغط الأوروبي الهادف إلى القضاء على نشاط القرصنة.

أتاحت كلّ هذه الظروف لأحمد قارمنلي المنتمي إلى أسرة تركية مستوطنة بطرابلس والّذي تقلّد عدّة مناصب عسكرية بأن يتولى الأمر في الإيالة ويؤسّس حكما وراثيا.

نجح أحمد قارمنلي في كسب موالاة أعضاء الديوان الإنكشاري وأعيان طرابلس وأعلن ولاءه للسلطان العثماني (أحمد خان الثالث) الّذي ثبّته في الولاية ومنحه لقب الباشا، واعتمد على القوة لتثبيت حكمه فنظّم عدّة حملات لإخضاع القبائل ولتأمين مسالك التجارة الصحراوية بهدف توفير المداخيل، كما اهتم بتطوير القوة البحرية لحماية السواحل الليبية.

ولكن مع حكم علي بن محمد قارمنلي (1754ـ1792) تفاقمت المشاكل مع الأطراف الأوروبية لعدم احترام القراصنة المعاهدات، كما تعاقبت سنوات الجفاف وساءت الأحوال واضطربت الأوضاع الداخلية واحتد تنافس أفراد الأسرة القارمنلية على السلطة وتدخّل حكّام الجزائر وتونس في شؤون ليبيا، ففي سنة 1792 هاجم علي برغل شقيق داي الجزائر وبموافقة السلطان العثماني طرابلس وسيطر عليها، وفرّ آل قارمنلي إلى تونس واستنجدوا بحاكمها حمودة باشا باي الّذي وجّه حملة عسكرية إلى طرابلس في سنة 1794 ومكّن أسرة قارمنلي من استرجاع سلطتها .

لم تستقر الأوضاع في عهد يوسف قارمنلي (1796 ـ 1833) نظرا لتواصل الصراع بين أفراد الأسرة الحاكمة، واضطراب الأمن وسوء الأحوال الاقتصادية وثورات الأهالي وتوقّف عديد الدول الأوروبية عن دفع الإتاوات وتهديدها باستعمال القوة لمنع القرصنة ولحماية رعاياها ومصالحها.

استغلّت السلطنة العثمانية هذه الأوضاع المضطربة لاسترجاع نفوذها المباشر على طرابلس بتنظيم حملة عسكرية عليها سنة 1835.

3 السلطنة العلوية بالمغرب الأقصى : الوثائق 1 ـ12 ـ 13 ـ 14 ـ 15 ـ 16

تأثّر المغرب الأقصى بالتغيّرات الطارئة على التجارة فقد حوّلت الرأسمالية التجارية الأوروبية جزءا هاما من التجارة الصحراوية إلى المحيط الأطلسي ممّا أدّى إلى تدهور السلطة السعدية التي فقدت موردا أساسيا لخزينتها، فبوفاة منصور السعدي سنة 1603 دخلت البلاد في فوضى شاملة تحت ضغط قوى الانفصال وانقسمت إلى فسيفساء من السلط الدينية القبلية التي تتصارع على السلطة بعد أن فقدها الأشراف السعديون بمقتل آخر أمرائهم أبي العبّاس سنة 1659.

ينتسب الأشراف العلويون إلى علي بن أبي طالب وزوجته فاطمة بنت الرسول وقد استقروا منذ القرن XIII بمدينة سجلماسة بمنطقة تافللت في الجنوب الشرقي للمغرب الأقصى وكانوا من أبرز المؤهلين لأخذ المبادرة السياسية، فانطلقت حركتهم من معقلهم سنة 1631 بقيادة محمد الشريف وجابهت أبرز القوى المنافسة

ولقد مثّل اقتحام مولاي الرشيد بن محمد الّذي اعتمد على قوّة محاربة من قبائل العرب والبربر «جيش الشراقة»، مدينة فاس في جويلية 1666 بداية الدولة العلوية الّتي دعمت أركانها مع أخيه مولاي إسماعيل (1672 1727) .

اعتمد هذا السلطان على جيش "الوَدَايَا" من قبائل معقل العربية وخاصة على جيش «عبيد البخاري» وتمكّن بفضل القوّة العسكرية والضغط الجبائي من هيكلة دولة مركزية ومن توسيع بلاد المخزن دون أن يتوصل إلى كسب ولاء نسبة كبيرة من السكّان فبمجرّد رحيله دخل الكيان العلوي في مرحلة فوضى واضطرابات بين **1727** و**1757**. فلقد انقلب جيش العبيد إلى عنصر تفكّك بتدخله المتواصل في تنصيب أو عزل السلاطين حسب مصالحه المادية مستغلاّ تصدّع البيت العلوي وتتالي ثورات الإخوة والأبناء من أجل السلطة في ظرفية متميّزة بتمرد المدن وزحف القبائل البربرية الجبلية في اتجاه السهول وانتعاشة نشاط الزوايا ومن أبرزها "الوزّانية" بالشمال و"الناصرية" بالجنوب و"أحنصال" بالأطلس الكبير.

ونتج عن هذه الأوضاع تعاقب 11 سلطانا ومنهم مولاي عبد الله الّذي خلع أربع مرّات، ثمّ تمكّن المولى محمد بن عبد الله (1757 - 1790) من إعادة الاستقرار بالقضاء على الطموحات السياسية للطُرُق الدينية وبإقامة علاقات متكافئة مع دايات الجزائر وبكسر شوكة العبيد بعد ثورتهم بمكناس سنة 1778. فشتّت أغلبهم وأدمج أقلية المخلصين منهم في جيش جديد قوامه قبائل المخزن العربية والبربرية. كما أنه خفّض في الجباية لاستمالة السكّان واهتم بالتجارة الخارجية فعقد عدّة معاهدات مع الأطراف الأوروبية وأصبحت المكوس التجارية تمثّل أهم مورد لخزينة الدولة.

إلا أنّ الاستقرار لم يدم طويلا إذ بوفاة المولى محمد رجعت الفوضى نتيجة الصراع على السلطة بين أبنائه وفقد العلويون أجزاء هامة من البلاد وسلكوا سياسة انغلاق في ظرفية تكثّف فيها الضغط الأوروبي وأصبح من الصعب الحفاظ على علاقات متوازنة.

II – أدوات السيطرة وعلاقات الكيانات بالأطراف الخارجية :

رغم تميّز الكيانات المغربية بضعف مركزيتها ومحدودية جهازها الإداري فإنّها وظّفت بعض المؤسّسات لضمان بقائها ولفرض سيطرتها على السكّان ولتوفير الموارد لخزينتها.

ولقد تأثّر المسار السياسي لهذه الكيانات بتطور مؤسسات نفوذها وفي مقدّمتها المؤسسة العسكرية وبمتغيّرات روابطها بالمجتمع وكذلك بتطور علاقاتها الخارجية.

1 – أدوات ومظاهر السيطرة على المجتمع : الوثائق 17 - 18 - 19 - 20

– المؤسسة العسكرية : تعتبر أساس قيام الكيانات والدعامة الأساسية للسلطة ومن أبرز وظائفها حماية الفئة الحاكمة والدفاع على المجال الخاضع لها وردع الرافضين لها والمتمردين عليها.

ولقد تميزت هذه المؤسسة خلال القرن XVIII بتعدّد تشكيلاتها وتنوّع أصولها وتغيّر عددها ومكانتها، ويمكن تقسيم هذه التشكيلات إلى صنفين :

* الصنف التقليدي المحلي: يتكون من رجال قبائل المخزن الموالية للسلطة التي تتمتّع بامتيازات كالإعفاء الكلّي أو الجزئي من الجباية أو الحصول على أراضي تمنحها لها السلطة. وقد اعتمد العلويون بالمغرب الأقصى في مرحلة التركيز على جيش الودايا من قبائل معقل العربية. وراهنت الكيانات التركية بالجزائر وطرابلس على فرسان القبائل المخزنية وعلى إدماج الكورغلية في المؤسسة العسكرية لتدعّم نفوذها بالداخل بهدف توفير أكثر موارد جبائية في ظرفية تراجع فيها نشاط القرصنة.

* الصنف النظامي القار: اعتمد هذا الصنف على عناصر غير محلية أي منفصلة عن المجتمع ففي الجزائر حافظ الجيش الإنكشاري القوي اللحمة والمجهّز بالأسلحة النارية والمدرّب على تقنيات الحرب الحديثة على دور مهيمن ليس في المستوى العسكري فحسب، بل أصبح رؤسائه الذين يكونون "الديوان" مصدر السلطة وأداة التسلّط على السكّان وهذا ما يفسّر تعاقب الانقلابات العسكرية الدامية وتعدّد ثورات الأهالي. واتّجه العلويّون بدورهم إلى تكوين قوة عسكرية غير مرتبطة بالمجتمع المحلي، فقد جمّع مولاي إسماعيل العبيد وكوّن منهم جيشا شبيها بالجيش الإنكشاري تنظيما وتدريبا وتجهيزا وارتبط جيش العبيد بالولاء الكلي للسلطان الّذي حلّفه على نسخة من "صحيح البخاري"، لكن هذا الجيش الّذي بلغ عدده حوالي مائة وخمسين ألف جنديا تحوّل بعد موت مؤسّسه إلى عنصر ضعف وتفكّك.

– المحلّة أو الحركة: المحلة أو الحركة مصطلحان أطلقا على المؤسسة العسكرية الجبائية وهي موروث موحدي تواصل العمل به في الفترة الحديثة.

لقد أحدث الأتراك بطرابلس والجزائر بعض التغييرات على تركيبة الأمحال بتنويع العناصر البشرية المكونة لها مع إبقاء التميزّ في الرواتب والأسلحة والتجهيزات لعسكر الترك .

وتعتبر المحلّة أداة أساسية في تثبيت هيمنة السلطة المركزية على داخل البلاد وتوفير الموارد للأقلية الحاكمة، فهي لها وظائف سياسية وجبائية في الظروف العادية ويمكن أن تتحوّل إلى مؤسسة ردعية انتقامية تقوم بإخضاع بلاد السيبة وفرض المغارم والخطايا الجماعيّة.

واعتمد العلويون على "الحركة " بصفة مكثّفة لتميّز المغرب الأقصى بدوام تمرّد قبائله ودورية أزمات انتقال السلطة، وقاد السلاطين الحركات بهدف توسيع بلاد المخزن وتجميع الموارد فمولاي إسماعيل الّذي امتدّت فترة حكمه أكثر من نصف قرن لم يمكث سنة كاملة دون أن يخرج في حركة عسكرية ردعية.

– الجباية أبرز مظهر للسيطرة :

التجأت الكيانات المغربية إلى الضغط الجبائي لضمان نفقاتها، فقد حمّلت القبائل الخاضعة لنفوذها أكبر قسط من الضرائب العادية مثل العشر على الحبوب، والقانون على الزياتين والنخيل إضافة إلى الزكاة و المكوس (التجارة و الأسواق) والعوائد (الهدايا الإجبارية في المناسبات) والحكر (مقابل استغلال أراضي السلطة) والنائبة (لتمويل الجهاد ضد المسيحيين في المغرب الأقصى) .

لقد تميّز النظام الجبائي بثقله واستنزافه لطاقات الأرياف خاصة وأنّ السلطة احتكرت فوائض الإنتاج وسيطرت على ترويجها، كما تميّز باللامساواة وعدم مراعاة التقلبات المناخية وتغيّر المحاصيل مما يفسّر تعاقب المجاعات والأوبئة.

2 – العلاقات الخارجيّة للكيانات المغربيّة الوثائق 21 - 22 - 23 - 24 - 25 - 26

أثّر تطور العلاقات الخارجية وخاصة مع الأطراف الأوروبية بصفة عميقة على المسار السياسي للكيانات المغربية.

- العلاقات الرابطة بين الكيانات المغربية:

اعتمد دايات الجزائر استراتيجية الهيمنة تجاه الكيانات الأخرى فكثّفوا حملاتهم ضدّ العلويين متذرّعين بالخلاف حول الحدود ومستغلّين الصراعات الداخلية على السلطة و لم تستقرّ الأوضاع بين البلدين إلا في سنة 1797 باسترجاع السلطان العلوي لمدينة وجْدة. كما استغلّ دايات الجزائر اضطراب الأوضاع بالإيالة التونسية وتدخّلوا عسكريا في عدّة مناسبات وأخضعوا الحسينيين للتبعية والابتزاز، كذلك شملت هيمنة دايات الجزائر القارمنليين في طرابلس بمساندة حملة علي برغل عليها سنة 1792.

ولقد دفعت سياسة دايات الجزائر إلى التقارب بين كل من العلويين والدولة الحسينية بتونس وبين هذه الأخيرة وآل قارمنلي.

- علاقات الكيانات بالسلطنة العثمانية:

أثّرت الأزمة التي عرفتها الدولة العثمانية خلال القرن الثامن عشر على علاقاتها بالجزائر و طرابلس فقد نزعت كل منهما إلى استقلالية التسيير والقرار إذ رفض دايات الجزائر الاعتراف بالمعاهدات الموقّعة من قبل السلطان مع القوى الأوروبية والمعرقلة لنشاط القرصنة. كما يعدّ قيام النظام القارمنلي حركة انفصالية كرّست بوضوح استقلالية إيالة طرابلس. إلا أن الإيالتين حافظتا على بعض مظاهر الولاء بطلب فرمان التولية من اسطنبول وتقديم الهدايا للسلطان وذكر اسمه في خطب الجمعة وكذلك توفير الدعم العسكري.

لقد قبلت السلطنة العثمانية الأمر الواقع في الجزائر لكنها سعت إلى استرجاع نفوذها المباشر على طرابلس بتنظيم حملة عسكرية سنة 1835.

أمّا علاقة المغرب الأقصى بالسلطنة العثمانية فقد كانت وديّة خاصة في عهد السلطان العلوي محمد بن عبد الله (1757 – 1790) الذي وجّه العديد من السفارات إلى اسطنبول وقدّم الدعم المالي والعسكري للسلطنة أثناء حربها ضدّ روسيا 1783.

- تحوّل العلاقات المغربية الأوروبية :

تميّزت علاقات الكيانات المغربية بالأطراف الأوروبية خلال القرن الثامن عشر بالتصادم فقد تعدّدت الأزمات المتمحورة حول الصراع الديني والقرصنة فقد أفشل دايات الجزائر الحملات العسكرية الإسبانية وأجبروا إسبانيا على التخلي نهائيا على وهران ومرسى الكبير سنة 1792 كما استرجع العلويون عدّة مواقع ساحلية لكنهم فشلوا في تحرير سبته ومليلة من النفوذ الإسباني. لكن في نفس الوقت تميّزت هذه العلاقات بالتعامل السلمي الذي تجسّد في توقيع المعاهدات والتبادل التجاري وتكثّف أنشطة الشركات الرأسمالية الأوروبية مثل الشركة الإفريقية بمرسيليا وسيطرة اليهود على التجارة الخارجية الجزائرية (باكري وبوشناق).

ومنذ بداية القرن التاسع عشر انقلبت موازين القوى كليا لفائدة الأوروبيين بسبب تفوّقهم التقني والعسكري فتوقّف نشاط القرصنة وتكثّف التبادل غير المتكافئ وعجزت الكيانات المغربية على التصدّي للقوى الرأسمالية الصاعدة وفي مقدّمتها إنقلترا وفرنسا.

الخاتمة :

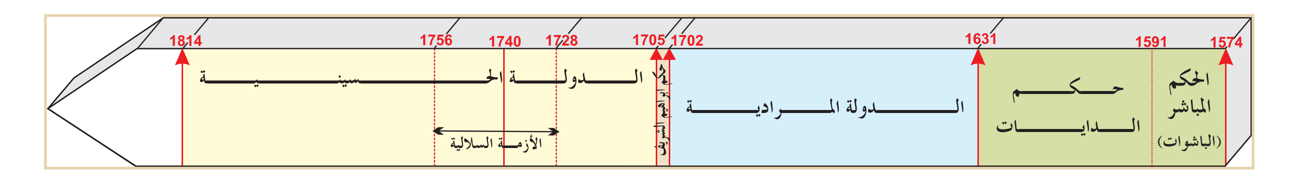
تأثّر التطور السياسي للكيانات العثمانية بكل من طرابلس والجزائر وللنظام العلوي بالمغرب الأقصى خلال القرن الثامن عشر بتعدّد الأحداث والصراعات الداخلية وبتواتر المواجهات الخارجية وبعدم مسايرة حركة التقدم فقد حافظت هذه الكيانات على هياكلها التقليدية وعلى علاقات متوتّرة بمجتمعاتها في ظرفية انقلبت فيها موازين القوى لفائدة أوروبا التي اتجهت إلى فرض مصالحها بالقوة العسكرية وفي نفس الوقت عن طريق التبادل التجاري الذي كان في غالب الأحيان لفائدتها.

الدّرس 14 الدّولة الحُسينيّة في القرن XVIII : علاقة السّلطة بالمجتمع

المدخل

أدرس العلاقة القائمة بين السّلطة والمجتمع في الدّولة الحسينيّة خلال القرن XVIII لأتبيّن طبيعة هذه العلاقة وتطوّرها.

المسار السّياسي للبلاد التّونسيّة في العصر الحديث : من السّلطة الدّخيلة إلى الدّولة شبه المستقلّة



النشاط الأول : أتعرّف تأسيس النّظام الحُسيني وعلاقته بالمجتمع في عهد حسين بن علي

الموارد :

الوثيقة 1

إخفاق سياسة إبراهيم الشّريف

"... ثمّ انقلب حال إبراهيم[1] إلى ضدّ ما أظهره أوّلا... فأطلق يده في ظلم الرّعيّة وسلب أموالهم بما أمكنه.... وجارت التّرك في أيّامه جورا بقي في القلوب أثره وفي الأسماع خبره وطالت أيديهم بالقتل والنّهب في الضّواحي والحواضر.

ولمّا استقرّ إبراهيم الشّريف بتونس ثبت عنده أنّ صاحب الجزائر[2] ... عزم على حربه، واستعدّ للخروج، فتجهّز وحصّن قلعة الكاف... ولمّا أقبلت محلّة الجزائر وتراءى الجمعان فرّت عنه أولاد سعيد إلى الجزيريّين وتبعهم كثير من العرب الّذين استباح أموالهم وقتل ذرّيّتهم و لم يبق معه من الفرسان إلاّ صبايحيّة التّرك...»

أحمد بن أبي الضّياف، إتحاف أهل الزّمان... ج II ص 98 - 101

1 – ضابط تركي قضى على الدّولة المراديّة وانفرد بالحكم سنة 1702 م وحكم إلى سنة 1705.

2 – هو داي الجزائر المسمّى عِشّي مصطفى.

الوثيقة 2

تعيين حسن بن علي بايا

"... ولمّا بلغت (الجيوش) المنهزمة الحاضرة... جزع أهلها جزعا شديدا وخافوا من هجوم العدوّ [1] عليهم وهم فوضى دون أمير يذبّ عنهم ويُدير أمرهم ويقوم بحاجاتهم، فأجمع أمرهم على أن (يُعيّنوا) أميرا يقلّدونه أمرهم ليدافع عليهم.... فتقاضوا فيمن يختارونه لهذا الأمر، فاتّفق أعيان الدّولة وأكابر العسكر... وأعيان البلاد وأهل العقد والحلّ على المولى حسين بن علي لما يعلمون فيه من الخلال والصّفات الّتي توصله للملك وطلبوا أن يملّكوه عليهم..."

محمّد الصّغير بن يوسف[2]، المشرَع المُلكي في سلطنة أولا د علي تركي

تحقيق أحمد الطويلي – المطبع العصريّة 1998

1– العدوّ : محلّة أتراك الجزائر

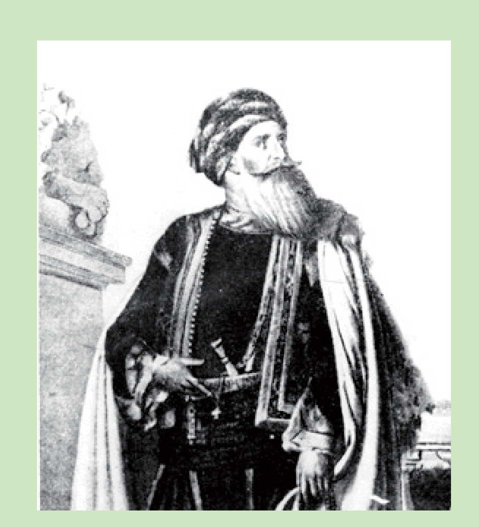
2 – محمّد الصّغير بن يوسف (1693 ـ 1764) أصيل مدينة باجة وفلاح بها. شارك في الحرب الأهليّة وألّف كتابه المشرع الملكي. الّذي يعتبر مصدرا أساسيّا لتاريخ تلك الفترة.

معطيات مكمّلة

ولُد حسين بن علي من أب "تركي" قادم من جزيرة "كريت" ومن أمّ تونسيّة تنتمي إلى قبيلة "شارن" من جهة الكاف. فهو بالتّالي كورغلي.

تقلّب في عديد المناصب : آغا الصبايحيّة – كاهية دار الباشا وكاهية الباي و(الدّاي) إبراهيم الشّريف

استطاع في 1705 صدّ حملة أتراك الجزائر على تونس والانفراد بالسّلطة وتأسيس دولة جديدة بعد انقراض الدّولة المراديّة ودولة ابراهيم الشّريف.



حسين بن علي (1675 ـ 1740)

الوثيقة 3

عوامل ارتقاء حسين بن علي

"... ونشأ... حسين باي[1] في خدمة أمراء إفريقيّة وباياتها[2] وخدم محمّد باي ومن بعده أخاه رمضان باي ومن بعده حفيده مراد باي ثمّ بعده القائم إبراهيم الشّريف باي وتعاطى الوظائف والمناصب... فكان من قدر اللّه أن وُلّي الإمارة باتفاق الجمهور من عسكر مدينة تونس وخاصّتها وعامّتها وتولاّها في التّاريخ المتقدّم الذّكر (1705 م)..."

حسين خوجة [3] – ذيل بشائر أهل الايمان

الدّار العربيّة للكتاب – تونس 1975 ص 112

1– حسين باي أي حسين بن علي

2 – باياتها : هم البايات المراديّون الأواخر المذكورون محمّد ورمضان ومراد الثّالث (بوبالة) وتمتدّ فترتهم من 1686 إلى 1702

3 – حسين خوجة : موءرّخ تونسي ومن مؤلّفاته : ذيل بشائر أهل الإيمان بفتوحات آل عثمان توفّي سنة 1732.

الوثيقة 4

مقاومة غزو أتراك الجزائر

"..جرّد (حسين بن علي) عزمه إلى ضبط البلاد... فركّب المدافع على أبوابها وشرع في حفر خندق محيط بتونس. وبعث العلماء إلى الاجناد يحرّضونهم على القتال ويذكّرونهم وجوبه عليهم دفعا على الأنفس والحرم والأموال وضبط أموره أحسن ضبط ورتّبها أتمّ ترتيب...).

حمّودة بن عبد العزيز* ، الكتاب الباشي، مخطوط ص 293

* حمودة بن عبد العزيز (المتوفى في 1788) تولّى رئاسة ديوان الإنشاء في عهد علي باشا الثّاني ودخل في خدمة حمودة باشا – ألّف الكتاب الباشي.

الوثيقة 5

القضاء على طموحات الدّاي محمّد خوجة

"..لقد تمّ صلح ظاهري بين حسين بن علي والدّاي محمّد خوجة * ولكن كان الباي مقرّا العزم على الانفراد بالحكم دون أن ينازعه فيه أحد. لذلك ليس من المستبعد أن يقضي على خصمه وهذا ما يريده الجميع. وهكذا كان محمّد خوجة ضحيّة المصيبة الّتي نزلت به وأصبح الباي صاحب السّلطة ودخل العاصمة يوم 3 جانفي 1706، وقد أصرّ على الحصول مسبقا على رأس خصمه، وهذا ما حصل...»

ذكره E. Plantet في مراسلات بايات تونس وقناصل فرنسا إلى البلاط (1577 – 1830) باريس 1894

* الدّاي محمّد خوجة الأصفر الّذي نافس حسين بن علي للانفراد بالسّلطة.

التعليمة

حدّد العوامل الّتي ساعدت حسن بن علي للارتقاء لرتبة باي والعقبات الّتي واجهها في ذلك.

الوثيقة 6

انفراد حسين بن علي بالحكم

« تجاوز نفوذ الباي الحالي حسين بن علي نفوذ جميع أسلافه، وقد مارس حكما مطلقا، بلغ حدّا جعله لا يجمع الدّيوان للتّشاور معه بل لتزكية قراراته الفرديّة فقط...

إنّ هذا الأمير قد اتّعظ بالنّهايات المُفجعة لأسلافه بسبب تساهلهم في استخدام الكثيرين من الأتراك، فقرّر إبعاد من لا يثق فيه من العناصر التّركيّة.... وبما أنّ نفوذ الأتراك كان يشكّل عائقا كبيرا أمام رغبة حسين بن علي في الهيمنة المطلقة، فقد حرص على تثبيط عزائمهم والرّفع من شأن الأهالي بمنحهم ثقته الّتي اعتقد الأتراك أنّهم وحدهم جديرون بها...»

مذكّرات سان جارفي* Saint-gervais فنصل فرنسا بتونس

* سان جارفي Saint-gervais هو قنصل فرنسا بين 1729 ـ 1733

معطيات مكمّلة

اِعتمد الحسينيّون، بداية من عهد حسين بن علي طريقة اللّزمة (ج لزم) لجمع الضّرائب وغيرها من خيرات البلاد واللّزمة هي بيع جبائي بالمال إلى شخص (يُسمّى لزّام) يتعهّد بدفع معلوم للمخزن مقابل إحرازه حقّ جمع مردود ذلك الدّخل لفائدته وبوسائله الخاصّة.

الوثيقة 7

تقريب الأعيان المحلّيين

«...كان الحاجّ بلحسن الوسلاتي وهو من بيت زاوية بجبل وسلات* كبيرة وشهيرة... استكتبه الأمير حسين بن علي في بواكر دولته، ثمّ جعله باش كاتب، يجلس بقربه...

...(ومن مقرّبيه) قاسم بن سلطانه الباجي من أعيان بلدة باجة و(قد) استكتبه حين تولّى المملكة، وقد كان مبجّلا معظّما مكرّما عند الأمير حُسين ونافذ الكلمة... مشاركا للحاجّ بلحسن على قضاء الحوايج مثل دماء وخطايا يُطيحونها من الدّفاتر ويأخذان عليها المال العظيم... إلى أن كثر مال قاسم بن سلطانة...»

محمّد الصّغير بين يوسف – المشرَع الملكي... ص 150 ـ 151 (مخطوط)

* جبل وسلات : منطقة مرتفعة ووعرة، تقع شمال غرب القيروان وتتميّز باكتظاظها بالسّكّان وبنزعتها الاستقلاليّة.

الوثيقة 8

سياسة المشترى لدى أولاد صولة (قرب باجة) في 1711 ـ 1712	
عليهم مطالب نقديّة:	2769 دينار (1704 ريالات)
خُصم منها لاقتناء 42 قفيز قمح مشترى من القبيلة بسعر 5 ريالات القفيز	1156 دينار (711 ريال)
بيعت هذه الكمّيّة إلى تجّار فرنسيّين بمحطّة "تامركرت" (قرب طبرقة) بحساب 10 ريالات القفيز الواحد	2037 دينار (1420 ريال)
المصدر : الأرشيف الوطني دفتر عدد 3 حساب أولاد صولة	

معطيات مكمّلة

المشترى : طريقة تمارسها الدّولة للاستحواذ على فائض الإنتاج الفلاحي يجبر وفقها الفلاّحون على تسليم جزء من محاصيلهم (حبوب خاصّة) بأسعار منخفضة تحدّدها الدّولة وهي تتولّى بدورها بيع تلك الحبوب إلى التّجّار الأجانب محقّقة بذلك أرباحا هامّة.

الوثيقة 11

التّصفية الجسديّة للخصوم

أقام حسين بن علي مذبحة ضدّ أهالي الكاف الّذين أعلنوا ولاءهم لعلي باشا عند التجائه لجبل وسلات سنة 1728 تحدث عنها صاحب الكتاب الباشي :

«فسار حتّى نزل عليها وخرج إليه أهلها معلنين بطاعته فقبض على جماعة منهم هم رؤساء الفتنة وأهل الشّقاق فقتل منهم بضعة وسبعين رجلا واعتقل آخرين وهدم سور قلعتها وأماكن الحصانة منها وأقام عليها نحو من شهرين».

حمودة بن عبد العزيز – الكتاب الباشي ص 490

التعليمة

وضّح خصائص سياسة حسين بن علي تجاه مختلف عناصر المجتمع ومدى توطيدها للعلاقة بين السّلطة والمجتمع.

النشاط الثاني: اتبيّن مظاهر الفتنة الباشيّة وتأثيراتها على علاقة السّلطة بالمجتمع.

الموارد :

الوثيقة 10

تراجع أسعار القمح والزّيت في مرسيليا		
التّاريخ	القمح	الزّيت
1716 - 1720	23.3	40
1721 - 1725	21.3	30.6
1726 - 1730	18.8	28.5

الوحدات المستعملة :
العملة : اللّيرة الفرنسيّة
القمح : الحمولة
الزّيت " الملرول (60 - 64 ل)

عن محمّد الهادي الشّريف – علاقة الدّولة بالمجتمع في البلاد التّونسيّة في عهد حسين بن علي الجزء II ص 12

الوثيقة 11

نقل الحبوب التّونسيّة على السّفن الفرنسيّة بين 1716 و 1730	
1716 - 1720	172 سفينة
1721 - 1725	93 سفينة
1726 - 1730	86 سفينة

ورد بكتاب ل فالنزي. L.Valensi الفلاحون التّونسيّون : الاقتصاد وحياة الأرياف في القرنين XVIII و XIX (1977) ص **331**

الوثيقة 12

تغيير ولاية العهد

«بلغ المولى محمّد باي[1] أشدّه... وكمل له من العمر خمس عشرة سنة فأراد (حسين بن علي) أن يرشّحه لولاية العهد ويجعله بايا، ... ليكون ابنه وارث ملكه واستشار خواصّه وأهل الشورى وذوي الرّأي من أصحابه فكلّهم أشاروا بذلك وحثّوه عليه فأجمع رأيه أن يجعل عليّا[2] باشا... فجهّز عمر المورالي وأرسله إلى القسطنطينيّة لحضرة السّلطنة العلية بهديّة عظيمة وطلب من السّلطان تولية ابن أخيه باشا تونس وابنه بايا بها، فأجابه لما طلبه...»

حمّودة بن عبد العزيز – الكتاب الباشي ص 310

1 – هو ابن حسين بن علي.
2 – هو علي باشا ابن أخ حسين بن علي والّذي عيّن من قبل وليّا للعهد.

الوثيقة 13

تحالف علي باشا مع أهالي جبل وسلات

« ... وكان الباشا علي... بلغه أنّ عمّه مستخلف على المحلّة ولده محمّد... فصّوب إلى باردو[1] واجتمع بعمّه وبارك له فيما وضع في استخلاف ولده وفرح وبشبش (رحّب وبشّ) قدّام عمّه واستعمل الصّبر وباطنه محروق من عزله وحبْسه في داره لا تراه فيها الخلق...

... ويئس من سكناه بمدينة تونس وعمل على الخروج هو وولده يونس فكتب كتابا إلى وسلات لبعض مشايخه، وهو له به معرفة وصداقة، أن يأتيه... وإذا وصل إلى تونس أن يدخل ذلك الشّيخ الوسلاتي... من غير أن يعلم ما عنده أحد. فلمّا رآه الباشا وبعد الضّيافة سامره، ثمّ خاطبه على حلوله وهروبه إلى جبل وسلات هاربا من الممات : هل تمنعوني أو تخذلوني ؟ فقال له ذلك الشّيخ : يا سيّدي أصبر عليّ حتّى نرجع إلى الوسلات ونعلم من عند النّاس... وأن شاء اللّه يحصل لك مرادك ونكون سببا في سلطانك...

محمّد الصّغير بن يوسف – المشرع الملكي... ص 56 - 59

1 – مقرّ الحكم منذ العهد المرادي.

2 – المحلّة هي مؤسّسة عسكريّة وجبائيّة وقضائيّة متنقّلة يقودها وليّ العهد.

الوثيقة 14

جبل وسلات

«... هذا الجبل محيطه ثمانون ميلا واحتوى على أكثر من مائة دشرة وقرية فالدّشرة تجمع ثلاثمائة مقاتل أو أكثر، والقرية تجمع قريبا من الألف فإذا هرب إليهم هارب وفي البلاء راغب، تجمّعوا وإليه فزعوا.... فيجتمع من يقدر على القتال والحرب والنّزال... وإذا دخلتَ الجبل وسرتَ فى سفحه رأيت مداشر مخيفة في قمم عالية لا يصعد إليها إلاّ ساكنوها ولا يعرف سهلها ووعرها ألاّ أهلوها.... ومن أجل ذلك لا يتمكّن أيّ سلطان من التّغلّب عليهم ولا يستطيع أيّ إنسان النّيل منهم....

محمّد الصّيغير بن يوسف – المشرع الملكي (ص 79)

الوثيقة 15

تصدّع وحدة البلاد

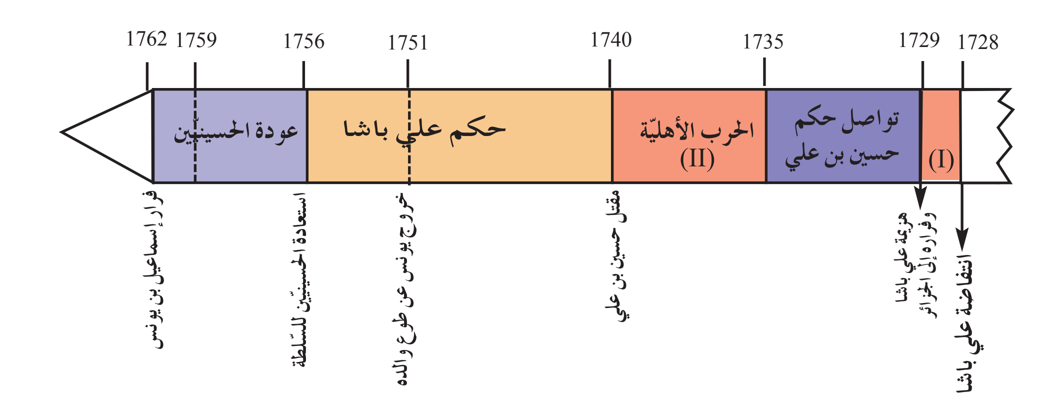
...«وانقسمت البلاد يومئذ إلى حُسينيّة [1] وإلى باشيّة [2] ... فمن الحسينيّة القيروان وسوسة والمنستير والمهديّة والقلعة الكبرى وصفاقس وقرى من السّاحل ومن العربان بنورزق وأكثر دريد وقبائل جلاص وأولاد عون وأولاد سعيد والهمامة ومن الباشيّة مساكن وجمال والقلعة الصّغرى وأكّودة... وجبل وسلات وقبائل ماجر والفراشيش وأولاد عيار وورتان وغيرهم...»

أحمد بن أبي الضياف ، الإتحاف ج II ص 140 .

1 – حسينيّة : نسبة إلى حسين بن علي وهم أنصاره

2 – باشيّة : نسبة إلى علي باشا الّذي ثار على عمّه بعد عزله من ولاية العهد.

أزمة النظام الحسيني والحرب الأهليّة



الوثيقة 16

حملة أتراك الجزائر لتنصيب علي باشا مكان عمّه

«... ولمّا دخل عام 1147 هـ (1735 م) صرخت ألسنة الخلق... أن الجزيريّة يجهّزون أنفسهم... ووصل الخبر إلى الأمير حسين... فبعث أحد خواصّه إلى وجق الجزائر ليتكلّم مع خواصّ الدولاتلي (الدّاي) في التّعطيل وعدم الخروج ولهم كذا وكذا من الهدايا والمال... وسافر ذلك الرّجل ودخل الجزائر فوجد بابا مسدودا ولا يقدر أحد أن يتكلّم مع الدولاتلي ولا يخاطبه بتعطيل النّصر لعلي باشا... وقيل اشترى منهم (من الجزيريّين) الرّحلة بألف ريال إذا دخل تونس...»

محمّد الصّغير بن يوسف المشرَع... (ص 318 ـ 320)

الوثيقة 17

سياسة علي باشا الانتقاميّة

«... اِعلم أنّه لمّا تغلّب الباشا علي ودخل باردو صار يتتبّع في خدّام عمّه وأخذ أموالهم... ومن بلغه عليه «تهجريص» قريبا أو بعيدا فيرسل إليه ويضعه في الحبس حتّى يتجمّع عنده المتّهم فينظر في الزمام ويقول : شجرة الملك تسقى بالدّم... وأنّ أهل إفريقيّة فرّقهم اللّه وشتّتهم ما يسعون دائما إلاّ في عصيان السّلطنة... وطال غشّهم وعصيانهم وظلمهم فسلّطني اللّه عليهم... ولازال الباشا علي.... في سلب الأموال وقتل الأنفس وحبس الرّجال إلى أن أتاه يومه وحضر أجله...»

محمّد الصّغير بن يوسف المشرَع... (ص 318 ـ 320)

الوثيقة 18

نَصْبُ مدينة تونس في 1756

«... لقد قُتِل بين 5000 أو 6000 شخص، وتردّت المدينة في حالة من الضّعف لن تنهض منها لمدّة سنوات، فلا يمرّ المرء بشوارعها دون أن يتحسّر على حالها وعلى الخراب الّذي أحاط بها»

(وصف حصار تونس من قبل محلة أتراك الجزائر) ورد في مراسلات بايات تونس... الجزء الثّاني E. Plantet

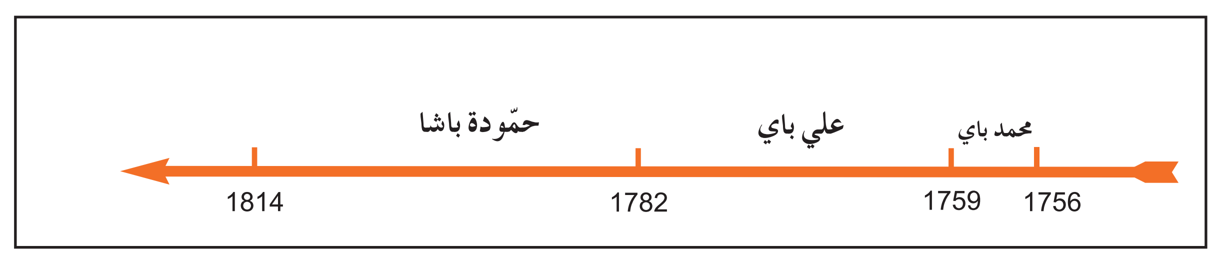
التعليمات

– تبيّن أسباب أزمة الدّولة الحسينيّة وصنّفها.
– أبرز أثر الفتنة الباشيّة على علاقة السّلطة بالمجتمع.

النشاط الثالث: أدرس تطوّر العلاقة بين السّلطة والمجتمع في ظلّ الاستقرار الّذي عرفته الدّولة الحسنيّة بين 1762 و 1814.

الموارد :

عودة الاستقرار وأوج الدّولة الحسينية (1759 و 1814)



الوثيقة 20

فشل محاولة حفيد علي باشا (إسماعيل)

«... فلمّا سمع إسماعيل[1] بموت محمّد باي وتولية أخيه علي تحرّك لنحو تونس طالبا لملك جدّه، فسارع من طرابلس خفية من الباشا مع جماعة من العرب وصار كلّما مرّ بطائفة من الأعراب تبعه منهم جماعة... ولم يزل سائرا حتّى انتهى إلى جمّال فأقام بها. وجهّز له علي باي عساكر من تونس، فلمّا التقى الجمعان كان الظّفر لعساكر تونس على عساكر جمّال، فخرج من جمّال إلى وسلات... وعمل على السّفر إلى الجزائر... ولما خرج من الجبل رأى سيدي علي باي أنّ أهل الجبل لا يسكنون من الفتنة فرأى من الصّواب في نزول أهله إلى البلاد فأمرهم بالنّزول منه. فنزلوا وتفرّقوا...»

محمود مقديش[2]. نزهة الأنظار في عجائب التّواريخ والأخبار
المجلّد II ص 167

(1) هو ابن يونس بن علي باشا الّدي حكم من 1740 إلى 1756
(2) من أبرز علماء صفاقس في القرن XVIII توفّي سنة 1813

الوثيقة 21

إلغاء المشترى

«... فأوّل ما افتتح به دولته*... أن حطّ المشترى عن الرّعيّة في جميع عمله وقد كانوا في جهد من شأنها ومشقّة فادحة... وقد أدّى ذلك إلى ترك الفلح وتعطيل الفدادين في كثير من البلاد تفاديا عن المشترى... وهي أقبح أنواع الظّلم... فافتتح دولته ... برفعها عن النّاس، وكان ذلك من أقوى الأسباب الباعثة لهم على عمارة الأرض والإقبال على الفلاحة حتّى ارتفعت قيمة الفدادين كراء وشراء... وكثرت بسبب ذلك الحبوب والأقوات حتّى صارت سنة الجدب لا تؤثّر في غلاء أسعارها لعموم البذر في كلّ مكان...»

حمودة بن عبد العزيز – الكتاب الباشي ص 366

* دولته : أي حكم علي باي بداية من **1759**

الوثيقة 22

حمودة باشا (1782 - 1814)

«... اعتنى أبوه [علي باي] بتربيته فقرأ ما تيسّر من القرآن، وضمّ إليه إمامه الفقيه العالم أبا محمّد حمّودة باكير فأخذ ما يلزم من الفقه الحنفي وأخذ عن العلاّمة الكاتب أبي محمّد حمّودة بن عبد العزيز كاتب أبيه ومؤرّخ دولته، ما يلزم من النّحو والحساب والتّاريخ وتعلّم اللّغة التّركيّة نطقا وكتابة... وقال هذا الأمير : هو عماد البيت وبيت القصيد... ثاقب الفكر... ولوعا بالنّظر في مقدّمة ابن خلدون، رأيت نسخة عليها توقيفات كبيرة بخطّه...»

أحمد بن أبي الضّياف – الإتحاف ج 3 ص 15 - 17

صورة حمودة باشا (من لوحة زيتيّة بمدينة البندقيّة
(عن A.Pellegrin التّاريخ المصوّر لمدينة تونس)

الوثيقة 23

إرتقاء حمّودة باشا بالنّظام الحسيني إلى أوجه

«... لم تتمتّع الإيالة التّونسيّة بمثل الاستقرار والازدهار اللّذين عرفتهما في عهد حمّودة باشا. كما لم تتمتّع الرّعيّة بمثل هذا الاستقلال من أعدائها في الخارج.... ومنذ أن تولّى حمّودة باشا عرش تونس لم تدبّر ضدّه أيّة مؤامرة جدّيّة لإقصائه عنه...»

لويس فرانك (الطّبيب الخاصّ لحمّودة باشا) – وصف إيالة تونس ص 70 - 71

الوثيقة 24

حمّودة باشا وأعيان العروش

«... وكان له في غالب العروش أعيان من مشايخهم وأبناء زواياهم يعرف أشخاصهم وأسمائهم وأحسابهم... يسترشدهم في مصالح قبيلتهم حتّى يرى القايد أنّهم شبه العيون عليه وكان لا يعزل شيخا إلاّ إذا شكاه الأكثر من إخوته... ولا يوليه إلاّ بالاتّفاق الأكثر من إخوته...

وكان يُخفّف عن العربان في الجباية وربّما يسقطها في سنين الجدب.»

أحمد بن أبي الضّياف – الإتحاف ج 3 ص 109 - 113

الوثيقة 25

تشجيع حمّودة باشا للصّناعات المحليّة

«... وله في حبّ الوطن وهداية أهله إلى طرق النجاح آثار مشهودة منه أنّه لا يتباهى إلاّ بعمل البلاد من لبس نسجها شعارا ودثارا كنسج سوسة والحمّامات والجريد وجربة وما يُصنع بالحاضرة من نسج الحرير الصِّرف والمختلط»

أحمد بن أبي الضّياف – الإتحاف ج 3 ص 77

الوثيقة 26

ازدهار التّجارة التّونسيّة

«انتشرت العقليّة التّجاريّة بين سكّان البلاد وقد ساعد على ذلك الباي ووزيره (صاحب الطّابع) اللّذين ساهما بنفسيهما في العمليّات التّجاريّة إلى جانب التّجّار التّونسيّين فأصبح حينئذ التّفوّق في هذا المجال لصالح التّونسيّين على حسب التّجار الفرنسيّين.

وكانت الإيالة التّونسيّة تصدّر الكثير من القمح وزيت الزّيتون والصّوف الجيّد وتستورد من مرسيليا القهوة والسّكّر والأغطية والأنسجة الحريريّة والصّوف الإسباني لصناعة الشّاشيّة...

ومنذ أن أصبحت التّجارة بين أيدي حوالي مائة وخمسين تاجرا تونسيّا... تقلّصت مرابيح التّجّار والأوروبيّين كثيرا.»

لويس فرانك*(L.Frank) وصف إيالة تونس ص 70 ـ 71

*لويس فرانك : طبيب فرنسي أقام 8 سنوات بتونس في خطة الطّبيب الخاصّ لحمّودة باشا – له كتاب بعنوان وصف الإيالة التّونسيّة.

الوثيقة 27

تزايد الطّلب الخارجي على المنتوجات التّونسيّة

«بسبب التّصدير إلى الخارج على يد التّجار الأجانب، نشطت البلاد التّونسيّة اقتصاديّا، لقد عمّ النّاس حماس شديد، بل لهفة عارمة على تعميم زراعة الحبوب بمختلف أنواعها وكذلك الزّيتون. وذلك لما لهذه المنتوجات من أرباح طائلة لازدياد الطّلب الخارجي المستمرّ بسبب الكمّيّات المصدّرة...»

رسالة ماجرا (Megara) قنصل إنقلترا بتونس من 1790 إلى 1804

أوردها رشاد الإمام في كتابه : سياسة حمودة باشا في تونس ص 264

الوثيقة 28

تطوّر أسطول القرصنة التونسي في أواخر القرن XVIII وبداية القرن XIX

السنة	عدد السّفن	عدد الوقائع
1769	47	253
1785	23	128
1795	71	588
1798	97	1052
1804	76	656
1810	18	306

عن المجلّة التّونسيّة عدد 19 ـ 20 ـ 1957

معطيات مكمّلة

- يرجع ازدياد النّشاط القرصني في أواخر القرن XVIII وبداية XIX إلى انشغال الدّول الأوروبيّة بحروب الثّورة الفرنسيّة وبخاصّة في عهد نابليون.
- في 1815 ومع نهاية الحروب ضدّ نابليون تمّ تحجير القرصنة
- في 1816 حملة الانقليزي إكسماوث ضدّ موانى شمال إفريقيا لمنع القرصنة.

معطيات مكمّلة

بروز عائلات "القياد اللّزامة" في النّصف الثّاني من القرن XVIII الّذين أثروا من التّجارة البحريّة والقرصنة.

– بن عيّاد (تولوا القيادة بجربة والوطن القبلي لجباية الضّرائب ولزمة الجمارك)

– الجلولي : تولّوا لزمة الزيت بالسّاحل وصفاقس وقيادة هذه المدينة.

– المرابط : بالقيروان ....

التعليمات

– وضّح تطوّر علاقة السّلطة الحسينيّة بالمجتمع في فترة الاستقرار (**1762 ـ1814**) وحدّد ظرفيّته

– أبرز التّحوّل الحاصل في علاقة الدّولة بالمجتمع ومحدوديّته.

المقدمة

أحيى "حسين بن علي" التّجربة المراديّة من أجل إرساء نظام ملكي تونسي وذلك غداة محاولة إبراهيم الشّريف إعادة فرض هيمنة الطّائفة التّركيّة على الإيالة. وقد أرسى نظاما أكثر ترسّخا في محيطه بفضل دعم علاقته مع الأعيان المحلّيّين. ولئن واجه هذا النّظام أزمة خطيرة، جرّت البلاد في حرب أهليّة دامية (1728 – 1756) فقد تمكّن من تجاوزها ليبلغ حالة من التّوازن والاستقرار لما لقيه النّظام الحسيني من تفاعل لدى العديد من الشّرائح الاجتماعيّة مع سياسته بعد 1756 وبخاصّة في عهد حمّودة باشا (1782 ـ 1814]

I - تأسيس الدّولة الحسينيّة وتنظيمها في عهد حسين بن علي :

1 – ظروف النّشأة (الوثائق 1 – 2)

أحدثت هزيمة إبراهيم الشّريف أمام عسكر داي الجزائر وأسره في جويلية 1705 قرب مدينة الكاف، فراغا سياسيّا، اضطرّ أعيان الحاضرة من رجال دولة وقادة عسكريّين وعلماء بسدّه قصد الإعداد لمواجهة الغزو الأجنبي. فوقع الاختيار على حسين بن علي، كاهية إبراهيم الشّريف في خطة باي، وصاحب هذا التّعيين أن اختار عسكر الانكشارية دايا جديدا في شخص "محمّد خوجة الأصفر".

وقد كان لحسين بن علي الدّور الفعّال في صدّ غزو قوات داي الجزائر لمدينة تونس، بدعم من أهلها ومن سكّان البوادي المجاورة. وفي إجبار تلك القوّات على الانسحاب من البلاد (في أكتوبر 1705) ومثّل تضامن سكّان تونس مع الحكّام نوعا من الوعي بتلازم مصير الحكّام بمصير محكوميهم، سيّما وأنّ حملات عسكر الجزائر العديدة منذ الحرب الأهليّة في العهد المرادي (بين 1684 ـ 1686 وفي 1694) ما انفكّت تغذّي ذلك الوعي. (الوثائق 3 – 4 – 5)

2 – انفراد حُسين بن علي بالحكم

. كان حسين بن علي، قبل هزيمة إبراهيم الشّريف وأسّره في منتصف جويلية 1705 ، كاهية لهذا الأخير، كما تقلّد خططا شتّى أيّام المراديّين الأواخر ممّا أكسبه خبرة واسعة، إضافة إلى أنّه "كورغلي" وله صلات وارتباطات بمختلف الأوساط في البلاد.

. وقد عمل حسين بن علي من أجل توطيد نفوذه بالتّصدّي إلى طموحات الدّاي محمّد خوجة الأصفر والهادفة إلى إخضاع الباي لسلطته مثلما كان الوضع قبل بروز المراديّين، فاستغلّ انتصاره على أتراك الجزائر للتّخلّص من ذلك المنافس، كما أزاح إبراهيم الشّريف الّذي أُطْلِق سراحه وعاد إلى تونس للاستيلاء على السّلطة من جديد في أواخر سنة 1705، وبذلك أمكن لحسين باي الانفراد بالحكم في جانفي 1706 وأن يجعل حكمه شرعيّا بالحصول على فرمان التّولية من الباب العالي في جوان 1706.

3 – خصائص النّظام الحسيني وعلاقته بالمجتمع :

أسّس حسين بن علي ملكا تواصل ولو بشكل صوري إلى تاريخ إعلان الجمهوريّة في جويلية 1957، وانبنى على التّوازن بين مختف العناصر ذات الوجاهة في البلاد، وقد اعتمد حسين بن علي من أجل ذلك على :

– التّحالف مع الأعيان المحلّيّين في المدن والقرى كما في الأرياف ودمجهم في دواليب الدّولة وأجهزتها وتشريكهم في استغلال خيرات البلاد عن طريق اللّزَم والوكالات والخطط الإداريّة.

– إعادة الاعتبار للمذهب المالكي والتّقرّب من العلماء وشيوخ الزّوايا مع إخضاعهم لإرادته.
– مصالحة العناصر التّركيّة الّتي احتفظت بامتيازاتها مع تطعيم الطّائفة الانكشاريّة بالكوارغليّة للحدّ من دورها السّياسي.
– استخدام القبائل المخزنيّة بصفة مُكثّفة سواء صلب المحلّة أو أثناء العمليّات العسكريّة، والرّفع من شأن رؤسائها. ومن هذه القبائل : دريد والهمامة وغيرها.
– قمع القبائل والمجموعات الرّافضة للحكم المركزي ومنها سكّان الجبال والبوادي البعيدة.
أمّا في الميدان الجبائي فقد اعتمد حسين باي سياسة تقوم على :
. السّيطرة على فوائض الإنتاج الفلاحي بممارسة طريقة "المشترى" الّتي تحرم المنتجين من جزء من إنتاجهم بأثمان منخفضة يتولّى البايليك بيعها للتّجّار الأجانب محقّقا بذلك أرباحا هامّة.
. فرض العديد من الضّرائب والغرامات خاصّة على حساب المجموعات الرّيفيّة بموازاة مع ارتفاع مصاريف الدّولة لتغطية حاجياتها المتزايدة من الأسلحة والبارود وغيرها. ولا غرابة أن تستغلّ المجموعات الرّيفيّة الّتي أثقلت كاهلَها السّياسة الجبائيّة المنتهجة للانشقاق ومناصرة المتمرّدين على السّلطة مثلما كان الحال مع ثورة علي باشا على عمّه بداية من سنة 1728.

II - "الفتنة الباشيّة" وآثارها على علاقة الدّولة بالمجتمع :

1 – أسباب الفتنة الباشيّة

. ثار "علي باشا" على عمّه حسين باي بعد أن أزاحه هذا الأخير عن ولاية العهد عندما رُزِق أولادا ونصّب ابنه الأكبر محمّد بدلا منه. فتوتّرت العلاقة بين الباي حسين وابن أخيه رغم تمكينه من منصب باشا الّذي أصبح شرفيّا. فانعزَل الباشا لمدّة ثلاث سنوات (1725 ـ 17828) وخطّط للتّمرّد واتّصل من أجل ذلك بسكّان جبل وسلات طالبا دعمهم.
غير أنّ هذا الخلاف بين "الباشا" وعمّه حسين باي الّذي يعتبر خلافا شخصيّا، قد أفضى إلى انقسام البلاد إلى شقّين متنافسين : الشّقّ الحسيني والشّقّ الباشي. مثلما كان الحال أيّام حرب الأخوين محمّد وعلي المراديّين ما بين 1676 و 1686 م.
وترجع أسباب هذا الانقسام إلى عدّة عوامل منها ما هو ظرفي ومنها ما هو مرتبط بطبيعة المجتمع وبالنّظام القائم وسياسته ومن أبرزها :
. عدم انسجام مكوّنات المجتمع واعتماد السّلطة على القوّة للسّيطرة عليه.
. سياسة الباي الاستغلاليّة (المشترى) وجبايته المجحفة وخاصّة تجاه المجموعات الرّيفيّة الّتي تكوّن أغلبيّة سكّان داخل البلاد.
. الظّرفيّة الاقتصاديّة المحليّة والمتوسّطيّة السّيّئة في فترة ما بين 1716 و 1730 والّتي تؤكّدها إحصائيّات التّجارة الخارجيّة (وتشترك فيها بلدان أخرى من المنطقة المغربيّة كإيالة طرابلس والمغرب العلوي).

2 – أطوار الفتنة :

تقسّم الفتنة الباشيّة إلى أطوار عدّة :
. تمرّد "علي باشا" في سنتي 1728 و 1729 انطلاقا من جبل وسلات وبدعم من قبائل ماجر وأولاد عيّار وغيرهم والّتي انتهت بهزيمة الثّائر وفراره إلى الجزائر في ماي 1729 .
. رجوع "علي باشا" إلى تونس بإعانة محلّة الجزائر سنة 1735 واستقراره بها.

وجوء عمّه إلى القيروان وما تلى ذلك من معارك بين الشّقين المتحاربين على عدّة جبهات (جهة الكاف – السّاحل – منطقة زغوان) وقد أسفرت معركة سمنجة على انهزام الباي حسين بن علي ومقتله في ماي 1740 بينما لجأ أبناءه إلى الجزائر.

. فترة حكم "علي باشا" بعد انتصاره (من 1740 إلى 1756) : سلك "علي باشا" الملقّب بـ"الطّاغية" سياسة استبداديّة وقهريّة أحيانا مع الانحياز إلى أنصاره من "الباشيّة" ممّا خلّف النّقمة لدى المتضرّرين من هذه السّياسة.

. عودة ابني حسين بن علي بمساعدة جيش داي الجزائر واسترجاعهما العرش لكنّهما لم يحولا دون تعرّض مدينة تونس إلى الاحتلال والنّهب من قبل عساكر الجزائر في أوت 1756.

3 – نتائج أزمة النّظام الحسيني وأثرها على الدّولة والمجتمع :

لقد ساهمت هذه الأزمة الطّويلة (1728 – 1756) في إبراز انقسام البلاد إلى شقّين متنافسين، حسيني وباشي فأذكت الصّراعات القديمة بين القبائل وحتّى بين القرى المتجاورة.

. كما ساهمت في توتّر العلاقة بين السّلطة وشرائح واسعة من المجتمع بسبب احتداد الضّغط الجبائي والإجراءات الانتقاميّة الّتي لجأ إليها الحكّام وبخاصّة "على باشا".

. ومن ناحية أخرى فإنّ الأزمة قد فتحت الباب لتدخّل أتراك الجزائر في البلاد التّونسيّة بطلب من الأطراف المتنازعة على السّلطة (1735 – 1746 و 1756) فانجرّ عن ذلك :

– فرض وصاية جزائريّة على الدّولة الحسينيّة ومطالبتها بدفع أتاوة سنويّة وذلك لمدّة نصف قرن.

– تضرّر سكّان مدينتي تونس والكاف من جرّاء الغزو "الجزائري" وهو ما أفرز نوعا من الوعي بترابط المصير بين الحكّام والمحكومين الشّيء الّذي سيغنم منه الحسينيّون بعد 1756 وخاصّة حمّودة باشا.

II - عودة الاستقرار وتحسّن العلاقة بين الدّولة والمجتمع : (الوثيقتين (20 ـ 26)

سلك أبناء حسين بن علي بعد استرجاع السّلطة في 1756 سياسة الاعتدال والمرونة قصد تحقيق الوفاق والمصالحة بين عناصر المجتمع وبين هؤلاء والدّولة، بينما سعى حمّودة باشا إلى توسيع القاعدة الاجتماعيّة للنّظام الحسيني مستغلاّ في ذلك الظّرفيّة المتوسّطيّة الملائمة.

1 – إعادة بناء الدّولة وسياسة الوفاق في عهد علي باي (1759 ـ 1782)

. اِظطلع علي باي، منذ حياة أخيه محمّد (1756 ـ 1759) بإعادة السّلم الدّاخليّة الّتي لم تعكّر صفوها محاولة اسماعيل حفيد "علي باشا" سنة 1758 وانتهت بفراره إلى قسنطينة في 1762 واستقرّت الأوضاع منذ ذلك التّاريخ وتحسّنت علاقة السّلطة بالأهالي بما في ذلك سكّان الأرياف وذلك بالحدّ من استغلال الرّعيّة بإلغاء المشترى وبتخفيف الجباية بفضل الازدهار الاقتصادي الّذي شهدته البلاد في السّتّينات وجانب من السّبعينات من القرن XVIII والمرتبط خاصّة بتوفّر فوائض من الإنتاج الفلاحي أمكن بيعها في الأسواق الأوروبيّة.

– كما اتّبع علي باي نهج المرونة واللّيبراليّة وفتح الباب أمام أعيان البلاد للقيام بأنشطتهم الاقتصاديّة بأكثر حريّة سواء مع البابليك أو مع التّجار الأجانب.

2 – حمّودة باشا وأوج الدّولة الحسينيّة (1782 ـ 1814)

. شهد النّظام الحسيني أوجه في عهد حمّودة باشا الّذي ساس شؤون البلاد منذ 1777 في حياة أبيه علي – وتمكّن من الارتقاء بأسلوب الحكم الّذي أرساه حسين بن علي إلى أعلى درجات النّجاعة والفعاليّة مستغلاّ الظّرفيّة المتوسّطيّة الملائمة في أواخر القرن XVIII وبداية القرن XIX وذلك بـ :

– الاعتماد المتزايد على الأعيان، لاسيّما القياد اللزّامة منهم الّذين كوّنوا سلالات تتوارث الخطط والأعمال من أمثال "آل الجلولي" و"بن عيّاد" وغيرهم.

– تنشيط الصّناعات وخاصّة صناعة الشّاشيّة مما ساعد على قيام نواة "بورجوازيّة" محليّة.

– الدّفاع عن مصالح التّجار التّونسيّين وربط علاقة متينة معهم حتّى وإن كلّفه ذلك الدّخول في حرب مع البندقيّة في 1784.

. كما عمل حمّودة باشا من أجل أن يستند النّظام الحسيني أكثر فأكثر على قوّة الأهالي وذلك بمناسبة حدثين هامّين :

– الانتصار على أتراك الجزائر في 1807 بفضل التفاف كلّ القوى المحليّة حول الباي لوضع حدّ للتّبعيّة المفروضة على الإيالة منذ 1756.

– قمع ثورة العسكر التّركي في 1811 بمساعدة الجنود من الأهالي وانتهاز الفرصة للتقليص من صلاحيّات تلك الطّائفة.

. إلاّ أنّ المستفيدين من النّهضة الاقتصاديّة الّتي عرفتها الإيالة فهم ينتمون إلى طبقة الحكّام والموالين لهم من فقهاء وقياد لزّامة وشيوخ المجموعات الرّيفيّة، بالإضافة إلى فئة الحرفيّين المهرة وبخاصة منهم المنتمين إلى قطاع الشاشيّة.

. لكن الطّبقات الشّعبيّة فلم تمسّها التّغيّرات إلاّ قليلا طالما بقيت طرق عملها تقليديّة وإنتاجيتها ضئيلة على الرّغم من أن الاستغلال الّذي تعاني منه كان يخفّ عندما تكون الظّرفيّة الاقتصاديّة في المتوسّط ملائمة.

خاتمة :

تدرّج النّظام الّذي أقامه الحسينيّون في القرن XVIII من وضعيّة الاعتماد على العناصر العسكريّة الأجنبيّة لينصهر أكثر فأكثر في محيطه التّونسي وذلك بإشراك الأهالي، ولا سيّما الأعيان منهم في تسيير شؤون البلاد.

وقد ازدادت علاقته بعديد الشّرائح الاجتماعيّة تمتّنا، كما خفّت وطأة سياسته الاستغلاليّة تجاه الأرياف بفضل تحسّن الوضع الاقتصادي المرتبط بالظّرفيّة المتوسّطيّة الملائمة خلال الثّلث الأخير من القرن XVIII وبداية XIX.

دراسة النص التاريخي

يعتبر النصّ التاريخي من أهم الأدوات في تقييم مكتسبات التلاميذ، وتخضع دراسة النصّ التاريخي لتمشّ منهجي واضح ولطريقة عمل منظّمة.

I - منهجية دراسة النصّ التاريخي :

1 ـ التقديم :

ـ تحديد طبيعة النصّ (فصول من معاهدة أو اتفاقية أو دستور أو إعلان، خطاب، لائحة ، مقال صحفي، مقتطفات من كتاب ...) .
ـ تقديم صاحب النصّ أو أطرافه بالاقتصار على ما يساعد على دراسة النّصّ .
ـ ذكر مصدر النصّ .
ـ وضع النصّ في إطاره التاريخي .
ـ إبراز الفكرة العامة للنصّ .
ـ الإعلان عن عناصر الدراسة انطلاقا من الأسئلة المرافقة.

2 ـ الدراسة :

تتمثّل في الإجابة المسترسلة عن الأسئلة المطروحة وذلك بتوظيف المعارف والمهارات الملائمة ، وتتطلّب الدراسة :
ـ الارتباط بالنصّ وحسن استغلال معطياته.
ـ إحكام انتقاء المعارف التاريخية الّتي تستجيب للمطلوب .
ـ توخي الفكر النقدي في التعامل مع النصّ
ـ تنظيم المعلومات وحسن التخلّص .
ما يجب تجنّبه :
ـ سلخ النصّ أي الاقتصار على محاكاته.
ـ عدم الارتباط بالنصّ والانزلاق إلى تحرير مقالة تاريخية حول الفكرة العامة للنصّ.

3 ـ الخاتمة :

ـ إبراز القيمة التاريخية للنصّ مع إمكانيّة تقييم إضافاته وموضوعيته .
ـ فتح آفاق بالإشارة إلى أحداث أو قضايا أخرى يوحي بها النصّ .

II ـ مراحل الإنجاز :

1 ـ مرحلة التهيئة :

– قراءة أولية للنّصّ والأسئلة المصاحبة لأخذ فكرة إجمالية حولها.
– قراءة متأنّية للنّصّ مع تسطير العبارات والإشارات البارزة، وفي نفس الوقت استعمال مسودّة أولى تقسّم عموديا إلى جزأين :
– يستغلّ الجزء الأول لتسجيل الأفكار أو القضايا الواردة بالوثائق والجزء الثاني لتسجيل المعطيات التاريخية الّتي ستوظّف في دراسة الإشكاليات المطروحة.

2 ـ مرحلة التنظيم والتخطيط :

ـ تنظيم الأفكار الأساسية والمعطيات وترتيبها وفق تخطيط مفصّل.

ـ استعمال مسودة لتحرير المقدّمة والخاتمة.

4 – مرحلة التّحرير

ـ التحرير النهائي للدراسة مع احترام التنظيم المنطقي وحسن التخلّص والربط .

ـ قراءة أخيرة للعمل المنجز وإصلاح الأخطاء المعرفية واللغوية .

III ـ عمل تطبيقي :

الحرب الأهليّة بين الحسينيّة والباشيّة

«... ولما دخل عام 1147 هـ (1735 م) صرخت ألسنة الخلق... أنّ الجزيرية (1) يجهزون أنفسهم... ووصل الخبر إلى الأمير حسين (2)... فبعث أحد خواصه... إلى وجق الجزائر ليتكلم مع خواص الدولاتلي (الداي) في التعطيل وعدْم الخروج ولهم كذا وكذا من الهدايا والمال و... سافر ذلك الرجل ودخل الجزائر فوجد بابا مسدودا... ولا يقدر أحد أن يتكلم مع الدولاتلي ولا أن يخاطبه بتعطيل النصر لعلي باشا. وأصله أنّ علي باشا لما اشتهر في مدينة الجزائر... وجاء باي تيطرى إلى مدينة الجزائر... وجاء باي تيطرى إلى مدينة الجزائر كعادته وعلي باشا له معرفة به، تقابل معه واشتكى له حاله وقال له : «إنّي جئت مستجيرا بكم وبهذا الوجق المنصور وأنا مقيم هنا سبع سنين أو أقل أنتظر نظرتكم... وكلّ من أتى إليكم نصرتموه وبلغتموه مراده... ويا أخي المطلوب من فضلك تتكلم مع الدولاتلي ابراهيم خوجة إمّا أن يسرّحني لأخرج من هذا البلد... أو ينصرني ويخرجَ معي الامحال... ولا يخاف من قتال العسكرين بل عسكر تونس لّه في يدي ولا يقع بيننا وبينه قتال... (فإنّ) وجق تونس وأهلها وصاحب المحلة المتولي أمرها (سينضمّون إلينا) من حين نصل إلى صراط إلى أن نصل إلى تونس.» ... ومع هذا أدفع إليه (الدولاتلي) في كلّ مرحلة ما هو معلوم من الما... وقيل اشترى منهم الرحلة بألف ريال إذا دخل تونس...

محمّد الصغير بن يوسف نفس المصدر (ص 318–320)

(1) أتراك الجزاير

(2) حسين بن علي

(3) واد صراط يمثّل الحدّ بين الايالتين

الأسئلة :

أدرس النّصّ مستعينا بالأسئلة التّالية :

1 – قدّم النّصّ.

2 – حدّد انطلاقا من النّصّ عوامل تدخّل دايات الجزائر في شؤون الإيالة التّونسيّة سنة 1735.

3 – بيّن انعكاسات هذا التّدخّل على الأوضاع السّياسيّة والاجتماعيّة بالإيالة التّونسيّة.

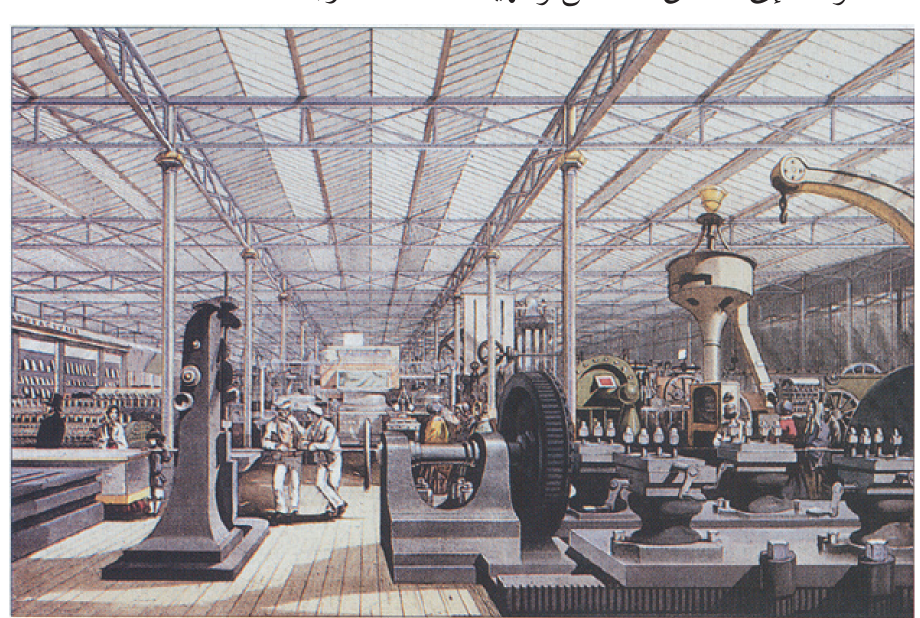
المحور الرّابع

الثّورة الصّناعيّة وتركيز الاقتصاد الرّأسمالي في القرن XIX

مقدمة:

انطلقت الثورة الصّناعيّة من إنقلترا منذ أواخر القرن الثّامن عشر ثمّ انتشرت في أوروبا الغربيّة والولايات المتّحدة واليابان خلال القرن التّاسع عشر وبداية القرن العشرين. وقد أحدثت هذه الثّورة تحوّلات اقتصاديّة واجتماعيّة عميقة في البلدان الّتي شملتها، كما غيّرت العلاقات بين الدّول المصنّعة والبلدان الّتي لم تشملها حركة التّصنيع. فتركّزت تدريجيّا حضارة تميّزت بتناقضاتها وقيمها الجديدة وتيّاراتها الفكريّة والسّياسيّة المختلفة.

ونتيجة للتّطوّر اللاّمتكافئ بقيت أجزاء هامّة من العالم خاصّة بإفريقيا وآسيا على هاش هذه المستجدّات فتحوّلت إلى مناطق للتّنافس والهيمنة الاستعماريّة.



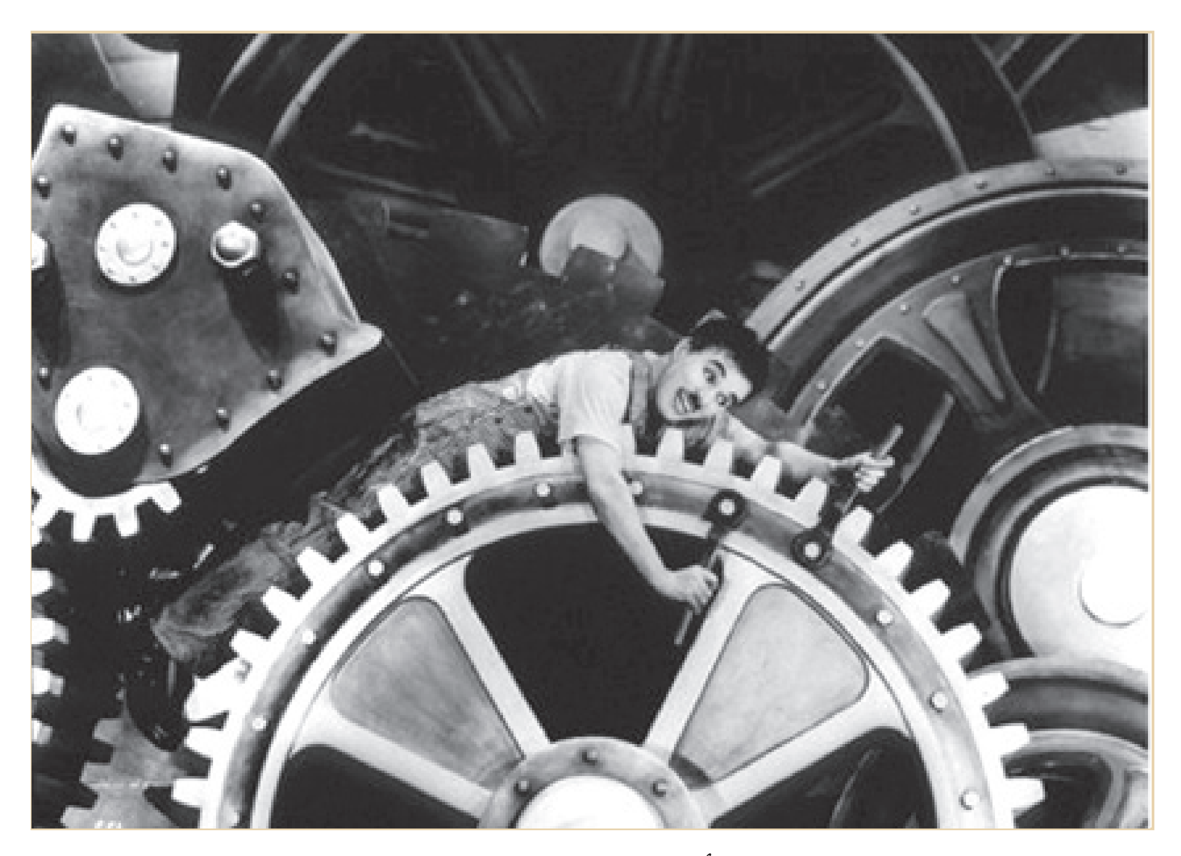
قاعة عرض الآلات بالمعرض العالمي الأوّل بلندن سنة 1851.

- الثّورة الصّناعيّة.
- التّحوّلات الاقتصاديّة والاجتماعيّة في القرن التّاسع عشر.
- التّيّارات السّياسيّة والفكريّة في القرن التّاسع عشر.
- التّوسّع الاستعماري واقتسام العالم.

الدّرس 15



الثّورة الصّناعيّة



شارلي شابلن من شريط الأزمنة الحديثة Set Modern Times (1936)

المدخل

"إنّه لمن الخطإ أن تدرس الثورة الصناعية على أنها ظاهرة موحّدة في الزمان وفي المكان إذ ينبغي أن تؤخذ في الاعتبار خصوصيات كل بلد وأحيانا كلّ إقليم (...) كما أن عبارة ثورة صناعية في حدّ ذاتها تطرح مشكلا لأنّه من الصعب ضبط تاريخ دقيق لها فقد دامت عشرات السنين...لذلك ذهب بعضهم إلى استبدالها بكلمة التصنيع(...) ومهما يكن من أمر فإن الثورة الصناعية تمثّل حدثا غير مسبوق يؤكّد بداية مرحلة من التجديد والنموّ ويعلن عن زيادة في الإنتاج وفي الدخل..."

من محاضرة الأستاذ "ألان بليسيس" Alain Plessis أستاذ التاريخ المعاصر بجامعة نانتير Nanterre
في الندوة الأكاديمية التاسعة لمدينة "بلوا" BLOIS ، 4 أفريل 2001، ص2

تحيلنا كلّ من الصورة والفقرة إلى طرح موضوع الثورة الصناعية من الجوانب التالية:
- مفهوم الثورة الصناعية وجذورها.
- أبرز مراحلها.

النشاط الأول : أحدّد مفهوم الثورة الصناعية وأتعرّف جذورها.

الموارد :

الوثيقة 1

"في الوقت الذي كانت فيه الثورة الفرنسية تقوم بتجاربها الاجتماعية الكبرى على فوهة بركان، بدأت إنقلترا تجاربها في ميدان التصنيع. فكانت نهاية القرن الثامن عشر فترة حافلة بالاختراعات الباهرة الموجّهة إلى تغيير وجه العالم ودعم قوّة المخترعين بشكل غير منتظر... وما إن انبثقت الثورة الصناعية من أدمغة النوابغ أمثال "واط"[1] و"أركرايط"[2] حتّى غمرت كامل إنقلترا."

أدولف بلانكي، تاريخ الاقتصاد السياسي في أوروبا من القدامى إلى اليوم، باريس، قيومان، 1837،
ورد بالكتاب المدرسي الفرنسي مانيار 1، ص 15

الوثيقة 2

"تحتلّ الثورة الصناعية بالنسبة لإنقلترا نفس المكانة التي تحتلّها الثورة السياسية بالنسبة لفرنسا والثورة الفلسفية بالنسبة لألمانيا حيث كان الفارق بين إنقلترا سنة 1760 وإنقلترا سنة 1844 يشبه إلى حدّ كبير الفارق بين فرنسا النظام القديم وفرنسا ثورة جويلية (1789)..."

فريدريك إنقلز، وضعية الطبقة الشغيلة في إنقلترا، 1845

الوثيقة 3

"عرفت بعض البلدان، منذ الثلث الأخير من القرن الثامن عشر، تحوّلا عميقا لم يشهد له البشر مثيلا منذ العصر الحجري الأخير. وقد تمثّل هذا التحوّل في الثورة الصناعية التي تحرّرت خلالها، ولأول مرّة في التاريخ، قدرة الإنسان على الإنتاج، وأصبحت الأنشطة الاقتصادية قادرة على مضاعفة الثروات والخدمات ووضعها على ذمّة الأعداد المتزايدة من البشر(...) وقد شمل التغيير تدريجيا كلّ ميادين الحياة مثل: العمل اليومي والعقليات والثقافات."

كارل ماركس،راس المال، الجزء الأول، 1867 ورد في:
الثورة الصناعية، "جون بيير ريو" Jean Pierre Rioux ، باريس،1971، ص7

الوثيقة 4

"تعود جذور الثورة الصناعيّة في نظر بعض المؤرخين مثل ماركس إلى نزع أراضي الفلاحين الصغار في إنقلترا خلال حركة التسييج والاستغلال المفرط للبلدان المستعمرة من قبل إنقلترا. إلا أن الدراسات الميدانية لا تتفق كثيرا مع هذه النظرية لأن النمو الصناعي لم يتمّ في المقاطعات التي شهدت حركة تسييج نشيطة. كما يرى بعض المؤرخين أن الثورة الزراعية سبقت الثورة الصناعية فحرّرت لها اليد العاملة ومكّنتها من أسواق جديدة."

من محاضرة الأستاذ "آلان بليسيس" Alain Plessis أستاذ التاريخ المعاصر بجامعة نانتير Nanterre
في الندوة الأكاديمية التاسعة لمدينة "بلوا" BLOIS ، 4 أفريل 2001 ص3 ـ 4

الوثيقة 5

نشأة الصّناعة الكبرى

"تجمّع الصناعة الكبرى وسائل الإنتاج وتنوّعها بشكل يضمن الزيادة في المردود، وتستخدم الآلات القادرة على إنجاز الأعمال المعقّدة والشاقّة وتستبدل الطاقة العضلية ذات الموارد المحدودة بطاقات آلية متجدّدة مثل الطاقات الطبيعية كطاقة الريح أو المياه الجارية والطاقات الاصطناعية كطاقة البخار والكهرباء. كما تقوم، في إطار حسن توظيف الآلات، بتجميع عدد كبير من العمال رجالا ونساء وأطفالا وتكلّفهم بإنجاز أعمال خاصّة. وقد أدّى تنوّع الآلات وكثرة عدد المستخدمين من موظفين وعمال وتنظيمهم إلى بروز المؤسسات الصناعية الكبرى"

بول مانتو Paul Mantoux، الثورة الصناعية في القرن الثامن عشر، 1906
ورد بالكتاب المدرسي الفرنسي مانيار 1، ص 15

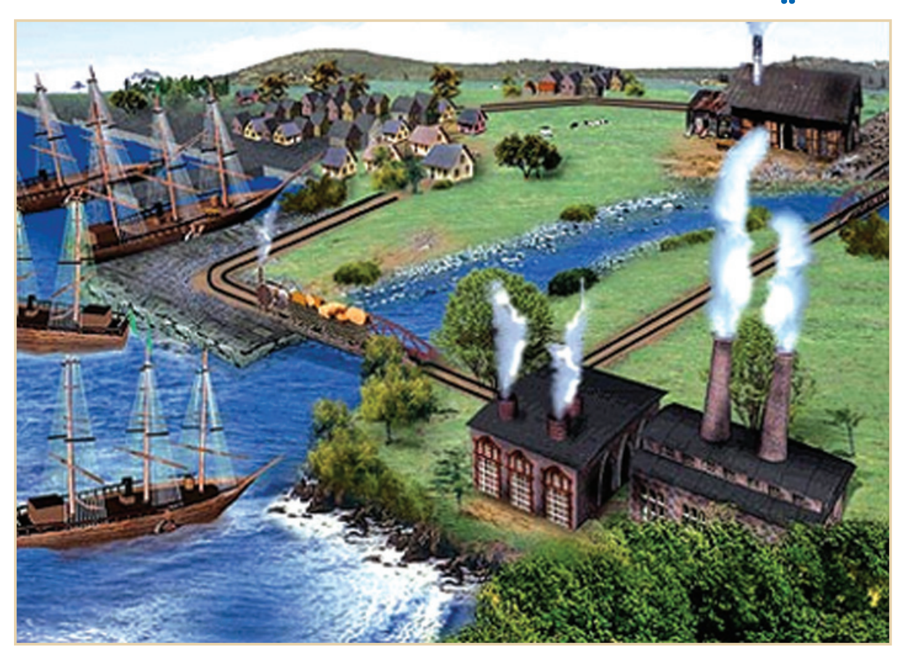
الوثيقة 6 : تطور عدد السكان (بحساب المليون نسمة)

	1800	1850	1900
إنقلترا	11	22,6	38,8
فرنسا	28,3	36,5	40,7
ألمانيا	24,8	36	56,4
روسيا	؟	57,3	103,4
أوروبا	187	266	401
الولايات المتّحدة الأمريكيّة	5,3	23,2	76
العالم	906	1171	1608

التعليمات

- حدّد مفهوم الثورة الصناعية.
- حلّل جذور الثورة الصناعية.

النشاط الثاني : أتبيّن أبرز خصوصيّات الثورة الصّناعيّة الأولى.



رسم يرمز إلى التحول الصناعي الذي شهدته أوروبا في القرن التاسع عشر

الموارد :

الوثيقة 7

"لقد تمّ ربط الثورة الصناعية في البداية بفكرة الثورة التقنية...ولطالما استخدمت المنظومة التقنية في التفسير التاريخي لأنّ التقنيات تتطوّر بفضل ترابطها وتماسكها ومن هنا يمكن الحديث عن ثورة صناعية أولى مبنيّة على النسيج والآلة البخارية والفحم الحجري والسكة الحديدية وثورة صناعية ثانية دعائمها الفولاذ والكيمياء الصناعية والمحرك الانفجاري والطيران والكهرباء والنفط..."

باتريك فيرلي Patrick Verley ، محاضرة بعنوان عصر التصنيع، 24 فيفري 1999،
مركز البحث والتوثيق البيداغوجي، Rouen ،
موقع ويب : www . ac Rouen fr، ص 6

معطيات مكمّلة الثورة الصّناعيّة الأولى

بداية الثورة الصناعية الأولى	بين 1770 و 1810
البلد الذي انطلقت منه	إنقلترا
القطاع الصناعي المهيمن	النسيج – الصلب
الطاقة المهيمنة	الفحم الحجري (المحرك البخاري)
وسائل النقل	السكك الحديدية – السفن الشراعية – العربات
تنظيم العمل	العمل المنزلي – الورشات – المعامل

الوثيقة 8 : تطور إنتاج الفحم الحجري (بحساب المليون طن)

	1800	1850	1870	1900
العالم	16	80	300	770
إنقلترا	10	40	107	230
فرنسا	1	5	13	33
ألمانيا	0,3	5	37	140

الوثيقة 9

إدخال الآلة في الصناعات النسيجية

"لقد أثار اختراع آلة تمشيط الصوف واستخدامها، وما نتج عنه من تقليص مفزع لليد العاملة، مخاوف جدّية لدى الحرفيين من أن يصبحوا هم وأسرهم عبئا ثقيلا على الحكومة. فقد لاحظوا أن آلة واحدة يراقبها عامل كهل يساعده خمسة أو ستّة اطفال قادرة على إنجاز ما كان يقوم به ثلاثون رجلا يعملون بالطريقة التقليدية اليدوية..."

من عريضة وجّهها الحرفيون المكلّفون بتمشيط الصوف إلى مجلس العموم ببرلمان لندن،
مجلة مجلس العموم، 1794، ص1
WWW/ÁCLIOTEXTES/HTML/REV IND

الوثيقة 10

إدخال تقنيات جديدة في صناعة الفولاذ

"منذ ثلاث وثلاثين سنة...حاولت إدخال طريقة جديدة تماما لصنع الفولاذ[1] فاقترحت استعمال الصلب[2] كمادّة أولية لأن الطن الواحد منه يساوي 75 فرنكا بدل الحديد السويدي...الذي كان مستعملا آنذاك، والذي يتراوح سعر الطن الواحد منه بين 375 و500 فرنكا...ولا تستغرق طريقتي سوى 25 أو 30 دقيقة عوض 10 أيام و10 ليالي التي تتطلبها الطريقة المألوفة، واقترحت أيضا صنع كمية من الفولاذ تتراوح بين 5 و 10 أطنان في عملية واحدة (بسعر لا يتجاوز 150 فرنكا)...وابتداء من ذلك الوقت أخذت الطريقة الجديدة تنتشر في إنقلترا ومنها إلى البلاد الأوروبية ثمّ الولايات المتحدة الأمريكية..."

باسمارBessemer ، 1854 (ورد في شولانج، النصوص التاريخية 1848 – 1871)

[1] مزيج من الحديد والكربون (يحتوي على أقل من 2,5٪ من الكربون) يتمّ الحصول عليه بإزالة أكسيد الحديد بعد تذويب الحديد في أفران خاصة تسمّى الأفران العالية وتحت درجة حرارة مرتفعة جدّا.
[2] مزيج من الحديد والكربون (يحتوي على كمية تتراوح بين 2,5٪ و6 ٪ من الكربون) فهو أقلّ جودة من الفولاذ.

الوثيقة 11 : تطور قيمة إنتاج النّسيج القطني (بحساب الألف جنيه إسترليني)

السنة	إنقلترا	فرنسا	ألمانيا	الولايات المتّحدة
1830	250	68	16	77
1850	588	140	46	288
1870	1001	220	147	400

عصر التّصنيع، موقع ويب www. cpod. com // ، ص 1

الوثيقة 12 : تطور إنتاج الصّلب والفولاذ في إنقلترا وفرنسا (بحساب المليون طن)

	إنقلترا		فرنسا	
السّنة	صلب	فولاذ	صلب	فولاذ
1800	0.2		0.06	
1840	1.4	0.6	0.35	0.24
1880	7.8	3.7	1.7	1.3
1900	9.1	6	2.7	1.9

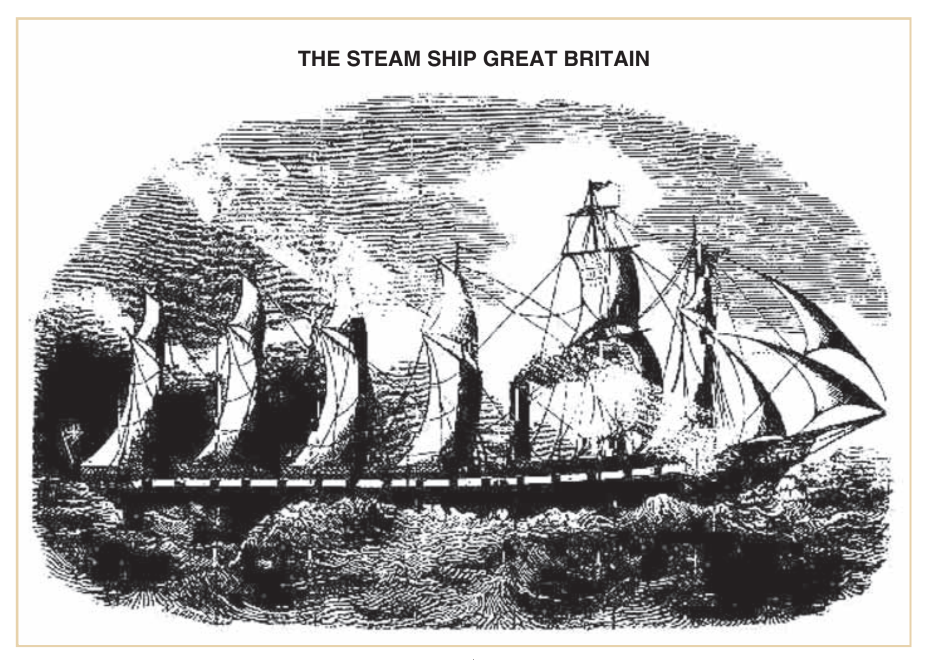
ناتان، قوليفار، تاريخ، الحلقة 3، 1997

الوثيقة 13



مصانع الفولاذ في مدينة شفيلد Sheffield الإنقليزيّة سنة 1855

الوثيقة 14



صورة الباخرة "قريت بريتن"، Great britain وردت في مقال بمجلّة سينتفيك أمريكن Scientific American, الجزء الأول، العدد الأول، سنة 1845 حمولتها 3600 طنا وقادرة على نقل 252 مسافرا

الوثيقة 15 : تطور شبكة السّكك الحديديّة في بعض البلدان الأوروبيّة (بحساب كلم)

البلدان	1840	1850
إنقلترا	2930	9800
فرنسا	497	2915
ألمانيا	469	5876
النمسا	144	1579
بلجيكا	334	903
روسيا	27	501

ب. ر. ميتشل، التاريخ الاقتصادي الأوروبي، الملحق الإحصائي، 1971، بلان 2، 1987، ص153

الوثيقة 16 تطور كلفة النّقل البحري (بحساب الفرنك للطّنّ الواحد)

السنة	من ميناء انفار Anvers ببلجيكيا إلى نيو يورك بالولايات المتحدة
1819	80
1830	68
1850	20

عن "التاريخ الاقتصادي للقرنين XIX و XX " نشر أرمان كولين

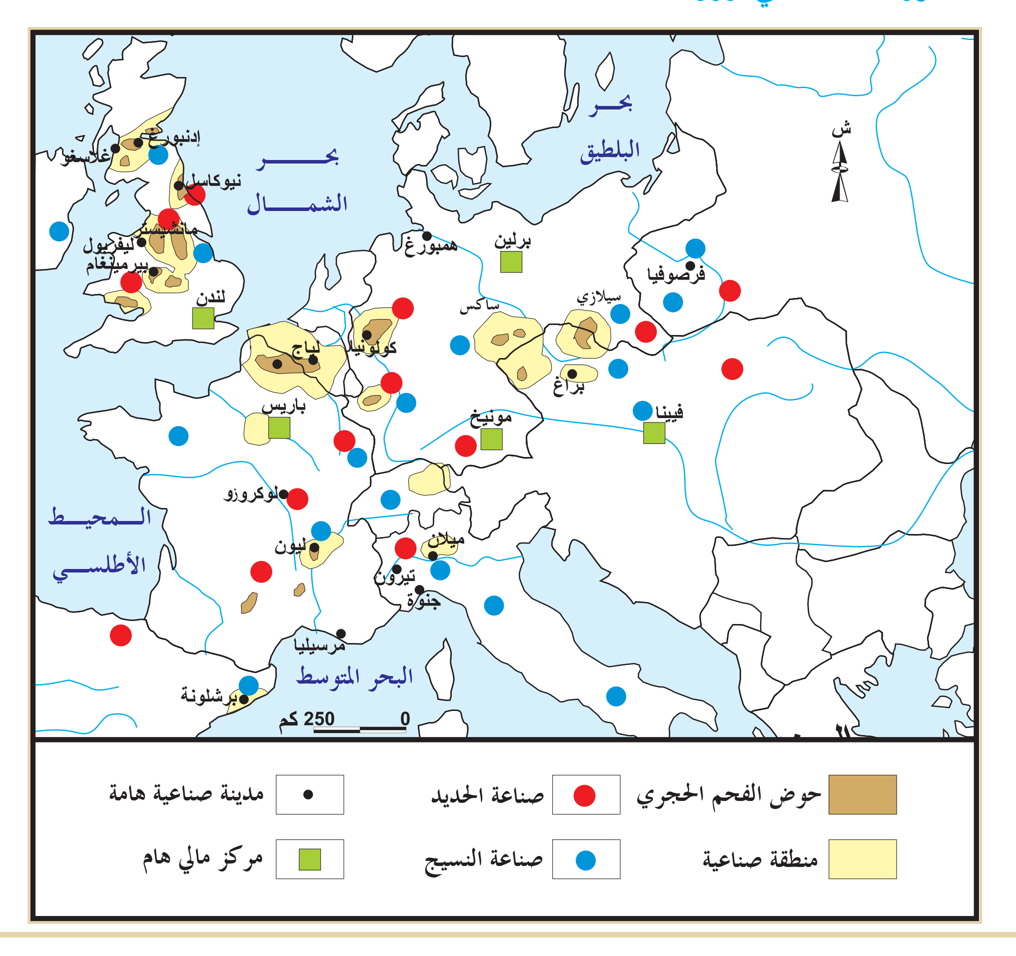
الوثيقة 17

تغيّر طرق تنظيم العمل الصناعي

"إننا نشاهد كلّ يوم انقراض الورشات الصغيرة وتراجع العمل المشتّت هنا وهناك وكذلك الصناعات المنزلية وفي نفس الوقت نلاحظ تنظيم الصناعات الكبرى في شكل معامل فسيحة تشبه الثكنات والأديرة وهي مزوّدة بأجهزة ضخمة وبمحركات لا حدّ لقوتها، ويزدحم في هذه المعامل مئات بل آلاف العمال وهم معرّضون لجميع التقلّبات الناتجة عن تغيّرات العرض والطلب..."

أدولف بلانكي، الطبقات العمالية بفرنسا سنة 1848

الوثيقة 18 : الثّورة الصّناعيّة في أوروبا



التعليمات

– حدّد التّجديدات التّقنيّة الّتي عرفتها الثورة الصّناعيّة الأولى
– بيّن مورد الطّاقة والصّناعات المهيمنة خلال الثورة الصّناعيّة الأولى.
– صف طرق تنظيم العمل الصناعي خلال الثورة الصناعية الأولى.

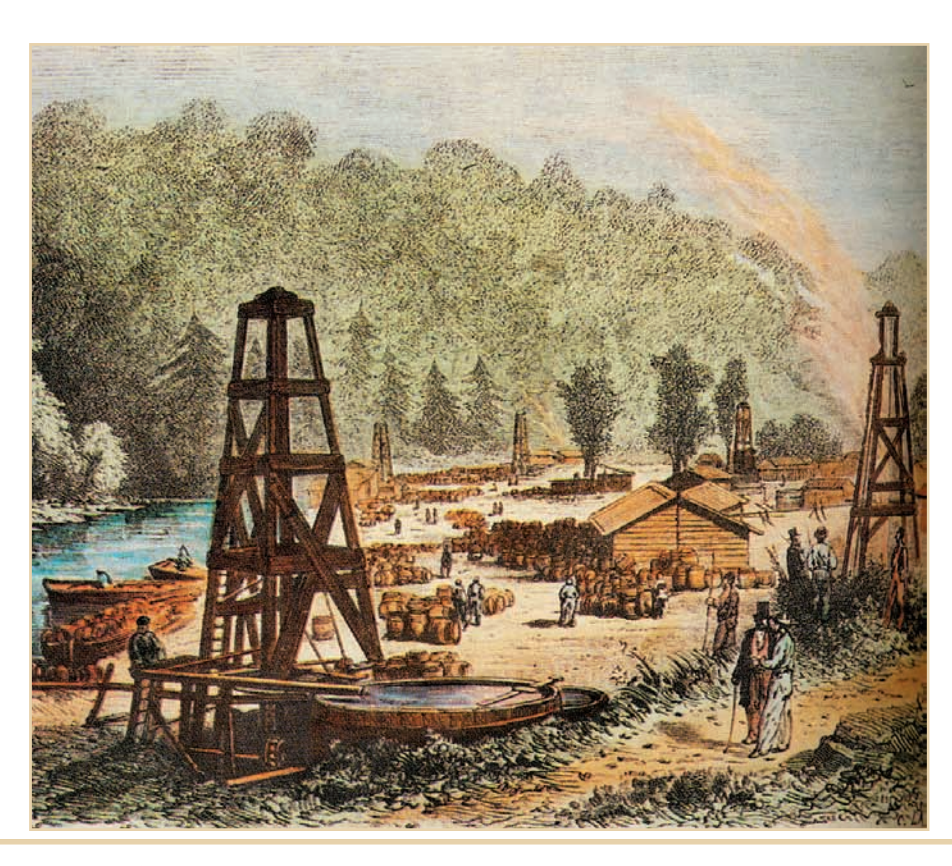
النشاط الثالث : أتبيّن خصوصيّات الثّورة االصّناعيّة الثّانية.

الموارد :

معطيات مكمّلة الثورة الصّناعيّة الثّانية

بداية الثورة الصناعية الثانية	بين 1890 و 1900
البلد الذي انطلقت منه	الولايات المتّحدة – ألمانيا
القطاع الصناعي المهيمن	الفولاذ – الكيمياء الصّناعيّة
الطاقة المهيمنة	الكهرباء – النّفط (المحرّك الانفجاري)
وسائل النقل	الباخرة – السّيّارة – الطّائرة – الترامواي
تنظيم العمل	المصانع الكبرى – التيلرة – توحيد الأنماط

الوثيقة 19



استخراج النفط من "طار– فارم" Tarr Farm بولاية بنسلفانيا بالولايات المتحدة الأمريكية وقد تمّ حفر أوّل بئر نفطية في هذه المنطقة من قبل المهندس الأمريكي درايك Drake سنة 1859 فاتحا عهدا جديدا اعتمد خلاله النفط في البداية كوسيلة للإنارة ثمّ شهد نجاحات أخرى خاصة بعد اختراع المحرك الانفجاري.

معطيات مكمّلة أبرز الاختراعات

السنة	الاختراع	المخترع	جنسيته
1869	المولّدالكهربائي	"قرام" Gramme	بلجيكي
1873	الطاقة الكهرمائية	برجيس Berges	فرنسي
1876	الهاتف	بيل Bell	أمريكي
1879	الفانوس الكهربائي	إديسون Edison	أمريكي
1885	المحرك الانفجاري	دايملير Daimler	ألماني
1895	السينما	الأخوان لوميير Lumiere	فرنسي
1899	الأسبيرين	بايير Bayer	ألماني
1899	اللاّسلكي	ماركوني Marconi	إيطالي

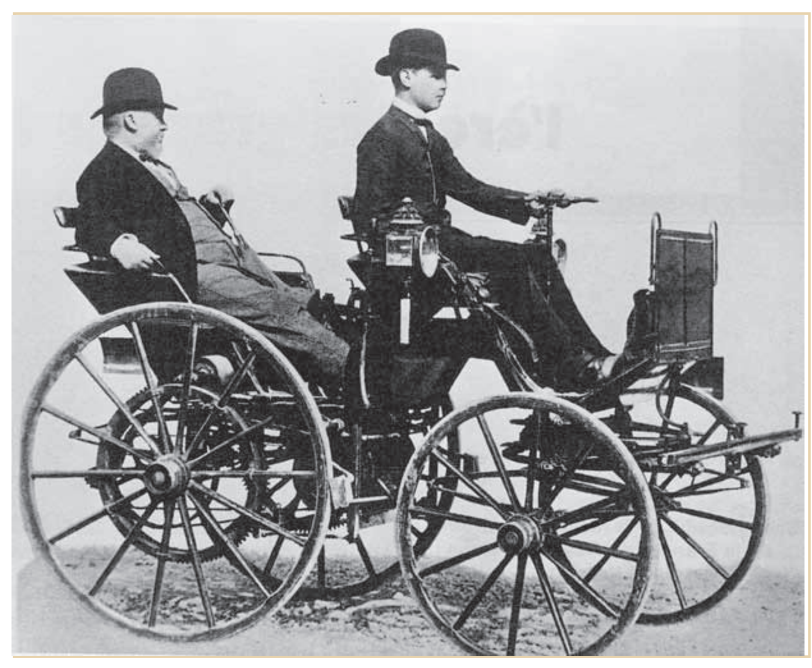
الوثيقة 20

ظهور الكهرباء

"أخذ المولّد الكهربائي يحلّ محلّ المحرّك البخاري في عدد من المجالات الصناعية فهو يشغّل الآن الرافعات والمطارق الضخمة وآلات الثقب...ويستعمل الكهرباء في لحم المعادن، ودفع أدوات نقل البضائع الثقيلة داخل الورشات والمعامل... وقد أصبح الهدف الأساسي لأبحاث المختصّين في هذا الميدان...يتمثّل في نقل الكهرباء على مسافات طويلة..واستخراج هذه الطاقة مباشرة من مصادرها الطبيعية الكبرى كالشلاّلات والأنهار...وتحقّق هذا الحلم بالفعل في سويسرا وبعض الأماكن من مقاطعة "الدوفيني" (بفرنسا)..."

أ.م. فوقاي: EM Voguè ، مجلة العالمين، 1 أوت 1889 (ورد في هاتيي، تاريخ، الحلقة الثالثة، 2000)

الوثيقة 21



المهندس الألماني دايملير Daimler في سيارته ذات المحرك الانفجاري سنة 1886. ويعتبر رفقة زميله Benz مؤسس صناعة السيارات في ألمانيا بعد أن اخترع المحرك الانفجاري المشغّل بواسطة النفط سنة 1883.

الوثيقة 22 :

تطوّر سرعة السّيّارة

"إننا نعلم الآن ما تحقّق من تقدّم من حيث قوّة المحركات وسرعة السيارات ففي سنة 1894 بلغت السرعة في سباق باريس – روان 21 كلم في الساعة... أما في سباق باريس – أمستردام لسنة 1898 فقد أصبحت السرعة 44.7 كلم في الساعة...لكن ذلك لا يمثّل سوى البداية. فمنذ السنوات الأولى من القرن العشرين سترتفع السرعة إلى أرقام خيالية تتراوح بين 120 و 125 كلم في الساعة..."

أ. بيكار A Picard، حصيلة قرن، 1906

الوثيقة 23 :

الفوردية أو تقسيم العمل

تتركّب سيارة من نوع "فورد" من حوالي خمسة آلاف قطعة باعتبار المحازق واللوالب وغيرها(...) فأوّل تقدّم حقّقناه في تجميع قطع السيارة تمثّل في تقريب العمل من العامل بدل أن ينطلق العامل نحو العمل. فأصبحت عملياتنا الصناعية كلّها منبثقة عن المبدأين التاليين:

ليس لأيّ عامل أن يقوم بأكثر من خطوة واحدة.

لا ينبغي أن يضطرّ العامل للانحناء لتناول قطعة ما.

أما تجميع القطع فهو يرتكز على المبدأين التاليين:

ترتيب الأدوات والعمّال طبقا لترتيب العمليات الصناعية حتى يقع الحدّ من المسافة التي تجتازها كل قطعة من بداية العمل إلى آخره.

استعمال...أجهزة نقل...من شأنها أن تضع القطعة التي يطلبها العامل في أقرب مكان منه.

والنتيجة الحاصلة من تطبيق هذين المبدأين هي الحدّ من المجهود الفكري الذي يبذله العامل والاقتصاد قدر الإمكان في الحركات التي يقوم بها...

هنري فورد، حياتي وأعمالي، نشربايو، 1925

الوثيقة 24 :

التنظيم العلمي للعمل أو التيلرة

"اشتقّت كلمة تيلرة من اسم المهندس الأمريكي في مجال التصنيع فردريك ونسلو تايلور Taylor (1856 ـ 1915) الذي انكبّ على تحليل العمل الصناعي في بداية القرن العشرين وخلص إلى جملة من الطرق التي يطلق عليها اليوم اسم التنظيم العلمي للعمل (...)

تتمثّل الفكرة المركزية لتايلور في تطبيق مبادئ علمية على العمل الصناعي لضمان النجاعة والفعالية. وتتلخّص هذه المبادئ في الملاحظة وتجزئة الأعمال إلى أجزاء واضحة ثمّ إعادة تركيبها وفق نموذج منطقي. وتعتمد إعادة التركيب على مبدأ أساسي يتمثّل في الفصل بين مهمّة تصوّر العمل ومهمّة إنجازه: فكلّ عمل مهما كان نوعه يتطلب دوما عمليتين منفصلتين تهتمّ الأولى بتصوّر العمل بينما تهتمّ الثانية بالإنجاز المادي لهذا العمل، وتكون الأولى ذهنية بينما تكون الثانية يدوية...فالتنظيم العلمي للعمل يرمي إلى توفير أفضل الظروف داخل المؤسسات لإنجاز الأعمال حتى تتحقق الفائدة للفرد وللمؤسسة..."

ج. ب . بالفسكي J.P Palewski، التنظيم العلمي للعمل، حوليات الجامعة الفرنسية، 1964، ص 5

التعليمات

- بيّن التجديدات التقنية التي ميّزت الثورة الصناعية الثانية.
- عرّف موارد الطاقة والصناعات المهيمنة خلال الثورة الصناعية الثانية.
- وضّح طرق تنظيم العمل الصناعي التي ميّزت الثورة الصناعية الثانية.

المقدّمة

لئن اختلف المؤرخون حول استخدام مصطلح الثورة الصناعية وحول تحديد جذورها فإن الإجماع حاصل حول انطلاقها من إنقلترا منذ أواخر القرن الثامن عشر في شكل حركة تصنيع تدريجية استمرّت عشرات السنين قبل أن تنتقل إلى باقي البلدان الأوروبية. وتمثّلت هذه الحركة في استبدال الطاقات البدائية (الإنسان والحيوان وقوى الطبيعة) بالطاقة الميكانيكية وتعويض العمل اليدوي بالآلة. وقد رافق هذه الحركة ظهور وسائل نقل جديدة مثل القطار والباخرة والسيارة جعلتها تنتشر بأكثر سرعة لتصل خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر إلى شمال القارة الأمريكية واليابان.

إلا أن طول هذه الفترة الممتدة من أواخر القرن الثامن عشر إلى بداية القرن العشرين جعل العديد من المؤرخين يتحدّثون عن ثورتين صناعيتين لكل منهما خصوصيات مميزة.

I – مفهوم الثورة الصناعية وجذورها:

1 ـ مفهوم الثورة الصناعية: وثائق من 1 إلى 3

تطرح عبارة الثورة الصناعية مشكلا لأن كلمة ثورة استعملت في البداية للإشارة إلى الثورة الفرنسية فقد استعملها الاشتراكيون الفرنسيون أمثال بلانكي Blanqui منذ 1837، ثم أعاد استخدامها المؤرخون الإنقليز أمثال توينبي Toynbee في بداية تسعينات القرن التاسع عشر(1880). وكانت هذه الكلمة تعني الثورة السياسية أي التغيير الجذري لنظام سياسي والإطاحة بكل مؤسساته في وقت قياسي. أما الثورة الصناعية فإنه من العسير تحديد تاريخ لها لأنها دامت مدّة طويلة مما جعل بعض المفكرين يستبدلها بمصطلح التصنيع لكن في نفس الوقت تحدّث هؤلاء عن تحوّل جذري غير مسبوق للتقنيات ولنظام الإنتاج الصناعي. لذلك ورغم اختلاف القراءات يبدو من الأفضل توظيف عبارة الثورة الصناعية للتعبير عن التحول الجذري الذي شهده القرن التاسع عشر والمتمثّل في الانتقال نهائيا من مجتمع ريفي تسيطر عليه الفلاحة والحرف إلى مجتمع حضري تحكمه التكنولوجيا ويهيمن عليه النشاط الصناعي.

2 ـ جذور الثورة الصناعية: الوثائق من 4 إلى 6

اختلفت مواقف المؤرخين حول تحديد جذور الثورة الصناعية. فقد رأى بعضهم أن حركة تسييج الأراضي والثورة الزراعية التي شهدتها إنقلترا منذ النصف الأول من القرن الثامن عشر وفّرت اليد العاملة للصناعة وفتحت أمامها أسواقا جديدة. لكن أغلب المؤرخين اعتبروا أن جذور الثورة الصناعية تكمن في العرض وفي تقدّم التكنولوجيا وتنظيم العمل الذي عرفته الصناعة الإنقليزية والذي انتقل تدريجيا إلى باقي بلدان أوروبا والعالم. أما الرأي الثالث فقد اعتبر تزايد الطلب (الاستهلاك) الداخلي والخارجي للمنتجات الصناعية هو السبب الرئيس للتجديد التكنولوجي وللثورة الصناعية عامة وذلك لأن المجتمع الإنقليزي أصبح يعيش بداية رفاه وتحسن في مستوى العيش جعلت إقباله على المواد الصناعية يتزايد باستمرار يضاف إلى ذلك ارتفاع حجم الصادرات لتلبية حاجات السوق الخارجية إذ أصبحت إنقلترا في القرن التاسع عشر من أكبر البلدان المصدّرة.

أمّا النّموّ الدّيمغرافي السّريع الّذي شهدته أوروبا خلال القرن XIX فيعتبره البعض من أبرز أسباب الثورة الصّناعيّة بينما يرى البعض الآخر أنّ الحيويّة الديمغرافيّة في بلد ما لا تعني بالضّرورة تقدّم الصّناعة في هذا البلد ومهما اختلفت الآراء حول الجذور فإنّ النّتيجة كانت الازدهار التّدريجي للنّشاط الصّناعي الّذي عرف ثورتين كانت لكلّ منهما خصوصيّات مميزة.

II - الثورة الصناعية الأولى الوثيقتان 7 ـ 9

1 ـ : التجديدات التقنية

تعني التجديدات التقنية توظيف الاختراعات في تنمية الصناعة. وقد تمثّل الإنجاز الحاسم في توضيب المحرك البخاري من قبل السكوتلندي "جايمس واط" سنة 1769 واستخدامه في تشغيل الآلات وكان من نتائج هذا الإنجاز:

- استبدال طاقة الإنسان بالطاقة الآلية.
- اختراع العديد من الآلات في صناعة النسيج وصناعة المعادن.
- تطوير المواصلات.
- الزيادة في الإنتاج والإنتاجية (العلاقة بين العمل المبذول والكلفة).

2 – الطاقة والأنشطة الصناعية المهيمنة: الوثائق من 8 إلى 18

سمّي القرن التاسع عشر عصر الفحم الحجري نظرا للدور الكبير الذي لعبه هذا الأخير كمورد أساسي للطاقة خلال هذه الفترة. وقد تزايد عدد مناجم الفحم المستغلّة في البلدان الأوروبية وفي الولايات المتحدة الأمريكية كما ارتفع إنتاجه بصفة ملحوظة وتعدّدت استخداماته كمورد للطاقة وكمادّة أولية.

أما الأنشطة الصناعية السائدة خلال هذه الفترة فكانت الصناعات النسيجية وخاصة القطنية منها التي عرفت ثورة حقيقية واستقطبت أعدادا كبيرة من اليد العاملة ووفّرت مداخيل ضخمة. وازدهرت كذلك صناعة المعادن وقد نجح الأوروبيون في تصفية الحديد الخام من جزء من أكسيد الكربون ليتحصّلوا على الصلب في مرحلة أولى ثم كانت المرحلة الثانية تنقية الصلب من أكبر كمية من أكسيد الكربون للحصول على الفولاذ وهو معدن أكثر صلابة وأكثر استخداما في صناعة وسائل النقل كالسفن والقطارات والسكك الحديدية التي عرفت هي الأخرى تطورا ملحوظا.

3 – طرق تنظيم العمل الصناعي: الوثيقة 17

استمرّ خلال هذه الفترة انتشار العمل الحرفي خاصة في الأقاليم الريفية. واقتصر النمو الصناعي الحديث في كل بلد أوروبي على بعض الأقطاب القريبة من موارد الطاقة والمواد الأولية وعلى بعض القطاعات الصناعية المهيمنة. ويعدّ التشغيل المكثّف وتنامي حجم المؤسسات أبرز تغيير عرفته هذه الفترة حيث تمّ التحول من نظام الورشة إلى نظام المعمل.

III – الثورة الصناعية الثانية: (1880 – بداية القرن العشرين)

1 – التجديدات التقنية وموارد الطاقة الرئيسية : الوثيقتان 19 ـ 20

يمكن اعتبار المحرك الانفجاري أبرز اختراع عرفته هذه الفترة لكن استخدامه في السيارة خاصة لم يتمّ إلا في أواخر القرن التاسع عشر و لم تنتشر هذه الوسيلة إلا في بداية القرن العشرين نظرا لارتفاع ثمنها وعدم تحمّلها للمسافات البعيدة.

أما بالنسبة للطاقة خلال الثورة الصناعية الثانية فقد تواصل استخدام الفحم الحجري ثمّ تنوعت مصادرها بظهور الكهرباء والنفط. وقد ارتبط هذا التنوع باكتشاف واستغلال حقول النفط في الولايات المتحدة وروسيا منذ أواخر القرن التاسع عشر وكذلك بالتقدّم الحاصل في توليد الكهرباء ونقله على مسافات طويلة بواسطة خطوط الضغط العالي واستغلاله للإنارة بعد اختراع الفانوس الكهربائي من قبل الأمريكي إديسون وكذلك في وسائل النقل (الترام الكهربائي).

2 – **الأنشطة الصناعية المهيمنة:** الوثيقتان 21 - 22

– ازدهار صناعة المعادن بتغيير طرق التعدين والحصول على الفولاذ من معادن أخرى إلى جانب الحديد وبذلك ارتفع الإنتاج ارتفاعا ملحوظا.

– ازدهار الصناعات الميكانيكية بتطوير صناعة القطارات والسكك الحديدية والسفن البخارية والاهتمام أكثر فأكثر بصناعة السيارات.

– بروز الكيمياء الصناعية التي مكنت من ابتكار مواد اصطناعية جديدة مثل الأصباغ والأسمدة والأدوية.

3 – **طرق تنظيم العمل الصناعي:** الوثيقتان 23 - 24

عمد أصحاب المؤسسات الصناعية خلال هذه الفترة إلى تطبيق طرق عمل علمية جديدة قصد تحسين الإنتاج والإنتاجية كان من أبرزها:

– توحيد أنماط الإنتاج أي التخصّص في إنتاج أشياء عديدة على نمط واحد.

– التيلرة أو تجزئة العمل نسبة إلى المهندس الأمريكي تايلور الذي نشر سنة 1911 كتابا بعنوان مبادئ التنظيم العلمي للعمل أكّد فيه على ضرورة تجزئة العمل وتجنّب ضياع الوقت وانتظام الإنتاج واطراده.

وكانت النتيجة تنامي الإنتاجية بسرعة فائقة وكان المهندس الأمريكي "فورد" سبّاقا في تطبيق هذه الطرق العلمية الجديدة في صناعة السيارات في الولايات المتحدة الأمريكية.

الخاتمة :

هكذا كان القرن التاسع عشر بفضل ما حقّقته الثورتان الصناعيتان عصر التصنيع الذي ضمن لأوروبا التفوّق والسيطرة على باقي أقطار العالم. فقد زاد إيمان الأوروبيين بقدرتهم على الزيادة في الإنتاج وعلى تطوير اقتصادهم وتحسين مستوى عيشهم لذلك عرفت القارة الأوروبية تحولات اقتصادية واجتماعية عميقة.

الدّرس 16 التّحوّلات الاقتصاديّة والاجتماعيّة في القرن XIX

المدخل

انطلقت بوادر الثورة الصناعية في الثلث الأخير من القرن XVIII بإنقلترا ، وانتشرت تدريجيّا خلال القرن XIX في أوروبا ثمّ في الولايات المتّحدة الأمريكية . ولقد أحدثت هذه الثورة تحولا جذريا في اقتصاد البلدان وهياكل المجتمعات ، وغيّرت جغرافية العالم والحياة اليومية للإنسان."

بول مانتو ،الثورة الصناعية في القرن XVIII، 1906

توجّهنا هذه الفقرة إلى التساؤل عن ماهية التحولات الاقتصادية والاجتماعية الّتي أحدثتها الثورة الصناعية في الأقطار الّتي شملتها خلال القرن XIX لنتعرّف على خصائص النظام الرأسمالي وهياكله.

النشاط الأول : أرصد أ برز مظاهر التطور الاقتصادي خلال القرن XIX .

الموارد :

الوثيقة 1

الفلاحة الإنقليزية

"أمم أخرى تنافسنا... ففرنسا تنتج الحرير الجيّد، وأمريكا تتساوى معنا في القوّة البحرية... لكن العالم بأسره يأتي ليتعلّم الفلاحة في مدرستنا.

لا يمكنكم منع تساقط الأمطار الغزيرة، لكن بإمكانكم تصريف المياه المتراكمة. ولا يمكنكم التكهن بالجفاف، إلاّ أنّه باستطاعتكم مجابهته بحرث الأرض في العمق وتنمية المزروعات بالأسمدة الكيميائية. إنّكم وفّرتم سُلالات حيوانية جديدة تساعدكم على الحصول على عجل في ظرف 20 شهر وعلى خروف في 15 شهرا.

ولقد استنجدتم بقوة البخار فأطاعتكم. وباختصار، أنتم خلّصتم الفلاحة من طابعها التقليدي لتجعلوها متصدّرة للعلوم ، فهي تجمع بين عمل الكيميائي و الفيزيولوجي والميكانيكي."

من خطاب لورد أشبورتون (Lord Ashburton) أمام الجمعية الملكية للفلاحة الإنقليزية 1835، ورد بمجلة العالمين 1835.

الوثيقة 2

تطور نسبة النشيطين في القطاع الفلاحي (٪)

السّنة	فرنسا	بريطانيا العظمى
1801	75	35.9
1851	64	21.7
1891	44.8	10.5

موريس نيفو ، تاريخ الأحداث الاقتصادية المعاصرة ، ص 41
المنشورات الجامعية الفرنسية

الوثيقة 3

تطور مساحات الأراضي المتروكة بورا ومساحات الزراعات العلفية بفرنسا (1000 هكتار)

السّنة	الأراضي المستريحة	الزّراعات العلفيّة
1852	5148	1230
1892	3368	2590
1913	2593	4119

أوجي لاريبي ، الثورة الفلاحية ، ص 58 ، باريس 1955

ارتفاع مردود القمح (قنطار / الهكتار)

السّنة	المملكة المتّحدة	فرنسا
1860	14,9	11,4
1907	22,9	15,8

أوجي لاريبي ، الثورة الفلاحية ، ص 87 ، باريس 1955

الوثيقة 5

التخصّص الفلاحي

"أصبحت أجزاء العالم الخمسة حاليا مرتبطة بنا طوعا، فسهول أمريكيا الشمالية وروسيا ، تلك هي حقولنا للقمح ، وبشيكاغو وأوديسا (روسيا) توجد مطاميرنا ... وتحوي أستراليا قطيع أغنامنا وأمريكيا قطيع أبقارنا . ويجمع الصينيون الشاي لفائدتنا ، ومن بلاد الهند الشرقية تتدفّق القهوة والسكّر والتوابل على سواحلنا ... وأما القطن فنجلبه من الولايات المتّحدة ومن مناطق أخرى من العالم."

وليام ستانلي جيفون ، نظرية الاقتصاد السياسي ، لندن1871

التعليمة

حدّد أهم التحولات الّتي شهدها القطاع الفلاحي خلال القرن التاسع عشر.

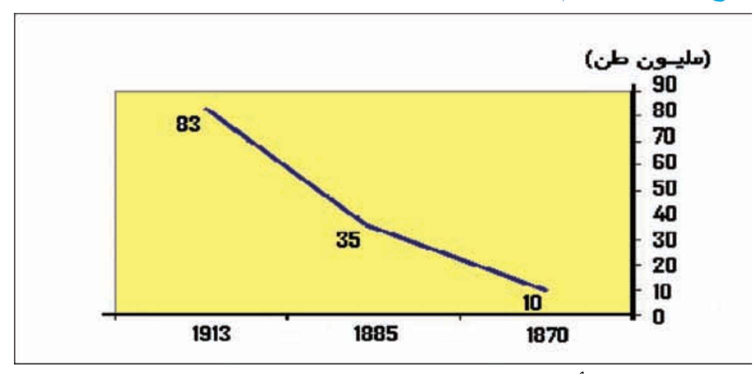
الوثيقة 6

الصناعة بمنطقة رينانيا بألمانيا

"تملك منطقة رينانيا ، الصناعة الأكثر تطوّرا والأكثر تنوعا بكامل ألمانيا .
فتتركّز بها تقريبا كلّ أصناف الصناعة ... إذ نجد صناعات القطن والصوف والحرير بكلّ مراحلها وكذلك الأنشطة المرتبطة بها كالصباغة وطباعة الأقمشة ... كما نجد أيضا صناعة السبك والآلات والأسلحة وكلّ صناعات التعدين ... "

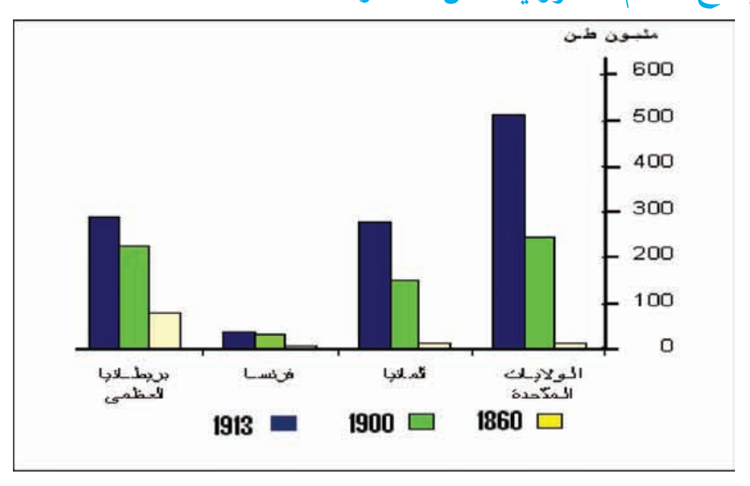
فريديرك أنجلس ، الثورة الديمقراطية البورجوازية بألمانيا ،ص 38 ،المنشورات الاجتماعية 1970

الوثيقة 7 : تطوّر إنتاج الفولاذ بالعالم



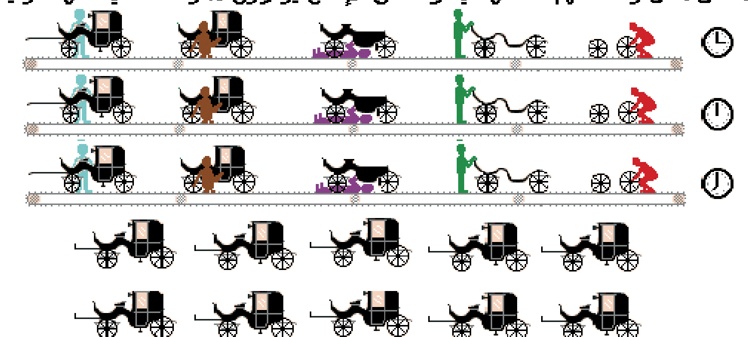
المصدر : موقع الأنترنات. WWW/cliotexte/htlm/révolution.Industrielle

الوثيقة 8 : تطوّر إنتاج الفحم الحجري ببعض الأقطار



مصدر المعطيات : صناعة التعدين بفرنسا (1864-1914) ، ص 21.

الوثيقة 9 : التّيلرة وارتفاع الانتاجيّة



المصدر، موسوعة أنكرتا، 2005

الوثيقة 10 : تطوّر مساهمة الأقطار في قيمة الإنتاج الصّناعي العالمي (%)

السنة	الولايات المتّحدة الأمريكيّة	ألمانيا	المملكة المتّحدة	فرنسا	روسيا	اليابان
1870	23.3	13.2	31.8	10.3	3.7	-
1900	30.1	16.6	19.5	7.1	5	0.6
1913	35.8	14.3	14.1	7	4.4	1.2

موريس نيفو ، تاريخ الأحداث الاقتصادية المعاصرة ،ص 190، المنشورات الجامعية الفرنسية.

التعليمة

بيّن مظاهر التطور الصناعي إنتاجا وتنظيما مبرزا التفاوت بين الأقطار في هذا القطاع .

الوثيقة 11

التّجارة الدّاخليّة

"... ظهرت في نفس الوقت ، المغازات الكبرى والطرق العصرية للبيع بالتفصيل (الأسعار المحدّدة والمسجّلة، الضغط على نسبة الربح ،الإشهار). وأعطت مغازة البون مرشي le Bon Marché المثل ... غير أنّ تأثير هذه المغازات بقي محدودا، فقد اكتفى التجّار، في أغلب الأحيان بدكاكين متواضعة."

ألان بليسيس، من عيد الإمبراطورية إلى حائط الفيديري* (1852- 1871).

* الفيديري (Les Fédérés): مصطلح أطلق على المشاركين في الثورة الشعبية بباريس سنة 1871.

الوثيقة 12 : تطوّر قيمة الصّادرات العالميّة (مليون جنيه إسترليني)

السنة	القيمة
1820	146,7
1860	668,3
1913	4123,3

موريس نيفو ، تاريخ الأحداث الاقتصادية المعاصرة،ص 191.

الوثيقة 13 : نسق تطوّر المبادلات العالميّة

الفترة	النّموّ
1880 - 1850	% 270 +
1913 - 1880	% 170 +

موريس نيفو ، تاريخ الأحداث الاقتصادية المعاصرة ،ص 191.

الوثيقة 14

نابليون الثالث* والتبادل الحرّ

"لقد أعلنت منذ مدّة الحقيقة القائلة بأنّ تحرير المبادلات يساهم في ازدهار التجارة، وأنّه في غياب التنافس تصاب الصناعة بالجمود وتحتفظ بأسعار مرتفعة مما يحدّ من الاستهلاك، وانّه بدون صناعة مزدهرة تنمّي رؤوس الأموال تبقى الفلاحة في طورها الأوّلي ... وسيُصبح من الضروري أن تخفّض بصفة تدريجية الرسوم الموظّفة على المواد الواسعة الاستهلاك، وأن توضع تعريفات جمركية مكان النظام المتشدّد الّذي يحدّ من علاقاتنا التجارية ... "

من رسالة نابليون الثالث لوزير الدولة الفرنسيأوردتها صحيفة المنيتور ، 15 جانفي 1860.

نابليون الثالث : حكم فرنسا بين 1848 و 1870.

الوثيقة 15

بسمارك* والسّياسة الحمائيّة

".. لقد أعلنت كلّ من النمسا وروسيا أنّ الرسوم الجمركية يجب أنْ تؤدَّى ذهبا ، وهذه فرنسا ورغم ازدهارها اتجهت إلى الحمائية ، وهذه أمريكا ترفّع في رسومها وبذلك تنجح في طرد بقية الأمم الكبرى من أهم أسواق العالم ...

فهل كان علينا أن نبقى مكتوفي الأيدي ؟ ... تمعنوا جيدا ،إنّ شعبين يتراجعان يوما بعد يوم : إنقلترا الغنية والقوية والمزدهرة وألمانيا الفقيرة، وهما أمّتان تتّبعان التبادل الحرّ ... فأنتم ترون جيّدا أنّه كان علينا أن نسلك سلوك الآخرين .."

من خطاب بسمارك مستشار ألمانيا ، 1879.

* بسمارك : قام بدور هام في بناء الوحدة الألمانية وتولى خطة مستشار لألمانيا بين 1867 و1890 .

التعليمات

– أبرز مظاهر نمو المبادلات الداخلية والعالمية للأقطار الرأسمالية .
– حدّد السياسات التجارية المعتمدة خلال القرن XIX .

النشاط الثاني: أتعرف خصائص النظام الرأسمالي الّذي تركّز أثناء القرن التاسع عشر .

الموارد :

الوثيقة 16

دور رأس المال

"إنّ التجهيزات الّتي ما انفكّت تزداد تعقيدا ، والعدد المرتفع من العمال والفنّيين يشكلان المؤسسات الكبرى ... وإنّ المحرّك الأساسي لهذه القوى البشرية و الآلية الهائلة هو رأس المال، الّذي له قانونه الخاص المتمثّل في السعي باستمرار إلى تحقيق الأرباح ، أكثر ما يمكن من الأرباح..."

بول مانتو، الثورة الصناعية في القرن الثامن عشر ، 1906.

معطيات مكمّلة

– **رأ س المال الثّابت** : يتمثّل في الاستثمارات الموجّهة لوسائل الإنتاج الصّناعي كالبناءات (المصانع والمخازن) والتّجهيزات والآلات.
– **رأس المال المتغيّر** : يتكوّن من الموارد الماليّة الّتي توظّف في شراء المواد الأوّليّة وفي تسديد أجور الموظّفين والعمّال وفي النّقل ودفع الضّرائب.

الوثيقة 17

الاستثمار الصّناعي بألمانيا

"فهم الألمان الحياة الاقتصادية بشكل مغاير ... فالبورجوازية الألمانية مثلا، اتّجهت أكثر من البورجوازية الفرنسية لاستثمار أموالها في المؤسسات الصناعية...
فلقد وفّرت المؤسسات الصناعية الّتي بعثها الألمان أرباحا تفوق ما يمكن أن توفّره لهم التمويلات في أرصدة الدولة أوفي المؤسسات الفلاحية .."

جورج بلوندال ، صعوبات ألمانيا ،ص 112 ، باريس 1912.

الوثيقة 18

الحرية الاقتصادية

"كان الاعتقاد السائد في السابق أنّ من واجب الحكومات تحديد الأسعار وضبط طرق العمل داخل المانيفكتورات، لكنّه بات من المسلّم به اليوم أنّ ضمان الأثمان المناسبة والجودة المنشودة يقتضي ترك المنتجين يعملون في حرّية تامة ... "

جون ستوارت ميل ، الحرية ، 1859.

معطيات مكمّلة

أبرز المفكّرين الذين نظّروا لليبرالية الاقتصادية

أدام سميث : (1723 ـ 1790) مفكّر اقتصادي إنقليزي وأول منظّر لليبرالية .
دافيد ريكاردو : (1772 ـ 1823) مفكّر إنقليزي ، ألّف "مبادئ الاقتصاد السياسي و الضريبة ".
روبار مالتوس : (1766 ـ 1834) مفكّر إنقليزي اهتم بدراسة العلاقة بين السكّان والاقتصاد.
جون باتيست ساي : (1767 ـ 1832) مفكر فرنسي ألّف كتاب "دراسة في الاقتصاد السياسي".

الوثيقة 19

السلطة و الأجور

"يتعيّن على السلطة ألاّ تتدخل أبدا في قضية الأجور ، فهذه الأخيرة ترتفع عندما تنشط الصناعة ، وذلك لازدياد الطلب على اليد العاملة . وتنخفض كلّما تراجع هذا القطاع ، إذ تفوق طلبات الشغل ما هو معروض بالفعل ... ينبغي أن نتكلّم بادئ ذي بدء ، لغة العقل لنكون الأقوى ، وفيما بعد نتكلّم لغة القانون ... "

من تعليمات وزير الداخلية الفرنسي إلى ولاّة المقاطعات، 1849.

أوردها جون لوم ، البورجوازية الكبرى بالسلطة 1830 ـ 1880. ص 154.

التعليمة

قدّم الرأسمالية الصناعية واستنتج مبادئ الليبرالية الاقتصادية.

الوثيقة 20

مؤسسة تيسّن مثال للتركّز

"... أنشأ أوغست تيسّن (Auguste Thyssen) في سنة 1871 مصنعا للفولاذ والمطيلة بمدينة مولهايم باسم تيسّن وشركائه ... وكانت بداياته متواضعة : 70 عاملا بالمصنع، واشترك سنة 1881 مع شقيقه الأصغر وأدمجا أنشطة جديدة في المصنع . ثم في سنة 1884 اقتنت شركة تيسّن وشركائه مسبكة ومصنعا للآلات بالقرب من مصنعها، واستعملت في هذه المصانع كلّ طرق وتقنيات الإنتاج الحديثة وأصبحت الشركة تشغّل 7000 عامل و800 موظّف ومنتجاتها تروّج في كلّ أنحاء العالم ...
لكن اقتنع تيسّن بأنّه لبلوغ القوة الصناعية وجب امتلاك مناجم الفحم الحجري فاشترى سنة 1887 نسبة هامة من الأسهم في بعض المناجم ... وفي سنة 1910 اشترك مع رأسماليين فرنسيين في استغلال مناجم للحديد بنورمانديا ... وأخيرا أسس وسيّر بنك رينانيا بمولهايم .. "

فاليري كمبون ، آخر التطورات بألمانيا ، وردت بكتاب التاريخ السنة الثانية ، ص 155 نشر بورداس .

الوثيقة 21 : صورة لسهم



وردت بكتاب التاريخ السنة الأولى، ص 21 ، نشر ناتان، 1997.

الوثيقة 22 : التّركّز البنكي بإنقلترا

السّنة	1880	1910
عدد البنوك	104	2200
عدد النّيابات البنكيّة	45	5200
رقم المعاملات (مليون جنيه إسترليني)	67	80

مصادر مختلفة

معطيات مكمّلة

التركز الأفقي : عملية إدماج شركة ما لشركات لها نفس النشاط .

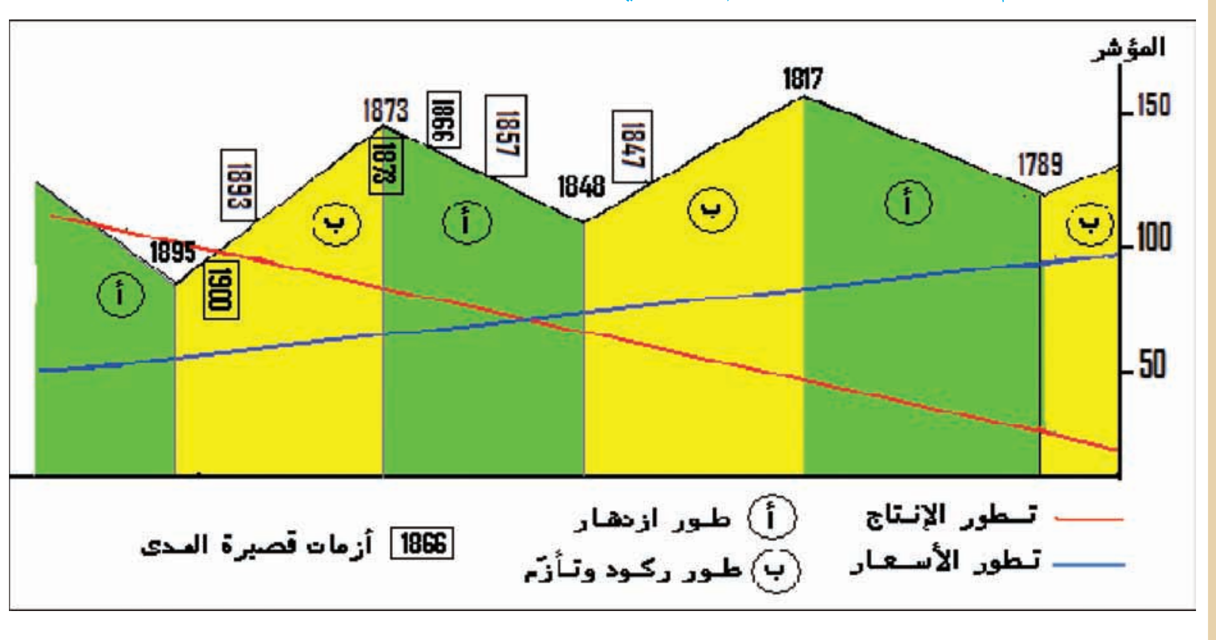
التركز العمودي : عملية إدماج شركة واحدة لمختلف مراحل الإنتاج من المادة الأولية إلى المنتج النهائي.

الكارتيل (Cartel) : تحالف بين عدة شركات مقام على اتفاقيات تهدف إلى الحدّ من المنافسة الداخلية عبر توحيد أسعار البيع وتحديد حصص الإنتاج وقسمة السوق.

التروست (Trust) : اتحاد احتكاري ضخم يسيطر على نشاط اقتصادي.

الهولدينغ (Holding) : مؤسسة تتحكّم أو تدير نشاط مؤسسات أخرى بامتلاك أكثر من 50٪ من رأسمالها في شكل أسهم أو سندات، وينطبق هذا الدور على بنوك الأعمال الّتي حقّقت الإندماج بين الرأسمال البنكي والرأسمال الصناعي مما ولّد الرأسمال المالي.

الوثيقة 23 : رسم للتقلبات الاقتصادية للنظام الرأسمالي



الوثيقة 24

أزمة 1866

"بدت عاصمة التجارة العالمية (لندن) في يوم 11 ماي 1866 وكأنّها أصيبت بهلع كبير... حشود بشرية تتجه نحو السيتي أي المركز المالي ، وتجمّع المدّخرون والحرفاء وأصحاب الأسهم أمام البنوك وبقية المؤسسات المالية وفي أياديهم صكوكا وأوراقا مختلفة الأشكال محمّلة بالأرقام...

لقد اندلعت الأزمة بصفة سريعة وبحدّة غير معهودة ،ففي ذلك اليوم تمّ الإشعار بتوقف أكبر مقاولين في قطاع السكك الحديدية عن دفع تعهداتهم المقدّرة بمائة مليون فرنك ، فانهارت عدّة مؤسسات بنكية ومالية وخاصة الشركات الخفية الاسم الّتي لا تمثّل إلا عظمة واهية ..."

مجلة العالمين ، ماي 1866

التعليمة

أبرز الخصائص التنظيمية للاقتصاد الرأسمالي وحدّد الأزمات الّتي شهدها.

النشاط الثالث : أ درس التحولات السكّ انية التي عرفتها أ ووروبا خلال القرXIX وأتعرّف خصائص وتركيبة المجتمع الرأسمالي.

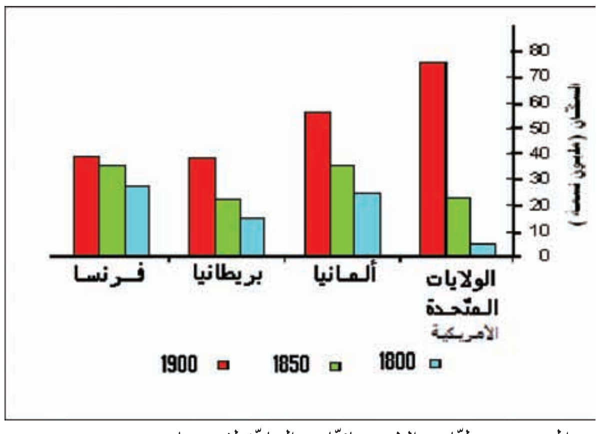
الموارد :

الوثيقة 25 : تطور نسب الولادات والوفيات ببعض الأقطار الأوروبية (%)

الفترة	فرنسا		بريطانيا العظمى		ألمانيا	
	الولادات	الوفايات	الولادات	الوفايات	الولادات	الوفايات
1810 - 1800	31,7	26,3	34	23,1	40	26,8
1850 - 1840	27	23	32,6	22,4	36,6	23
1900 - 1890	22	19	29,9	17	36,1	18,7

لسور وجيرار، التاريخ الاقتصادي، باريس 1963، ص 227 و 230

الوثيقة 26 : تطور عدد سكّان بعض الأقطار الرّأسماليّة



المصدر حوليّات الإحصائيّات العامّة لفرنسا، 1951.

الوثيقة 27 : تطور توزّع السّكّان حسب الوسط (%)

السنة	المملكة المتّحدة		ألمانيا	
	ريفون	حضرّ	ريفون	حضرّ
1851	52	48	63,9	36,1
1911	27	73	40	60

موريس نيفو ، تاريخ الأحداث الاقتصادية المعاصرة، ص 41

الوثيقة 28 :النّموّ الحضري بأوروبا (1000 نسمة)

المدينة	القطر	1800	1900
أمستردام	هولندا	217	511
برلين	ألمانيا	172	1890
لندن	إنقلترا	1110	6580
باريس	فرنسا	581	2710

ميتشال، الإحصائيّات التّاريخيّة العالميّة، ستكهو لم، 1966

الوثيقة 29 :

مدينة مانشستر

"تعتبر مانشستر نموذجا للمدينة الصناعية الحديثة، ففي مركزها حيّ تجاري ممتدّ نسبيا ومتكوّن أساسا من مصارف ومخازن . وهذا الحي تشقّه بعض الشوارع الكبرى الكثيفة الحركة والّتي تحتلّ فيها المتاجر الفاخرة الطوابق الأرضية للبناءات.

وباستثناء هذا الحي تبدو المدينة وكأنّها إقليما عمّاليا يحيط بالحي التجاري كحزام يبلغ معدل عرضه ميلا ونصف الميل ، وبعيدا عن هذا الحزام وعلى المرتفعات حيث الهواء النقيّ يقطن كبار ومتوسّطي البورجوازيين في منازل فاخرة ومريحة.

إنّ الشيء المدهش يتمثّل في أنّ أولائك الأثرياء بإمكانهم الوصول وبأقصر السبل إلى مكاتب أعمالهم دون مشاهدة أشدّ مظاهر البؤس، فالشوارع الكبرى والتي تنفتح على طولها واجهات المتاجر كفيلة بحجب عن أعين الأثرياء البؤس والقذارة ،كنتيجة لثرائهم ولبذخهم."

فريدريك أنجلز* ، وضعية الطبقة الشغيلة بإنقلترا ، 1845

موقع الانترنات WWW/cliotexte / htlm/révolution industrielle.

* فريدريك أنجلز : مفكّر اشتراكي ألماني

الوثيقة 30 : تطوّر الهجرة الأوروبيّة (1000 مهاجر)

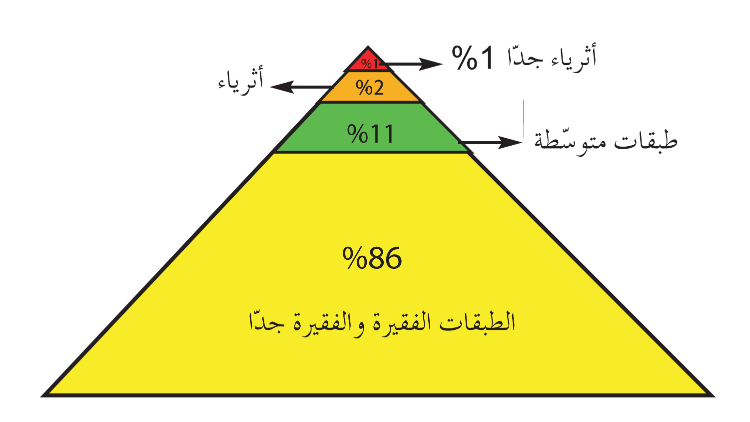
الفترة	ألمانيا	بريطانيا العظمى	فرنسا
1850 - 1846	183	199	11
1870 - 1861	634	1572	36
1900 - 1891	527	1743	51

واوتنسكي ، سكّان العالم و الإنتاج ، ص 175 ، نيويورك 1953

التعليمة

بيّن عوامل الانتقال الديمعرافي في أوروبا وحدّد انعكاساته السكّانية والحضرية.

الوثيقة 31 : تركيبة المجتمع الإنقليزي حسب معدّل الدّخل بين 1885 ـ 1899



المصدر : كتاب التّاريخ السّنة الثّانية، ص 199، نشر بورداس

الوثيقة 32 : البورجوازيّة الكبرى والمال

البورجوازية الكبرى و المال

"لقد تغيّر المنزل العائلي بصفة جوهرية ، فبعد بضعة أشهر من الأشغال الّتي أشرف عليها مهندس معماري ، تحوّل طابقه ألأرضي إلى مخابر مجهّزة بأحدث أنواع الأدوات ... إنّ السيّد تيبو (Thibault) لا تشغله الأموال بقدر ما هو حريص على نجاح مشاريعه ،فهو أثار اندهاش كلّ الذين كانوا في خدمته ككاتبه العدلي ووكيل أعماله بطريقة تبذيره لتلك الثروة الهائلة الّتي تجمّعت بسعْي وحسْن تدبير جيلين من عائلته البورجوازية ...

كان السيد تيبو يسخر من تحذيرات الرجلين، فهو خطّط لتوظيف ما تبقى من ثروته في تمويلات خارجية في أنشطة مختلفة ومنها قطاع المناجم بروسيا لقناعته بأنّ الأرباح الّتي سيجنيها ستجعل ثروته أكثر مما كانت عليه من قبل ..."

روجي مارتين دوغار ، عائلة تيبو، ص 69، 1922. نشر غاليمار

الوثيقة 33 : معدّل الدّخل السّنوي لبعض الفئات المتوسّطة بفرنسا سنة 1911 (الوحدة : الفرنك)

الوظيفة	ساعي بريد	مدرّس	أستاذ جامعي	محرّر صحفي	رئيس مكتب بالإدارة
الدّخل	1600	2200	150000	3100	120000

المصدر : حوليّات الإحصائيّات العامّة لفرنسا، 1951.

الوثيقة 34 : تطوّر عدد العمّال (مليون عامل)

السنة	فرنسا	ألمانيا	المملكة المتّحدة
1815	1	1	1.5
1850	2.5	3	3.8
1914	4	11	9

مصادر مختلفة.

الوثيقة 35 : توزّع مصاريف عائلة عمّاليّة بباريس 1906

كتاب التاريخ السنة الأولى، نشر ناتان، 1997

التعليمة

حدّد الطبقات المكونة للمجتمع الرأسمالي وبيّن مكانتها وأوضاعها.

المقدّمة :

يعبّر مصطلح "الثورة الصناعية" عن حركية التجديد المتواصل و ما أحدثته من تحولات اقتصادية هيكلية انطلقت من إنقلترا في الثلث الأخير من القرن XVIII ثم انتشرت تباعا خلال القرن XIX بعدّة أقطار أوروبية وبالولايات المتّحدة و اليابان، فدخلت كلّ هذه الأطراف وبصفة متفاوتة في طور الإقلاع الاقتصادي.

ولقد تحقّقت التحولات المتمثّلة في تطور وسائل الإنتاج وطرقه وارتفاع نسق النمو الاقتصادي وتزايد الثروة في إطار تركّز النظام الرأسمالي المتميّز بمبادئه وتنظيماته، والخاضع لسيطرة الرأسمالية الصناعية المعتمدة على الليبرالية الاقتصادية .

وكان من الطبيعي أن تشمل التحولات المجتمع، إذ تزايد عدد السكّان وانتقلت نسبة هامة من النشيطين من الفلاحة إلى الصناعة وتغيّرت علاقات الإنتاج وتركيبة المجتمع .

I - ملامح النّموّ الاقتصادي

1 - تحولات القطاع الفلاحي : الوثائق من 1 - 2 - 3 - 4 - 5

ظهرت في إنقلترا منذ القرن XVIII بوادر "ثورة فلاحية " انتشرت أثناء القرن XIX في عدّة أقطار أوروبية وأقطار العالم الجديد وفي مقدمتها الولايات المتّحدة الأمريكية، وتجسّدت أبرز مظاهرها:

- التقدّم التقني والعلمي : أدخلت تحسينات على الأدوات المتداولة كالمحراث واستعملت آلات عصرية مجرورة بالدواب ثم بخارية كالحاصدة والدارسة.

كما استفادت الفلاحة من البحوث العلمية الّتي وفّرت البذور الممتازة والسلالات الحيوانية المهجّنة والأسمدة والمبيدات والتلاقيح ضدّ بعض أمراض الماشية.

- تطوّر طرق الاستغلال : تحسّنت طرق الاستغلال بالتخلّي عن الدورة الزراعية المعتمدة على البور مما مكّن من توسيع المساحة المحروثة، كما امتدت المساحات الزراعية بالعالم الجديد،وشهدت أوروبا تكثّفا للزراعات العلفية المتنوعة بهدف تنمية قطاع تربية الماشية.

- ارتفاع المردود والإنتاج : مرّ مردود القمح بإنقلترا من 14,9 إلى 22,7 ق/هك بين 1860 و 1907 نتيجة استعمال البذور الممتازة والأسمدة، كما حقّق الإنتاج الفلاحي ارتفاعا هاما ففي ألمانيا بلغت نسبة النمو 150 ٪ بين 1832 و1907. وبذلك تحسّن الوضع الغذائي.

- التخصّص الفلاحي : أدّت التحولات إلى تراجع الفلاحة المعيشية متنوعة المنتجات ونمو فلاحة تسويقية متخصّصة استفادت من تطور النقل الحديدي والبحري وانخفاض كلفته،فاتّجه أصحاب الضيعات الكبرى المسيّجة والّتي تزايد عددها إلى التخصّص في إنتاج واحد.

ولقد غيّرت هذه الظاهرة المشهد الفلاحي للأقاليم ففي الولايات المتّحدة الأمريكية برزت أحزمة متخصّصة (حزام القطن ، حزام القمح ...) كما حدّدت حاجيات السوق والتجارة العالمية التخصّص القطري فانتشرت في الأقطار الأوروبية زراعة الخضر واللفت السكّري وغراسة الأشجار المثمرة وتربية الأبقار والأغنام ،في حين توسّعت في كندا و الأرجنتين زراعة القمح ووجّهت فلاحة الأقطار الاستوائية والمدارية لإنتاج القطن والقصب السكّري والقهوة والشاي .

- تأثيرات النمو الفلاحي: ساهم ازدهار الفلاحة في تنمية الصناعة بتزايد الطلب على الآلات والأسمدة والأدوية وبتوفير المواد الأولية وبتحرير قسم من الطاقات العاملة وكذلك باستثمار جزء من الأرباح ، كما نشّطت الفلاحة قطاع النقل والمبادلات الداخلية والخارجية .

2 – **التّقدّم الصّناعي** الوثائق : 6 ـ 7 ـ 8 ـ 9 ـ 10

يمثّل التصنيع الحديث ظاهرة طويلة المدى ميزتها الأساسية التجديد المتواصل في استعمال مصادر الطاقة والآلات وفي المنتجات و تنظيم العمل والإنتاج .

– تنوّع الصناعات وارتفاع الإنتاج : بقيت صناعة النسيج و حتى منتصف القرن XIX تشغّل أكثر من نصف النشيطين في الصناعة وتستعمل مواد مختلفة كالصوف والحرير والكتان وخاصة القطن الّذي ارتفع إنتاجه بإنقلترا من 30 ألف طن سنة 1810 إلى 241 ألف طن سنة 1848.

ثم نشطت صناعات أخرى ومنها خاصة صناعة التعدين لتزايد الطلب على الصلب و الفولاذ في عدّة أنشطة كالقاطرات والسكك الحديدية والسفن وصنع الآلات المتنوّعة وبناء الجسور والسدود وتجهيز الموانى وصناعة الأسلحة، فارتفع الإنتاج العالمي للفولاذ بين 1870 و 1900 من 10 مليون طن إلى 83 مليون طن .

ولقد دفع تطوّر التعدين إلى تكثيف استخراج الحديد والفحم الحجري الّذي مرّ إنتاجه في العالم من173,7 مليون طن سنة 1864 إلى 765,1 مليون طن سنة 1900.

كما تنوعت الصناعات الميكانيكية إذ غزت الآلات جل القطاعات كالنسيج والنقل والفلاحة، فتكثّف إنتاج المحركات والمعدات المختلفة والأجهزة الكهربائية، والسيارات .

و نشطت أيضا الصناعة الكيميائية وتنوّعت منتجاتها كمواد التلوين والصباغة والأسمدة والأدوية .

– تطور هياكل الصناعة وطرق العمل : دفعت التأليه إلى تركيز مصانع كبرى تشغّل عددا كبيرا من العمال وتتجمّع جغرافيا في المناطق الّتي تتوفّر فيها المواد الأولية واليد العاملة ووسائل النقل وإمكانيات التسويق ، فبرزت تجمّعات صناعية قرب أحواض الفحم ومناجم الحديد وكذلك قرب الموانى النهرية والبحرية .

كما كان هاجس كلّ الصناعيين الضغط على الكلفة ودعم القدرة التنافسية لمنتجاتهم، فعمدوا في مرحلة أولى إلى تكثيف استغلال العمال، ثم استثمروا في اقتناء الآلات الجديدة الّتي سمحت بتوخّي طرق أكثر فعالية في تنظيم العمل والإنتاج داخل المصانع كالتيلرة الّتي اعتمدت على التفرقة بين مهام التصميم والإنتاج وجزّأت العمل إلى سلسلة من الحركات البسيطة والمتكرّرة يقوم بها العمال على شبكة الإنتاج كامل اليوم، مما مكّن من الرفع في الإنتاجية والزيادة في حجم الإنتاج والضغط على كلفته و تحقيق أرباح أكثر.

– التفاوت في التقدّم الصناعي : تحقّق التصنيع حسب أنماط مختلفة بحكم تباين ظروف الأقطار وإمكانياتها وقدرتها على الابتكار ومسايرة التجديد وحركية الرأسمال الخاص والدور الّذي لعبته الدولة، كما برز تفاوت في زمن انطلاقته وفي نسقه وتأثيراته.

لقد أخذت إنقلترا الأسبقية في التصنيع وحافظت ولمدّة طويلة على دور مهيمن فحتى سنة 1870 كانت مساهمتها في قيمة الإنتاج العالمي تقدّر بنسبة 31,8 ٪، لكن في أواخر القرن XIX تغيّرت المعطيات إذ شهدت كلّ من الولايات المتّحدة الأمريكية وألمانيا نموا صناعيا سريعا ففي سنة 1913 أصبح نصيب الأولى 35,8 ٪ والثانية 14,3 ٪ من قيمة الإنتاج الصناعي العالمي.

3 – **ازدهار التجارة** : الوثائق : 11 ـ 12 ـ 13 ـ 14 ـ 15

دفع الارتفاع المتواصل للإنتاج الفلاحي والصناعي إلى توسيع آفاق الترويج داخليا وخارجيا.

– التجارة الداخلية : أصبحت أكثر حركية نتيجة للتزايد السكّاني وللتحسّن النسبي للقدرة الشرائية وللتطور الّذي شهده النقل الحديدي الّذي أصبح أكثر سرعة وأقلّ كلفة ، إضافة إلى تدعّم الروابط الاقتصادية بين الأرياف والمدن. وتتجلى الحركية في تزايد عدد الدكاكين، وظهور مغازات عصرية كبرى في المدن تميّزت بتقسيم فضاءها الفسيح إلى أجنحة عرضت بها السلع المتنوّعة، وبوضع لافتات سجّلت عليها الأسعار المحدّدة .

كما اعتمدت أساليب جديدة للتسويق كالإشهار بواسطة المعلقات و الصحف والتخفيضات في الأسعار.

– المبادلات الخارجية : سجّلت قيمة المبادلات العالمية خلال القرن XIX تضخّما بسعي الرأسمالية إلى ترويج منتجاتها الصناعية كالآلات والأقمشة والتزود بالمواد الأولية كالقطن والسكّر والفسفاط.

واستفادت التجارة العالمية من التطور الّذي شهده النقل البحري خاصة في النصف الثاني من القرن XIX باستعمال السفن البخارية الّتي وصل طولها إلى 250 متر وارتفعت طاقتها إلى 60000 طن متري وسرعتها إلى 45 كلم/ الساعة، كما تمّ فتح قناة السويس سنة 1859 فتقلّصت المسافات.

لقد دعّم هيكل المبادلات العالمية ظاهرتي التقسيم العالمي للعمل والتبادل غير الّمتكافئ،وكرّس هيمنة دول المركز القديمة منها (إنقلترا وفرنسا وهولندا) والجديدة (بلجيكيا وألمانيا والولايات المتّحدة الأمريكية) على التجارة العالمية.

ولئن اتّجهت المبادلات العالمية نحو الارتفاع فإنّ النسق كان متفاوتا ، فبين 1850 و1880 تطوّرت بنسبة 270 ٪ نظرا لاعتماد القوى الرأسمالية وفي مقدّمتها إنقلترا **التبادل الحرّ** بهدف اكتساح الأسواق الخارجية ، ثم تراجع نسق النمو إلى 170 ٪ بين 1880 - 1913 بتطبيق كلّ الدول الرأسمالية باستثناء إنقلترا **سياسة حمائية** في ظرفية انخفضت فيها الأسعار والأرباح واحتدّ فيها التنافس التجاري بين الدول الّتي أخذت الأسبقية كإنقلترا وفرنسا والدول الصاعدة كألمانيا والولايات المتّحدة الأمريكية.

II – تركّز النظام الرأسمالي :

لقد تحقّقت التحولات الاقتصادية بفضل حركية الطبقة الرأسمالية الصناعية الّتي نجحت في هيكلة النظام الرأسمالي المتميّز بمبادئه وأسسه التنظيمية وبأزماته الدورية .

1 – الرأسمالية الصناعية و تكريس الليبرالية الاقتصادية : الوثائق : 16 - 17 - 18 - 19

– الرأسمالية الصناعية وتركيز النظام الرأسمالي : نشأت الرأسمالية الصناعية بإنقلترا في النصف الثاني من القرن XVIIIثم شملت أوروبا الغربية والولايات المتّحدة خلال القرن XIX. وترجع جذور هذه الرأسمالية إلى القرن XVI حيث شهدت أوروبا تدفّقا لكميات ضخمة من الذهب والفضّة من المستعمرات الأمريكية استفادت منها بصفة خاصة الأقطار الأوروبية الّتي نجحت في تطبيق السياسة الماركنتيلية المعتمدة على تدخل الدولة في الحياة الاقتصادية.

فلقد برزت بهذه الأقطار طبقة رأسمالية تجارية حقّقت تراكما هاما لرأس المال باحتكارها التجارة البعيدة وتجهيز السفن وبتوظيفها لبعض المبالغ في الفلاحة وفي الصناعة .

ولكن تغيّرت الاهتمامات في أواخر القرن XVIII. بتوجيه أكبر نسبة من الاستثمارات إلى القطاع الصناعي، فتحولت الرأسمالية التجارية إلى رأسمالية صناعية سيطرت كلّيا على الحياة الاقتصادية ونجحت في هيكلة النظام الرأسمالي الجديد على خلفية الليبرالية.

– تكريس الليبرالية الاقتصادية : ظهر المذهب الليبرالي بإنقلترا مع صدور مؤلف أدام سميث "بحوث حول طبيعة وأسباب ثروة الأمم" سنة 1776 ، وطبّق هذا المذهب بإنقلترا ثم بأوروبا الغربية ولقي أكثر رواجا بالولايات المتّحدة الأمريكية.

واعتبر دعاة الليبرالية أنّ **الحرّية الاقتصادية المطلقة** هي أحسن ضمان للنمو الاقتصادي وللرقي الاجتماعي، وربطوا آليات الاقتصاد الرأسمالي أي الاستثمار والربح والتشغيل والأسعار والأجور **بالعرض والطلب وبقانون المنافسة الحرّة.**

كما أقرّ الليبراليون الشروط التالية لتحقيق النمو الاقتصادي :

* احترام مطلق **للمبادرة الفردية** باعتبار أنّ مبدأ **الربح الرأسمالي** يحفّز على الاستثمار ويخلق مواطن الشغل ويدفع التقدّم التقني وينمّي الثروة العامة.

* ضمان المنافسة الحرّة حسب قوانين السوق الّتي من شانها أن تحدّد بقاء المؤسسات الأكثر نجاحا وترضي رغبات المستهلكين.

* إقرار حرية الشغل والتشغيل مما يمكّن أصحاب المؤسسات من فرض شروط الانتداب وتحديد الأجور وذلك حسب الظرفية الاقتصادية.

* احترام الحرية الكاملة للمبادلات الداخلية والعالمية وحرّية تحديد الأسعار حسب قانون العرض والطلب.

* الحدّ من تدخل الدولة في الحياة الاقتصادية طبقا لشعار "دعه يعمل ، دعه يمر".

فلقد ضمنت الليبرالية وحسب هذه الشروط لكبار الرأسماليين احتكار وسائل الإنتاج ومسالك التوزيع واستغلال العمال وتحقيق المزيد من الأرباح .

2 – **تطور الهياكل التنظيمية** : الوثائق : 20 - 21 - 22

فرضت متطلبات الإنتاج والمنافسة على الرأسمالية تطوير بناء المؤسسات والبحث عن مصادر للتمويل، فبرزت أصناف جديدة من الشركات والتكتلات وتدعّم دور البنوك.

– ظهور شركات المساهمة : أقيمت المشاريع في بداية التصنيع على الثروات الفردية والعائلية ، لكن تغيّر الوضع مع منتصف القرن XIX فبتطور عدّة صناعات جديدة وارتفاع متطلبات التجهيز والتجديد التقني أصبحت المشاريع تتطلب استثمارات ضخمة، وتمثّل الحل في إنشاء شركات المساهمة أو "**الشركات الخفية الاسم** " والتي يجزأ رأسمالها إلى **أسهم** تعرض للبيع في البورصة المالية، ويتحصل المساهمون على حصّة من أرباح الشركة تتناسب مع عدد الأسهم، ويتولى تسيير هذه الشركات مجلس إدارة يضم كبار المساهمين. كما اتجهت بعض الشركات إلى الزيادة في رأسمالها بالاقتراض من السوق المالية ببيع **السندات** التي يتحصل مالكوها على فوائد سنوية قارة.

– التركّز الرأسمالي في الصناعة : تحول النظام الرأسمالي تدريجيا من المنافسة الحرّة إلى الاحتكار بهيمنة شركات كبرى محدودة العدد وتحقّق أرباحا ضخمة ، ولقد اتّخذ التركّز شكلين :

* التركّز الأفقي : تجمّع أو إدماج مؤسسات لها نفس النشاط،كشركات صناعة الفولاذ للحدّ من المنافسة وتوحيد الأسعار واحتكار السوق الداخلية ودعم القدرة التنافسية في الخارج.

* التركّز العمودي : تكوّن شركات تتحكّم في أنشطة متكاملة من المادة الخام إلى المنتَج النهائي ، كاستخراج المعادن وصناعة التعدين والصناعة الميكانيكية، ويهدف هذا التجمع إلى الضغط على الكلفة واكتساب أكثر قدرة تنافسية .

لقد أفرزت عمليات التجمع والتكتل أصنافا جديدة من الشركات الكبرى، فبرزت بألمانيا التحالفات وتعرف بالكارتلات وبلغ عددها 385 في سنة 1907 تشرف على 12000 مؤسسة صناعية، وتكونت بالولايات المتّحدة الأمريكية التروستات وهي شركات احتكارية مثل "ستندار أويل" في قطاع النفط و"كارنيجي" في صناعة الفولاذ.

– تطور القطاع البنكي : أصبحت البنوك وإلى جانب دورها المتمثّل في الإيداع تلعب دورا حيويا في الاقتصاد الرأسمالي بتجميع الأموال والإقراض وتمويل المشاريع وتنظيم الحركة المالية.

ويمكن تحديد 3 أصناف من البنوك :

* بنوك الإيداع : اعتمد نشاطها على تجميع أموال المدخرين وتوظيفها في قروض قصيرة المدى أوفي مشاريع، وتقدّم هذه البنوك عن طريق نياباتها المتعددّة خدمات متنوّعة لحرفائها.

* بنوك الأعمال : تتصرّف في موارد مالية ضخمة وتستخدمها في إسناد القروض الكبرى والطويلة المدى وفي الاستثمار في المشاريع وفي الشركات بشراء نسبة كبيرة من أسهمها.
فتحولت هذه البنوك إلى شركات مهيمنة تعرف بالهولدينغ توسّع نشاطها على النطاق العالمي بمنح القروض وبالاستثمار المباشر .
* البنوك المركزية : تمثّلت مهمّة البنك المركزي في كلّ الدول الرأسمالية في إصدار العملة ومراقبة الحركة المالية في ظرفية متميّزة بتضخّم حجم الأموال وتكثّف المعاملات.
لقد فرضت المتطلبات الجديدة للمعاملات تطوير وسائل الدفع ، فتقلصت القطع النقدية نظرا لوزنها الثقيل ولصعوبة نقلها، وتكثّف استعمال الأوراق النقدية القابلة للتحويل بالذهب والصكوك والكمبيالات، وأصبحت نسبة كبيرة من المعاملات الهامة تعتمد مباشرة على الإيداعات البنكية.

3 – **أزمات النظام الرأسمالي** : الوثائق : 23 ـ 24

اختلفت أزمات القرن XIX عن سابقاتها من حيث طبيعتها وانعكاساتها، فكانت الأزمات فلاحية مرتبطة بعوامل مناخية كالجفاف أو الفيضانات وتتولد عنها المجاعات والأوبئة التي تتسبب في ارتفاع نسبة الوفيات .
لم يتحقّق النمو الاقتصادي للنظام الرأسمالي بنسق مسترسل طيلة القرن XIX، إذ شهدت الحركة الاقتصادية تقلبات دورية حسب تطور العلاقة بين الإنتاج والاستهلاك، وشملت هذه التقلبات وأزماتها كلّ الأقطار الرأسمالية وأثّرت على الاقتصاد العالمي.
ولقد حدّد خبراء الاقتصاد صنفين متداخلين من التقلبات متفاوتين في الامتداد الزمني :
* المراحل الطويلة : تمتد على 40 سنة فأكثر وكل مرحلة يتداول خلالها طوران :
طور – أ – : ويتميّز بالازدهار حيث ينشط الاستثمار والتشغيل وترتفع الأسعار وينمو الإنتاج والربح.
طور –ب– : يشهد الوضع الاقتصادي ركودا وأزمة طويلة المدى، يتقلّص أثنائها الاستثمار وتنهار الأسعار وتفلس المؤسسات وتنتشر البطالة.
* المراحل القصيرة : تتخلّل كلا الطورين وتتميّز بأزمات عرضية تنتج عن اختلال التوازن بين العرض والطلب أو عن المضاربات المالية.

III – التحولات السكّانية و الاجتماعية :

واكبت الثورة الصناعية تحولات ديمغرافية وسكّانية ،كما أحدث تركّز النظام الرأسمالي انقلابا كلّيا في علاقات الإنتاج وتركيبة المجتمع .

1 –**التحولات الديمغرافية والسكّانية** : الوثائق : 25 ـ 26 ـ 27 ـ 28 ـ 29 ـ 30

– ارتفاع نسق التزايد السكّاني : دخلت أوروبا منذ أواخر القرن XVIII في مرحلة الانتقال الديمغرافي إذ اتجهت نسبة الوفيات إلى الانخفاض التدريجي لتحسّن مستوى الإنتاج الفلاحي وتوفّر الغذاء وتقدّم الطب والوقاية وارتفاع معدل أمل الحياة ، وفي المقابل بقيت نسبة الولادات في أغلب الأقطار الأوروبية مرتفعة. وبالتالي فاقت نسبة النمو الطبيعي 10 ‰ وارتفع عدد سكّان أوروبا من187 مليون نسمة سنة 1800 إلى 401 مليون نسمة سنة 1900.
لقد مثّل التزايد السكّاني عاملا مساعدا للنمو الاقتصادي إذ وفّر الطاقات العاملة ووسّع السوق الاستهلاكية .
– حركة النزوح وتزايد الحُضّر : بقيت الأرياف الأوروبية وحتى 1850 تضم أكثر من نصف مجموع السكّان، لكن بتنامي حركة التصنيع تغيّر جذريا واقع الأرياف.

فتفاعلت عدّة عوامل ومنها التزايد السكّاني السريع والثورة الفلاحية وتراجع الأنشطة الحرفية وتطور النقل الحديدي، ودفعت بأعداد هائلة من الفلاحين الفقراء والمعدمين و الحرفيين للنزوح إلى المدن حيث نشطت حركة التصنيع وتوفّرت أكثر مواطن شغل.

فلقد انتقل مركز الثقل السكّاني إلى المدن الّتي شهدت نموا سريعا ، فارتفع عدد المدن الأوروبية الّتي تعدّ 100000 نسمة فأكثر من 23 سنة 1800 إلى 135 مدينة سنة 1900. وتميّز المشهد الحضري لهذه المدن بالتفرقة العمرانية.

– تكثّف الهجرة الخارجية : دفعت أوروبا خلال القرن XIX بأكثر من 50 مليون مهاجر، وحدّدت هذه الحركة دوافع مختلفة أهمها البطالة والبؤس والبحث عن ظروف عيش أفضل وكذلك جاذبية المستعمرات وأقطار العالم الجديد وفي مقدمتها الولايات المتّحدة الأمريكية الّتي ارتفع عدد سكّانها من 3,5 إلى 76 مليون نسمة بين 1800 و1900.

2 – تحولات اجتماعية جذرية : الوثائق : 31 - 32 - 33 - 34 - 35

تغيّرت تركيبة المجتمع خلال القرن XIX بصفة جذرية في تفاعل مع التحولات الاقتصادية وتركّز النظام الرأسمالي ، حيث أصبحت السيطرة للطبقة البورجوازية ونمت الطبقات المتوسطة وتضخمت الطبقة العمالية .

– سيطرة الطبقة البورجوازية : ولئن أفقدت التحولات الفكرية والسياسية والاقتصادية الطبقة الأرستقراطية امتيازاتها ودورها المهيمن ، تمكّن قسم من هذه الطبقة من المحافظة على مكانة مرموقة في المجتمع الجديد بتأقلمهم مع المستجدات بالاستثمار في الأنشطة الصناعية، أو بتوليهم مناصب عليا في الأجهزة الدبلوماسية والسياسية والقضائية والإدارية والعسكرية، أو بمصاهرتهم للعائلات البورجوازية.

كما بقي نمط العيش الأرستقراطي يمثّل نموذجا لكلّ الأثرياء .

وفي المقابل أصبحت الطبقة البورجوازية الصاعدة تسيطر على مصادر الثروة الأساسية كالصناعة والمبادلات وشؤون المال والبنوك ،ولقد تكوّنت نواة هذه الطبقة خلال القرون السابقة في إطار الرأسمالية التجارية فبرزت أسر بورجوازية كبرى مثل "كروب" و"تيسّن" بألمانيا و"شنيدار" بفرنسا و"روتشيلتد" الّتي لها مصالح بكامل أوروبا.

وتميزت هذه الطبقة بالمبادرة وبالقدرة على تنويع أنشطتها و تنمية مصادر ثروتها ، كما احتكرت السلطة السياسية ووظّفتها لخدمة مصالحها الداخلية والخارجية خاصة وأنّها سيطرت على الرأي العام بتحكّمها في الصحافة والنشر وفي التعليم والثقافة.

– نمو الطبقات المتوسطة : أفرزت التحولات الاقتصادية نمو الطبقات المتوسطة وهي شرائح اجتماعية غير متجانسة مهنيا ومتفاوتة ماديا. إذ نجد أصحاب المؤسسات الصناعية والتجارية الصغرى وكبار الموظّفين ، ومتوسطي الفلاحين والمقاولين والفنيين والمهندسين وكذلك أصحاب المهن الحرة كالأطباء والصيادلة والعدول والمحامين، وكل هذه الفئات تكوّن البورجوازية المتوسطة الطامحة للارتقاء إلى مستوى البورجوازية الكبرى.

كما تزايد عدد صغار التجار والحرفيين والموظفين الّذين يمثّلون بورجوازية صغرى سعت بدورها إلى التباين مع الفئات الشعبية وإلى تحسين مستواها الاجتماعي بالادخار وبعث المشاريع و بالمصاهرة.

لقد مثّلت الطبقات المتوسطة عنصر توازن اجتماعي، وكان لها دورا هاما في الحياة السياسية والفكرية.

– تضخّم الطبقة العمالية : دفعت التحولات بالأرياف بعدد هام من العمال الأجراء وصغار الفلاحين إلى المدن حيث دعموا صفوف عمال الصناعة الّذين تضخّم عددهم بارتباط مع ازدهار الصناعة.

فأصبحت الطبقة العمالية أو "البروليتاريا" حسب المصطلح الماركسي تمثّل أكبر نسبة من القوى النشيطة والطاقة الأساسية المنمّية لرأس المال.

وتعرض عمال القرن XIX إلى كلّ أصناف الاستغلال والاضطهاد والبؤس، ومن أبرز مظاهر ذلك :

* ضعف الأجور : تعاملت الرأسمالية مع كَدح العمال كسلعة خاضعة لقانون السوق في ظرفية تكثّف فيها العرض نتيجة لارتفاع النمو الديمغرافي ولتفاقم النزوح ، وفرضت أجورا منخفضة جدّا لتحقّق فائض قيمة مطلق.

كما التجأ أصحاب المؤسسات لتشغيل الأطفال والنساء بأجور أضعف لضمان أكثر ما يمكن من الأرباح .

* ظروف عمل قاسية : خضع العمال إلى نسق عمل مُجهد بمعدل 15 ساعة يوميا في ظروف قاسية سواء بالمناجم أو بالمصانع حيث تنعدم التهوية وتجهيزات السلامة. فكان العمال عرضة للأمراض المزمنة وللحوادث القاتلة، وهذا ما يفسّر ضعف معدل أمل الحياة عند الولادة وكثرة الوفيات في صفوفهم.

* حياة يومية صعبة: تجمّع العمال في أحياء خاصة لا تتوفّر بها أبسط المرافق ويعكس مشهدها الفقر والبؤس، فهم يحتشدون مع عائلاتهم في دهاليز أو غرف ضيّقة في ظروف صحية قاسية.

كما كانوا يعانون من الجهل ومن سوء التغذية والأمراض المعدية.

لقد شهدت أوضاع الطبقة الكادحة خاصة بفرنسا وإنقلترا تحسّنا نسبيا منذ أواخر القرن XIX نتيجة للتطور التقني والنضالات العمالية وإصدار بعض القوانين الاجتماعية.

الخاتمة :

أحدثت الثورة الصناعية انقلابا جذريا في البلدان التي شملتها وفي العالم بصفة عامة، إذ أدّت إلى تركّز النظام الرأسمالي الليبرالي الّذي تميّز بالحركية إنتاجيا وتنظيميا وبتحقيق نمو متواصل للثروة الّتي استأثرت بالنصيب الأوفر منها الأقلية البورجوازية المهيمنة اقتصاديا وسياسيا وثقافيا.

لقد حققت البورجوازية الرأسمالية ثروتها ونفوذها باستغلال واضطهاد الطبقة العمالية الكادحة الّتي وعت تدريجيا بواقعها المتردّي وبأهمية دورها في الإنتاج وفي تزايد الثروة العامة، وأدركت حتمية تكتلها لتحسين أوضاعها وللدفاع على حقوقها، فاحتدّ تناقضها وصراعها مع البورجوازية واتخذ بعدا تصادميا في ظرفية متميّزة بانتشار نظريات وأفكار سياسية معبّرة عن التحولات الاقتصادية وما أفرزته من تناقضات اجتماعية.

الدّرس 17 التيّارات السّياسيّة والفكريّة في القرن XIX

المدخل أدرس التيّارات السّياسيّة والفكريّة في القرن XIX لأتبيّن دورها في تطوّر الدّول الأوروبيّة ومجتمعاتها منذ نهاية القرن XVIII .

النشاط الأول : أتعرّف "اللّيبيراليّة" وحركة القوميّات" كتيّارين بارزين ميّزا الحياة السّياسيّة الأوروبيّة في القرن XIX.

الموارد :

الوثيقة 1

إشعاع الثّورة الفرنسيّة

«...إنّ الثورة الكبرى وهذا النّجم السّاطع الّذي ظهر لأوّل مرّة سنة 1789 مازال يُشع على العالم إلى اليوم. ففي تلك السّنة تلقّى استبداد الإقطاعيّين ورجال الدّين... الضّربة الكبرى الأولى ثم تلقّى الضّربات الأخرى فأصبح محكوما عليه بالفناء مهما فعلنا من أجل إنقاذه...»

مقتطف من مقال للصحفي الانقليزي و.كوبات في 29 جويلية 1815
(ورد في كتاب التّاريخ قرن الثّورات ص 171)

معطيات مكمّلة



الأمير ميترنيخ (1773-1859) سياسي نمساوي كان له الدّور الأوّل في صياغة معاهدات 1815 وفي الدّفاع عن مقرّرات مؤتمر فيانا.

الوثيقة 2

مؤتمر فيانا* و"الخطر الثوري"

«...إنّ الاتّفاق الحالي [بين الدّول الكبرى] هو الضّمان الأمثل الوحيد لمجابهة [خطر] النّيران الثوريّة الكامنة بدرجات متفاوتة في كلّ الأقطار الأوروبيّة...وإنّ الحكمة المحض تقضي بتجاوز المنافسات الثّانويّة القائمة في الأوقات العاديّة وبتكوين جبهة شاملة لأجل الدّفاع عن المبادئ الثّابتة للنّظام الاجتماعي.»

من مراسلات الوزير الأوّل الإنقليزي" كاستلريث " في 1815

ذكرها إ. هوبسبلوم E. Hobsbawm في "عهد الثّورات" ص 131

* انعقد في 1814 و 1815 لتصفية تركة نابليون الأوّل بعد انهزامه ولإعادة تركيز النّظام القديم والتوقّي من الاضطرابات التّحرّريّة.

الوثيقة 3

في أسس اللّيبيراليّة

«...لقد دافعت طيلة أربعين سنة على نفس المبدإ وهو الحرّيّة في كلّ الميادين. في الدّين كما في الفلسفة والأدب والصّناعة والسّياسة، وأقصد بالحرّية تفوّق الفردانيّة على السّلطة الّتي تريد أن تحكم بالاستبداد وفي ذات الحين على العامّة الّتي تطالب بحقّ استعباد الأقلّيّة من قبل الأغلبيّة.»

بنجمان كونستان Benjamin Constant

ورد في تاريخ المؤسّسات والأحداث الاجتماعيّة (تمبال ودالون ص 595)

الوثيقة 4

دفاعا عن الحريّة وعن سيادة الشّعب

«تسألوا قبل كلّ شيء، أيّها السّادة، عمّا يقصد اليوم الانقليزي أو الفرنسي أو ساكن الولايات المتّحدة الأميريكيّة بكلمة حريّة.
وتعني بالنّسبة لكلّ منهم الحقّ في ألاّ يخضع إلاّ للقوانين، وألاّ يتعرّض إلى الإيقاف أو العجز أو الإعدام أو إلى سوء المعاملة بأيّ شكل من الأشكال بفعل إرادة شخص أو عدّة أشخاص... والحريّة هي في نظر كلّ شخص الحقّ في التّعبير عن الرّأي وفي اختيار المهنة الّتي يريدها وفي ممارستها، وفي التّصرّف فيما يملك كما يشاء وأن يقصد المكان الّذي يريد دون أن يسترخص من أحد...
...إنّ الشّعوب الّتي تعتمد النّظام التّمثيلي حتّى تتمتّع بالحرّيّة الّتي تناسبها، يجب عليها أن تمارس مراقبة حثيثة ومتواصلة على ممثّليها في آجال غير متباعدة وأن تحتفظ بحقّ إزاحتهم إن هم خيّبوا آمالهم وأن يسحبوا منهم السّلط الّتي قد يكونوا قد تجاوزوها...»

من خطاب لبنجمان كونستان – بباريس 1819)



بنجمان كونستان Benjamin Constant
(1767-1830)
كاتب وسياسي فرنسي قاد المعارضة اللّيبيراليّة في عهد رجوع النّظام الملكي(الاستعراش) بفرنسا بعد هزيمة نابليون وسقوط الامبراطوريّة في 1815.

الوثيقة 5

القدرات الذّاتيّة أساس النّجاح

«ستُدرك أنّنا في قرن لا يعترف بقيمة إلاّ للأشخاص الّذين يبرهنون على مؤهّلاتهم الذّاتيّة. ولتعلم أن العون الذكيّ والمقدام يتهيّأ كلّ يوم أكثر فأكثر ليحلّ محلّ رئيسه إذا ما اضطرّ هذا الأخير إلى الانحدار نحو مرتبة إدنى، بسبب طيشه وقلّة حيويّته...»

رسالة من زوجة أحد الصّناعيّين الفرنسيّين إلى ابنها 1856
ورد بكتاب أيْريك هو بسباوم : عصر رأس المال ص 325)

الوثيقة 6

تطوّر القانون الانتخابي في فترة ما بين 1815 و 1848 (في فرنسا)

	في عهد الاستعراش (1815 - 1830)		في عهد ملكيّة جويلية (1830 - 1848)	
	حقّ الاقتراع	حق التّرشّح	حقّ الاقتراع	حق التّرشّح
السّن	30 سنة	40 سنة	25 سنة	30 سنة
الحدّ الأدنى من الثروة	300 فرنك	1000 فرنك	200 فرنك	500 فرنك
العدد	11.000	18000	240.000	56.000
عدد سكّان فرنسا	30.500000		32.500000	

معطيات وردت في كتاب التّاريخ 2 نشر بورداس 2005 ص 230

الوثيقة 7

دور الدّولة في نظر اللّيبيراليّين

«...ففي نظام الحرّيّة الطّبيعيّة ليس على الحاكم من واجبات يقوم بها إلاّ ثلاث :
1 – واجب حماية المجتمع من العنف والغزو
2 – واجب حماية كلّ فرد في المجتمع من الظّلم والاضطهاد.»
3 – واجب إقامة بعض المنشآت وصيانتها، سيما وأنّ مثل هذه المنشآت، لن يكون من مصلحة أيّ فرد أو مجموعة إقامتها أو صيانتها...»

أدام سميث A. SMITH (ثروة الأمم 1776)

ورد بكتاب التّاريخ – السّنة السّادسة (م.ق.ب) 1992

الوثيقة 8

رفض حقّ الإضراب

«إنّ كلّ تكتّل من جانب العمّال يستهدف توقيف العمل بورشة ما، والحيلولة دون تمكينها من مواصلة سيرها العادي، يعاقب بالسّجن لمدّة أدناها شهر واحد وأقصاها ثلاثة أشهر.
أمّا القادة، فيعاقبون بالسّجن لمدّة تتراوح بين سنتين وخمس سنوات...»

الفصل 415 من القانون المدني* (1804)

* القانون الّذي أرساه نابليون الأوّل في 1804 وهو يقرّ قانون لوشابوليي (جوان 1791)

التعليمات

1 – استخرج المبادئ الّتي تنبني عليها اللّيبيراليّة وحدّد مرجعيّتها
2 – أبرز ملامح النظام السّياسي اللّيبيرالي.

الوثيقة 9

الثّورة الفرنسيّة وتحرير الشّعوب

قرار المؤتمر الوطني المؤرّخ في 15 - 12 -1792
– في البلدان المحتلّة* أو الّتي سيقع احتلالها من قبل جيوش الجمهوريّة (الفرنسيّة) يعلن قوّاد الجيش فورا باسم الأمّة الفرنسيّة – سيادة الشّعب وإلغاء كلّ السّلط القائمة والضّرائب أو الغرامات الموجودة وإبطال العُشُر والإقطاع... وكلّ الامتيازات على الإطلاق.
– يعلنون للشّعب أنّهم يأتونه بالسِّلم والإعانة والإخاء (الأخوة) والحريّة والمساواة...»

ورد بكتاب التّاريخ – السّادسة آداب م.ق.ب 1992

* دخلت فرنسا الثّوريّة في حرب ضدّ الملوك الأوروبيّين المتحالفين مع أعداء الثورة منذ أفريل 1792 فاحتلّت عديد المناطق في ألمانيا وإيطاليا وغيرها...

الوثيقة 10

سياسة مؤتمر "فيانا" تجاه الشّعوب

كتب جوزاف دي ماستر* J.de Maistre حول مؤتمر فيانا :

(رسالة 8 أكتوبر 1814)

«...لقد تقاسمت الدّول الأخرى أوروبا بحريّة، لذا فمن العبث أن تُحرم فرنسا من نصيبها من وليمة الملوك. فلن يتحقّق أي سلم إلاّ إذا تحلّت الدّول الكبرى بالاعتدال والحكمة أثناء المؤتمر...

(رسالة أفريل 1815)

«...قد لا يُوجد أبدا أفضل من الأمراء والملوك المجتمعين في هذا المؤتمر، لكن ماذا كانت النّتيجة ؟ فالغضب كان عامّا لأنّ الشّعوب لم تُحتقر أبدا بمثل هذه الكيفيّة و لم يقع دوسُها بمثل هذا الشّكل المثير.... إنّ مؤتمر فيانا قد زرع بذرة دائمة للحروب والأحقاد...» ورد بكتاب التاريخ الخامسة آداب – م ق ب 1987 ص 262. ورد بكتاب أندري لاتراي

(*) جوزاف دي ماستر (1753 ـ 1821) سياسي فرنسي من أبرز المنظرين للثّورة المضادة المسيحيّة .

الوثيقة 11

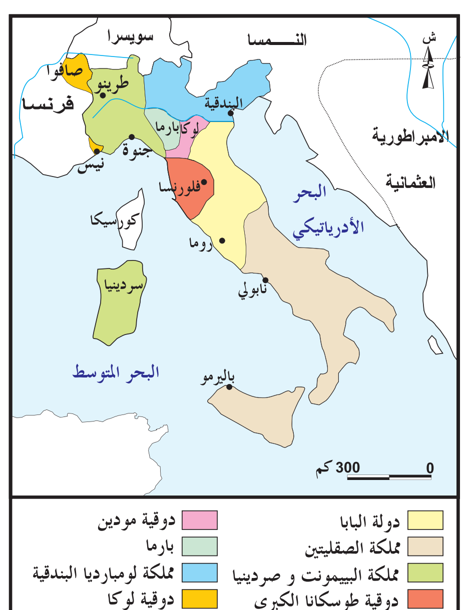
مادزيني والوضع القومي بإيطاليا في 1845

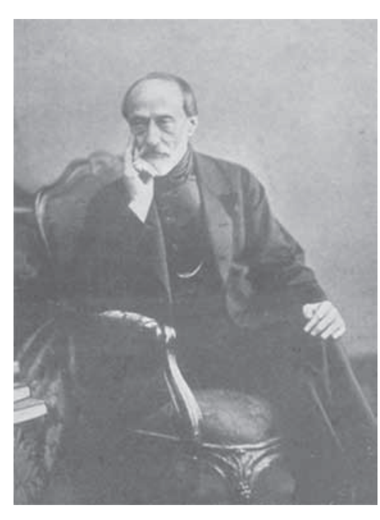
«...نحن شعب يعدّ ما بين 21 و 22 مليون نسمة عُرف باسم واحد منذ العهود الغابرة ، هو إسم الشّعب الإيطالي... وهو يتكلّم نفس اللّغة وله نفس المعتقدات ونفس العادات والتّقاليد يفخر بأمجد ماض سياسي وعلمي وفنّي عرفه تاريخ أوروبا [ورغم ذلك] ... فليس لنا علَم وإسم سياسي ولا مكانة لنا بين الأمم الأوروبيّة... إنّنا مُقسّمون إلى ثماني دول.... كلّ واحدة منها مستقلّة عن الأخرى ولا يجمع بينها تضامن ولا وحدة هدف ولا اتصالات منتظمة... وممّا يُعيق تقدّمنا ويجزئ مصالحنا الماديّة، ويحُولُ دون أيّ نموّ صناعي وأيّ توسّع تجاري، وجود ثمانية حواجز جمركيّة...

...وتنعدم بها [الدّول] حريّة الصّحافة والتّجمّع والتّعبير... وتمتلك النّمسا واحدة من هذه الدّول كما تخضع البقيّة إلى هيمنتها.

جيوسيبي مادزيني : إيطاليا والنّمسا والبابا. ورد بكتاب بول ڤيشوني P. Guichonnet الوحدة الإيطاليّة 1978 P.U.F)

الوثيقة 12 : إيطاليا المجزّأة إلى 8 دويلات







جيوسيبي مادزيني (1805 ـ 1872) سياسي ومحامي إيطالي – انخرط في منظّمة سريّة وفي انتفاضات 1831 واضطرّ إلى المنفى في 1837 بلندن. كان من أبرز قادة الأعمال الثوريّة الإيطاليّة في 1848 – 1849، ليعود إلى المنفى في النّهاية.

الوثيقة 13

وطن الألماني

«ما هو وطن الألماني ؟
قل لي ما هو هذا البلد الكبير ؟
الكبير كبر الأرض الّتي ترنّ فيها اللّغة الألمانيّة وتنشد مجد الرّبّ في السّماوات.
هناك، يوجد وطنك أيّها الألماني المقدام، هناك وطنك.
إنّ وطن الألماني هو البلد القادر في لحظة غضب أن ينسف التّفاهة الغالية (الفرنسيّة)، هو البلد حيث يُمثّل أي فرنسي عدوّا وأي ألماني صديقا.
ذلك هو وطنك، إنّه ألمانيا بكاملها !

الوطن الألماني كما رآه – أ.م. آرنت،

* أم . آرنت ARNDT (1769 - 1860) شاعر ألماني وأستاذ في التّاريخ.

التعليمات

1 – وضّح حركة القوميّات في أوروبا في بداية القرن التّاسع عشر وحدّد مرجعيّاتها وعلاقتها بالقوى المحافظة بعد مؤتمر فيانا.
2 – حلّل أسس الشّعور الوطني لدى القوميّات الأوروبيّة وعلاقتها بالقيم اللّيبيراليّة.

النشاط الثاني: أتبيّن مسيرة الحركات اللّيبيراليّة والقوميّة خلال القرن XIX

الموارد :

الوثيقة 14

التّطلّعات اللّيبيراليّة والقوميّة وردود الفعل المحافظة

الوثيقة 15

تولية لويس فيليب "ملكا للفرنسيّين" (1830)

نصّ بلاغ علّق بباريس في 31 جويلية 1830 :
"ليس بإمكان شارل العاشر(1) الرجوع إلى باريس : لقد تسبّب في سفك دماء الشّعب.
إنّ الجمهوريّة ستُعرضنا إلى انقسامات فضيعة، وسوف تُعكّر علاقاتنا مع أوروبا. إنّ الدّوق دور ليان (2) (لويس فيليب) أمير مخلص لقضيّة الثّورة، وهو لم يحاربنا قطّ. ولقد كان على الجبهة في "جيماب". Jemmapes والدّوق دور ليان ملك مواطن، حمل الرّاية ثلاثية الألوان في خضمّ المعركة وهو الوحيد القادر على حملها حاليّا، نحن لا نقبل بأحد غيره. إنّه قد أفصح عن موقفه، فهو يقبِل بالميثاق (الدّستوري) على الشّكل الّذي ارتضيناه دوما، إنّه سيتلقّى تاجه من الشّعب الفرنسي.»

حرّره أدولف "تيار(3)" وأوقست مينيي. A. THIERS et A.MIGNET

1) شارل X : ملك فرنسا (1824 - 1830) سلك سياسة استبداديّة تهدف إلى إعادة "النّظام القديم"
2) هو ابن عمّ الملك لويس XVI ، صوّت لصالح قرار إعدامه في 1793 تربطه علاقات باللّيبيراليّين – تولّى الحكم في 1830 تحت اسم لويس فيليب، "ملك الفرنسيّين".
3) أ. تيار THIERS (1797 – 1877) سياسي وصحفي ومؤرّخ أسهم في تركيز نظام "ملكيّة جويلية" واضطلع أيّامها بعديد الخطط وإلى حدود 1873 (الجمهوريّة الثّالثة).

الوثيقة 16

التّطوّر السّلمي للّيبيراليّة في إنڤلترا

	عدد النّاخبين المسجّلين	% من مجموع السّكّان	تداول الأحزاب على الحكم
قبل 1832	500.000	5	حزب الأحرار
1832	900.000	7,1	حزب الأحرار
1867	3000.000	16,4	حزب المحافظين
1884	5000.000	28,6	حزب الأحرار

(معطيات وردت بكتاب رولان ماركس Roland Marx تاريخ المملكة المتّحدة)

الوثيقة 17

مقتطفات من الدّستور البلجيكي* (7 فيفري 1831)

– الحريّة الفرديّة مضمونة. لايمكن تتبّع أيّ كان إلاّ في الحالات الّتي يحدّدها القانون وبالطّريقة الّتي يضبطها.
– تُضمن حريّة المعتقد وممارستها علنا، وكذلك حريّة التّعبير عن الآراء في كلّ الميادين باستثناء الجرائم المرتكبة أثناء ممارسة تلك الحرّيّات.
– الصّحافة حرّة ولا يمكن بحال فرض الرّقابة ولا مطالبة المؤلّفين والنّاشرين وأصحاب المطابع بدفع ضمان.
– للبلجيكيّين الحقّ في توجيه عرائض ممضاة من طرف شخص أو عدّة أشخاص إلى السّلطات العموميّة.
– ليس للملك من السّلط إلاّ ما يخوّله له الدّستور بصفة صريحة والقوانين الخاصّة المثبّتة وفقا للدّستور نفسه.

* تحصّلت بلجيكا على استقلالها عن هولاندا في نوفمبر 1830.

ورد بكتاب التّاريخ 2 نشر بورداس 2005 ص 279

معطيات مكمّلة

شجّع انتصار الثّورة التّحرّريّة في فرنسا في جويلية 1830 عديد الحركات القوميّة :
- في بولونيا قامت انتفاضة – شارك فيها الضّبّاط والطّلبة – أُعلن فيها استقلال البلاد في جانفي 1830.
- سَحقَ الجيش الرّوسي هذه الانتفاضة في سبتمبر 1831 في غياب أي نجدة خارجيّة (انقليزيّة أو فرنسيّة) وفقدت بذلك بولونيا استقلالها الذّاتي.
- في إيطاليا ثار الوطنيّون المنضوون تحت لواء المنظّمة السّريّة كابوناري " Carbonari " في فيفري 1831 ضدّ الهيمنة النّمساويّة، لكنّ الجيش النّمساوي تمكّن من القضاء على انتفاضتهم.
- في ألمانيا كثّف "ميترنيخ" المستشار النّمساوي – من قمعه للتّيّار اللّيبيرالي
- في 1833 جدّدت كلّ من النّمسا وروسيا وبروسيا حقّها في التدخّل ضدّ أيّ تهديد خارجي.

⇐ أسفرت أزمة 1830 على انتصَار الاستبداد، باستثناء استقلال اليونان وبلجيكا.

الوثيقة 18

ثورات 1848 أو "ربيع الشّعوب"

«...اِمتدّت الشّعلة الثّوريّة إلى كلّ أنحاء أوروبا... ولم تعد الثّورة مُجرّد مغامرة، بل أصبحت ركيزة عهد جديد... وسيترك ذلك آثارا عميقة... فسوف تتغيّر كثيرا ظروف مختلف الطّبقات الّتي تُكوّن المجتمع وسوف تتّسع حدود دائرة النّفوذ الاجتماعي... وسوف تُمكّن التشريعات (الجديدة) الطّبقات الدّنيا من مكانة أهمّ وأفضل وتحدّ من مرتبة الطّبقات العليا. وباختصار إنّها الثورة الدّيمقراطيّة الكبري الّتي تواصل مسيرتها. ومن الممكن أن يحدث تراجع ولكنّ هذه الثورة ستبقى آثارها».

أ. دي طوكفيل* A. de Tocqueville (من رسالة إلى زوجته بتاريخ أفريل 1848)

* أ. دي طوكفيل (1805 ـ 1859) مؤرّخ وسياسي ليبيرالي – اشتهر بكتابه : في الدّيمقراطيّة بأمريكا شغل خطّة نائب قبيل ثورة 1848 ووزير خارجيّة سنة 1849.

معطيات مكمّلة

- مثّلت ثورة 1848 في فرنسا قادحا لاندلاع سلسلة من الانتفاضات والثورات في كامل الأقطارالأوروبيّة سُمّيت بـ"ربيع الشّعوب" وكانت ذات طابع ليبيرالي وقومي. ولكنّها سرعان ما انطفأت بفعل القمع العسكري الّذي لاقته من القوى المحافظة.

الوثيقة 19

قرار الحكومة المؤقّتة (للجمهوريّة الثّانية)
حول إلغاء الرّق المؤرّخ في 27 أفريل 1848

باسم الشّعب الفرنسي
الحكومة المؤقّتة
اعتبارا أنّ العبوديّة اعتداء على الكرامة البشريّة.
فهو يلغي المبدأ الطّبيعي للحقّ والواجب
وأنّه خرق صارخ للفكر الجمهوري :
حريّة، مساواة، إخاء،[...]
يقرّ :
الفصل 1 : إلغاء العبوديّة إلغاء تامّا في كامل المستعمرات والممتلكات الفرنسيّة [...]
يُمنع كلّ عقاب بدني وكل بيع لبشر غير أحرار [...]
الفصل 6 : المستعمرات المطهّرة من العبوديّة [...] تكون ممثّلة في الجمعيّة الوطنيّة.

ورد بكتاب التّاريخ (الثّاني) نشر بورداس

الوثيقة 20 : إعلان الاقتراع العامّ في ثورة 1848 بفرنسا



الاقتراع العامّ بدلا عن العنف (رسم نشر بمناسبة انتخابات أفريل 1848)
ويُقرأ في أسفل الرّسم وعلى لسان المواطن ما يلي :
– باليد اليسرى إشارة إلى السّلاح : هذا للعدوّ الخارجي"
– وباليد اليمنى وبواسطة الاقتراع العامّ وفي الدّاخل هكذا يكون التّنافس السّلمي بين الفرقاء.

الوثيقة 20

قمع الثورة في "فيانا" في أكتوبر 1848 (حسب شاهد عيان)

«...إنّ بقايا المتاريس المحترقة تشهد على ما قامت به مدفعيّة الجيش... كانت دوريّات الجيش تجوب الشّوارع ليلا نهارا. وكان الوشاة يتزاحمون على مقرّات الشّرطة للتّبليغ عن (الثّوريّين)... وكان يُخيّم على المدينة جوّ من الحزن والإحباط... وأصبح ذلك البورجوازي الّذي كان يهتف «تحيى الحريّة» يتحاشى الظهور خوفا من الوشاية. ولازم شكّان الأحياء الشّعبيّة منازلهم...»

(ورد بكتاب التّاريخ سنة 5 م. ق.ب 1987)

معطيات مكمّلة

– تراجع المدّ الثّوري الّذي ميّز ثورة 1848 في فرنسا بالحدّ من الاقتراع العامّ وبخاصّة غداة انقلاب 2 ديسمبر 1851 المؤدّي إلى انتصاب الامبراطوريّة الثّانية بدلا من الجمهوريّة الثّانية.

الوثيقة 21

الاقتراع العام أداة السّيادة الشّعبيّة

«...أعتقد أنّ لا سيادة لغير الشّعب، وأنّ الاقتراع العام، أداة هذه السّيادة، لن تكون له قيمة إلاّ أن كان حرّا بأتمّ معنى الكلمة ولذا يتعيّن أن تستهدف الإصلاحات في المقام الأوّل تخليصه من كلّ وصاية من أيّة عراقيل أو ضغوط أو فساد... وفي اعتقادي أيضا أن الدّيمقراطيّة القانونيّة والأمينة هي وحدها الكفيلة ببعث نظام سياسي يمكّن من تحقيق التّحرّر المعنوي والمادّي لأكبر عد ممكن من [المواطنين] وضمان العدالة الاجتماعيّة في القوانين وفي الممارسة والعلاقات...»

ليون ڤامبطا* Léon Gambetta 1869

– ورد بكتاب التّاريخ – السّادسة آداب ص 283 (م.ق.ب)

* ل. ڤمباطا (1838 – 1882) محامي وسياسي فرنسي من أنصار النّظام الجمهوري ومن أبرز القادة الّذين ركّزوا الجمهوريّة الثّالثة.

معطيات مكمّلة

تطوّر الحركات القوميّة في النّصف الثّاني من القرن XIX :
– تمّ توحيد إيطاليا بقياد مملكة البييمونت – سردينيا سنة 1870 (بعد حرب ضدّ النّمسا)
– تمّ توحيد ألمانيا بقيادة مملكة بروسيا سنة 1870 بعد ثلاثة حروب أولاها ضدّ الدّنمارك في 1864 والثّانية ضدّ النّمسا في 1866 والثّالثة ضدّ فرنسا في 1870.
– اضطرّت الامبراطوريّة العثمانيّة إلى الاعتراف باستقلال رومانيا وبلغاريا وصربيا في مؤتمر برلين سنة 1878.
– حافظت الامبراطوريّة النّمساويّة المجريّة على تركيبتها متعدّدة الجنسيّات إلى نهاية الحرب العالميّة الأولى.
– بقيت بولونيا مقسّمة بين روسيا وألمانيا والنّمسا.

التعليمات

1 – أبرز مدى انتشار اللّيبيراليّة ومحدوديّتها
2 – حلّل تطوّر حركة القوميّات خلال القرن XIX وأثرها على الخريطة السّياسيّة لأوروبا.

النشاط الثالث : أدرس نشأة كلّ من التّيار الاشتراكي والحركة النّقابيّة وأثرهما على الأوضاع العمّاليّة.

الموارد :

الوثيقة 22

المِلْكيّة، هي السّرقة

«...لماذا لا أجيب عن السّؤال القائل ما هي الملكيّة ؟ إنّها السّرقة، دون أن أكون مُتأكّدا بأنّ كلامي لن يُفهم [...] ففيما يبيّن هذا الكاتب أن الملكيّة حقّ مدني ينتج عن الاستيلاء ويُقرّه القانون، يرى آخر أنّه حقّ طبيعي مصدره العمل، وكلّ هذه النّظريّات رغم تناقضها تلقى المساندة والقبول. وإنّي لأعتقد أنّه لا يمكن لا للعمل ولا للاستيلاء ولا للقانون أن يؤسّس للملكيّة وأنّها بالتّالي نتيجة بدون سبب.»

جوزاف برودون* ما هي الملكيّة ؟ بحوث حول مبدإ الحق والحكم 1848



* ج. برودون (1809 ـ1865) أحد ممثلي الاشتركيّة الطوباويّةالفرنسيين يرى أنّه ليس من حلّ للظّلم الاجتماعي إلاّ بالقضاء على الرّبح الرأسمالي وبإقرار القرض المجاني بفضل تجمّع العمّال في تعاونيات والنّظام الفدرالي. كان له تأثير على العمل النّقابي في فرنسا.

الوثيقة 23

الدّولة وحدها قادرة على إصلاح المجتمع

«...إنّ تحرير البروليتاريا[1] لعمل جِدُّ معقّد فهو يرتبط بمسائل شتّى... وهو يتعار ض مع عديد المصالح بحيث يصعب الاعتقاد في أن يتحقّق بواسطة مجهودات جزئيّة ومحاولات منعزلة، بل من الواجب إقحام كامل قوّة الدّولة في إنجازه. إن ما يحتاج إليه البروليتاريا حتّي يتحرّر هو أدوات العمل وتكمن وظيفة الدّولة في تو فيرها له. وإن كان علينا أن نعرّف الدّولة في تصوّرنا فإنّنا نُجيب : إنّ الدّولة هي بنكيّ (صاحب بنك) الفقراء.»

لويس بلان[2] Louis Blanc تنظيم العمل 1848

1 – البروليتاريا : هم عمّال المصانع الّذين لا يملكون إلاّ قوّة سواعدهم لكسب قوت يومهم.
2 – لويس بلان (1811 ـ 1882) سياسي فرنسي واحد أعضاء الحكومة المؤقّتة للجمهوريّة الثّانية 1848 متأثّر بالأفكار الاشتراكيّة وصاحب مشروع "الورشات الاجتماعيّة" الّذي مُني بالفشل.

الوثيقة 24

«لنفترض أنّ فرنسا قد فقدت فجأة خمسين من أجود فيزيائيّيها، وخمسين من أجود كميائييها، وخمسين من أجود علماء الطّبيعة، وخمسين من أجود الميكانيكيّين وخمسين من أجود صباغي المنسوجات وخمسين من أجود عمّال المناجم... إنّ هؤلاء هم أكثر الفرنسيّين إنتاجيّة... وهم الّذين يسيّرون الأشغال الأكثر نفعا للأمة – ويجعلونها منتجة في ميادين العلوم والفنون الجميلة والآداب والحرف. إنّهم في الحقيقة زهرة المجتمع الفرنسي... وإذا ما فقدتهم الأمّة فإنّها ستتحوّل إلى جسد بلا روح. وتنزل إلى وضعيّة دنيا أمام الأمم الّتي تنافسها اليوم.

... ولنفترض فرضيّة أخرى. ولنسلّم بأنّ فرنسا فقدت في نفس اليوم أخ الملك.... وكلّ كبار ضبّاط المملكة والوزراء والمحافظين، والقضاة وعشرة آلاف من أغنى الملاكين. لاشكّ أنّ هذا الحادث سيؤثّر في الفرنسيّين... لكنّه لن يُسبّب لهم الحزن إلاّ من الناحية العاطفيّة إذ أنّه لن يلحق بالدّولة أي أذى سياسي...»

إنّ هذه الافتراضات تبيّن أنّ المجتمع الحالي هو عالم مقلوب بحقّ.

البارابول(2) سان سيمون (1) C.H.Saint - Simon 1819

1 – سان سيمون (1760 - 1825) يعتبر أحد الممهّدين للفكر الاشتراكي. أشار منذ بداية القرن XIX إلى انتصار المجتمع الصّناعيّ وإلى أنّ المنتجين (أعراف وعمّال) من صالحهم أن يتعاونوا ضدّ الطّفيليين والنّظام القديم.

2 – البرابول : جنس أدبي من النوع السّردي يحمل مغزى أخلاقيّا أو دينيّا بصفة غير مباشرة.

معطيات مكمّلة

– تصوّر المفكّر الفرنسي فوريي Fourier (1772 - 1868) خليّة من مجتمع المستقبل الّذي يرتئيه سُمّيت بالـ"فالانستير

– يتخصّص "الفالانستير" في إنتاج معيّن. وحدّد عدد عمّاله بـ 1620 (810 من الرّجال و 810 من النّساء) يُقسّمون إلى فرق ويتخصّص كلّ عامل في إنجاز العمل الّذي يرتضيه. مع توفير وسائل الرّاحة وجوّ المرح.

– خطّط "فوريي" بتوزيع الدّخل بين عمّال كلّ خليّة مع مقدار العمل الّذي يُقدّمونه.

– وأوصى بتوزيع إنتاج العمل خارج الخلايا بالشّكل التّالي : $\frac{5}{12}$ من الإنتاج للطّبقة العاملة $\frac{4}{12}$ للرأسماليّين و $\frac{3}{12}$ لممثّلي المواهب.

الوثيقة 25

من عيوب المجتمع اللّيبيرالي

«العالم مُشبع بالثروة في الوقت الحاضر. وثمّة أساليب لا حصر لها للزّيادة فيها ومع هذا، فالبؤس يتكاثر. تلك هي، في هذا الوقت، الحالة الفعليّة للمجتمع البشري...»

روبرت أوين* R. OWEN ورد بكتاب بليخا نوف (الاشتراكيّة الخياليّة في القرن XIX).

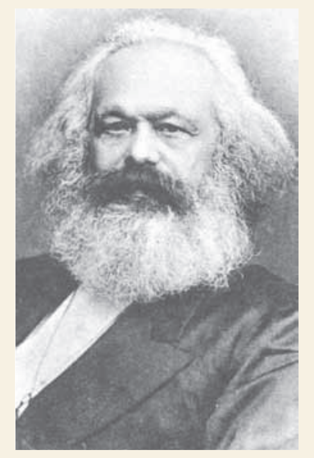
* ر. أوين (1771 - 1858) صناعي إنقليزي سعى إلى تغيير المجتمع بطريقة سلميّة عبر تطبيقات لأفكاره بإحداث خليّة شيوعيّة في إيرلندا والولايات المتّحدة. لكنّه فشل في ذلك.

الوثيقة 26

ماركس والاشتراكيّة الطوباويّة

«... فإذا كان مؤلّفو (المنظّرون الأوّلون لتغيير النّظام الرّأسمالي) تلك المنظومات ثوريّين إلى حدّ ما، فإنّ الطّوائف الّتي كوّنها مُريدوهم كانت دوما رجعيّة [...] فواصلوا حُلمهم بإنجازات تجريبيّة لنظريّاتهم الطوباويّة عبر تركيز خلايا منعزلة (مثل "الفالانستير")، فيجدُون أنفسهم مُضطرّين للتوجّه إلى قلوب الخيريّين من البوجوازيّة وإلى أموالهم لإقامة تلك القصور في الجنّة، وبذلك ينزلون شيئا فشيئا إلى صنف الاشتراكيّين الرّجعيّين أو المحافظين.

كارل ماركس – بيان الحزب الشّيوعي 1848



كارل ماركس (1818 - 1883)

فيلسوف وسياسي وعالم اقتصاد ألماني استقرّ بلندن بعد طرده من ألمانيا ومن فرنسا. عمل صحافيّا واشتغل مع رفيقه "فردريش أنقلس" في تأليف "بيان الحزب الشّيوعي" (1848) وخاصّة مصنّفه الكبير "رأس المال" الّذي أبرز فيه بدقّة أدوات الاستغلال الرّأسمالي (نظريّة فائض القيمة). أسّس الأمميّة الاشتراكيّة الأولى في 1864 بهدف الإطاحة بالنّظام الرّأسمالي.

الوثيقة 27

الاشتراكيّة العلميّة

«... إنّ تاريخ كلّ مجتمع لم يكن إلى يومنا هذا سوى صراع الطّبقات... والمجتمع البورجوازي القائم على أنقاض المجتمع الإقطاعي لم يقض على التّناحر الطّبقي، بل اكتفى بجعل طبقات جديدة وطرق أخرى للاضطهاد بدلا من القديمة، غير أنّ خاصيّة عصرنا أي عصر البورجوازيّة هي أنّها اختزلت تناحر الطّبقات، فانشطر المجتمع كلّه إلى معسكرين كبيرين متعادين أي ألى طبقتين كبيرتين تتناحران بصفة مباشرة وهما : البورجوازيّة والبروليتاريا [...]

إنّ الشّيوعيّين يعلنون بكلّ وضوح أنّ أهدافهم لا يمكن أن تتحقّق إلاّ بقلب النّظام الاجتماعي القديم كليّا بطريقة عنيفة. فلترتجف الطّبقات الحاكمة أمام الثّورة الشّيوعيّة ! إنّ العمّال ليس لهم ما يخسرون إلاّ أغلالهم. وإنّهم بالكثير لظافرون.

يا عمّال (بروليتاريي) كافّة البلدان، اتّحدوا.»

كارل ماركس – البيان الشّيوعي 1848

معطيات مكمّلة

شكّلت النّقابات الانقليزيّة (Trade Unions) النّموذج الّذي نسجت على منواله النّقابات الأخرى (في ألمانيا والولايات المتّحدة) وهي تمثّل النّزعة الإصلاحيّة النّابذة للعنف وقد تحوّلت من نقابة النّخبة العمّاليّة إلى أخرى متفتّحة على العمّال غير المؤهّلين ونجحت في تحسين أوضاع العمّال البريطانيّين.

الوثيقة 28

الوعي الطبقي لدى العمّال

«... لم تكن طبقة العمّال منذ قرون سوى أداة للاستغلال، عن طريق ذهب البورجوازيّين الرّجعيّين والجمهوريّين. لقد أنجز هؤلاء ثورة 1789 لصالحهم. ففيم يختلفون عن أولئك الّذين طردوهم (النّبلاء) ؟ إنّهم يمثّلونهم تماما... فماذا يمكن أن ننتظر، بعد قرن من الحركة الشّعبيّة. من هؤلاء المتعطّشين للسّلطة ؟ لا شيء. فانهضوا إذن، أيّها العمّال. علينا من الآن ألاّ نعوّل إلاّ على أنفسنا في سبيل تحقيق مطالبنا...»

نداء الغرفة النّقابيّة لعمّال مناجم جهة كرمو* (Carmaux) 1 ماي 1891

* تقع "كرمو" داخل الجنوب الغربي لفرنسا في منطقة منجميّة.

الوثيقة 29

الحركة العمّاليّة الثّوريّة في فرنسا

«... ترمي الحركة النّقابيّة من خلال عملها المطلبي اليومي إلى تنسيق جهود العمّال والرّفع من مستوى عيشهم وذلك بتحقيق تحسينات عاجلة مثل التّخفيض في ساعات العمل والتّرفيع في الأجور وغيرها، لكنّ هذا لا يمثّل إلاّ جانبا من العمل النّقابي الممهّد للتّحرير الكامل الّذي لا يتحقّق إلاّ بواسطة مصادرة رأس المال، ويرى في الإضراب العامّ طريقة للعمل، ويعتبر أنّ النّقابة الّتي تُمثّل في الوقت الحاضر تجمّعا من أجل المقاومة ستتحوّل آجلا إلى تجمّع إنتاج وتوزيع وقاعدة لإعادة التّنظيم الاجتماعي »

مقتطفات من ميثاق أميان Amiens المصادق عليه في 13 أكتوبر 1906 من قبل مؤتمر C.G.T (الكنفدراليّة العامّة للشّغل)

الوثيقة 30

تأسيس الدّوليّة العمّاليّة الأولى (1864)

اعتبارا إلى :

– أنّه يتعيّن على العمّال تحرير أنفسهم بأنفسهم.

– وأنّ هيمنة رأس المال عليهم هي مصدر استعبادهم سياسيّا ومعنويّا وماديّا

– وأنّ التّحرّر الاقتصادي يجب أن يبقي الهدف الأساسي لكلّ حركة سياسيّة

– وأنّ كافّة المجهودات الّتي بُذلت حتّى الآن في هذا المجال باءت بالفشل. نتيجة لانعدام التّضامن بين الشّغّالين... فإنّ أعضاء الهيئة الّتي تمّ انتخابها أثناء الجلسة العامّة المنعقدة بتاريخ 28 سبتمبر 1864 والممضين أسفله اتّخذوا كلّ الإجراءات لتأسيس رابطة العمّال الدّوليّة...»

توطئة قرار تأسيس الدّوليّة الأولى وردت في كتاب أ. كريقال A.Kriecgel الدّوليّات العمّاليّة

التعليمات

1 – عرّف الفكر الاشتراكي والظّرفيّة الاقتصاديّة والاجتماعيّة الّتي ظهر فيها.

2 – صنّف التّيّارات الاشتراكيّة وأبرز تأثيرها على الحياة السّياسيّة.

3 – ادرس خصائص الحركة العُمّاليّة وعلاقتها بالتّيّار الاشتراكي.

تمتدّ كلّ من التيّارات السّياسيّة والفكريّة في القرن XVIII إلى فكر التّنوير وإلى ثورات القرنين XVII وXVIII ولاسيّما منها الثورة الفرنسيّة (1789) وهي تتنزّل في ظرفيّة بروز الرّأسماليّة الصّناعيّة. ولئن سعت القوى المحافظة بعد هزيمة نابليون في 1815، من خلال مقرّرات مؤتمر "فيانا" إلى إعادة تركيز النّظام القديم، فإنّ المبادئ الجديدة قد علقت بضمائر المجتمعات الأوروبيّة لتصبح أدوات نضال في أيدي القوى المجدّدة وأسّست لتيّارات فكريّة وسياسيّة مثلتها اللّيبيراليّة والحركة القوميّة.

ومن ناحية أخرى، فإنّ السّياسة اللّيبيراليّة المنتهجة في تركيز الرّأسماليّة الصّناعيّة قد ولّدت لدى العمّال وفي صفوف المفكّرين تيّارين معارضين يهدفان إلى إيجاد حلّ لما سُمّي منذئذ بـ"القضيّة الاجتماعيّة" أي سوء الأوضاع العماليّة من جرّاء الاستغلال الرّأسمالي فبرز التّيّار الاشتراكي والحركة النّقابيّة.

وقد كان لجملة هذه التّيّارات الفكريّة والسّياسيّة بالغ الأثر على الأوضاع الاجتماعيّة والسّياسيّة في أوروبا والعالم عامّة، فما هي ملامح هذه التّيّارات وما هي آثارها على الأوضاع الدّاخليّة للدول وعلى الصّعيد العالمي.

I - نشأة التّيّار اللّيبيرالي وحركة القوميّات :

يقوم كلّ من التّيّارين على مبادئ الثّورة الفرنسيّة حول السّيادة الوطنيّة وحقوق الإنسان، كما تمثّل إنقلترا بنظامها البرلماني نموذج الحكم الّذي يُلبّي تطلّعات كلّ من اللّيبيراليّين ومناصري الحركات القوميّة.

1 – أسس التّيّار اللّيبيرالي | الوثائق من 1 - 2 -3 - 4 - 5 |

لئن ظهرت اللّيبيراليّة بإنقلترة في نهاية القرن XVIII كنظريّة اقتصاديّة (انظر الدرس 16) فقد تحوّلت بعد الثورة الفرنسيّة إلى فلسفة شاملة تطال الميدان السّياسي والاجتماعي.

وبحكمه تيّار قام على معارضة الحكم المطلق فإنّه يولي الحرّيّة الفرديّة المكانة الأولى في كلّ الميادين المدني منها والسّياسي والدّيني، ومن هذا المنطلق فهو يؤكّد على ضرورة الاحترام المطلق للمبادرة الخاصّة على أساس أنّ القدرات الذّاتيّة هي ضمان النّجاح.

أما في الميدان السّياسي فإنّ اللّيبيراليّة تنشد :

– نظاما تمثيليّا أي نيابيّا يُمارس فيها الحكم مجلس نيابي منتخب انتخابا حرّا إلى جانب السّلطة التّنفيذيّة
– ضمانات دستوريّة للمواطنين ضدّ تسلّط السّلطة التّنفيذيّة (دستور – أو ميثاق دستوري)
– دولة محايدة تحترم الحرّيّات وتطبّق نفس القوانين على الجميع.

ورغم إيمانهم بمبدئي المساواة والحرّيّة فإنّ اللّيبيراليّين يعارضون منح حقّ الانتخاب إلى الشّرائح الشّعبيّة، بل قصروه على الفئات الّتي تملك قدرا معيّنا من الثّروة يخوّل لها دفع حدّ أدنى من الضّرائب. كما استثنوا ضمن الحرّيّات، حرّيّة التّجمّع درءًا لخطر تكوين النّقابات العماليّة على مصالحهم.

2 – حركة القوميّات

اكتست حركة القوميّات أهمّيّة كبرى في تطوّر المجتمعات والدّول الأروبيّة وحتّى غير الأوروبيّة (أمريكا اللاّتينيّة مثلا) خلال القرن XIX ، ولئن أعيقت مسيرتها أثناء الموجات الثوريّة للنّصف الأوّل من هذا القرن فإنّها تواصلت بنجاح في نصفه الثّاني محدثة تغيّرات كبيرة على الخريطة الجغراسياسيّة.

وينبع التّيّار القومي من أربعة مصادر هي :

● مبادئ الثورة الفرنسيّة وبخاصّة منها تلك الّتي تتعلّق بسيادة الأمّة وتقرير المصير المنحدر منها، والّتي تقطع مع النّظام القديم المبني على توارث الحكم. وتتكوّن الأمّة من مواطنين لا من رعايا – يتمتّعون بالحرّيّة ويمارسون حقوقا – وقد انتشرت هذه الأفكار والمبادئ خارج فرنسا عن طريق الحروب الّتي خاضتها الثّورة ضدّ الملوك المتحالفين مع أعدائها والّتي اكتست في بداياتها طابعا تحريريّا، لكنّها من ناحية أخرى أثارت المشاعر الوطنيّة عندما تحوّلت إلى حروب غزو واستغلال (إسبانيا – إيطاليا – روسيا – ألمانيا...) في عهد نابليون على وجه الخصوص. ولم تبق ممتلكات إسبانيا في أمريكا اللاّتينيّة بمنأى عن هذا الحراك إذ ثارت شعوبها على حكّامها الإسبان.

● اكتشاف الماضي : أسهم المثقّفون في إبراز الفترات المضيئة من التّاريخ القومي تحت تأثير التّيّار الرّومانسي الّذي يعطي أهمّيّة خاصّة للماضي التّاريخي – فكان للجامعات الألمانيّة دورا أساسيّا في إبراز مجد الامبراطوريّة الجرمانيّة المقدّسة. وكان للفلاسفة هيقل وفيختة الفضل في التّعريف بالخصوصيّات الثّقافيّة الجرمانيّة بحثا عن أسس للهويّة الألمانيّة. وفي إيطاليا كان لتأليف مختصر لتاريخ إيطاليا الصّدى الواسع في الأوساط القوميّة.

● متطلّبات التّقدّم الاقتصادي : طرح نموّ الصّناعة مسألة إيجاد أسواق للترويج، فقد أصبحت أوساط الأعمال تأمل في توحيد السّوق الوطنيّة بإلغاء الحواجز الجمركيّة الدّاخليّة نظرا لما كانت تعيشه كلّ من إيطالياوألمانيا من تجزّؤ سياسيّ ومن هيمنة أجنبيّة. أمّا في المناطق الأقلّ تطوّرا فإنّ التّطلّعات القوميّة ظلّت تحكمها المشاعر الوطنيّة والذكريات التّاريخيّة.

● معارضة السّياسة المحافظة "ميترنيخ" مستشار النّمسا :

كان لسياسة القوى المحافظة المنتصرة على نابليون في 1815 والّتي تهدف إلى مقاومة آثار الأفكار الثّوريّة وإلى قمع التّطلّعات القوميّة، مفعولا معاكسا، تمثّل في تجذّر التّيّارات القوميّة واللّيبراليّة ودخولها في السّريّة أو لجوئها إلى العنف.

وهكذا شكّل كلّ من التّيّارين اللّيبيرالي والقومي عاملين أساسين في مسار الأحداث وكانا في أغلب الأحيان متلازمين.

II - مسيرة التّيّارات اللّيبراليّة والقوميّة : الوثائق 14 إلى و 22

مرّت هذه التّيّارات في النّصف الأوّل من القرن XIX بفترات مدّ تارة وجزر تارة أخرى لتكتسب قدرا أكبر من النّضج والفعاليّة في النّصف الثّاني منه محقّقة مكاسب هامّة في حقل الحرّيّات والحقوق السّياسيّة والمطالب القوميّة.

1 – أوجه نجاح وإخفاق التّطلّعات اللّيبيراليّة والقوميّة مابين 1815 و 1850.

لقد تعدّدت الأحداث ذات الطّابع اللّيبرالي والقوميّ واختلفت في حدّتها تحت وقع الأحداث الثوريّة في فرنسا في أغلب الأحيان.

ففي الفترة ما بين 1815 و 1826 اِكتسحت اِضطرابات ذات صبغة ليبيراليّة كلّ من أوروبا الوسطى والجنوبيّة (ألمانيا – إيطاليا – إسبانيا...) كردّ فعل للسّياسة الرّجعيّة المنتهجة من قبل القوى المكوّنة للحلف المقدّس (روسيا – النّمسا وبروسيا). وكانت هذه الأحداث الثوريّة موجّهة ضدّ الحكم المطلق كما هدفت للمطالبة بدساتير. وقد أجهضت على أيدي قوّات الحلف المقدّس أو على أيدي دول أخرى مثلما كان الحال في إسبانيا سنة 1823 حيث تدخّلت قوّات فرنسيّة لمناصرة الملك فردنان VII ضدّ الحركة اللّيبيراليّة.

كما اندلعت ثورة اليونان ضدّ الهيمنة العثمانيّة في 1821. وقد لقيت تأييدا واسعا في بلدان أوروبا الغربيّة وبخاصّة فرنسا وإنقلترا (في معركة "نافاران" سنة 1827) تحت تأثير التّيّار الرّومانسي (فيكتور هوقو واللّورد بايرون الّذي تطوّع للقتال ولقي حتفه في حرب الاستقلال) وقد تمكّنت اليونان من انتزاع استقلالها في 1830.

● وعلى إثر الثورة الفرنسيّة لسنة 1830 ضدّ سياسة شارل X الهادفة إلى تركيز الحكم المطلق من جديد اندلعت موجة من الاضطرابات اللّيبراليّة والقوميّة في بلجيكيا وبولونيا وإيطاليا وألمانيا. ولئن توصّل اللّيبيراليّون في فرنسا إلى تنصيب الملك "البورجوازي لويس فيليب" الّذي التزم بقبول العمل بالميثاق الدّستوري المنقّح، وأحرز البلجيكيّون على استقلالهم عن هولاندة في نوفمبر 1830 معتمدين دستورا ليبراليا كقاعدة للحكم، فإنّ بقيّة المحاولات الثّوريّة باءت بالفشل وبخاصّة الثّورة البولونيّة إثر تدخّل روسي بينما تولّت القوّات النّمساويّة والبروسيّة قمعها في إيطاليا وألمانيا.

● **ثورات 1848 أو ربيع الشّعوب :**

كان لاندلاع ثورة 1848 في فرنسا لأسباب اقتصاديّة ولرفض الملك "لويس فيليب" توسيع حقّ الانتخاب دور القادح لسلسلة من الانتفاضات شملت عددا من العواصم والمدن الكبرى في كامل أنحاء أوروبا (فيانا – براغ – نابولي – فرانكفورت) كما شملت العديد من القوميّات المولّى عليها مثل المجرّيّين والتّشيك واكتست هذه الانتفاضات صبغة ليبيراليّة وقوميّة في آن واحد.

ولكن وبعد مرحلة وجيزة من النّجاح سُمّيت بـ"ربيع الشّعوب" (مارس، أفريل وماي 1848) فإنّ جميع تلك الثورات شهدت تراجعا بسبب ردود فعل جيوش القوى المحافظة وبخاصّة النّمسا وروسيا. أمّا في فرنسا فقد قامت قوات الجنرال "كافينياك".بمجزرة في الاحياء العمّاليّة للعاصمة باريس أيّام 23 و 24 ، 25 جوان 1848 ذهب ضحيّتها 5000 من القتلى و 15000 من الموقوفين، ومع انتصار ما سُمّي بحزب النّظام تمّ الحدّ من حقّ الانتخاب ومن حريّة الصّحافة.

2 – نجاحات الحركات القوميّة وتدعّم الدّيمقراطيّة في النّصف الثّاني من القرن XIX

لقد توقّف المدّ الثّوري الّذي جسّده "ربيع الشّعوب" بسبب تفتّت الحركة وانعدام الوحدة بين القوميّات وبفعل تخوّف البورجوازيّة من الفوضى والعنف الشّعبي، لكنّ المطالبة بالحُرّيّات وبالوحدة القوميّة ستُستأنف بنجاح في النّصف الثّاني من القرن XIX بوسائل مختلفة ومنها العمل الديلوماسي وحسن استغلال ميزان القوى مثلما كان الحال بالنّسبة للوحدة الإيطاليّة والوحدة الألمانيّة.

● **الوحدة الإيطاليّة :**

لعبت فيها دولة "البيمونت وسردينيا" دور القاطرة بفضل ما بلغته من ازدهار اقتصادي بقيادة وزيرها الأوّل كافور (من 1852 إلى 1861)

– أنجزت على مراحل بين 1859 و 1870، خاضت فيها دولة "البييمونت سردينيا" حربا ضدّ النّمسا سنة 1859 بمساعدة فرنسيّة مقابل تخلّيها عن مقاطعتي سافوا ونيس – وتمّ إعلان "مملكة إيطاليا" في 1860، باستثناء مقاطعة "فينيسيا" وروما. وفي 1866 تاريخ انتصار بروسيا على النّمسا اضطرّت هذه الأخيرة إلى التّخلّي عن مقاطعة "فينيسيا" (انظر وثيقة 12)

وفي 1870 وبعد انهزام فرنسا أمام بُرُوسيا أصبحت رُوما عاصمة لإيطاليا الموحّدة نظرا لأنّ البابا احتفظ بروما وضواحيها بفضل حماية فرنسا.

الوحدة الألمانيّة (1870) :

لقد انبنى الشّعور الوطني على اللّغة الألمانيّة وما انفكّ يتدعّم منذ أوائل القرن XIX حتّى تجسّم في 1859 ببعث "جمعيّة من أجل الوحدة الوطنيّة" وهي حركة لتوحيد ألمانيا تحت لواء دولة بُروسيا.

وقد كان لبيسامارك (1815 ـ 1898) مستشار دولة بروسيا منذ 1862 الدّور الأساسي في إنجاز وحدة ألمانيا اعتمادا على القوّة العسكريّة والحنكة الديبلوماسيّة.

فخاضت بروسيا ثلاثة حروب من 1864 إلى 1870 كانت إحداها ضدّ النّمسا والأخرى ضدّ فرنسا. وهما الدّولتان اللّتان كانتا تشكّلان العقبة الأخيرة في سبيل الوحدة. وبانتصارها في حروبها الثّلاث تمكّنت بروسيا من توحيد الدّول والمدن الألمانيّة التّسع والثّلاثين، فأعلن تكوين الامبراطوريّة الألمانيّة في جانفي 1871.

والملاحظ أنّ توحيد ألمانيا كان على يد الدّولة البروسيّة ذات الهياكل الاجتماعيّة الرّجعيّة، وأنّ الدّولة الألمانيّة الموحّدة كانت تضمّ عديد القوميّات غير الألمانيّة دون أن تتمكّن من إدماج ألمان النّمسا في صلبها.

3 – تدعّم الدّيمقراطيّة في النّصف الثّاني من القرن XIX :

– مثّل حقّ الانتخاب منذ ثورة 1789 مطلبا أساسيّا لدى الطّبقات الشّعبيّة، لكنّ الأنظمة اللّيبيراليّة المتلاحقة حالت دون توسيعه إلى عدد أكبر من المواطنين بقدر ملموس. ففي ظلّ "ملكيّة جويلية" بفرنسا (1830 ـ 1848) لم يتجاوز عدد النّاخبين 240.000 من جملة عدد السّكّان المقدّر آنذاك بـ 32.500000 .

– أمّا في إنقلترا فإنّ التّطوّر كان مرحليّا وملموسا حيث بلغ عدد النّاخبين من جملة السّكّان 7,1% سنة 1832 و 16,4 % سنة 1867 و 28,6 % سنة 1884.

ولئن أُعلن حقّ الاقتراع العامّ في ثورة 1848 بفرنسا، فإنّه وقع التّراجع في تطبيقه بعد تراجع المدّ الثّوري لحرمان ما يُقدّر بثلاثة ملايين من المواطنين الّذين لا يقدّمون شهادة إقامة لمدّة ثلاث سنوات في ناحية الانتخاب.

ويعتبر إقرار الاقتراع العامّ مكسبا سياسيّا كبيرا يُميّز القرن التّاسع عشر لكنّه لم يمسّ إلاّ عددا محدودا من البلدان وبقي مقصورا على الذّكور حتّى نهاية القرن. ولنا أن نتساءل عن مآل المسألة الاجتماعيّة" لما لها من صلة بحقوق الفرد والمجموعة.

III - التّيّار الاشتراكي والحركة النّقابيّة :

لم تولِ الدّولة اللّيبيراليّة أي عناية بأوضاع العمّال الّذين كانوا يعانون من قساوة العمل وارتفاع عدد ساعاته إضافة إلى سوء الأحوال المعيشيّة وغياب التّغطية الاجتماعيّة ممّا أدّى إلى ظهور تيارين يهدفان إلى مواجهة هذا الوضع وهما :

– الأوّل وهو نابع من الوسط العمالي ويعمل من أجل تحسين ظروف العمل والأجور والحدّ من ساعات العمل ويسمّى بالحركة النّقابيّة والثّاني وينتمي إلى فئة المفكّرين المهتمّين بالمسألة الاجتماعيّة وهو ما سُمّي بداية من ثلاثينات القرن XIX التّيّار الاشتراكي.

1 – التّيّار الاشتراكي (الوثائق 23 إلى 27)

يُطلق إسم "الاشتراكيّة" على مجمل النّظريّات الّتي تهتمّ بالطّرق الهادفة إلى إلغاء كلّ مظاهر الظّلم الاجتماعي وعلى رأسها المِلْكيّة.

ويقسّم المنظرون الاشتراكيّون إلى تيّارين هما : الاشتراكيّة الطوباويّة والاشتراكيّة العلميّة أو الماركسيّة.

● **الاشتراكيّة الطوباويّة أو الخياليّة :**

أطلق ماركس – وهو موسّس ما يسمّى بالاشتراكيّة العلميّة – هذا الاسم على مجمل النّظريّات الّتي ظهرت في النّصف الأوّل من القرن XIX والّتي تميّزت بنقدها الثّاقب للرأسماليّة وبرؤيتها الحالمة لمجتمع المستقبل – ومن إسهامات هذا التّيّار تأكيده على المتطلّبات الأساسيّة التّالية :

– الملكيّة الاجتماعيّة لوسائل الانتاج الموضوعة في خدمة المجموعة.
– ضرورة التّسوية في الدّخل.
– تخطيط الانتاج لإشباع حاجات الجميع.
– التّسيير الدّيموقراطي للاقتصاد.

والملاحظ أنّ هذه المتطلّبات قد احتفظت بها الاشتراكيّة العلميّة أو الماركسيّة لكنّ ضعف هذا التّيّار يكمن في الطّرق والوسائل المقترحة لتغيير الأوضاع. فالفرنسي لويس بلان Louis Blanc لا يقترح تعبئة الشّعب بل يرى ضرورة في اضطلاع الدّولة بمهمّة التّشغيل عبر بعث ورشات قوميّة، كما تصوّر مواطنه فورييي Fourier خلايا للعمال محدّدا عددهم بـ 1620 (نصفهم ذكوا ومثلهم إناث) ويختار كلّ فرد العمل الّذي يناسبه وأوصى بتوزيع العمل على مجتمع المستقبل بطريقة تؤمّن 12/5 للطّبقة العاملة و 12/4 للرّزسماليّين و 12/3 لممثّلي المواهب.

وقد مثّل هذا التّيّار عدد من المفكّرين الفرنسيّين مثل سان سيمون وبُرودون وفورييي. كما برز إلى جانبهم الإنقليزي "أوين" الّذي بدّد ثروته في تطبيق بعض التّجارب الفاشلة في إنقلترا وحتّى في الولايات المتّحدة الأمريكيّة. والخلاصة أنّ الاشتراكيّين الأوائل قد حاولوا فهم طبيعة المجتمع الرّأسمالي وإصلاحه كما بحثوا عن نموذج لمجتمع جديد أساسه السّلم الاجتماعي.

- **الاشتراكيّة الماركسيّة أو العلميّة :**

اِكتسب التّيّارالاشتراكي المزيد من التّناسق العلمي والدّقّة بفضل أعمال كلّ من كارل ماركس وفريدريش أنجلس اللّذان بنيا نظريّتهما انطلاقا من دراسة نقديّة لنظريّات الاشتراكيّين الّذين سبقاهما، فالماركسيّة، كما تبرُز في عملهما الأوّل تحت عنوان "بيان الحزب الشّيوعي" – تعرِضُ تحليلا ذي أبعاد كونيّة لتطوّر المجتمعات وتفسّر التّاريخ البشري على أنّه "صراع بين الطّبقات" أي تطاحن بين المجموعات المتعارضة عبر ما يُسمّى "بعلاقات الإنتاج" وتعني العلاقات الّتي تربط بين العامل البروليتاري وصاحب العمل في النّظام الرّأسمالي. كما تبيّن الماركسيّة أنّ النّظام الرّأسمالي يحتوي على تناقضات داخليّة تعرّضه إلى أزمات متزايدة الخطورة. ممّا يجعل ثورة البوليتاريا على النّظام الرّأسمالي أمرا حتميّا من أجل إلغاء الملكيّة الفرديّة لوسائل الإنتاج وجعلها في يد الدّولة.

وكان للماركسيّة بالغ الأثر على الأوساط العمّاليّة في أغلب البلاد الصّناعيّة عبر المنـظّمة العمّاليّة الدّوليّة الّتي أنشأها "ماركس" في 1864 بلندن لإرساء قواعد العمل الجماعي بين مختلف الحركات العمّاليّة. وقد توصّلت الأمميّة الأولى" على دفع العمل العمّالي في اتّجاهين هما :

– العمل النّقابي
– إنشاء أحزاب اشتراكيّة قوميّة.

2 – الحركة النّقابيّة :

لم ينتظم العمّال في بداية الثّورة الصّناعيّة داخل منـظّمات من أجل الدّفاع عن حقوقهم لأنّهم حُرِموا من هذا الحقّ من قبل الدّولة اللّيبراليّة وذلك إلى حدود 1825.

ويمثّل هذا التّاريخ ظهور أوّل النّقابات بإنقلترا تحت تسمية Trade Union وهي تضمّ عمّالا ذوي خبرة وقادرين على دفع اشتراكات

وتحرص هذه النّقابات الانقليزيّة على العمل في نطا ق الشّرعيّة، علما أنّها تحصّلت على حقّ تنظيم اضرابات بداية من 1834. ويتلخّص هدفها في العمل من أجل التّحسين التّدريجي لأوضاع العمّال دون العمل على إحداث تغيير جذري على المجتمع.

وقد أصبحت طريقة عمل Trade Union مثالا يحتذى في ألمانيا وفي النّقابات الأميركيّة.

أمّا في فرنسا فإنّ العمل النّقابي لم يشرّع إلا بعد 1864، ويرجع بعث أوّل مركزيّة عماليّة وهي الكنفيدراليّة العامّة للشّغل C.G.T إلى تاريخ 1895. وقد نحى العمل النّقابي بفرنسا منحى أكثر ثوريّة عبر الإضراب العامّ من أجل التّحرير الكامل للعمّال بفعل مؤثّرا ت داخليّة لفرنسا وضمنها الميول الفوضويّة الّتي اتّسمت بها نظريّة "برودون".

خاتمة :

عاشت البلدان الغربيّة جملة من التّحوّلات الفكريّة والسّياسيّة خلال القرن التّاسع عشر نتيجة ما شهدته من تحوّلات اقتصاديّة واجتماعيّة ارتبطت بالثورة الصّناعيّة وينضاف إلى ذلك الحراك الفكري الّذي أحدثته فلسفة التّنوير وثورات القرنينXVII وXVIII ، فبرزت اللّيبيراليّة وحركة القوميّات كإطار فكري للرأسماليّة الصّناعيّة وظهرت الاشتراكيّة والحركة النّقابيّة كقوى مقاومة للهيمنة الرأسماليّة. وساهمت جملة هذه التّيّارت في تطوّر المجتمعات والدّول الأوروبيّة والأميركيّة وفي تغيير الخارطة السّياسيّة بها لتطال بقيّة العالم من خلال التّوسّع الأوروبي.

الدّرس 18 التوسّع الاستعماري واقتسام العالم

المدخل



قادة الدول الاستعمارية الكبرى من اليمين إلى اليسار : إدوارد ملك إنقلترا، روزفلت رئيس الولايات المتحدة الأمريكية، الميكادو امبراطور اليابان، نيكولا II قيصر روسيا، لوبي رئيس فرنسا، غليوم II امبراطور ألمانيا، وهم في مأدبة يقتسمون فيها في بداية القرن XX ما تبقى من خبزة مرطبات ترمز إلى بعض المناطق المستهدفة بالا ستعمار.

أدرس انطلاقا من هذه الوثيقة ظاهرة التوسع الاستعماري وما نتج عنها من اقتسام للعالم لأتعرّف أثر هذه الظاهرة على العلاقات الدولية.

النشاط الأول : أدرس الظرفية التي خدمت التوسع الاستعماري في القرن XIX و بداية القرن XX.

الموارد :

معطيات مكمّلة

الاستعمار مصطلح يعني الاحتلال العسكري الذي تقوم به دولة أجنبية لأراضي دولة أخرى من أجل استغلالها .

الامبريالية مصطلح يعني الهيمنة التي تقوم بها قوة أجنبية تجاه أراضي تابعة لدولة أخرى تصبح مجالا لنفوذها في الميادين المالية، التجارية، السياسية والثقافية ... ولا تعني بالضرورة الاحتلال العسكري.

الوثيقة 1 : من خطاب ألقاه جول فرّي[1] أمام مجلس النواب الفرنسي بتاريخ 28 جويلية 1885

«[من] أشكال الاستعمار [أيضا] ما يتماشى مع الشعوب التي لها فائض زاد عن حاجتها من رؤوس الأموال أو من المنتوجات وهذا هو حقا الشكل العصري والحالي والشكل الأكثر انتشارا و نفعا.....

إن المستعمرات مواطن استثمار ممتازة لرؤوس أموال البلدان الغنية... .و إني أؤكد أن فرنسا الزاخرة دائما برؤوس الأموال قد صدّرت منها إلى الخارج مبالغ هامة تعدّ فعلا بالمليارات. أقول إن من صالح فرنسا الغنية أن تعير اهتماما لهذا الجانب من المسألة الاستعمارية. و لكن هناك أيضا أيها السادة، جانب آخر أكثر أهمية لهذه المسألة، و يفوق ما كنت أشير إليه. إن المسألة الاستعمارية هي بالذات قضية أسواق بالنسبة إلى أكثر البلدان المؤهلة أكثر من غيرها للتصدير على نطاق واسع بحكم صناعتها شأننا نحن في فرنسا...

ففي وقتنا هذا و في الوضع المتأزم الذي تمر به كل الصناعات الأوروبية إنّ إنشاء مستعمرة هو فتح لسوق....»

عن الجريدة الرسمية الفرنسية المداولات البرلمانية ص 1062

[1]جول فيري : Jules Ferry يعتبر من ابرز رموز السياسة الاستعمارية الفرنسية. ترأس مجلس الوزراء في مناسبتين: ما بين 1880 و 1881 ثم ما بين 1883 و 1885.اضطر إلى الاستقالة بعد فشل الحملة الاستعمارية الفرنسية بالطونكان في الهند الصينية و قد وقع في عهده استعمار تونس.

الوثيقة 2 : الاستعمار كما صوره الكبار للصغار

«تقدّم عمليات الاحتلال الاستعمارية منافع جمّة لوطننا. فعلى المستوى الاقتصادي تشتري المستعمرات المصنوعات من فرنسا وتوفّر لها المواد الأولية (سكر القصب، الأرز، القطن، الصوف، المطاط والعاج) كما تقدّم تسهيلات للبحرية التجارية. وعلى المستوي العسكري تمثّل المستعمرات ملاجئ ومراكز ارتكاز لأسطولنا الحربي.»

مقتطفات من كتاب مدرسي فرنسي في الجغرافيا، السنة 2، المستوى المتوسط، برنامج 1902

الوثيقة 3 : من تصريح لسيسيل رودس [1] لأحد الصّحافيّين

من تصريح لسيسيل رودس [1] لأحد الصّحافيّين :

«لقد كنت بإيست آند East End[2] وحضرت اجتماعا للعاطلين عن العمل أُلْقيت فيه خطب بلهجة حادة. و لم تكن هناك إلا صيحة واحدة : الخبز ! الخبز ! وعندما عدت إلى منزلي واستحضرت ما وقع أصبحت أكثر اقتناعا بجدوى الإمبريالية.... فما يشغلني أكثر هو البحث عن حل للمشكل الاجتماعي ذلك إنه ينبغي علينا نحن المستعمرين احتلال أراضي جديدة و توطين الفائض من سكاننا فيها لننقذ.... سكان المملكة المتحدة من حرب أهلية مدمّرة.. .»

جريدة Neue Zeit 1898 – ذكره لينين في كتابه الإمبريالية أعلى مراحل الرأسمالية (1916).

1 Cecil Rhodes من رجال الأعمال ساهم في توسيع الإمبراطورية البريطانية في إفريقيا الشرقية و الجنوبية، تولّى الوزارة الأولى في الكاب ما بين 1890- 1895

2 East End : حي عمالي بلندن

الوثيقة 4 : من خطاب لجوزيف تشامبرلاين(*) بتاريخ 11 نوفمبر 1895 بلندن :

«إني واثق بهذا الجنس وهو أعظم جنس حاكم عرفه العالم. إني واثق بالجنس الانقلوسكسوني، ذلك الجنس الأبي العنيد، الواثق بنفسه، الشديد العزم و الذي لا يمكن أن يدنسه أي مناخ أو أي تغيير. سيكون هذا الجنس بدون شك القوة المسيطرة على التاريخ في المستقبل وعلى الحضارة العالمية.

إني واثق بمستقبل هذه الامبراطورية المترامية التي لا يمكن لأنقليزي ان يتحدث عنها دون أن يهزه الشعور بالحماس و النخوة.»

ورد بموقع : http:/hypo.ge-dip.etat.ge.ch/

(*) Joseph Chamberlain (1816 - 1914) : وزير المستعمرات في الحكومة البريطانية ويعتبر من رموز الحركة الاستعمارية.

الوثيقة 5 : من نداء لافيجوري Lavigerie إلى المسيحيّين سنة 1871 :

«إن الجزائر، أي فرنسا الإفريقية هذه، تفتح لكم أبوابها وتمد إليكم يدها، و من خلال صوتي هذا كأسقف للجزائر. ستجدون هنا أراضي أوفر وأخصب لكم و لأبنائكم. تعالوا ! فبتوطينكم لسكان... مسيحيين على هذه التربة التي مازالت غير طيّعة ستكونون رسلها الحقيقيين أمام الله وأمام الوطن.»

ورد بالموقع السّابق

الوثيقة 6



لوحة نشرتها جريدة Le Petit Journal الفرنسية بتاريخ 19 نوفمبر 1911 إثر انتصاب الحماية الفرنسية على المغرب وصحبها التعليق التالي «بمقدور فرنسا الآن جلب الحضارة والثروة والسلام بحرية الى المغرب الأقصى».

مقتطفات من قصيدة شهيرة كتبها كيلينغ* :

«أيها الأبيض احمل العبء
الثقيل من جديد.
ابعث بسلالتك الأكثر قوة بعيدا
من أجل الاعتناء ....
بالأجناس المتوحشة والهائجة
بالشعوب التي سيطرت عليها حديثا
أشباه خبثاء وأشباه قصّر...»

ورد بكتاب القرن XIX و جذوره لجاك بويون و معاونوه، التاريخ 2

* R.Kipling (1865 - 1916) شاعر وأديب أنقليزي تحصل علي جائزة نوبل للآداب سنة 1907

الوثيقة 7 : من خطاب ألقاه ليوبولد II ملك البلجيكيين في افتتاح أشغال ندوة الجغرافيا ببروكسال سنة 1876 :

«إن فتح الجزء المتبقي من الكرة الأرضية للحضارة وإن تبديد الظلام الذي يغطي شعوبا كاملة هما، إن جاز القول، حملة صليبية جديرة بقرن التقدم هذا...وهو ما يقتضي رفع لواء الحضارة على أرض إفريقيا الوسطى ومقاومة الرقّ.»

ورد بالموقع السابق

الوثيقة 8 : من مداخلة لكليمنصو[1] في مجلس النواب الفرنسي بتاريخ 30 جويلية 1885:

« أجناس سامية ! ... أجناس سفلى ! هذا ما يقال ! أما أنا فلقد سئمت هذه الأقوال منذ أن رأيت علماء ألمان يبينون علميا أن فرنسا محكوم عليها بالهزيمة في حربها ضد ألمانيا[2] لأن الفرنسي هو من سلالة دون سلالة الألماني. فلا نحاول تقديم العنف تحت غطاء الحضارة نفاقا. فعمليات الاحتلال التي تمجدونها إنما هي ببساطة استعمال في غير محله للقوة التي وفرتها الحضارة العلمية ضدّ حضارات أقل تطورا »

ورد بالموقع السابق

1 - Georges Clemenceau : نائب في البرلمان الفرنسي منذ 1870 وهو ينتمي إلى أقصى اليسار الفرنسي.

2 - المقصود بها الحرب بين فرنسا و ألمانيا سنة 1870.

التعليمات

1 – صنف عوامل التوسع الاستعماري في القرنXIX وبداية القرن XX وحلل كل واحد منها.

2 – بين طبيعة الإمكانيات التي سخرتها أوروبا لتحقيق هذا التوسع.

النشاط الثاني: أحدد خصائص التنافس بين القوى الاستعمارية على اقتسام العالم.

الموارد :

الوثيقة 9 : مقطتفات مما كتبه السياسي الفرنسي جول فرّي عام 1890 :

«إنها حركة لا تقاوم تلك التي دفعت الدول الأوروبية العظمى إلى استعمار أراض جديدة. فقد كانت أوروبا منغلقة على نفسها من 1815م إلى 1850م، أما اليوم فيتم إلحاق قارات بأسرها. فالسياسة الاستعمارية تعبير دولي عن قوانين المنافسة».

ورد في كتاب "انتصاب الحماية بتونس" لعلي المحجوبي. ص 171-172

الوثيقة 10

يحتاج كل شعب لأرض ينشط فيها، ولأرض يتغذى منها. و لا يوجد أي شعب أحوج من الشعب الألماني لذلك. فهو يتكاثر بسرعة وأصبح ضيق المقام القديم الذي يسكنه خطيرا. فإذا لم نتحصل في القريب على أراض جديدة فإننا سائرون لا محالة إلى كارثة مرعبة. لا يهم إن كانت في البرازيل، في سيبيريا، في الأناضول أو جنوب إفريقيا ! المهم أن يكون بمقدورنا التحرك بكل حرية وبطاقة متجددة، وأن نستطيع إهداء أبنائنا من جديد، نورا وهواء من نوعية جيدة وبكمّيات وفيرة.

البريخت وورث Albrect wirth في جريدة Der Geschischter سنة 1904

معطيات مكمّلة

أهمّ الأزمات النّاتجة عن التّنافس الاستعماري

أزمة فاشودا بين فرنسا وبريطانيا 1898 - 1899

– سعي فرنسا إلى بسط استعمارها من غرب إفريقيا إلى جيبوتي مستعمرتها في شرق القارة.
– سعي إنقلترا إلى بسط استعمارها على إفريقيا الشرقية من مصر إلى الكاب.
⟵ انطلاق بعثة عسكرية فرنسية يقودها مارشان Marchand من الكونغو و احتلال فاشودا بالسودان هدّد مصالح انقلترا فقررت إرسال الجنرال كيتشنار Kichener من مصر إلى السودان مما ينذر باندلاع حرب.
– فرنسا تقرر الانسحاب

ازمة المغرب الأقصى بين فرنسا و ألمانيا:

– المغرب الأقصى من البلدان القليلة التي لم تستعمر في بداية القرن العشرين مما جعل ألمانيا توجه أنظارها إليه بينما تسعى فرنسا إلى استعماره دعما لوجودها بشمال افريقيا ⟵ اندلاع أزمتين
* الأزمة الأولى : قدّم الإمبراطور الألماني غليوم II نفسه كمدافع عن استقلال المغرب أثناء توقف له بطنجة في سنة 1905 مما يضرّ بأطماع فرنسا.
* الأزمة الثانية : ارسلت فرنسا قواتها إلى المغرب بدعوى أن السلطان قد استنجد بها لمواجهة ثورات داخلية فأرسلت ألمانيا بدورها بارجة حربية إلى عرض سواحل أغادير سنة 1911 وانتهت الأزمة بعملية مقايضة بين الطرفين: المغرب لفرنسا والكونغو لألمانيا.

ازمة منشوريا بين روسيا و اليابان :

سعت روسيا إلى بسط نفوذها على منشوريا بعد أن أنهت غزو سيبيريا بينما يطمح اليابان، و قد حقق نهضته، إلى التوسع فيها. آل هذا التنافس إلى اندلاع حرب بينهما في 1904 و1905 وقد انتصر فيها اليابان.

الوثيقة 11 : التّنافس الاستعماري حول المغرب الأقصى.



رسم كاريكاتوري عن جريدة "الضحك" الفرنسيّة

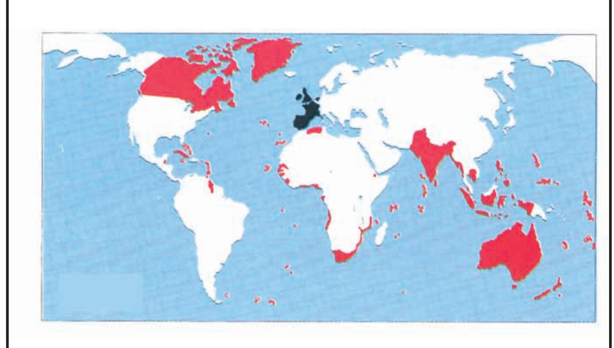
الوثيقة 12

مقتطفات من ديباجة الميثاق الذي صادق عليه المشاركون في ندوة برلين يوم 26 فيفري 1885 :

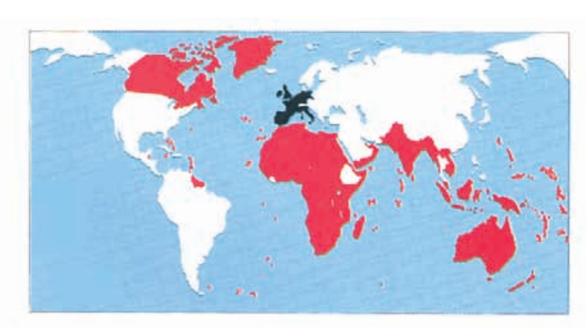
"رغبة منهم في ايجاد أفضل الظروف لتنمية التجارة و نشر الحضارة في بعض المناطق الإفريقية بروح من التفاهم المتبادل، و حرصا منهم على توفير ايجابيات حرية الملاحة لكل الشعوب على أهم نهرين إفريقيين يصبان في المحيط الاطلسي*، ورغبة منهم في تفادي ما قد يحدث من خلافات نتيجة امتلاك مناطق جديدة على السواحل الإفريقية قرروا عقد ندوة برلين...

(*) – هما نهرا الكونغو والنيجر

الوثيقة 13 : التّوسّع الاستعماري في العالم قبل ندوة برلين وبعدها.



1875



1914

الوثيقة 14 : اقتسام إفريقيا وآسيا



أعوان فرنسيون وألمان يضبطون حدود الممتلكات الاستعماريّة لبلديهما في الكونغو.
عن Le Petit Journal ليوم 9 نوفمبر 1913



صورة لغلاف كتاب صدر سنة 1901 وفيه دعوة لغزو آسيا.

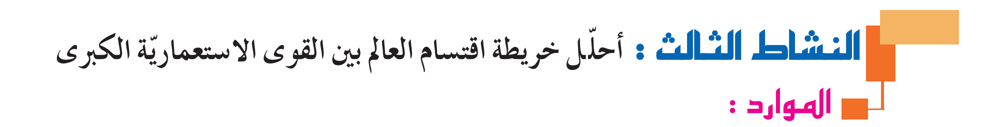
الوثيقة 15: أهمّ مراحل التوسّع الاستعماري

التاريخ	الحدث
1914 :	اندلاع الحرب العالميّة الأولى
1912 :	انتصاب الحماية الفرنسيّة على المغرب الأقصى
1911 – 1912	الأزمة الفرنسيّة الألمانيّة الثّانية حول المغرب الأقصى
1911 – 1912	الاحتلال الإيطالي لليبيا
1910	احتلال اليابان لكوريا
1905 – 1906	الأزمة الفرنسيّة الألمانيّة الأولى حول المغرب الأقصى
1904 – 1905	انتصار اليابان في الحرب مع روسيا
1899	سيطرة فرنسا على الصّحراء الكبرى
1894 - 1896	الاحتلال الفرنسي لمدغشقر
1894 - 1895	انتصار اليابان في الحرب مع الصّين
1890	الاحتلال الإيطالي لإرتريا والصّومال
1885	ندوة برلين
1884	تكوين المستعمرات الألمانيّة بإفريقيا جنوب الصحراء (الطوغو، الكمرون، إفريقيا الجنوبيّة الغربيّة)
1882	الاحتلال البريطاني لمصر
1881	انتصاب الحماية الفرنسيّة على تونس
1878	موئتمر برلين
1869	فتح قناة السّويس للملاحة
1830	الاحتلال الفرنسي للجزائر

التعليمات

1 – حدد أسباب تصاعد التنافس بين القوى الاستعمارية الكبرى في أواخر القرن XIX وبداية القرن XX و ابرز أهم أزماته.

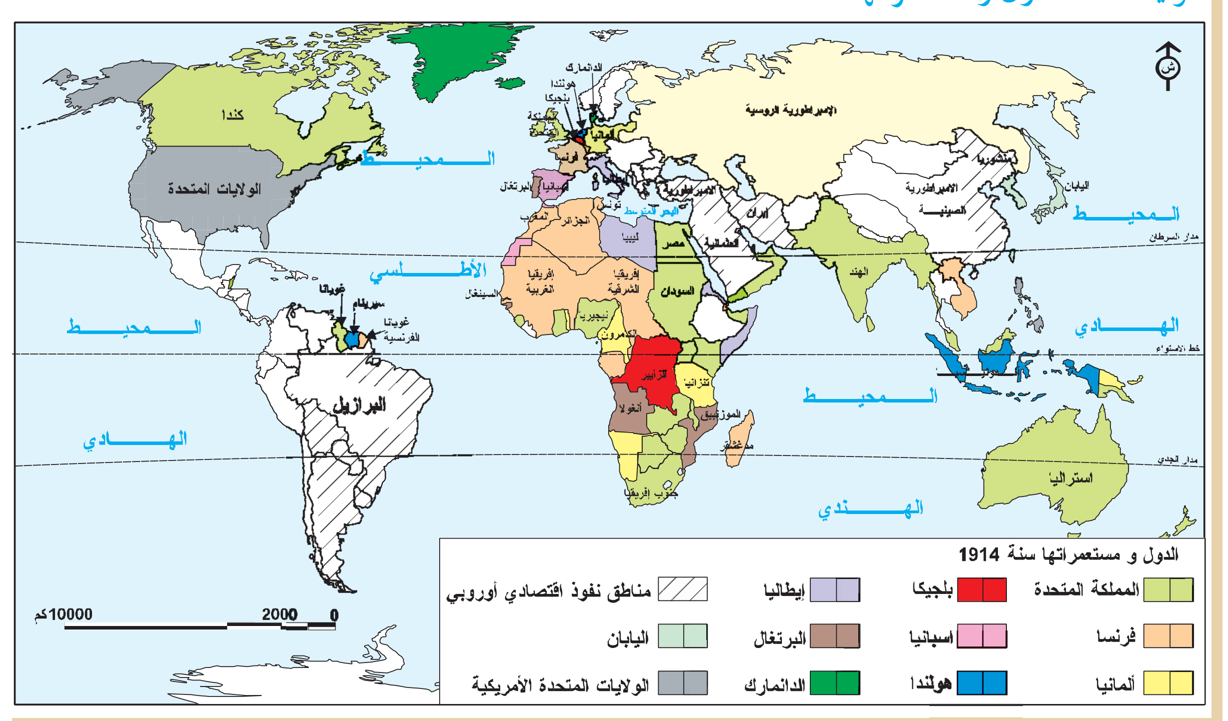
2 – حلل تأثير ندوة برلين على الحركة الاستعمارية.



النشاط الثالث : أحلّل خريطة اقتسام العالم بين القوى الاستعماريّة الكبرى

الموارد :

الوثيقة 16 : الدّول ومستعمراتها سنة 1914



الوثيقة 17 الاستعمار الأوروبي في العالم

	مساحة (مليون كلم ^{2})	٪ من اليابسة	السكان (مليون نسمة)	٪ من سكان العالم
1830	8,2	6	205.6	18,4
1880	24,5	18	312,3	21,7
1913	53,2	39,1	554,1	30,5

عن الكتاب المدرسي الفرنسي التّاريخ للأقسام النّهائيّة، هاتيي 2004، ص 100

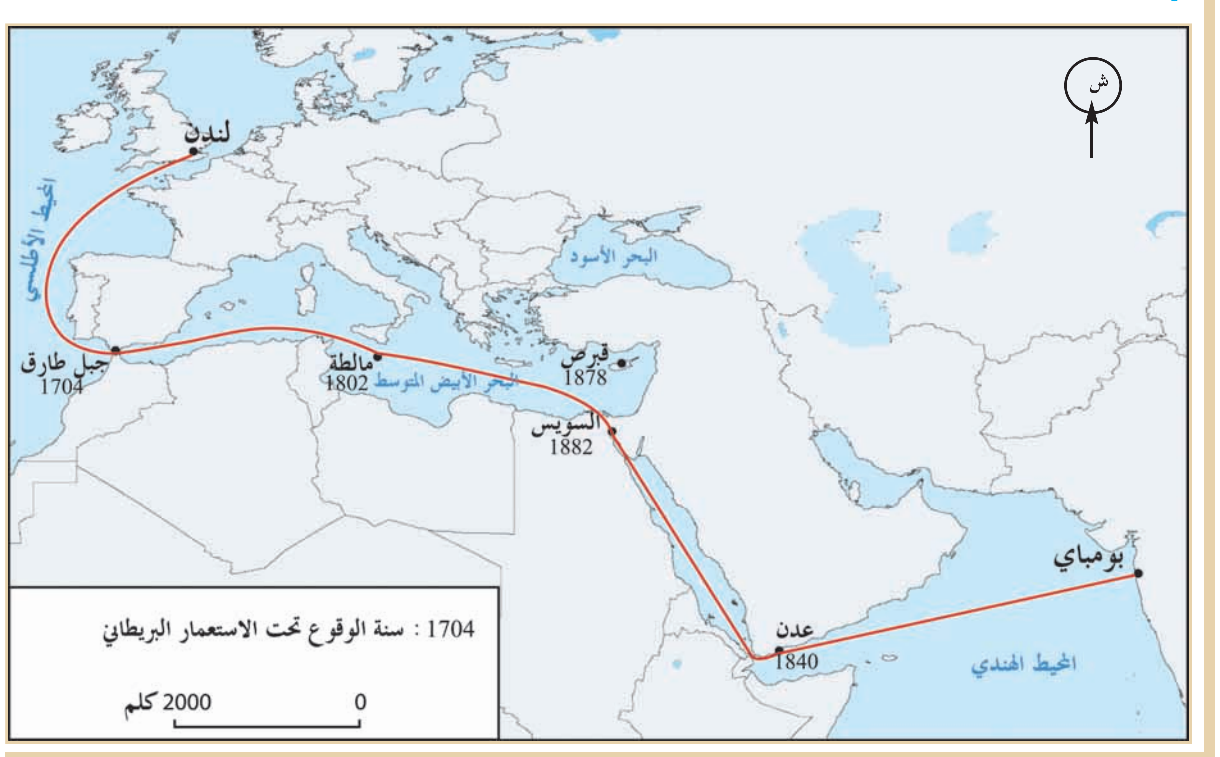
الوثيقة 18 التوسّع الاستعماري لبعض الدّول الأوروبيّة الكبرى في 1914

القوى الاستعمارية	المستعمرات			
	سنة 1876		سنة 1914	
	المساحة (مليون كلم²)	السكان (مليون نسمة)	المساحة (مليون كلم²)	السكان (مليون نسمة)
إنقلترا	22,5	251,9	33,5	393,5
فرنسا	0,9	6	10,6	55,5
ألمانيا	-	-	2,9	12,3

عن لينين (*)، الإمبريالية أعلى مراحل الرأسمالية

(*) ماركسي الإتجاه، قاد الثورة البلشفية في روسيا سنة 1917.

الوثيقة 19 : الطّريق البحريّة الرّابطة بين لندن والهند "جوهرة" الإمبراطوريّة البريطانيّة



معطيات مكمّلة

الاستعمار البريطاني

الطابع المميز: بعض المرونة وسياسة تشريك نسبية للأهالي في التسيير.

أنواع المستعمرات :

* ممتلكات الحكم الذاتي أو"دومينيون" Dominions : مستعمرات استيطانية تحصلت تدريجيا على الحكم الذاتي مثل كندا...

* مستعمرات التاج البريطاني: يعود أغلبها بالنظر إلى وزارة المستعمرات ومنها :

– ممتلكات ذات الإدارة المباشرة

– محميات

– مستعمرات ذات الحكم الذاتي المحدود

* مستعمرات تسيرها شركات تجارية حتى أواخر القرن XIX

الاستعمار الفرنسي

الطابع المميز: مركزيّة قويّة وسياسة ظاهريّة لدمج السّكّان.

أنواع المستعمرات :

* المستعمرات : تمثّل الأغلبيّة مثل إفريقيا الغربيّة وتشرف عليها وزارة المستعمرات.

* الجزائر : اعتبرتها فرنسا ولاية تتبع وزارة الداخليّة الفرنسيّة.

* المحميّات تتبع نظريّا وزارة الخارجيّة لكن عمليّا يتبع أغلبها وزارة المستعمرات.

الوثيقة 20 : من قصيدة كتبها الشاعر الغاني الحاج عمر سنة 1875 :

«إن شمس الكارثة قد بزغت من الغرب،
تحتضن البشر والأراضي المسكونة.
إن النكبة المسيحية قد أصابتنا
مثل غيم من الأتربة.
في البداية قدموا.
سلميا، وبكلام معسول وحلو.
"جئنا للتجارة، يقولون،
لإصلاح معتقدات السّكّان،
للقضاء على القمع و السرقة في هذا العا لم،
لهزم الفساد و القضاء عليه".
و لم نفهم كلنا نواياهم.
وها نحن الآن أتباعهم.
فقد أغرونا بهدايا صغيرة.
ولقد غذونا بأشياء طيبة
إلاّ أنهم قد غيروا لهجتهم».

ورد في كتاب القرن XIX و جذوره لجاك بويون و معاونوه، التاريخ2، بورداس، باريس 1981 ص 347

معطيات مكمّلة

حزب المؤتمر : حزب نشأ بالهند سنة 1885 وقاد النّضال الوطني ضدّ الاستعمار البريطاني.

التعليمات

1 – ابرز ملامح الخريطة السياسية الجديدة التي رسمها الاستعمار لكل من إفريقيا و آسيا.

2 – قارن بين الامبراطوريتين البريطانية و الفرنسية في بداية القرن xx .

المقدمة

بدأت أوروبا تتوسع على حساب القارات الأخرى منذ القرن XVI إلا أن هذا التوسع تسارع نسقه وأخذ أبعادا خطيرة منذ أواخر القرن XIX وبداية القرنXX. فقد مثلت التحولات العميقة التي عرفتها أوروبا آنذاك ظرفية ملائمة لهذه الحركة. فتسابقت القوى الاستعمارية الكبرى وتنافست على اقتسام العالم وتركز صراعها على إفريقيا وآسيا.

I - الظرفيّة الملائمة

حرّكت الأوروبيين رغبة كبيرة في التوسع الاستعماري فسخروا لتحقيقها ما توفر لهم من إمكانات كبيرة و متنوعة.

1 – الرغبة في التوسع | الوثائق من 1 إلى 6 |

أ – العوامل الاقتصادية : عرفت أوروبا نموا اقتصاديا سريعا في القرنXIX جعل الرأسمالية تبلغ في تطورها المرحلة الصناعية و المالية أو المرحلة الإمبريالية فتولدت عن ذلك حاجات وسلوكات جديدة.

* البحث عن أسواق لترويج الإنتاج: هزت الأزمة الاقتصادية الكبرى الاقتصاديات الأوروبية ما بين 1873 و 1895 فتقلص الطلب وتضخم الإنتاج و شعر الصناعيون بحاجة ماسة إلى أسواق خارجية يروجون فيها إنتاجهم دون منافسة. وتواصلت هذه الحاجة بين 1895 و1914 على الرغم من تحول الظرفية الاقتصادية إلى طور الانتعاشة.

* البحث عن مجالات لاستثمار رؤوس الأموال: لقد أثرت أوروبا نتيجة الازدهار الاقتصادي الّذي وفر لها فوائض مالية هامة إلا أن عملية توظيفها توظيفا مربحا في الداخل أصبحت صعبة مما دفع إلى البحث عن مجالات خارجية لاستثمارها.

* البحث عن المواد الأولية: وهي مواد منجمية أو فلاحية تستجيب لحاجات الصناعة المتنامية آنذاك لدى القوى الاستعمارية.

ب – العوامل الاجتماعية: عرفت البلدان الصناعية باستثناء فرنسا نموا سكانيا سريعا في القرن XIX مما استوجب توطين الفائض البشري في المستعمرات للتخفيف من الضغوط الديمغرافية وما تسببه من مشاكل مثل البطالة و غيرها.

ج – العوامل السياسية والاستراتيجية والعسكرية: اعتبر غلاة الاستعمار امتداد الامبراطوريات مقياسا لعظمة الأمم ولإشعاع الدولة القومية ووسيلة لهيمنتها العالمية كما عدوا السّيطرة على المواقع الإستراتيجية والتحكم في طرق المواصلات وضمان موارد لانتداب الجنود من الأهداف الهامة التي تقود إلى التوسع الاستعماري. ومن أبرز هؤلاء الغلاة جول فيري في فرنسا و تشمبرلاين في إنقلترا وغليوم II في ألمانيا.

د – العوامل الدينية : تتمثل في نشر الديانة المسيحية عن طريق الإرساليات والبعثات التبشيرية.

ه – الادعاءات الحضارية: تهدف إلى تبرير الاستعمار مضفية عليه طابعا إنسانيا. ويؤمن دعاتها بـ"تفوق الرجل الأبيض" الذي ينبغي عليه "حمل رسالة تمدين ثقيلة" تجاه الأجناس الأخرى بنشر التعليم مثلا ومقاومة الأوبئة والأمراض و إلغاء الرق....

2- **توفر الإمكانات** | الوثيقتان 7 و 8 |

امتلكت أوروبا عدة إمكانات ساعدتها علي تحقيق أهدافها التوسعية ومن أبرزها:

أ - التفوق التكنولوجي والعلمي: شجعت النجاحات المسجلة في صناعة الأسلحة وفي الميدان الطبي الأوروبيين على التوغل في مجالات صعب عليهم دخولها قبل ذلك. كما سهل التطور الذي عرفته وسائل النقل و المواصلات عملية الوصول إلي المناطق البعيدة.

ب- توفر معلومات عن المناطق المستهدفة بالاستعمار: استفادت الأوساط الاستعمارية من معلومات تعرّف ببعض المناطق التي يقع التخطيط لاحتلالها وتبرز ما تزخر به من إمكانات مغرية. وقد وفرتها عدة أطراف سبقتها إلي زيارتها واستكشافها. وتتألف هذه الأطراف أساسا من الرحالة والمستكشفين مثل ستانلي Stanley والجمعيات الجغرافية مثل الجمعية الألمانية للدراسات الإفريقية ومن البعثات التبشيرية.

ج- تأييد جانب كبير من الرأي العام: وقع إقناع جانب هام من الرأي العام الأوروبي وكسبه لتأييد الحركة الاستعمارية بحملات ركز دعاتها، أفرادا وجمعيات، على وجاهة الاستعمار. و لم تقدر الدعاية المضادة التي كان يقوم بها المعارضون على مواجهة هذا التيار.

هكذا خدمت الظروف التوسع الاستعماري و فتحت الباب أمام عملية تنافس كبيرة بين القوى الاستعمارية على اقتسام العالم.

II - التنافس بين القوى الاستعمارية :

بدأ هذا التنافس محدودا ثم استفحل مع نهاية القرن XIX و تخلله عقد ندوة برلين.

1 ـ **التنافس المحدود** | الوثيقتان 9 و 15 |

عادت حركة الاستعمار الاوروبي إلى الظهور من جديد منذ بداية القرنXIX و كانت في شكل عمليات متفرقة زمنيا و مجاليا. و قد قامت بها كل من بريطانيا و فرنسا أساسا و على حساب قارتي إفريقيا و آسيا ، إلا أن هذا التوسع لم يثر تنافسا كبيرا بين القوى الاستعمارية آنذاك ويعود ذلك إلى :

-توفر مجالات واسعة للتوسع.

-قلة الأطراف المعنية بالاستعمار لعدة أسباب منها معارضة الاقتصاديين الليبراليين وأنصار حقوق الانسان .

-التأييد الذي وجدته السياسة الاستعمارية الفرنسية من ألمانيا قبل ثمانينات القرن XIX إذ شجع بيسمارك مستشار ألمانيا فرنسا مثلا على احتلال تونس إبّان مؤتمر برلين لسنة **1878** حتى يصرف أنظارها عن المطالبة باستعادة الالزاس و اللّورين إلا أن هذا الوضع تغير في ثمانينات القرن XIX .

2 ـ **احتداد التنافس على اقتسام العالم و أزماته** | الوثائق 10 و11 و 15 |

بدأت مجالات التوسع الاستعماري تتقلص شيئا فشيئا وزاد عدد الأطراف الطامعة فيها من أوروبا ومن خارجها. اذ التحقت قوى اقتصادية جديدة ذات أطماع توسعية كبيرة بالقوى القديمة و تعتبر ألمانيا أبرزها فتسارعت حركة التوسع الاستعماري و أشتد التنافس و اتسع مجاله و تعددت أزماته.

● التنافس الفرنسي الإنقليزي حول فاشودا بالسودان : تضاربت مصالح الطرفين و تقاطعت بالسودان. وكادت المواجهة العسكرية أن تحدث بينهما سنتي 1898 و1899.

● التنافس الفرنسي الألماني حول المغرب الأقصى : آل إلى أزمتين خطيرتين، الأولى بطنجة سنة 1905 و الثانية بأغادير سنة 1911 ووقع تجاوز الخلاف بعملية مقايضة يكون بمقتضاها المغرب الأقصى من نصيب فرنسا والكونغو من نصيب ألمانيا.

● التنافس الرّوسي الياباني حول منشوريا بالصين: أدى هذا التنافس إلى اندلاع حرب بين الطرفين في 1904 و 1905 . وقد انتصر فيها اليابانيون.

وفي الجملة سوّيت أغلب الأزمات سلميا اعتمادا على سياسة التعويضات والمقايضة أساسا، وعقدت لهذا الغرض ندوات لتسوية المشاكل التي يطرحها التوسع الاستعماري وأهمها ندوة برلين .

3 ـ **ندوة برلين** : 1884 – 1885 | الوثائق : من 12 إلى 15 |

أصبحت إفريقيا جنوب الصحراء مجالا للتنافس بين الدول الاستعمارية الأوروبية بعد أن تمكن ستانلي من اكتشاف نهر الكونغو. و تزايدت مخاطر اندلاع النزاعات. فنظم بيسمارك ندوة برلين لتسوية الخلافات انبثق عنها ميثاق أهم ما ورد فيه :

– إقامة دولة بالكونغو يحكمها ملك البلجيكيين ليوبولدII .
– ضمان حرية التجارة في حوض نهري الكونغو و النيجر.
– ضبط الشروط التي تنظم مستقبلا احتلال المناطق التي مازالت شاغرة.

تعتبر ندوة برلين ثمرة من ثمرات الديبلوماسية الأوروبية في تكالبها للسيطرة على القارة الإفريقية وبداية لموجة استعمارية ضخمة أصبحت فيها يد القوى الكبرى طليقة في رسم خريطة جديدة تقتسم بموجبها قارات كاملة حسب مصالحها.

III - خريطة اقتسام العالم :

استحوذ المستعمرون على أجزاء واسعة من العالم قدرت بحوالي 40 ٪ من اليابسة والثلث من سكانها. مما أدى إلى تغيير الخريطة السياسية للقارات وبخاصة منها إفريقيا وآسيا وإلى بروز توازن جديد بين الامبراطوريات.

1 – **خريطة سياسية جديدة لإفريقيا وآسيا** | الوثيقتان 16 و 17 |

تفاوت امتداد التوسع الاستعماري حسب القارات وتركز أساسا على إفريقيا وآسيا.

* **إفريقيا** : تعتبر هذه القارة المجال المبجل للتوسع الاستعماري. فقد تكالبت عليها قوى استعمارية أوروبية عديدة تمكنت من اقتطاع حوالي 90 ٪ من أراضيها واقتسامها. وسقطت مناطقها الواحدة تلو الأخرى . و لم تصمد في هذه الفترة إلا دولتان أولهما الحبشة وقد واصلت مقاومة الخطر الإيطالي المتربص بها، وثانيهما ليبيريا. وأصبحت خريطة إفريقيا مجزأة إلى فسيفساء من مستعمرات تفصل بينها حدود جديدة مصطنعة ساومت عليها الدول الأوروبية دون مراعاة لواقع القارة ولا لتوزيع السكان داخلها. وبهذه الصفة لم يسبق أن وقع نهب الموارد البشرية والطبيعية لقارة مثلما وقع لإفريقيا.

* **آسيا** : اكتسى الاستعمار فيها طابعا مميزا نظرا لخصوصياتها التاريخية والديمغرافية . فقد تهافتت على عدة مناطق منها قوى استعمارية بعضها دخيل قدم أساسا من أوروبا مثل إنقلترا وفرنسا، وبعضها الأخر محلي ينتمي إلى القارة ذاتها مثل اليابان . و لم يكن الاقتسام الاستعماري شاملا لكل القارة إذ اقتصر على بعض أجزائها وتركز أساسا على الواجهة الجنوبية نظرا لوزنها الديمغرافي والاقتصادي والاستراتيجي، وكان هذا الاقتسام

متفاوتا بين القوى الاستعمارية، فقد استأثرت بريطانيا مثلا بالنصيب الأوفر منه بينما كان حضور الأطراف الاخرى محدودا. أما الامبراطوريات الآسياوية ذات الحضارات العريقة والاقتصاديات المتخلفة مثل الدولة العثمانية وبلاد فارس والصين فقد أصبحت بدورها مستهدفة في بعض أجزائها للأطماع الاستعمارية المحاصرة لها وبدأ مجال كل منها يتآكل مثلما كان الشأن بالنسبة إلى الصين.

2 – الامبراطوريات الاستعمارية الوثيقتان 18 و 19

تعددت الامبراطوريات الاستعمارية وتنوعت أوضاع المستعمرات فيها وتعتبر الامبراطوريتان الإنقليزية والفرنسية أكبرها .

أ– الامبراطورية البريطانية : هي الأولى في العالم من حيث المساحة و عدد السكان فهي تغطي حوالي 30 مليون كلم² وتضم حوالي 400 مليون ساكن. و تمتد في كل القارات ف" شمس الامبراطورية البريطانية لا تغيب" إذ هي تتركب من أنواع عديدة من الأراضي :

* المستعمرات الاستيطانية : يقطنها سكان من أصل اوروبي أساسا. ويتوزع أغلبها في العالم الجديد مثل كندا واستراليا وزيلندة الجديدة و اتحاد جنوب إفريقيا ... وقد تمتعت تدريجيا بوضع "دومينيون" (Dominions) .

* بقية المستعمرات : تمثل الأغلبية وتتصدرها الهند "جوهرة" المنظومة الاستعمارية، تليها بقية المستعمرات وتمتد أساسا في إفريقيا الشرقية بين الكاب ومصر وفي مراكز الارتكاز الاستراتجية وخاصة تلك التي توجد في طريق الهند مثل جبل طارق و مالطة و قناة السويس ...

ب– الامبراطورية الفرنسية : تمثل ثاني أكبر امبراطورية ، وتمسح حوالي 11 مليون كلم² وتضم حوالي 48 مليون ساكنا وتتألف أساسا من كتلتين كبيرتين :

– الكتلة الأولى وهي الأوسع و تشمل:
* إفريقيا الشمالية (الجزائر،تونس، المغرب الأقصى).
* إفريقيا الغربية والاستوائية (السينغال، الغابون ...) .

– الكتلة الثانية : أقل اتساعا وتتكون من الهند الصينية (كمبوديا ، كوشنشين ، طونكان ...).

ج– القوى الاستعمارية الاخرى : و هي عديد ة وأهمها :

ألمانيا : تحتل مجالات ضيقة في افريقيا السوداء ولها فيها 4 مستعمرات (الطوغو و الكامرون ومنطقة جنوب غرب افريقيا وطانجانيكا).

ايطاليا : استعمرت طرابلس واريتريا و شمال الصومال.

هولندا : تحتل الهند الشرقية (أندونيسيا حاليا) مع بعض المراكز القريبة منها

بلجيكا : تمتلك أجزاء واسعة من الكو نغو.

البرتغال : احتفظ ببعض المواقع منذ عهد الاكتشافات الكبرى مثل أنغولا.

روسيا القيصرية : واصلت توسعها على أجزاء واسعة من قارة آسيا.

اليابان : بدأ يتوسع داخل القارة الآسياوية فقد انتصر على روسيا في 1904-1905 وفرض عليها اقتسام منشوريا .

تعكس خريطة اقتسام العالم تنوع القوى الاستعمارية والمستعمرات الشئ الذي كان له الأثر الواضح على أشكال الاستعمار وعلى أنظمته. فقد مالت بريطانيا إلى سياسة اتسمت ببعض المرونة راعت فيها الأوضاع الخاصة للمستعمرات، وأقدمت على منح نوع من الحكم الذاتي للمستعمرات الإستيطانية و على العكس من ذلك فقد مالت فرنسا إلى انتهاج سياسة مركزية قوية من أهدافها دمج سكان المستعمرات في صلب الامبراطورية الفرنسية و لو ظاهريا لكن دون أن تمنح حق المواطنة الفرنسية فعليا إلاّ لأقليّة تنتقيها من الموالين لها.

خاتمة : الوثيقة 20

تهافتت القوى الاستعمارية الكبرى و خاصة منها الأوروبية على السيطرة على قارات كاملة واقتسامها فيما بينها و استغلتها أسوأ استغلال، وهي التي جاءت كما تدّعي، للنهوض بها وتمدينها. وقد واجه الحضور الاستعماري في هذه الفترة رفضا اكتسى طابع المقاومة المسلحة أحيانا إلا أن جذوة هذه المقاومة قد انطفأت بسرعة لعدم تكافئ القوى بين الطرفين وحلت محلها حركات وطنية تقودها أحزاب منظمة مثلما هو الشأن في الهند مع حزب المؤتمر منذ سنة 1885.

دراسة وثائق تاريخيّة

تتنوّع الوثائق المعتمدة في دراسة التاريخ : النص التاريخي، الجدول الإحصائي، الصور، الرسوم، الخريطة التاريخية، السلّم الزمني ...

وتوظّف هذه الوثائق المختلفة لدراسة وتحليل الأحداث والظواهر التاريخية بأبعادها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية باعتماد منهج واضح ومنظّم وبممارسة الفكر النقدي.

ويمكن أن يتراوح عدد الوثائق المقترحة للدرس بين 2 و 5.

I - منهجية دراسة الوثائق :

1 – التقديم :

* تقديم الوثائق : تحديد موضوعها العام .
– تقديمها تباعا بتحديد نوعيتها والتعريف بصاحبها أو أطرافها (معاهدة أو اتفاقية) وذكر مصدرها.
* وضع الوثائق في إطارها التاريخي (الظروف المحيطة بأحداثها) .
* تحديد الأفكار الأساسية الواردة بالوثائق (الإعلان عن عناصر الدراسة حسب الأسئلة المرافقة).

2 – الدراسة : الإجابة المسترسلة على الأسئلة :

– وتستوجب تعبئة المعارف التاريخية الضرورية لدراسة الإشكاليات المطروحة.

*** ما يجب احترامه في هذه المرحلة :**

– الانطلاق من الوثائق وحسن استغلال معطياتها.
– حسن توظيف المعارف التاريخية المدروسة.
– توخي التفكير النقدي إزاء الوثائق .
– حسن التخلص والربط بين الأجزاء المكونة للدراسة.

*** ما يجب تجنبه :**

– سلخ الوثائق، أي الاقتصار على محاكاة ما ورد بها بالنّسبة إلى النّصوص أو إعادة صياغة معطياتها بصفة سطحية بالنّسبة للجداول، الخرائط، الصور والرسوم.
– عدم الارتباط بالوثائق وتحويل الموضوع إلى مجرد مقالة تاريخية.

3 – الخاتمة :

– إبراز القيمة التاريخية للوثائق بتقييم ثرائها وموضوعيّتها.
– فتح آفاق.

II - مراحل الإنجاز :

1 – مرحلة التهيئة :

– قراءة أولية للوثائق والأسئلة المصاحبة لأخذ فكرة إجمالية حولها.

– قراءة متأنّية للوثائق مع تسطير العبارات والإشارات البارزة، وفي نفس الوقت استعمال مسودّة أولى تقسّم عموديا إلى جزأين :

– يستغلّ الجزء الأول لتسجيل الأفكار أو القضايا الواردة بالوثائق والجزء الثاني لتسجيل المعطيات التاريخية الّتي ستوظّف في دراسة الإشكاليات المطروحة.

2 – مرحلة التنظيم والتخطيط :

– تنظيم الأفكار الأساسية والمعطيات وترتيبها وفق تخطيط مفصّل .

– استعمال مسودّة ثانية لتحرير المقدمة والخاتمة.

3 – مرحلة التحرير :

– التحرير النهائي مع احترام التنظيم المنطقي وحسن التخلص والربط.

– قراءة أخيرة للعمل المنجز وإصلاح الأخطاء المعرفية واللغوية.

III - مقترح تطبيقي :

الوثيقة عدد 1

عمال النسيج

"تبيّن حسب تقرير حول الشركة الصناعية بملوز* بأنّ يوم العمل بقطاع النسيج يتواصل عاديا بين 13 و 14 ساعة بالنسبة للأطفال والكهول على حدّ السواء...إنّهم يمكثون يوميا 16 أو 17 ساعة وقوفا، منها 13 ساعة على الأقل داخل غرف مغلقة ثابتين في نفس المكان وعلى نفس الحال. فهذا لا يمثّل شغلا أو مهمّة ، بل تعذيبا يسلّط على أطفال تتراوح أعمارهم بين 6 و 8 سنوات ، يعانون من سوء التغذية ويرتدون ملابس رثّة ، إنّهم مجبرون ومنذ الخامسة صباحا على قطع مسافة طويلة للوصول إلى المصانع، وممّا يزيدهم إرهاقا، قطع نفس المسافة للعودة في المساء . فكيف يمكن لهؤلاء التعساء مقاومة هذا التعب والبؤس الّذي يدمّر صحّتهم ..."

لويس فيلرمي[1]، لوحة عن الحالة الجسدية والمعنوية للعمال،ص 48، باريس 1840

* ملوز : مدينة صناعيّة (نسيج) بشمال شرق فرنسا

(1) لويس فيلرمي : طبيب فرنسي (1788 ـ 1863) اهتمّ بأوضاع العمّال.

الوثيقة عدد 2 : **رسم لحيّ عمّالي بلندن سنة 1878**



المصدر : مجموعة مانسال

الوثيقة عدد 3

مقتطفات من ميثاق أميان الصادر عن مؤتمر "الكنفدرالية العامّة للشّغل"بفرنسا'

"يستمرّ النّشاط النّقابي في مهمّته المطلبيّة اليوميّة، بتنسيق جهود العمّال من أجل الرّفع من مستوى عيشهم، وذلك بتحقيق تحسينات عاجلة كالتّخفيض في ساعات العمل والزّيادة في الأجور... ولا تمثّل هذه المهمّة إلاّ جانبا من أهداف العمل النّقابي والمتمثّلة في تهيئة العمّال للتّحرّر التّامّ الّذي لا يتحقّق إلاّ بانتزاع وسائل الإنتاج من الرّأسماليّة..."

عن المؤتمر التّاسع للكنفدرالية العامّة للشّغل، 13 أكتوبر 1906 .

أُدرس الوثائق مستعينا بالأسئلة التّالية :

1 – قدّم الوثائق

2 – بيّن انطلاق من الوثيقتين 1 و 2 ظروف عيش الطّبقة العمّاليّة في القرن التّاسع عشر.

3 – حدّد المطالب اليوميّة والهدف النّهائي للعمل النّقابى حسب الوثيقة عدد 3.

4 – عرّف من خلال الوثيقة الثالثة وما درست التّيّار الفكري السّياسي والنّقابي الّذي تستند إليه الكنفدرالية العامّة للشّغل.

المحور الخامس

النّهضة العربيّة الحديثة وتطوّر الإيالة التّونسيّة في القرن XIX

مقدمة:

بينما كان العالم الغربي يشهد حركيّة كبيرة أكسبته وسائل القوّة والهيمنة، كان الضّعف والوهن والانحطاط من أبرز خصائص العالم العربي الإسلامي وقد اكتشفت نخب هذا لأخير التّقدّم الأوروبي، فوعت بضرورة تجاوز واقع التّخلّف والضّعف لمواجهة التّحدّيات الاستعماريّة الأوروبيّة. ولقد انطلقت هذه النّخب من الإشكاليّة التّالية : لماذا تقدّم الغرب وتأخّر العرب ؟

وقد بادر بعض السّياسيّين بإصلاح الأوضاع في بلدانهم (مصر وتونس) في حين بلور ثلّة من المفكّرين آراء إصلاحيّة تباينت منطلقاتها واتّجاهاتها. لكن هذه المبادرات الإصلاحيّة لم تحلّ دون خضوع أغلب الأقطار العربيّة الإسلاميّة تباعا للنّفوذ الاستعماري الأوروبي المباشر قبيل 1914.

وفي هذا الإطار سيطرت فرنسا على البلاد التّونسيّة في 1881، لكنّها واجهت ردود فعل، اكتست في البداية طابعا مسلّحا، ثمّ تحوّلت إلى حركة سياسيّة استندت مرجعيّتها إلى الفكر الإصلاحي لما قبل الحماية.





بعض روّاد الإصلاح في البلاد العربيّة

النّهضة العربيّة الحديثة.

أزمة الإيالة التّونسيّة في القرن التّاسع عشر

محاولات الإصلاح

انتصاب الحماية الفرنسيّة على تونس وردود الفعل الأولى

بوادر الحركة الوطنيّة التّونسيّة إلى حدود 1914

الدّرس 19 النّهضة العربيّة الحديثة

المدخل

قال شيخ الأزهر حسن العطار(1766 ـ 1835)، أستاذ رفاعة الطهطاوي في مطلع القرن التاسع عشر: "**إن بلادنا لا بدّ أن تتغير أحوالها، ويتجدّد بها من المعارف ما ليس فيها**"، وبعد قرن من ذلك، أي في مطلع القرن العشرين، كتب الشيخ محمد عبده (1849 ـ 1905) أحد أبرز الدعاة إلى الإصلاح الديني: "**إنّ الحاكم، وإ ن وجبت طاعته، هو من البشر الذين يخطئون وتغلبهم شهواتهم وإنّه لا يردّه عن خطئه ولا يوقف طغيان شهوته إلاّ نصح الأمّة بالقول والفعل**"، وكتب في نفس الفترة فرح أنطون (1877 ـ 1922): "**لا مدنية حقيقية ولا عدل ولا تساهل بلا مساواة، ولا أ من ولا إ لفة ولا حرية ولا علم ولا فلسفة ولا تقدّ م في الداخل إلاّ بفصل السلطة المدنية عن السلطة الدينية**".

تضعنا هذه المقولات الثلاث أمام إشكالية النهضة العربية الحديثة وتجرّنا إلى طرح العديد من التساؤلات حولها.

النشاط الأول : أتعرّف جذور النهضة العربية الحديثة.

الموارد :

الوثيقة 1

أبرز المبادئ الوهابية

"...أمّا ما نحن عليه من الدين فعلى دين الإسلام.

وأمّا ما دعونا الناس إليه فندعوهم إلى التوحيد...وأمّا ما نهينا الناس عنه، نهيناهم عن الشّرك...وأمّا ما ذكرتم من حقيقة الاجتهاد فنحن مقلّدون الكتاب والسنّة وصالح سلف الأمّة، وما عليه الاعتماد من أقوال الأئمة الأربعة...وأمّا ما سألتم عنه من حقيقة الإيمان فهو التّصديق وأنّه يزيد بالأعمال الصالحة وينقص بضدّها...وما جئنا بشيء يخالف النقل ولا ينكره العقل ولكنهم يقولون ما لا يفعلون ونقول ما نفعل..."

مؤلفات محمد بن عبد الوهاب، القسم الخامس، نشر جامعة محمد بن سعود الإسلامية، ص 95/94

معطيات مكمّلة

محمد بن عبدالوهاب (1703 ـ 1791)، يصفه اتباعه على أنه أحد مجددي العصر الحديث بعدما شاعت البدع ومظاهر الشرك في الجزيرة العربية. وتنسب الحركة الوهابية في الجزيرة العربية إليه. نشأ في بيت محافظ في بلدة "العيينة" بجهة نجد (أين توجد مدينة الرياض). كان والده من قضاة نجد. تعلّم القرآن والفقه في سن مبكرة ثمّ قصد مكة المكرمة حيث درس العلوم الفقهية، واتجه بعدها إلى المدينة المنورة واستقر بها فترة من الزمن. وبعدها انتقل إلى العراق وبالتحديد إلى مدينة البصرة، ثم عاد إلى العيينة. بعد اطلاع بن عبدالوهاب على الأمور الفقهية وقياسها بالواقع، تبين له ابتعاد عامة الناس عن الطريق السوي بتعظيم السحر والشعوذة وزيارة القبور، وبناء الزوايا للأولياء الصالحين واعتبر كل ذلك شكلاً من أشكال الشرك. عمد ابن عبد الوهاب إلى مراسلة العلماء والساسة داعيا إياهم إلى مقاومة ما اعتبره إشراكا بالله. فاستجاب له بعض علماء اليمن ونجد ومكة المكرمة ورفض البعض الاخر. انتقل ابن عبدالوهاب من العيينة إلى مدينة الدرعية (قرب الرياض) حيث التقى الأمير محمد بن سعود الذي بايعه وعمل على تأييده وتبنّى نشر الدعوة الوهابية في كامل أنحاء شبه الجزيرة العربية.

من ويكيبيديا، الموسوعة الحرة www.wikipedia.org

التعليمة

– عرّف الحركة التي تشير إليها الوثائق مبرزا علاقتها بالنّهضة العربيّة.

الوثيقة 2

"...ومن أغرب ما رأيته في ذلك المكان[1] أنّ بعض المتقدّمين[2] لذلك أخذ زجاجة من زجاجات موضوع فيها بعض المياه المستخرجة، فصبّ منها شيئا في كأس، ثمّ صبّ عليها شيئا من زجاجة أخرى، فعلا الماءان، وصعد منه ماء ملوّن حتّى انقطع، وجفّ ما في الكأس وصار حجرا أصفر...ثمّ فعل كذلك بمياه أخرى فجمدت حجرا أزرق، وبأخرى فجمدت حجرا أحمر ياقوتيا. وأخذ مرّة شيئا قليلا جدّا من غبار أبيض وضربه بالمطرقة بلطف، فخرج له صوت هائل...انزعجنا منه...فضحكوا منّا".

عبد الرحمان الجبرتي[3]، عجائب الآثار في التراجم والأخبار، مطبعة بولاق، الجزء الرابع، ص351

(1) أحد المختبرات التي أنشأها العلماء الذين رافقوا نابليون في الحملة على مصر
(2) من العلماء المرافقين لحملة نابليون
(3) مؤرّخ مصري(1754 ـ 1825) وأحد شيوخ الأزهر. رصد أحداث حملة نابليون على مصر في كتابه عجائب الآثار...

الوثيقة 3

سيطرة الأوروبيّين على التّجارة المصريّة

ذكر فولناي Volney في كتابه "رحلة إلى سوريا" :
"إنّ هذه التجارة كلّها تتمّ دون أن يترتّب عليها الإفادة الكبيرة لثروة مصر ورغد الأمّة...وإنّه ليس عجبا بعد ذلك أن يتنازل المسلمون عن التجارة في بلادهم لمنافسيهم من التجّار الإفرنج..."

ورد في دي لا جونكيير De La Jonquiere، تاريخ الإمبراطورية العثمانية، ص 378

الوثيقة 4

التسرّب المالي الأوروبي إلى البلاد العربية

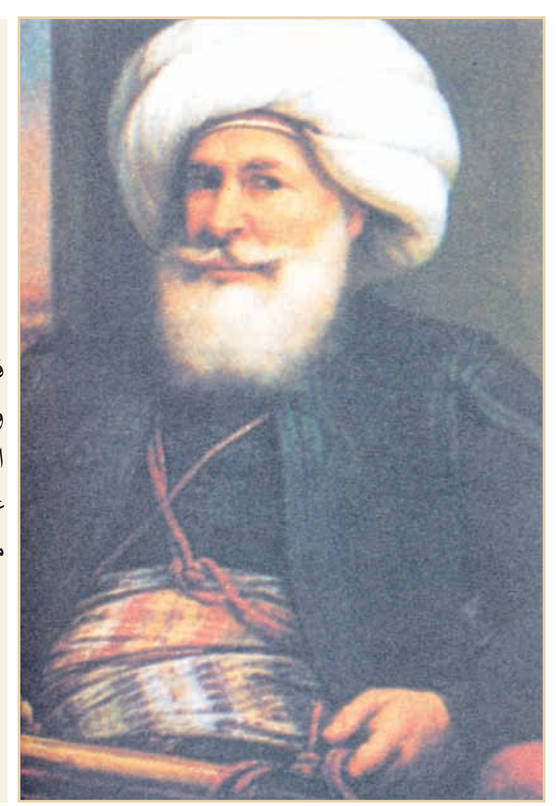
"لو كان بأيدينا قوّة مالية ذاتية لأمكننا أن نستردّ بها مصالح عزيزة علينا. يحزننا أن نبقى مضغة بيد الأجانب، مع أنّنا لو تآزرنا لكان نوال المراد رهن إرادتنا وما الذي يقعدنا عن السّعي وإنقاذ أرضنا؟ فهذا لا يكلّفنا إلاّ الاجتماع والتعاون لإنشاء شركات مالية (بنوك) تعنى بما لا يستطيعه الأفراد..."

جريدة التجارة، العدد 219 لـ 15 أفريل 1879

التعليمة

– حلّل من خلال الوثائق السابقة العوامل التي مهّدت للنهضة العربية الحديثة.

الوثيقة 5



محمد علي (1769 - 1849): ألباني الأصل، حكم مصر في الفترة (1805 - 1849)، أحس بالفارق بين المجتمع العربي والمجتمع الأوروبي فقام بإرسال بعثة إلى فرنسا من أجل الاستفادة من علوم و معارف الفرنسيين، شهدت مصر في عهده نهضة في كل الميادين. خطّط لبناء دولة عربية موحّدة لكن تحالف الدول الأوروبية ضدّه أفشل تجربته.

الوثيقة 6

إصلاحات محمّد علي

"...ومنها أنّ الباشا...قال إنّ من أولاد مصر نجابة وقابلية للمعارف فأمر ببناء مكتب بحوش السراية ورتّب فيه جملة من أولاد البلد ومماليك الباشا وجعل معلّمهم حسن أفندي...يقرّر لهم قواعد الحساب والهندسة وعلم المقادير والقياسات والارتفاعات...مع مشاركة شخص رومي يقال له روح الدين أفندي بل وأشخاصا من الإفرنج وأحضر لهم آلات هندسية متنوّعة من أشغال الإنقليز يأخذون بها الأبعاد والارتفاعات والمساحة ورتّب لهم شهريات وكساوي ...واستمرّوا على الاجتماع في هذا المكتب وسمّوه مهندس خانة[1] في كلّ يوم من الصباح إلى بعد الظهيرة...ويخرجون في بعض الأيام إلى الخلاء لتعليم مساحات الأراضي، وقياساتها...وهو الغرض المقصود للباشا..."

ومن المتجدّدات أيضا محلّ بخطة الربع يعمل به وتسبك أواني ودسوت من النحاس في غاية الكبر ...ومنها شغل البارود وصناعته بالمكان...ومكان أيضا بالقلعة...لسبك المدافع...وسمي ذلك المكان الطبخانة[2]...

ومنها أنّ الباشا وكّل أناسا لإصلاح (أراضيه) وتمهيدها وأن يحفروا بها جملة من السواقي...ويبنوا أبنية ومساكن ويزرعوا اشجار التوت لتربية دود القزّ وأشجارا كثيرة من الزيتون لعمل الصابون...

عبد الرحمان الجبرتي، عجائب الآثار، ج 4، ص 256/254

(1) مدرسة الهندسة

(2) دار صناعة المدافع

الوثيقة 7

إرسال البعثات إلى فرنسا

"قدوة الأماثل الكرام، الأفندية المقيمين في باريس لتحصيل العلوم والفنون...فإن أردتم أن تكسبوا رضاءنا فكلّ واحد منكم لا يفوّت دقيقة واحدة من غير تحصيل العلوم والفنون، وبعد ذلك كلّ واحد منكم يذكر ابتداءه وانتهاءه كلّ شهر ويبيّن زيادة على ذلك درجته في الهندسة والحساب والرسم. وما بقي عليه في خلاص هذه العلوم...وإن قصّرتم في الاجتهاد والغيرة فاكتبوا لنا سببه...حتى نفهم ما عندكم...وقد كتب هذا الأمر في ديوان مصر في مجلسنا في إسكندرية...في 5 ربيع الأول سنة 1245هـ (1829م)."

رفاعة رافع الطهطاوي، تخليص الإبريز في تلخيص باريز، الجزائر، 1971، ص 271/270

الوثيقة 8

مقتطف من خطّ شريف همايون (1856)

"...وقد أصدرنا (*) إرادتنا الملوكية هذه بإجراء الأمور الآتية الذّكر:
وهي اتّخاذ التدابير المؤثّرة نحو تأمين كافّة (أتباعنا) من أيّ دين ومذهب كانوا ...على الروح والمال وحفظ الناموس وإخراج التأمينات التي وعدنا بها بمقتضى (التنظيمات) الخيرية وخطّنا الملوكي السابق تلاوته في الكلخانة (1839) من حيّز القوة إلى حيّز الفعل وتقرير وإبقاء كافة الامتيازات...الروحانية التي منحت..."

ورد في كتاب محمد فريد بيك المحامي، تاريخ الدولة العلية العثمانية، تحقيق د. إحسان حقي،
دار النفائس، ط 6 بيروت 1988، ص484 - 584

* المقصود السلطان عبد المجيد بن محمود الثاني حكم بين 1839 و1861، أصدر مرسوم كلخانة وخط همايون المعروفين باسم التنظيمات الخيرية

التعليمات

- عرّف إصلاحات محمد علي مبرزا دورها في التمهيد للنهضة العربية الحديثة.
- حدّد مدى إسهام الإصلاحات العثمانية في التمهيد للنهضة العربية الحديثة.



النشاط الثّاني : أتبيّن أبرز الملامح الثقافية والاجتماعية للنهضة العربية الحديثة.

الموارد :

الوثيقة 9

الصحافة والطباعة والترجمة في عهد محمد علي

"وكان إنشاء الصحف وتوطيد حركة الطباعة والإقبال على نشر الكتب التي ترجمها المبعوثون العائدون للمدارس التي افتتحها محمد علي في مصر من أبرز العوامل الفاعلة في هذه النهضة...ويحدّثنا بعض الباحثين عن السياسة التي اتبعها محمد علي مع الموفدين العائدين إلى مصر من الدول الغربية التي تخرّجوا فيها فيقول: "وضعوا في القلعة، وسلّم كلّ منهم كتابا بالفرنسية ليترجمه في مادّة تخصّصه، على ألاّ يبرح القلعة إلاّ بعد أن يتمّ ترجمته، ولّما ترجمت الكتب دفع بها إلى المطبعة الأميرية ببولاق، ثمّ وزّعت على المدارس..."

د. محمود المقداد، عالم المعرفة، عدد 167، نوفمبر 1992، ص 42

الوثيقة 10


عدد ١ — يوم السبت في ٥ اب — سنة ١٨٧٦

الاهرام

(• ثمن الاهرام •)

في الاسكندرية عن سنة واحدة ثلاثة وعشرون فرنكا وعن ستة اشهر خمسة عشر فرنكا واثمانها في الخارج خالصة اجرة البوسطة بالصورة الآتية

	فرنك عن سنة	فرنك ستة اشهر
في مصر وسائر الاقاليم الخديوية	٢٥	١٦
في الاستانة العلية	٢٥	١٦
في سورية وسائر الممالك المحروسة	٢٥	١٦
في اوربا والجزائر وتونس	٣٠	١٧
في اميركا	٣٠	١٧

ثمن كل نسخة من الاهرام ذات اربع صفحات نصف فرنك

(• مكاتبات الاهرام •)

جميع المكاتبات التي ترسل الينا متعلقة بالاهرام ينبغي ان تكون خالصة الاجرة باسم سليم افندي تقلا محرر الاهرام ومحل ادارتها على شارع البورس امام بنك الرهونات

(• وكلاء الاهرام في الخارج •)

اسماء وكلاء الاهرام تذكر في احد الجرائد ... الحصول على الاهرام ... بارسال حوالة الى مديرها او بارسال طوابع البوسطة من اي نوع كان على قدر مدة الاشتراك

بالاسكندرية في يوم السبت ٥ اغسطس (اب) سنة ١٨٧٦ — الموافق ١٥ (رجب الفرد) سنة ١٢٩٣

هذا هو العدد الاول من السنة الاولى لجريدة الاهرام المرتبية بعناية الحكومة السنية والمستعدة الاستعداد التام لان تجعل من تصفح صفائحها اتقانا بمطالعة لانها تعاني البحث لتقف على الفوائد الصحيحة ضوقي بحقوق الجرائد وتكسب قبول الجمهور والاستقبال شاهد. فعلى أولي ... الماديه وذلك

ومتى بحثنا مدققين في الفرد الواحد عمّا هو في ذاته وقابلناه بالنسبة الى غيره لاح لنا من وراء الحجاب تلك الصفة الغريزية التي لا يخلو منها انسان ولا تحول عن احد فهي كقول من قال عادة في البدن لا يغيرها الا الكفن وان اردنا ان نعبر عن هذه الصفة بما يدل عليها فتدعونا الافكار ... الى التصريح بها بقولنا حب الذات

الى هدم الراحة ليستروا نبراس السلام بكثافة غيوم الحروب والقلاقل ... من تشويش الافكار وانقلاب مركبات الاعمال بتعطيلهم مسالكها القويمة كانهم هم العالم وليس سواهم فنرى اذ ذاك تغييرات شتى وانقلابات عديدة ومقاصد متنوعة ومذاهب مختلفة وتقصدا ... من حركات متجاذبة متدافعة ...

صورة العدد الاول من صحيفة الاهرام التي صدرت في ٥ اغسطس ١٨٧٦ بمصر

الصفحة الأولى من أول عدد من جريدة الأهرام عام 1876

معطيات مكمّلة

كتب دعاة الإصلاح وتواريخ طباعتها	المؤلفون	أبرز الصحف والمجلات	تاريخ نشرها
– تخليص الإبريز في تلخيص باريز (1834)	رفاعة رافع الطّهطاوي	الوقائع المصرية (القاهرة)	1828
– أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك (1867)	خير الدين باشا	الجنان (بيروت)	1870
– الرّدّ على الدّهريّين	جمال الدين الأفغاني	المقتطف (القاهرة)	1876
– الإسلام والنصرانية بين العلم والدين	محمد عبده	الأهرام (القاهرة)	1876
– طبائع الاستبداد (1900)	عبد الرحمان الكواكبي	الشهباء (حلب)	1877
– ابن رشد وفلسفته (1903)	فرح أنطون	العروة الوثقى (باريس)	1884

الوثيقة 11

الدعوة إلى تحرير المرأة

كتب الطهطاوي: "وكلّما كثر احترام النساء عند قوم كثر أدبهم وظرافتهم، فعدم توفية النساء حقوقهنّ فيما ينبغي لهنّ الحرية فيه، دليل على الطبيعة المتبربرة...

ويمكن للمرأة أن تتعاطى من الأعمال ما يتعاطاه الرجال...فالعمل يصون المرأة عمّا لا يليق، ويقرّبها من الفضيلة، وإذا كانت البطالة مذمومة في حقّ الرجال فهي مذمّة عظيمة في حقّ النساء..."

أورده محمد عمارة في كتاب رفاعة الطهطاوي، رائد التنوير في العصر الحديث، ص٣٣٣

الوثيقة 12

موقف عبده من تعدّد الزوجات

"هذا وإنّي أرفع صوتي بالشكوى من كثرة ما يجمع الفقراء من الزوجات في عصمة واحدة. فإنّ الكثير منهم عنده أربع زوجات أو ثلاث أو اثنان وهو لا يستطيع الإنفاق عليهنّ ولا يزال معهنّ في نزاع على النفقات وسائر حقوق الزوجيّة...

ومن المعلوم في أحكام الشريعة أنّه متى تحقّق أنّ الزوج لا يستطيع الإنفاق على زوجته وأنّ الزواج يفسد أمر معيشته ويلجئه للخروج عن الحدود التي حدّها الله له حرم عليه الزواج بلا خلاف..."

محمّد عبده، في إصلاح المحاكم الشرعية، مطبعة المنار، القاهرة، 1900، ص72/71

التعليمات

- تعرّف الملامح الثقافية للنهضة العربية الحديثة.
- تبيّن الملامح الاجتماعية للنهضة العربية الحديثة.

النشاط الثّالث : **أدرس أفكار بعض دعاة الإصلاح السّياسي بالبلاد العربيّة في القرن التّاسع عشر لأتبيّن مبادئ النّهضة السّياسيّة وحدودها.**

الموارد :

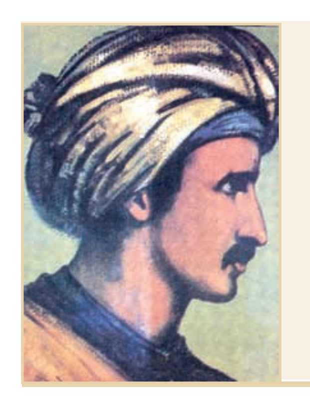
الوثيقة 13

موقف الطهطاوي من الاستبداد

"ومن ذلك يتّضح لك أنّ ملك فرنسا ليس مطلق التصرّف، وإنّ السياسة الفرنساوية هي قانون مقيّد، بحيث أنّ الحاكم هو الملك بشرط أن يعمل بما هو مذكور في القوانين التي يرضى بها أهل الدواوين...فلنذكره لك (أي القانون)، وإن كان غالب مافيه ليس في كتاب الله تعالى ولا في سنّة رسوله لتعرف كيف قد حكمت عقولهم أنّ العدل والإنصاف من أسباب تعمير الممالك وراحة العباد، وكيف انقادت الحكام والرعايا لذلك حتى عمرت بلادهم، وكثرت مصارفهم، وتراكم غناهم، وارتاحت قلوبهم، فلا تسمع فيهم من يشكو ظلما أبدا، والعدل أساس العمران."

رفاعة رافع الطهطاوي، تخليص الإبريز في تلخيص باريز، مرقم للنشر، الجزائر، 1991، ص 128

الوثيقة 14



الشيخ رفاعة الطهطاوي(1801 ـ 1873)، متخرّج من الأزهر، عيّنه محمد علي باشا مرشدا دينيا مرافقا لفرقة عسكرية أرسلها إلى باريس للتعلّم والتكوين سنة 1826، استغلّ وجوده في هذه المدينة فتعلّم اللغة الفرنسية ودرس الفلسفة اليونانية، والجغرافيا والمنطق، واطلع على مؤلفات فولتير وروسو، وعايش أحداث ثورة 1830 وبعد عودته إلى مصر سنة 1831 شرع في تاليف كتابه تخليص الإبريز في تلخيص باريز الذي نشره سنة 1834 وعبّر فيه عن إعجابه بانتفاضة الفرنسيين للدفاع عن الديموقراطية خلال ثورة 1830 وأثبت أن نظام الحكم التحرري الذي شهده في فرنسا ينسجم مع تعاليم الإسلام ومبادئه.

الوثيقة 15

إعجاب الطهطاوي بالدستور الفرنسي

"سائر من يوجد في بلاد فرنسا، من رفيع ووضيع، لا يختلفون في إجراء الأحكام المذكورة في القانون حتّى أنّ الدعوة الشرعيّة تقام على الملك، وينفّذ عليه الحكم كغيره...
فانظر إلى هذه المادّة الأولى (من الدستور الفرنسي)، فإنّ لها تسلّط عظيم على إقامة العدل وإسعاف المظلوم وإرضاء خاطر الفقير...وهي من الأدلّة الواضحة على وصول العدل عندهم إلى درجة عالية...وما يسمّونه الحرية، ويرغبون فيه، هو عين ما يطلق عليه عندنا: العدل والإنصاف."

رفاعة رافع الطهطاوي، رائد التنوير في العصر الحديث، ص 167

التعليمة

حدّد العوامل المؤثّرة في الفكر السياسي للطهطاوي مبرزا النظام السياسي الذي يدعو إليه.

الوثيقة 16

التصدي للتحدي الأوروبي

"توطيد العزم على قبول الموت في سبيل حياة الوطن، تقوم بذلك جمعيات يتولّى أمرها أناس يأخذون على أنفسهم عهدا أن...لا يثني عزمهم الوعيد، ولا يغويهم الوعد بالمنصب، ولا تلهيهم التجارة ولا المكسب، بل يرون في المتاعب والمكاره بنجاة الوطن من الاستعباد غاية المغنم وفي عكسه المغرم"

جمال الدين الأفغاني، الأعمال الكاملة، تحقيق محمد عمارة، ص 456/457

الوثيقة 17

جمال الدين الأفغاني (1838 ـ 1897) تميزت حياته بالأسفار الكثيرة داخل العالم الإسلامي وخارجه مما مكّنه من معرفة الوضع الذي كان عليه المجتمع الإسلامي و كانت له علاقات كثيرة سواء مع الحكومات أو الأفراد. لم تكن كتاباته كثيرة، له كتاب "الرد على الدهريين" وكتيّب "الإسلام و العلم" و هو ردّ على محاضرة إرنست رينان الذي أتهم فيها الإسلام بعدائه للعلم. يعتبر الأفغاني صاحب دعوة الجامعة الإسلامية التي تعتمد على الإسلام في توحيد المسلمين لمجابهة الاستعمار. كما دعا إلى إعطاء العقل مكانته الصحيحة بالاعتماد عليه في الحياة، و إلى العلم الذي فيه خير البشرية و إلى التغيير السياسي وإلى وحدة المسلمين شيعة وسنة. كان يرى أن سبب تخلف المسلمين هو ابتعادهم عن الدين و ليس الدين ذاته.



الوثيقة 18

الفكر السياسي في العروة الوثقى

"إنّ الأمّة التي ليس لها في شؤونها حلّ ولا عقد، ولا تستشار في مصالحها، ولا أثر لإرادتها في منافعها العمومية، وإنّما هي خاضعة لحاكم واحد إرادته قانون، ومشيئته نظام، يحكم ما يشاء ويفعل ما يريد، فتلك أمّة لا تثبت على حال واحد، ولا ينضبط لها سير. فيعوزها السعادة والشقاء، ويتداولها العلم والجهل، ويتبادل عليها الغنى والفقر ويتناوبها العزّ والذلّ..."

جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده، العروة الوثقى والثورة التحريرية الكبرى، القاهرة 1974، ص 105/104

الوثيقة 19

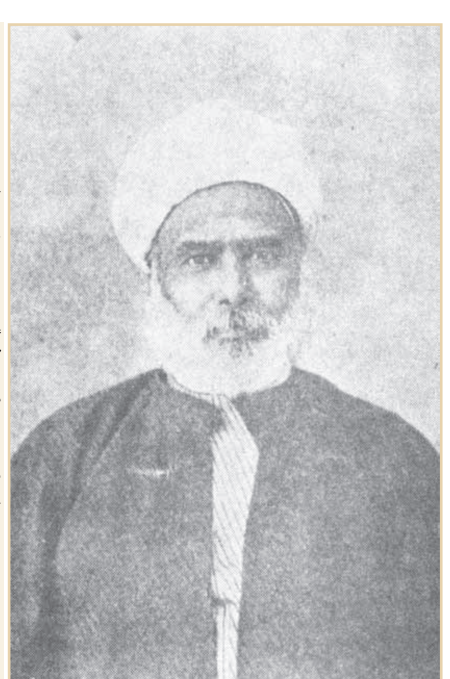
العلاقة بين الحكومة والشّعب في نظر عبده

"وهناك أمر آخر كنت من دعاته، والناس جميعا في عمى عنه...ولكنّه الركن الذي تقوم عليه حياتهم الاجتماعية، وما أصابهم من الوهن والضعّف والذلّ إلاّ لخلوّ مجتمعهم منه، وذلك التمييز بين ما للحكومة من حقّ الطّاعة على الشّعب وما للشّعب من حقّ العدالة على الحكومة...دعونا (الأمّة) إلى الاعتقاد بأنّ الحاكم، وإن وجبت طاعته، هو من البشر الذين يخطئون وتغلبهم شهواتهم، وإنّه لا يردّه عن خطئه، ولا يقف طغيان شهوته إلاّ نصح الأمّة له بالقول والفعل.

جهرنا بهذا القول والاستبداد في عنفوانه، والظلم قابض على صولجانه، ويد الظلم من حديد والناس كلّهم له عبيد..."

محمد عبده، الأعمال الكاملة، تحقيق محمد عمارة، ج2، ص 360/359

الوثيقة 20



محمد عبده (1849 - 1905)

درس العلوم الدينية في الأزهر ثم درّس فيه. التقى الأفغاني عام 1871 وعمل معه حتى عام 1879، تولى رئاسة تحرير جريدة "الوقائع المصرية"، دعاه الأفغاني عام 1883 إلى باريس حيث أصدرا معاً مجلة "العروة الوثقى"، ثم عاد إلى مصر حيث عين قاضيا ثم مفتي الديار المصرية. يعتبر من المصلحين العرب و المسلمين البارزينً.
من أبرز كتبه: "الإسلام والنصرانية بين العلم و الدين" الذي رد فيه على فرح أنطون، و"رسالة التوحيد" ...
دعا إلى تحرير العقل من التقليد، وإلى التغيير الاجتماعي لا إلى الثورة كما كان يراها أستاذه الأفغاني.

الوثيقة 21

العروة الوثقى

"لا يظنّ أحد من الناس أنّ جريدتنا هذه بتخصيصها المسلمين بالذكر أحيانا، ومدافعتها عن حقوقهم تقصد الشّقاق بينهم وبين من يجاورهم في أوطانهم، ويتّفق معهم في مصالح بلادهم، ويشاركهم في المنافع من أجيال طويلة، فليس هذا من شأننا، ولا ممّا نميل إليه، ولا يبيحه ديننا ولا تسمح به شريعتنا، ولكن الغرض تحريض الشرقيين عموما والمسلمين خصوصا، من تطاول الأجانب عليهم، والإفساد في بلادهم، ونخصّ المسلمين بالخطاب لأنّهم العنصر الغالب في الأقطار التي غدر بها الأجانب، وأذلّوا أهلها أجمعين، واستأثروا بجميع خيراتها..."

جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده، العروة الوثقى، المكتبة الأهلية، بيروت، 1933، ص 381

التعليمة

حدّد أبرز الإصلاحات السياسية التي نادى بها الأفغاني وعبده.

الوثيقة 22

الكواكبي وتدهور الأوضاع العربية الإسلاميّة

"...انتشرت عقيدة الجبر وساد الجدل والتشديد وفشا الزهد والتهاون، ممّا أدّى إلى تحريف الدين، وفقدان الحرية في ظلّ السلطة المطلقة والحكم المركزي، وقد تفرّق المسلمون إلى أحزاب وفرق، فانعدم التنظيم والعدالة والمساواة والشورى، وكثر النسل وفقدت التربية، وأهمل تعليم النساء...هذا في حين أن الإسلام أتاح للمسلمين فرصة الالتقاء والتشاور عن طريق الجمعة والجماعة والحج، وأرشدهم إلى الشورى والعدالة...
دعونا يا هؤلاء نحن ندبّر شأننا، نتفاهم بالفصحاء ونتراحم بالإخاء ونتواسى في الضراء ونتساوى في السراء. دعونا ندبّر حياتنا الدنيا ونجعل الأديان تحكم الأخرى فقط. دعونا نجتمع على كلمات سواء ألا وهي: فليحي الوطن فلنحي طلقاء أعزّاء..."

عبد الرحمان الكواكبي، طبائع الاستبداد، ص 208

الوثيقة 23



عبد الرحمان الكواكبي (1849-1902) ولد بحلب في سوريا. مارس الصحافة، فأسس جريدة الاعتدال بالعربية والتركية. زار العديد من الأقطار العربية والإسلامية. من أبرز مؤلفاته: "طبائع الاستبداد" و"أمّ القرى". عرف بأفكاره التقدّمية المنادية بالاعتماد على العقل والعلم والتحرر الاجتماعي والقومية.

الوثيقة 24

قال الكواكبي:
"إذا لم نميّز بين الدين والدولة في عصرنا هذا...بل طلبنا من الدين مساعدة الدولة ومن الدولة مساعدة الدين بناء على أنّ كلّ منهما لا يقوم إلاّ بالآخر، فماذا نفعل لو سقطت الدولة؟ أيسقط الدين الذي كنّا نقول، إنّها حامية له وإنّه قائم بقيامها."

أورده جان داية، في كتاب الإمام الكواكبي: فصل الدين عن الدولة، دار سوراقيا للنشر، 1988، ص 65/64

الوثيقة 25

فصل الدين عن الدولة

"...فقد أثبتت التجربة أنّ فصل الدين عن الدولة كان في أساس نشوء التمدّن الحديث، وأنّ إقران الدين بالدولة هو أساس ضعف الأمم. إنّ مصلحة الحياة تقتضي وقف مقاومة رجال الدين لإبداع العقل وفعل الذكاء البشريين اللذين هما منبع كلّ رقيّ.

فرح أنطون(*) ، ابن رشد وفلسفته، ص 152/ 160

(*) فرح أنطون (1847ـ 1922) صحافي لبناني عاش في مصر اشتهر بالمناقشة الحادّة التي دارت بينه وبين محمد عبده والتي مثّل فيها الأخير التيار السلفي المحافظ المتمسّك بالدولة الدينية بينما دافع أنطون عن وجهة النظر العلمانية الداعية إلى فصل الدين عن الدولة.

التعليمة

حدّد أبرز الإصلاحات السياسية التي نادى بها عبد الرحمان الكواكبي وفرح أنطون.

معطيات مكمّلة

التيارات الفكرية	أبرز أعلامه	أبرز أفكارهم
التيار الديني الإصلاحي	– جمال الدين الأفغاني – محمد عبده – الرشيد رضا	– الأخذ ببعض منجزات الحضارة الأوروبية(الحكم الدستوري، العقلانية) – الولاء الأساسي للدين، الدعوة إلى الجامعة الإسلامية
التيار الليبرالي	– رفاعة الطهطاوي – خير الدين باشا – بطرس البستاني – قاسم أمين	– الهوية القومية كبديل للخلافة أو الجامعة الإسلامية – فصل الدين عن الدولة – النظام البرلماني (الملك المقيّد بقانون) – سنّ الدساتير – التحرر الاجتماعي (تحرّر المرأة)
التيار العلمي العلماني	– عبد الرحمان الكواكبي – فرح أنطون – شبلي شميّل	– القومية – العلمانية – العقلانية – التحرّر الاجتماعي – الدعوة إلى الاشتراكية

المقدمة

شكّلت النهضة العربية الحديثة مرحلة تاريخية مهمّة بالنسبة للعرب و المسلمين على حدّ سواء، وقد أطلق عليها روادها الأوائل تسميات عديدة منها "اليقظة" و "الإصلاح" و"الحداثة" و"التحديث" و"التنمية" و "التقدّم" و"الترقي" و"الارتقاء"...وهي كلها تتضمن دلالات التحرك والتحوّل الشامل في أوضاع المجتمع عن طريق إنتاج المعارف والمهارات التي تمكّنه من تعبئة طاقاته البشريّة والفكرية والمادية قصد تحسين الأوضاع السياسية والاجتماعية وضمان التعامل المتكافئ مع الحضارات الأخرى. وقد تركت النهضة العربية آثارا واضحة في مجالات الحياة الفكرية والسياسية والاجتماعية لكنها واجهت صعوبات كثيرة عرقلت مسيرتها. وتبقى العديد من التساؤلات مطروحة حول جذورها، وحول ملامحها وحدودها. وربّما يبقى السؤال المطروح إلى اليوم هو: لماذا تقدّم الغرب وتخلّف العرب وقد شهد الطرفان نهضة ؟

I - جذور النّهضة :

تعود جذور النهضة العربية الحديثة إلى :

1 – الحركات الإصلاحيّة السّلفيّة : الوثيقة 1

يعتبر العديد من الباحثين أنّ النهضة الحديثة نشأت نتيجة عوامل ذاتية داخل العالم العربي الإسلامي لّما أحسّ بعض علماء المسلمين منذ القرن الثامن عشر بحالة الضعف والوهن التي أصابت مجتمعهم فهبّوا إلى العمل على إعادة بنائه بالرجوع إلى السلف الصالح أي عهد الرسول (ص) والخلفاء الراشدين وبالاعتماد على المبادئ التالية :

– فتح باب الاجتهاد في ضوء ما ورد في القرآن والسنّة.

– تطهير الدين الإسلامي من البدع والعادات البالية التي حادت به عن صفائه الأصلي مثل الاعتقاد في الأولياء والصالحين وزيارة القبور.

– اعتبار القرآن والسنّة مصدر الشريعة الإسلامية ورفض كلّ القوانين الأخرى.

– رفض الاقتداء بالدول الغربية والاقتباس من حضارتها.

وتعدّ حركة محمد بن عبد الوهاب أول حركة إصلاحية سلفية في العصر الحديث كتب لها النجاح نتيجة تحالفها مع القوة السياسية المهيمنة في منطقة نجد والمتمثّلة في آل سعود، إذ تزوّج محمّد بن سعود من ابنة محمد بن عبد الوهاب وجمع منذ سنة **1744** بين الزعامة السياسية والزعامة الدينية في الجزيرة العربية وعمد إلى نشر الحركة بالقوّة تحت اسم الحركة الموحّدية التي عرفت أيضا بالوهّابية. لكن الحركة الوهابية وقفت أمام الانفتاح على الحضارة الغربية ورفضت الاقتباس منها في الميادين السياسية والاقتصادية والعلمية والثقافية.

2 – الحملة الفرنسيّة على مصر وتفاقم التّسرّب الأوروبي : الوثائق من 2 إلى 4

قاد نابليون بونابرت الحملة على مصر وفلسطين (**1798 - 1801**) وكان من أهدافها منافسة إنقلترا وتشديد الحصار عليها بعزلها عن مستعمراتها في الهند والشرق الأقصى، والسعي إلى إنشاء إمبراطورية في الشرق، وكذلك محاولة نشر أفكار الثورة الفرنسية. لكن الحملة أخفقت واضطرّت إلى الانسحاب من مصر تاركة البلاد في صراع بين العثمانيين والمماليك.

يعتبر الكثيرون أن الحملة الفرنسية على مصر هي البداية الحقيقية للنهضة العربية الحديثة باعتبارها صدمة أخرجت العرب من عزلتهم ونبّهتهم إلى تخلّفهم بالمقارنة مع ما وصلت إليه الحضارة الأوروبية من تقدّم في مجال العلوم والصناعة وجعلتهم يتطلّعون إلى الانفتاح على هذه الحضارة والاقتباس منها لتطوير الميادين العسكرية والاقتصادية والسياسية خاصّة وأنّ بونابرت قد اصطحب معه العديد من الخبراء والعلماء ورجال الفكر قدموا لدراسة الوضع بمصر والشرق الأوسط.

أثّرت الحملة الفرنسية على مصر وباقي البلاد العربية لأنها مهّدت الطريق للتسرّب الأوروبي الذي بدأ يتفاقم منذ ذلك الحين عن طريق تدفّق الجاليات والأموال والبضائع والأفكار والنظم الغربية الأمر الذي سهّل مهمّة الاستعمار في الاستيلاء على المنطقة في أواخر القرن التاسع عشر. وقد تواصل هذا الاحتكاك بالغرب بعد حملة بونبارت على مصر خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر مع تجربة محمد علي باشا.

3 – **تجربة محمد علي باشا في مصر (1805 ـ 1849)**: الوثائق من 5 إلى 7

قدم محمد علي وهو الألباني الأصل إلى مصر بتكليف من السلطان سليم الثالث على رأس فرقة عسكرية لإعادة بسط النفوذ العثماني على البلاد بعد انسحاب الفرنسيين منها، فاستغلّ بحنكته الكبيرة الصراع بين المماليك والأتراك للوصول إلى السلطة سنة 1805 بدعم من العلماء والتجار المصريين. أدرك محمد علي البون الشاسع بين الواقع العربي و الواقع الأوروبي، فاندفع في إصلاح جذري وأطلق طاقات مصر الكامنة، فجعل منها قوّة توسّعية إقليمية ومثالا للإصلاح العسكري والاقتصادي.

نجح محمد علي باشا في إزاحة كل القوى التي يمكن أن تحدّ من طموحه، فجرّد علماء الدين من امتيازاتهم بإعادتهم إلى التدريس في الأزهر، وقضى على المماليك في مذبحة القلعة الشهيرة سنة 1811، وحوّل أراضي مصر إلى ملكية خاصّة له مستخدما السخرة لتنظيم ريّها وزراعتها.

استعان بالخبراء الأوروبيين في تحديث البلاد وأوفد البعثات المصرية إلى العواصم الأوروبية وخاصّة إلى فرنسا لتكوين الإطارات والخبرات، وأنشأ المدارس العلمية، وأسّس بشكل خاص مدرسة الألسن لترجمة الكتب عن الفرنسية والإيطالية إلى التركية والعربية، وشجّع على إنشاء المطابع ونشر المجلات والجرائد، فزرع بذلك ثقافة وفكرا جديدين.

كما أنشأ محمد علي جيشاً كثير العدد ومجهّزا تجهيزا عصريا، وبنى أسطولا قوياً واجه به الدول وحقق انتصارات مهمّة. ورغم طموحه الكبير بقي محمد علي باشا تابعا أمينا للسلطان العثماني محمود الثاني، فسخّر أسطوله لمساعدة السلطان في حرب اليونان سنة 1827. وقاد الحملة للقضاء على الحركة الوهابية المعادية للعثمانيين في نجد، ودمّر عاصمتها "الدرعية" سنة 1816. لكن طاعة عاهل مصر للسلطان العثماني التي استمرّت ربع قرن من الزمن تحوّلت إلى عداء حين رفض هذا الأخير بسط نفوذ محمد علي على بلاد الشام. وكاد محمد علي يطيح بالدولة العثمانية فقد وصلت جيوشه إلى مقربة من اسطنبول، عندها تدخّلت الدول الأوروبية خوفا من محمد علي الذي أصبح يمثّل قوّة عسكرية واقتصادية منافسة للمصالح الأوروبية في المنطقة، ففرضت عليه الانسحاب من بلاد الشام والعودة إلى مصر. ومنذ 1830 بدأت أزمة النهضة المصرية بانهيار الاقتصاد المصري وخاصّة أكثر قطاعاته تطوّرا وهو قطاع الزراعة. وقد انتهت تجربة محمد علي بالفشل نتيجة عدّة عوامل كان من أبرزها:

– نقص المعادن مثل الحديد وموارد الطاقة كالفحم والمياه...
– افتقار مصر إلى المؤسسات وإلى القوى المجتمعية التي تقود الإنجازات وتحميها.
– تحالف الدول الأوروبية ضدّ التجربة والضغط على محمد علي وخلفائه من بعده لحملهم على إلغاء الإنجازات التي تحقّقت. لكن تجربة محمد على الرغم من فشلها جعلت مصر تخرج من عزلتها لتلعب دورا محوريا في تنمية الفكر الإصلاحي التحديثي وفي مواجهة التحديات والتصدّي للغزو الأجنبي. فكانت بذلك مثالا يحتذى من قبل كلّ الدول العربية والإسلامية وعلى رأسها الإمبراطورية العثمانية.

4 – **الإصلاحات العثمانية في القرن التاسع عشر**: الوثيقة 8

بعد فشل محاولات الإصلاح الأولى التي عرفتها الإمبراطورية العثمانية خلال القرن الثامن عشر وخاصّة في عهد السلطان سليم الثالث (1789 – 1807)، أدرك السلطان محمود الثاني (1808 – 1839) ضرورة القضاء على قوّات

الإنكشارية التي مثّلت عقبة أمام الإصلاح مستفيدا من تجربة محمد علي في القضاء على المماليك في مصر، وكان له ذلك سنة 1826 إذ تمكّن الجيش النظامي الذي أنشأه محمود الثاني من القضاء على الإنكشارية ودكّ ثكناتهم ومصادرة كلّ ممتلكاتهم. وبذلك تسنّى له القيام بالإصلاح والانفتاح على التحديث على النمط الأوروبي.

تواصل الإصلاح في عهد السلطان عبد المجيد الذي خلف والده محمود الثاني سنة 1839، فأعلن في نفس السنة خطّ الشريف كلخانة، وهو مرسوم أقرّ المساواة بين الرعايا من جميع الأديان أمام القانون وضمان أرواحهم وممتلكاتهم بالإضافة إلى إصلاح الإدارة والقضاء والتعليم. وفي عام 1856 أصدر السلطان عبد المجيد الخط الهمايوني الذي أكّد الضمانات الواردة في المرسوم السابق. وقد سمّيت هذه الإصلاحات بالتنظيمات الخيرية.

وكان لكلّ هذه الإصلاحات بالغ الأثر على رواد الإصلاح في العالم العربي الإسلامي خلال القرن التاسع عشر حيث كانوا ينطلقون منها ويستشهدون بها في تحقيق مشروعهم الإصلاحي التّحديثي.

II - ملامح النهضة العربية:

تجلّت ملامح النهضة العربية بوضوح، منذ أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، في الميادين الثقافية والاجتماعية والسياسيّة أساسا.

1 – الملامح الثقافية والاجتماعية: الوثائق من 9 إلى 12

أ – **الملامح الثقافية**: شهدت الحياة الثقافية العربية في القرن التاسع عشر نموا مطّردا كان من أبرز ملامحه:

– إصلاح التعليم الذي يعدّ من أبرز ملامح النهضة العربية الحديثة خلال القرن التاسع عشر، فقد دعت الحاجة إلى تكوين إطارات وطنية عصرية في جميع المجالات وإلى إدخال تعليم عصري مبني على العقل والنقد يعتمد على تدريس العلوم التجريبية والرياضيات والتقنية مع الإبقاء على التعليم التقليدي القائم على التلقين والنقل وتدريس اللغة العربية والعلوم الدينية إرضاء لعلماء الدين. وقد شهد القرن التاسع عشر في مصر والشام وتونس تأسيس المدارس الابتدائية والثانوية على غرار الدول الأوروبية المتقدّمة وقد ذهب محمد علي في مصر إلى أبعد من ذلك فأسس المعاهد العليا لتكوين الأطباء والمهندسين بالإضافة إلى إيفاد البعثات الطلابية إلى أوروبا ونسج على منواله الكثير من المصلحين في العالم العربي الإسلامي. لقد أحدث إصلاح التعليم نهضة ثقافية مكّنت من الانفتاح على الحضارات الأخرى ومن تنشيط الطباعة والترجمة والصحافة.

– نموّ الطباعة والصحافة والترجمة: أسهمت الطباعة بقسط كبير في تنشيط الحياة الفكرية والثقافية فقد أتاحت للعرب فرصة التعرّف إلى تراثهم، والاطلاع على ثقافات الأمم المتقدّمة. أما الصحافة فقد ارتبط ظهورها بانتشار الطباعة، فأسهمت في تطوير الفكر العربي وفي احتكاكه بالتيارات الفكرية السياسية الحديثة. وتعدّ صحيفة "الوقائع المصرية" أوّل صحيفة في العالم العربي وقد أصدرها محمد علي سنة 1828 ثمّ انتشرت الصحافة في كلّ من الشام والعراق. ولمّا ضيّقت الرّقابة العثمانية الخناق على نشاط المفكرين في الشام هاجر عدد كبير منهم إلى مصر والقارة الأمريكية وأصدروا صحفا ومجلات في البلدان التي أقاموا بها ولا سيما في القاهرة حيث أصدر المهاجرون اللبنانيون عدّة صحف مثل "الأهرام". أما حركة الترجمة فكانت نشيطة في البداية في بلاد الشام ثمّ في مصر. وقد مكّنت العرب من الاطلاع على ثقافة النهضة الأوروبية الحديثة وعلى أفكار الثورة الفرنسية وكانت من أبرز العوامل المشجّعة على القيام بالإصلاحات السياسية في البلاد العربية.

– بروز العديد من الأدباء والمفكرين العرب الذين تصدّوا لحركة التتريك (الحركة الطورانية) الداعية إلى نشر اللغة التركية في البلاد العربية، فانكبوا على جمع المخطوطات العربية ودراستها واستلهام أسس الإيمان الديني والانتماء القومي العربي منها مع فرضها كلغة تدريس. وكان من بينهم ناصيف اليازجي وبطرس البستاني في لبنان، ورفاعة الطهطاوي ومحمد عبده، وعبد الله النديم وقاسم أمين في مصر، والشيخ الطاهر الجزائري في سوريا، ومحمود شكري الألوسي في العراق، وأحمد بن أبي الضياف وخير الدين باشا في تونس.

ب – الملامح الاجتماعية: عرف المجتمع العربي خلال القرن التاسع عشر بداية صحوة مهّدت لها عوامل عديدة منها:
– الاتصال بالحضارة الغربية عن طريق الرحلات إلى البلاد الأوروبية منذ أواخر القرن الثامن عشر والتي تعرّف الناس من خلالها إلى الفكر الغربي وما اتّسم به من عقلانية، ثمّ ازدادت عمليات الاتصال بعد الحملة الفرنسية على مصر، ثمّ في عهد محمد علي.
– تأثير العرب المسيحيين بالشام في المجتمع العربي نظرا لاتصالهم بالثقافة الفرنسية بحكم التعليم والانتماء الديني وحذقهم اللغة الفرنسية.
وكان من أبرز ملامح هذه الصحوة:
– قيام حركات شعبية بقيادة بعض زعماء الطوائف والفئات الاجتماعية ضدّ الولاة العثمانيين وضدّ زعماء المماليك في مصر.
– قيام حركات انفصالية في كثير من البلاد العربية تطالب بالاستقلال عن الدولة العثمانية. وقد صاحب هذه الحركات نوع من التفكير الاجتماعي والسياسي التحرري.
– اقتناع جلّ مفكّري النهضة بضرورة إنشاء مجتمع مثقّف ومتوازن تتمتّع فيه المرأة بكامل حقوقها وخاصة حقها في العمل.

2 – **الملامح السياسية**: الوثائق من 13 إلى 25

أ – دعاة الإصلاح السياسي في القرن التاسع عشر: أثّرت التحولات التي شهدتها الحياة الثقافية والاجتماعية في الفكر السياسي الذي عبّر بوضوح عن الوعي بضرورة الإصلاح.
ولعل أول من أثار حوارا حول الفكرة الديمقراطية في العالم العربي هو الشيخ رفاعة الطهطاوي (1801-1873) الذي رافق بعد تخرجه من الأزهر الفرقة العسكرية التي أرسلها محمد علي إلى فرنسا للتعلم والتدريب بوصفه إماما ومرشدا دينيا لها. وقد عاش الطهطاوي ثورة 1830 في باريس، وتشبّع بأفكار روسو، ومونتسكيو، وفولتير، لكنه كان حريصا على التوفيق بين العقل والنقل. وكان بذلك المؤسس للتيار الليبرالي القائم على أفكار الحرية والإخاء والمساواة. وقد ركّز الطهطاوي في دعوته إلى الإصلاح على مسألتين جوهريتين لهما علاقة متينة بالوضع السياسي الذي كانت عليه مصر والعالم العربي بصفة عامة في عصره:
– الحدّ من الملك المطلق، وإقامة النظام البرلماني (الملك المقيّد بقانون) والتعددية الحزبية وحرية الرأي، وقد وجد في الميثاق الدستوري المعروف عند الفرنسيين بـ "الشّرطة" La charte ما ينسجم انسجاما تاما مع تعاليم الإسلام ومبادئه.
– احترام الحقوق الطبيعية للإنسان وقد انطلق الطهطاوي في ذلك من مبدأ الاسلام هو دين الفطرة، ومن المعروف أن مفهوم الحقوق الطبيعية قد برز في عصر التنوير كبديل للحق الإلهي الذي كان يتمتّع به الملوك.
ومن الأعلام الذين كان لهم السبق في هذا المجال خير الدين باشا، رائد حركة الإصلاح التونسية في القرن التاسع عشر، والذي كان عام 1872 قد وضع خطة شاملة للإصلاح ضمن كتابه "أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك". (انظر درس محاولات الإصلاح في تونس).
أما **جمال الدين الأفغاني (1838-1897)** فقد استنتج، بعد تقصّي أسباب انحطاط العالم الإسلامي، أن مرجع ذلك هو غياب العدل والشورى وعدم تقيّد الحكومة بدستور. ولذلك فقد نادى بإعادة حقّ الشعب في ممارسة دوره السياسي والاجتماعي عبر المشاركة في الحكم من خلال الشورى والانتخابات. أقام الأفغاني في فرنسا ثلاث سنوات بداية من عام 1883 حيث أصدر عام 1884 مجلة العروة الوثقى بمساعدة الشيخ محمد عبده والتي لم يصدر منها سوى 18 عدداً ثم توقفت وقد تمّ فيها التنبيه إلى خطر الاستعمار الذي يتهدّد العالم العربي الإسلامي. وبذلك يمكن تلخيص المشروع الإصلاحي عند الأفغاني في: **الإسلام في مواجهة الاستعمار في الخارج والقهر في الداخل**.

وقد سار على نهج الأفغاني تلميذه **محمد عبده (1849-1905)** الذي رأى بأن أهم تحدّ يواجه الأمة الإسلامية هو نظرتها إلى العلاقة بين الإسلام والعصر. وفي محاولة للتوفيق بين المبادئ الإسلامية وبعض الأفكار الغربية اعتبر عبده أن مصطلح المصلحة عند المسلمين يقابل المنفعة عند الغربيين، وأن الشورى تقابل الديمقراطية وأن الإجماع يقابل رأي الأغلبية. ولدى معالجته إشكالية السلطة، أكّد عبده بأنه لا يوجد حكم ديني (تيوقراطية) في الإسلام، معتبرا أن مناصب الحاكم أو القاضي أو المفتي مناصب مدنية وليست دينية. ودعا في هذا المجال إلى إحياء الاجتهاد مع الأولوية للمسائل المستجدة على الفكر الإسلامي.ولعلّ ما جعل عبده يختلف عن أستاذه الأفغاني هو رفضه أسلوب الانقلابات والثورات السياسية وتفضيل أسلوب التربية وإصلاح اللغة العربية والمحاكم الشرعية.

في نفس الفترة تقريباً، برز **عبد الرحمن الكواكبي (1849-1903)** الذي دعا إلى رفع الاستبداد عن المجتمع العربي، وحدّد الشروط اللازمة لضمان التقدمً والمتمثّلة في النقد البنّاء والواقعية والانفتاح. واعتبر أن التقدم مرتبط بالمحاسبة بينما التخلف مرتبط بالاستبداد.

أمّا المفكّر اللبناني **فرح أنطون** فقد كانت بينه وبين محمد عبده مناظرة شهيرة على صفحات مجلّتي الجامعة والمنار وقد دافع أنطون بحماس كبير على مكاسب فلسفة التنوير واعتبر أنّ فصل الدين عن الدولة هو أمر ضروري، كما اعتبر أنّ العقل والعلم هما أساس التقدّم فكان بذلك من أبرز المؤسسين للتيار العلماني وقد أصبح مفهوم "العلمانية" يشير إلى كلّ المثقّفين الذين تبنّوا جوانب من المنظومة السياسية الليبرالية متجاوزين بذلك التيار الإصلاحي السلفي الذي تزعّمه الأفغاني وعبده.

ب – مبادئ النهضة السياسية وحدودها: على الرغم من تعدّد التيارات واختلاف الرؤى بينها وأحيانا بين ممثّلي التيار الواحد يبقى الاتفاق حاصلا حول المبادئ التالية:

– السّعي إلى تغيير أوضاع المجتمع العربي الإسلامي وتحقيق التمدّن بالاعتماد على النموذج الأوروبي.

– مقاومة نظام الحكم المطلق، والمطالبة بدساتير تقيّد هذا الحكم المطلق لكن الاختلاف كان حول طريقة تحقيق ذلك فمنهم من نادى بالتوعية عن طريق التعليم والصحافة، ومنهم من نادى بالعمل السياسي ومنهم من ذهب إلى حدّ الدعوة إلى الثورة على الأنظمة القائمة.

– التجديد الديني والفكري والتوفيق بين الاعتماد على الشريعة والاقتباس من الحضارة الغربية والسعي إلى إخراج المجتمعات العربية من أزمتها السياسية.

لكن المشروع النهضوي العربي واجه العديد من الصعوبات التي عرقلت مسيرته كان من أبرزها:

* الظروف السياسية المعقدة مثل استمرار الاستبداد والتجزئة السياسية.
* اختصار النخبة لفكر النهضة في مجرّد رؤى وبرامج.
* التفكك الاجتماعي وغياب التعاون، وهيمنة التفكير الطوباوي الذي لا يعبر عن واقع حقيقي.
* العوامل الخارجية المتمثلة في عرقلة الغرب الاستعماري لمساعي النهضة العربية.

الخاتمة:

إن حصيلة دراسة النهضة العربية الحديثة واشكالياتها تبيّن أن مفهوم النهضة رغم تعدّد المواقف منه تجسّد عموما في محاكاة التجربة الأوروبية من خلال التأكيد على مبادئ مثل الرقي والتمدن والحرية والديمقراطية.

كما أن إسهامات مفكري عصر النهضة في إيجاد القرائن وأوجه التشابه مع مبادئ الإسلام وإنجازات الفكر العربي القديم، وفّر الظرف الملائم لجعل الكثير من القيم الأوروبية مقبولة بالنسبة لمختلف التيارات السياسية العربية الأمر الذي جعلها تؤثّر في تعميق الفكر الإصلاحي. إلاّ أن الإنجازات الفكرية كانت بحاجة إلى تجارب عملية لكي تتضح معالم النهضة ويتحقّق التقدّم.

الدّرس 20 أزمة الإيالة التّونسيّة في القرن التّاسع عشر

المدخل

"كنت كتبت لصديقي ... بوصف الحالة في القطر عند ما طلب مني أن أرسل إليه نسخة من ضرب مثل للحالة المذكورة في القطر التونسي وأصور ذلك بصورة واقعة تاريخية مما ينسب لرؤيا رآها بعض ملوك ألمانيا في القرون المتوسطة. ونصها :

رأى بعض ملوك ألمانيا... رؤيا فهاله أمرها، فبحث عن معبّرها له وهو عندهم المنجّم ... فحضر المعبّر بين يديه وقال له الملك : إني رأيت البارحة في المنام ما هالني أمره ... وذلك أني رأيت ثلاثة جرذان مجتمعة... ثم نمت ثانية فرأيت جرذة من تلك الجرذان على غاية من العجف والهزال بحيث أن سائر ضلوعها بادية ولا تستطيع الثبات على رجليها. ورأيت الجرذ الثاني على غاية من السمن يترعرع في مشيه ترعرع القنفذ. ثم تأملت الجرذ الثالث فرأيته أعمى من كلتي عينيه، لا يبصر بها شيئا. فانتبهت ثم نمت الثالثة فرأيت الجرذان الثلاثة معا على تلك الحالة فالسمين يقود الأعمى والأعمى يقود الهزيلة، وهم يتقاودون فأفتوني في رؤياي إن كنتم للرؤيا تعبرون*. فأجابه المعبر بقوله : سيدي... أما الجرذة الهزيلة فهي مملكتك والسمين هو وزيرك والأعمى هو أنت أيها الملك يقودك وزيرك إلى ما فيه صلاح نفسه، وتقود أنت رعيتك إلى ما فيه هلاكك وهلاكهم."

محمد بيرم الخامس، صفوة الاعتبار بمستودع الأمصار والأقطار، المجلد الثاني،بيت الحكمة تونس1999 ص .483-484

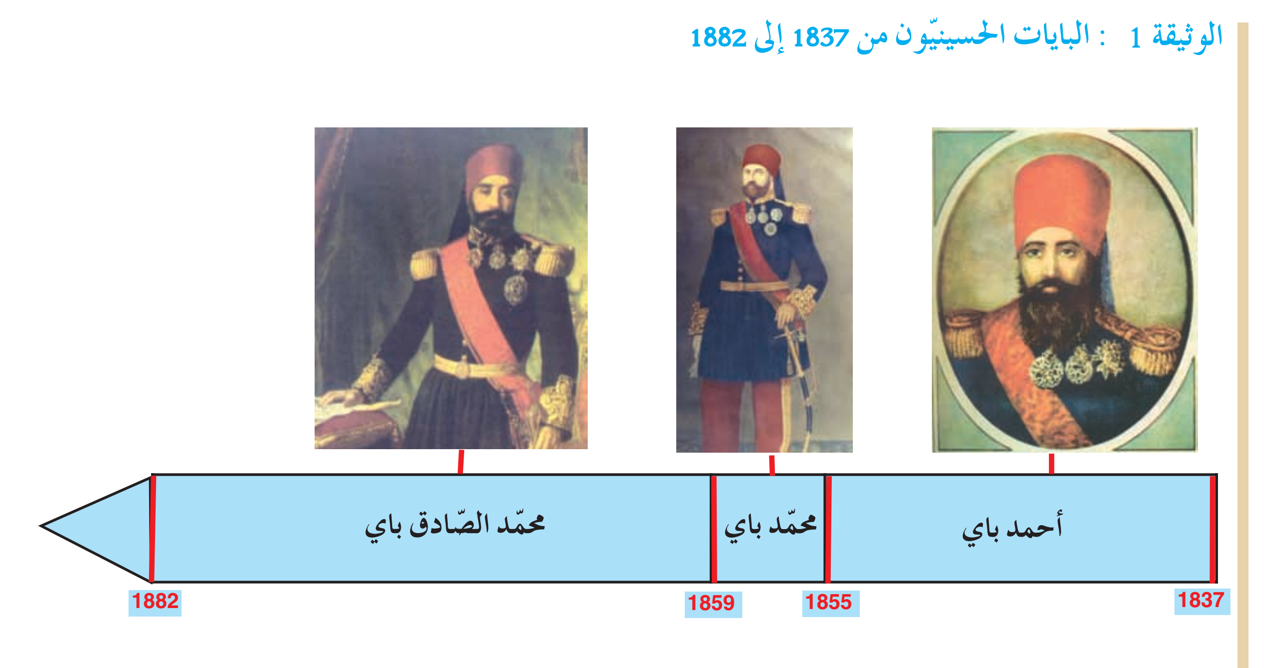
* اقتباس من القرآن، سورة يوسف ، الآية 43.

أتبين مدى انطباق الوصف الوارد في هذا النص على الوضع القائم في الإيالة التونسية في القرن XIX

النشاط الأوّل : أدرس الأزمة الماليّة الّتي تردّت فيها الإيالة التّونسيّة في القرنXIX

الموارد :

الوثيقة 1 : البايات الحسينيّون من 1837 إلى 1882



الوثيقة 2 : عجز ميزانية الإيالة التونسية لسنة 1277هـ (من 20 جويلية 1860 إلى 8 جويلية 1861)

المداخيل	17564406 ريال
المصاريف	19303531 ريال
العجز	1739125 ريال

عن جون قانياج : جذور الحماية الفرنسية على البلاد التونسية 1861 - 1881 الطبعة الأولى، باريس ص 109

الوثيقة 3 : من أسباب الصّعوبات المالية

«لقد ضاعف البايات نفقاتهم أكثر من أي وقت مضى في وقت توقفت فيه الدول الاوروبية بعد 1815[1] عن مدهم بالإتاوات وتخلى فيه قراصنتهم عن النشاط.

وكنا نحن الغربيين نشجع البايات على الانسياق في حياة الإسراف التي تكتسي كلها مظاهر سطحية. ولا يخفى علينا خلفياتها. و لم يقتصر أحمد(باي) في إنفاق ثروات البلاد في إقامة القصور[2] والإنجازات بل أنشأ الثكنات وعمّرها بالجنود . ولقد تقرر إرسال فيلق من جيش الباي إلى القسطنطينية[3]...

و لم يكن محمد باي الذي خلفه أقل تبذيرا إلا أنّه كان يمتاز عنه بقلة ولعه بإقامة المشاريع الكبرى ... ولقد وجد نفسه مضطرا إلى دعم الفيلق العسكري عوض استدعائه، هذا دون اعتبار النفقات التي تستوجبها العناية بهذا الفيلق...»

بول ديستورنال دي كونستان[4] ، غزو البلاد التونسية، منشورات صفر، باريس ،2002، ص 40 ومابعدها

1 – تاريخ مؤتمر فيانا
2– مثل قصر المحمدية
3– لإعانة الدولة العثمانية في حرب القرم ضد روسيا (1854 - 1856)
4– Paul D'Estournelles de Constant نائب المقيم العام بتونس بين سنة 1882 وسنة 1884، تحصّل على جائزة نوبل للسلام سنة 1909.

الوثيقة 4 : مداخيل ميزانيّة الإيالة التّونسيّة لسنة 1277هـ (من 20 جويلية 1860 إلى 8 جويلية 1861)

الموارد	القيمة
العشر	1229415 ريال
القانون	2719344 ريال
المجبى	7386984 ريال
اللّزمة	3490826 ريال
المحصولات	2737836 ريال

عن ج. قانياج : جذور الحماية الفرنسية ....ص 109

معطيات مكمّلة

الضرائب المباشرة :

العشر : أداء عيني قديم على الحبوب وقد أدخلت عليه تحويرات تهم آلة الكيل "الويبة"، كما يوظف هذا الأداء على زيت الزيتون .

القانون : أداء خاص وظف على أشجار الزيتون بالساحل منذ سنة 1840 وعلى أشجار النخيل بالجنوب منذ سنة 1841.

المجبى : ضريبة شخصية وقع إقرارها سنة 1856 و تبلغ 36 ريالا أي ما يفوق أربع مرّات الضريبة الشخصيّة في فرنسا وقد اعتبرها بعض المسلمين منافية للدين الإسلامي لأن الضريبة الشخصية لا تفرض في العادة إلا على أهل الذمّة. وقد تقرر مضاعفة مقدارها مرتين سنة 1863 و بدأ العمل بهذا القرار سنة **1864**.

الضرائب غير المباشرة :

اللزمة : مداخيل يتحصل عليها الباي نتيجة احتكاره لفروع من الإنتاج كصناعة الصابون و الجبس والملح و البارود و زراعة التبغ وبيعه...

المحصولات :أداءات محلية مختلفة توظف منذ 1838 على كلّ ما يباع ويشترى بالأسواق.

الوثيقة 5 مصطفي خزندار

«كان سيدي مصطفى (خزندار) وزيرا أكبر في البلاد التونسية مدة حوالي 40 سنة. وسير مالية الإيالة طيلة حوالي 30 سنة. و على امتداد هذه السنوات المتتالية مثّل أهم شخصية في الإيالة بعد الباي...

و في أواخر سنة 1873 رفعت (ضده) دعوى باختلاس أموال الدولة و أصبح مطالبا بتقديم تفسير عاجل لاستعمال 80 مليون قد يكون حولها لصالحه.»

أدمون دي فوسي*: عزل سيدي مصطفى خزندار الوزير الأكبر سابقا لدى حضرات بايات تونس أحمد ومحمد والصادق، قضايا الشرق، 1875، ص 4-5

*Edmond Desfossés محامي فرنسي تولى الدفاع عن مصطفى خزندار في القضية التي رفعت ضدّه سنة 1873.



مصطفى خزندار الوزير الأكبر من 1837 إلى 1873

ارتقى هذا الرجل بسرعة مذهلة من مملوك إلى وزير أكبر أدار شؤون الإيالة و منها التصرّف في الخزينة العامّة، حسب مشيئته وتوظيفها للإثراء غير الشّرعي على حساب السّكان، وقد أودع قسما وافرا من ثروته في البنوك الفرنسية.

الوثيقة 6 : بعض أعوان مصطفى خزندار

«راكن (مصطفى خزندار) محمود بن عياد[1] وتشاركا سرّا حتى صار المحتسب و المحتسب عليه شريكين، وحصر دخل الدولة وخرجها في محمود... و للنجاة بما حصّلا معا سهّل خروجَ محمود (بن عياد) إلى فرانسا بغير حساب... و قد استعوض عن ابن عياد أيضا...القائد نسيم شمامة[2] و جعل وظيفته كونه قابض أموال وكان يشتري المهمات بسعر ويحتسبها على الحكومة بأضعاف».

محمد بيرم الخامس[3]، صفوة الاعتبار... ص 454- 456

1– محمود بن عياد من رجال الدولة هرّب أموالا إلى فرنسا و تحول إليها سنة 1852 و تجنس بجنسيتها .

2– نسيم شمامة يهودي تونسي من المقرّبين لمصطفى خزندار تقلّد عدة مناصب عليا في الدولة و بخاصة منها إدارة المالية. جمع ثروة كبيرة حوّلها إلى فرنسا و فر إليها تاركا وراءه عجزا في الخزينة يفوق 25 مليون ريال.

3– محمد بيرم الخامس(1840 ـ 1889) ولد بتونس من أسرة علم، تقلّد وظائف عديدة في الإدارة الحسينية ثمّ تحول للإقامة بمصر. من أبرز مؤلفاته: صفوة الاعتبار بمستودع الأمصار والأقطار.

الوثيقة 7 : مجلس الباي ينظر في رفع الجباية

«جمع الباي رجال مجلسه الخاص وتكلّموا في شأن زيادة الدخل مرارا عديدة، مع الإعراض عن تنقيص المصروف كلّ الإعراض، و من حام حوله رشقته سهام الاعتراض... و منهم من يرى أنّ الرعيّة لا سيما العربان ، في ثروة و غنى، لقلّة ما يلزمهم من مصارف الحواضر... و منهم من يرى أنّ العربان إذا كثر مالهم ساء حالهم، وفي ثقل الجباية خضد لشوكتهم وكبح لهم عن العصيان... إلى أن قال بعض من يشار إليه في هذا المجلس ... «إنّ الرأي سهل، وهو أنّ مال الإعانة(*) يزاد عليه مثله، ويكون عامّا في سائر بلدان المملكة. من غير استثناء و لا اعتبار لحال الدافع»... و لمّا تمّ مقاله قابله الباي بالاستحسان ودعا له بتكثير أمثاله في الأعيان، فوجم الحاضرون لهذه النتيجة التي هي ضدّ لجميع ما خاضوا فيه ...حتى اضطر خير الدين إلى أن قال للباي بالمجلس : «...أرى أنّ هذه الزيادة في مال الإعانة تؤدي إلى زوالها بالمرّة أو تلجئ إلى مال أكثر منها لتجهيز الجيوش لغصب الناس، و لا نجد في السنة التي بعدها ما يقارب الإعانة الأولى، هذا باعتبار القدرة على الغصب».

ابن أبي الضياف، إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان ج.5،
الدار التونسية للنشر، 1990، ص. 129-130

(*) الإعانة : المجبى

معطيات مكمّلة

التذكرة (أو التسكرة) : بيع رخص تصدير زيت الزيتون والحبوب قبل الإنتاج بأسعار تقلّ عن أسعارها الحقيقية.
السَّلَم : بيع الدولة زيت الزيتون للتجار قبل الإنتاج، وبدأ العمل به منذ سنة 1819 .

الوثيقة 8 : أهم القروض التي تحصلت عليها الدولة التونسية في النصف الثاني من القرن XIX

السنة	قيمة القرض (بالمليون فرنك)	نسبة الفائدة	توضيحات
1862	28	12 %	من التجار و المؤسسات الأجنبية المنتصبة بتونس
1863	35	7 %	من بنك Erlanger الفرنسي لم يصل منه إلى الخزينة إلا 5,6 مليون فرنك خصّص جزء منها لتسديد الديون الداخلية و تبخّر الجزء الأكبر من هذا القرض بين مصطفى خزندار و الوسطاء
1865	25	7 %	من بنك Erlanger أساسا نال الوسطاء أكبر قسط منه و خصص قسط آخر لاقتناء أسلحة قديمة غير صالحة و لم تمكن الأقساط المتبقية الدولة من تسيير شؤونها إلا لمدة ثلاثة أشهر فقط

عن مصادر مختلفة

التعليمات

– أبرز مظاهر الأزمة المالية للإيالة التونسية في القرن XIX وبين أسبابها.
– أذكر الإجراءات التي اتخذتها الدولة للحد من هذه الأزمة وبين مضاعفاتها الداخلية والخارجية.

النشاط الثاني: أحلّل الأزمة الاقتصادية والاجتماعية التي عرفتها الإيالة التونسية في القرن XIX .

الموارد :

الوثيقة 9 : تراجع الفلاحة

«... و ازداد نقصان الفلاحة حتى كادت أن تنقطع، وبقيت الهناشر مرعى السوائم و مبيت الوحوش، وتفاقم الأمر، و عيل الصبر، و ضعفت الطاقة، وظهرت الفاقة، وصارت أزمّة الأعشار تأتي من البلدان وأكثر الهناشر مكتوب اسمه مقرونا بلفظ «أبيض» كناية عن عدم البذر. وكنت أقرأ على الباي مجموع كل زمام ليجعل عليه ختمه، حتى قال لي الأمير أبو محمد خير الدين: "ما معنى أبيض ؟" وهو يعلمه و يعلم سببه، فقلت له: "معناه لا بذر فيه"، فقال لي "لِمَ لَمْ تجمعه حتّى يعلم سيدنا مقدار ما نقص من عمران بلاده". فقلت له: "أشرتُ إلى ذلك و لم يُستحسن منّي" وتذكر الناس بهذا الحال ما يقال في حديث خرافة، وهو أن الفلاح في آخر الزمان يمر بالمحراث فيضربه برجله و يقول له "يا سبب فقري".

ابن أبي الضياف، الإتحاف...، ج.4، ص. 162-163

الوثيقة 10 : تدهور الأنشطة الحرفيّة

«وأما صناعة الشاشية فإنّها كانت هي عيال(*) أكثر أهل الحاضرة. و منذ صنعت الشاشية بالمعامل في أوروبا رخصت و مازال صنّاعها في تونس متمسكين بالآلات القديمة و هي تكلّفها غالية فما زالت في تناقص... و بقي في حوانيتها نحو ثلاثين... بعد أن كانت حوانيت هذه الصناعة تبلغ نحو الألف وبسبب ذلك بقي أكثر الناس في الحاضرة بلا صناعة...

(و) من نظر إلى لباس أهل المدن ومسكنهم وفرشهم يجد أغلبها من مصنوعات الأجانب وذلك موجب لفقر المملكة»

محمد بيرم الخامس، صفوة الاعتبار... المجلّد الثاني ص. 704 - 707

(*) مورد رزق

الوثيقة 11 كساد التّجارة الخارجيّة

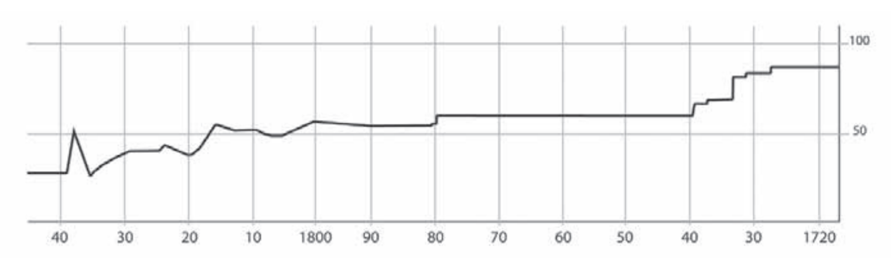
«إنّ أغلب الخارج من [القطر] والمجلوب إليه من بلاد أوروبا وكله منحصر في الأورباويين إلا نادرا من الأهالي ثم أن قيمة التجارة بين الداخل والخارج لا يتجاوز معدلها الأربعين مليون فرنكا في السنة .

فأما البضائع الخارجة فهي الحبوب ... وكذلك الزيت والصوف والقطن والاسفنج وبيض السّمك ولحم نوع منه ...ومنسوجات الحرير والقطن والشاشية وأشياء أخرى زهيدة. وأما البضائع الداخلة فهي كثيرة .

وحمل السلع إلى خارج القطر في السفن البحرية. وقد أرسى بأعظم مراسي القطر وهو حلق الوادي في سنة 1295 هـ (1877/1878م) مائتان وسبعة وخمسون باخرة وأربعمائة وثمانون سفينة شراعية كلها للأجانب إلا عددا يسيرا...»

محمد بيرم الخامس، صفوة الاعتبار ...المجلد الثاني ص 692 .

الوثيقة 12 : قيمة تبادل العملة : تدهور قيمة الرّيال التونسي على الأراضي الفرنسيّة .



عن ل. فالنسي، الفلاّحون التّونسيّون : الاقتصاد الرّيفي وحياة البداوة خلال القرنين 18و19، موتون باريس لاهاي 1977، ص 327

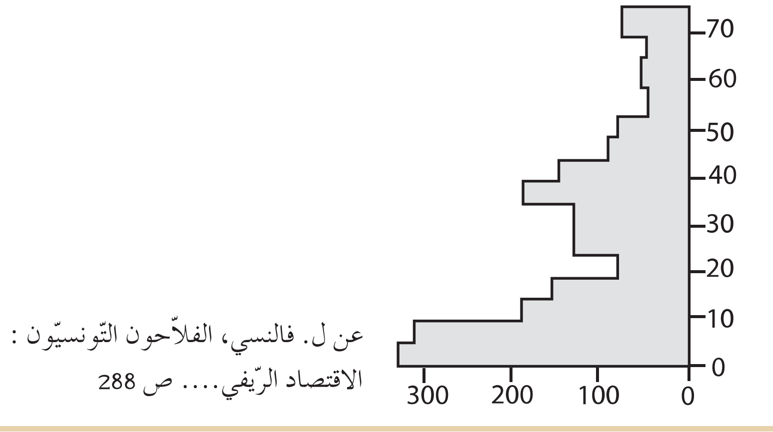
الوثيقة 13 : تفاقم البؤس والشّقاء

"وفي هذا الشهر (صفر 1284/ جوان 1867) ظهر المرض الوبائي المعروف بالكوليرة في هذه الإيالة وانتشر أولا في يهود الحاضرة ثم في مسلميها، و [نكى] في بعض البلدان. ووقع في الجند الذين بمحلة الوزير أحمد زروق ومات به أعيان من ضباطها. وكاد أن يستأصل أهل باجة. واشتد الخوف والذعر في أهل هذه الإيالة التي ابتلاها الله بالخوف و الجوع و نقص في الأموال و الأنفس و الثمرات...

أما الخوف فبزوال أمان القانون و سطوات الملك المطلق، و أما الجوع فبالمساغب واحتباس الغيث وعدم حبوب الأقوات ... و أمّا نقص الأموال فبنحس النّحاس وتبديل قيمته إلى النصف ثم إلى الربع دفعة، وموت الأنعام. وأمّا الأنفس فبالكوليرة والحرب الأهلي بين عسكر المحلة وأهل الجبل، ليدفعوا ما لا طاقة لهم به ثمّ بحمّى العفن الّتي وقعت بعد الكوليرة وأمّا نقص الثمرات فبالجدب واحتباس المطر وعدم البذر، لتعسر وجدان الحبوب وبيع آلات الفلاحة ومواشيها في خلاص المغارم...

ابن أبي الضياف ، الإتحاف، ... ج.6، ص. 105

الوثيقة 14 : هرم الأعمار لألفين من السكان الذكور بجهة غار الملح سنة 1862



عن ل. فالنسي، الفلاّحون التّونسيّون : الاقتصاد الرّيفي.... ص 288

الوثيقة 15 : التّفكّك الاجتماعي

"...فالخزندار يعلم حق العلم أن القبائل لو اجتمعت كلمتها لما استطاع أن يفعل شيئا وهو يذكر ما عاناه إبان الثورة* لإثارة الفتنة في صفوفهم. ولعلكم تعلمون أن تونس منقسمة إلى شطرين الباشية والحسينية..."

المصدر: رسالة من ماتيي نائب قنصل فرنسا بصفاقس إلى مولان بتاريخ 18 سبتمبر 1865 ورد بكتاب ثورة بن غذاهم 1864، الجزء الثاني،سلسلة المكتبة التاريخية، وثائق تونسية،الدار التونسية للنشر، 1969، ص.232 - 332.

* المقصود بها انتفاضة 1864

التعليمات

- بيّن طبيعة الأزمات التي شهدتها القطاعات الاقتصادية في الإيالة التونسية في القرن XIX .
- أبرز مظاهر تدهور الوضع الاجتماعي في الإيالة التونسية في القرن XIX

النشاط الثالث: أدرس انحلال الوضع السّياسي في الإيالة التّونسيّة في القرن XIX

الموارد :

الوثيقة 16: نظام الحكم بتونس

وصف «بليسيي» Pellissier نائب قنصل فرنسا بسوسة نظام الحكم بتونس سنة 1853 فقال:

« يبدو نظام الحكم بتونس في الوقت الحاضر منقطع النظير في بساطته ... فالأمير الذي يحمل لقب باشا باي يتمتع بسلطة مطلقة لا حد لها وهو يمارس الحكم طوع إرادته دون أن يتقيد بأي نوع من القوانين الدستورية حتّى ولو كانت تقليدية . و ليس له ديوان منظم ينظر في شؤون الدولة أو يقدّم على الأقل رأيه فيها، فكلما أراد في حالات قليلة جدا الاستنارة بآراء أخرى تختلف عن رأيه دعا إليه من شاء من أفراد عائلته، و يمكن القول إن ليس له وزراء بتاتا إذ هو يدّعي أنّ في إمكانه القيام بكل الأمور بنفسه... و لا يخفى أن هذه الطريقة ليست بالمثلى للنجاح في العمل كمّا وكيفا. ولكننا نجد في حاشيته بعض الأشخاص الذين يمكن اعتبارهم وزراء وفي استطاعتهم القيام بهذه المهام لو أسندت لهم وظائف تتناسب مع ألقابهم، و من بينهم صاحب الطابع الذي هو في مقام الوزير الأول والخزندار القائم بخزينة الدولة والآغا وهو بمثابة اللّواء قائد الجيوش».

عن ج. قانياج، جذور الحماية ...ص 70

معطيات مكمّلة

أهم الانتفاضات الجبائية بالإيالة التونسية في القرن XIX :

الانتفاضة	التاريخ
عمدون	1841 - 1840
خمير والهمامة	1844
جبالية الشمال الغربي	1857 - 1854
بعض قبائل الجنوب الشرقي	1858- 1856
خمير	1860
كامل البلاد تقريبا	1864

الوثيقة 17 : موقف فرنسا من انتفاضة 1864 كما يرويها الكاتب الإنقليزي بروادلي

«وقصد السيد دي بوفال* قصر باردو... يصحبه الأميرال وبعض ضباط أركان حربه... وردد القائم بالأعمال الفرنسي طلبه الرامي إلى إلغاء الدستور واستقالة الوزير الأكبر ورفض الباي الاقتراح الأول ولاحظ أنه وضع ذلك الدستور مجاملة في انجلترا وفرنسا...

وطيلة ذلك الوقت بقيت الأساطيل مرابطة بحلق الوادي وقرب السواحل بينما المناورات السياسية تتواصل حثيثة في باريس ولندن وطورينو واسطنبول...

وكانت الصحافة الفرنسية لا تنفك تهاجم تركيا وانجلترا الواحدة بعد الأخرى زاعمة أنها أصل الفتنة وأن الثورة انبعثت بوحي من الخارج لجعل الإيالة تحت إشراف الباب العالي المباشر وهذه النظرية اتضح بطلانها في أقرب وقت ذلك أن علي بن غذاهم عندما قرر إنهاء دور المهرج الذي تولاه... عمد إلى إبلاغ محمد الصّادق باي ثلاث رسائل مدهشة تلقاها من السيد دي بو فال...

الرسالة الأولى :

«...فالغاية من ورود بواخرنا الحربية إلى حلق الوادي هي حمل الحكومة على الاستجابة لمطالبكم مع تأمين مكاسبكم وأشخاصكم...وسوف نعلمكم بالطريقة التي تعززون بها جانبكم...وإن وزراءكم يضغطون على الباي ليوفد محلة من الجنود والمدافع... لتفريق القبائل من حولكم والحاق الضعف بكم.. »

ورد بكتاب ثورة ابن غذاهم 1864... الجزء الثاني، ص 290 - 294

* قنصل فرنسا بتونس

الوثيقة 18 : انتفاضة 1864 وتوجّه المحلاّت



المصدر: سلامة (ب) ، إنتفاضة 1864 بالبلاد التّونسيّة (بالفرنسيّة)، الدّار التّونسيّة للنشر، تونس، 1967، ص. 91 و145.

مركز الدّراسات والبحوث الاقتصاديّة والاجتماعيّة
مخبر رسم الخرائط

الوثيقة 19 : جدول عام لأهم المبالغ التي دفعها أهل الساحل التونسي أثناء إقامة محلة أحمد زروق تحت أسوار سوسة من 15 أكتوبر 1864 الى 29 جانفي 1865

	الأداءات ووحداتها		المبالغ الجمليّة
الأداءات الاستثنائيّة	الخطيّة المضروبة على المدن والقرى	بحساب الرّيال	439295
	الخطيّة المضروبة على الملاكين	بحساب الرّيال	4170727,50
	مصاريف المحلّة	بحساب الرّيال	14326725
		أمطار زيت[4]	564600
الأداءات العاديّة	المكوس المختلفة [1]	بحساب الرّيال	957993,72
	قانون الزّياتين	بحساب الرّيال	1149442,175
	العشر	بحساب الويبة[2]	48672
		المواشي[3]	6084
	المجبى	بحساب الرّيال	946866,30
		عدد الأشخاص	20082
المجموع النّهائي للضّرائب العاديّة والاستثنائيّة بحساب الرّيال			23470885,695

المصدر: رسالة من إسبينا قنصل فرنسا بمدينة سوسة الى وزير خارجيته دوشان دي بلكور بتاريخ 1 مارس 1865، ورد بكتاب ثورة ابن غذاهم 1864. الجزء الثاني، ص. 178.

1 – يقع إسناد بعض الأداءات على وجه اللزمة لمدة ثلاث سنوات، وتدفع محاصيلها للدولة أقساطا سنوية.

2 – تساوي الويبة الممتلئة 32,50 لترة وهي تساوي نصف الويبة "الباجي" المعمول بها في الشمال.

3 – تساوي الماشية المساحة التي يحرثها رأسان من البقر أو بعير في الموسم وتقدر بالساحل زهاء عشر هكتارات.

4 – يساوي المطر بسوسة 24 ليترة، وقد وقع تقدير ثمنه بـ 25 ريالا.

الوثيقة 20 : في قضيّة الاحتماء بالأجانب

«سقطت ثلمة واسعة لمريد الاحتماء ، لا سيما من يهود المملكة... وبلغنا أن كثيرا من أهل الكاف نحا هذا المنحى، واقتدى بهم من جاورهم من بعض عربان تلك الجهة... وإذا صح ذلك فقد انخرق السياج ... وتعذر العلاج وجاءت أسباب الهياج و كأني بهذا القطر قد اضطرب وماج ، ولله فينا علم غيب نحن صائرون إليه ... وما يمنع هذا المسمى بالمفسد[1] وهو حرّ أن يقول للباي: "جنابك العالي هو الذي أفسد رعيته حيث ألجأهم إلى الاحتماء بغيرك..." وكان شيخنا تقي العصر سيدي إبراهيم الرياحي[2]، يتجاهر بالفتوى في ذلك...»

ابن أبي الضياف الاتحاف...، ج.6 ، ص 70-71

1– المقصود به المحتمي بالأجانب.

2– من أبرز شيوخ الإسلام في تونس آنذاك.

الوثيقة 21 : دور الأجانب في تعميق الأزمة في تونس

«إن قرننا هذا الذي بلغت فيه الحضارة الأوروبية أوجها كان وبالا على بايات تونس، ومن جانبنا لا نستطيع البقاء غير مكترثين بتصرفاتهم ، ومن هذا المنطلق كان من واجبنا تقديم بعض النصح هم مضطرون للإنصات إليه والسعي إلى العمل به قدر الإمكان وعندما يجدون أنفسهم منساقين وراء هذا المسار لن يكون بإمكاننا نحن ولا هم تعديل تنامي تأثيرنا.وبقدر ماكان احتلال مجالنا الاستعماري الجديد* يمتد ويتدعم على حدودهم بقدر ما كان هذا التأثير يفرض نفسه علينا وإن اقتضى الحال عليهم أيضا.

وقد قبلوا إذن عن طواعية الانقياد لنا ليس فقط في عملية التوجيه، بل أيضا في عملية التمدين وهو ما يؤول إلى ضياعهم . واعتقد البايات أنهم أحسنوا عملا عندما طلبوا كل هذه الاستشارة . وكنا نستجيب لهذه الرغبات بدون تردد، إلا أنه اتضح أن كل هذا كان بداية للصعوبات وسببا لها. وكان من العسير على تونس تجاوزها دون مساعدة أجنبية .

تلك هي القصة المألوفة والتي تتمثل في تدخل القوي في شؤون الضعيف والأوروبي في شؤون الشرقي . وتبدأ عادة بالمساعي الحميدة وتنتهي بالاحتلال. وإن التسابق الدولي هو الكفيل وحده بتأجيل وقوع هذا الحدث.»

ديستورنال دي كونستان غزو البلاد التونسية... ص. 37- 38

* المقصود به الجزائر

التعليمات

1 – أبرز خصائص نظام الحكم القائم في الإيالة التونسية .
2 – بيّن اختلاف ردود فعل الأهالي تجاه سياسة هذا النظام.

المقدمة

كانت البلاد التونسية إيالة تابعة للدولة العثمانية تحكمها العائلة الحسينية منذ 1705 و بعد فترة الازدهار النسبي الذي عرفته في عهد حمودة باشا منذ الثلث الثاني من القرن XIX ما أصاب "الرجل المريض" من علل. واستقرت بها أزمة شاملة أدت إلى اختلال الوضع المالي و تدهور الوضع الاقتصادي والاجتماعي و انحلال الحياة السياسية.

I - الأزمة الماليّة

تعتبر من أهم الازمات وكانت مضاعفاتها خطيرة على الايالة التونسية في القرن XIX .

1. صعوبة الحفاظ على التوازنات المالية : الوثائق 1-2-3-4-5-6

يعود ذلك الى تراجع موارد الدولة وإلى تزايد النفقات.

أ– تراجع موارد الدولة:

* **الموارد الخارجية:** تطوّرت الظرفية العالمية لغير صالح الإيالة التونسية فتراجعت الموارد الخارجية إذ توقفت العائدات المتأتية من نشاط القرصنة و تجارة الرقيق وتقلّصت أرباح التجارة. وعلى الرغم من تراجع هذه الموارد فان مساهمتها في مجموع مداخيل الدولة تبقى معتبرة في السنوات التي تنخفض فيها الموارد الداخلية.

* **الموارد الداخلية:** لم يعد النظام الجبائي القديم الذي ميز القرن XVIII وبداية القرن XIX قادرا على توفير المداخيل الكافية للخزينة فقد أصابت الأزمات الكثيرة التي عرفها القرن التاسع عشر مصدر الضرائب التي كان يقوم عليها هذا النظام مثل الانتاج الفلاحي.

ب– تزايد النفقات:

تنامت مصاريف الدولة بنسق سريع في القرن XIX وتعددت أبوابها ومنها:

– إقامة البايات لعدة إنجازات كان بعضها مرتجلا و قد كلفت البلاد أكثر مما تتحمل.

– النفقات الخاصة بالبايات وحاشيتهم ولاسيما في عهد محمد باي.

– الهدايا الكثيرة التي كان البايات يؤدونها للسلطان العثماني وللوجهاء ولرجال الشرع وللزوايا.

– كلفة المشاركة في حروب الدولة العثمانية مثل حرب القرم (1854 - 1856).

وممّا زاد الوضع خطورة تفاقم ظاهرة الاختلاس والتهريب إلى الخارج التي ارتكبها بعض أعوان الدولة ويعتبر مصطفى خزندار أبرز رموزهم.

سبّب هذا النزيف المالي عجزا في الميزانية لم يجد الباي من حل لتغطيته سوى الرفع من الجباية أو الارتماء في دوامة الاقتراض.

2. الرّفع من الجباية : الوثيقتان 4-7

هزت تحولات عميقة وأحيانا عنيفة الاستقرار الذي كان يميز النظام الجبائي في القرن XVIII فقد تدخلت الدولة منذ سنة 1819 لضبط قائمة متجددة وموسعة لضرائب وقع تعديلها أو إقرارها مست الأشخاص وكل أنشطتهم تقريبا ومن أهمها:

* العشر والقانون :توظف هاتان الضريبتان على الحبوب وأشجار الزياتين والنخيل وهي المحاصيل الزراعية الأساسية. وتستهدفان فلاحي أخصب الجهات في البلاد وعلى الرغم من أهميتهما فهما لا تمثلان موردا منتظما للخزينة علاوة على أن الأشخاص المتنفذين قد نجحوا في الاستعفاء أو التملّص من أدائهما وبخاصة في القرن XIX.

وزاد نظام اللزمة المعتمد في جمع الجباية في تعقيد الوضع فقد فتح الباب أمام كل التجاوزات وحال دون مراقبة الدولة للمقابيض ودون الاستفادة منها كثيرا.

* المجبى أو الإعانة: ضريبة شخصية وقع توظيفها على السكان المسلمين منذ 1856. وكانت ثقيلة وقد أعفيت من أدائها بعض الأطراف ومنهم سكان المدن الخمس الكبرى. و لم تنجح الموارد الجبائية على ثقلها و تنوعها في الحد من الأزمة المالية التي أصابت البلاد. فلم يتردد الباي و أعوانه في اتخاذ قرار تعميم المجبى و مضاعفتها دفعة واحدة سنة 1863. وواصل الباي سياسته التعسّفية فاستغل انتفاضة 1864 و شنّ حملات كبرى من النهب والابتزاز وفّرت لخزينة الدولة الخاوية 100 مليون ريال أي ما يساوي 6 سنوات جبائية إذا اعتبرنا أنّ مداخيل السّنة الجبائيّة تتراوح بين 16 و 20 مليون ريال.

3ـ **سياسة الاقتراض:** الوثيقة 8

بدأ الباي أول الأمر بانتهاج سياسة التداين غير المباشر عن طريق السّلم ونظام التذكرة إلا أنّ هذه الإجراءات لم تنجح في تغطية عجز الميزانية فوقع الالتجاء إلى سياسة الاقتراض المباشر بتشجيع من مصطفى خزندار وبتسهيلات من أصحاب البنوك فتتابعت القروض:

القرض الأول: تمّ تجميعه سنة 1862من الأجانب المقيمين في تونس وقدرت قيمته بـ 28 مليون فرنك بنسبة فائدة مرتفعة بلغت 12 ٪ سنويا.

القرض الثاني: وقع الحصول عليه سنة 1863 من بنك "إرلانجي" الفرنسي وبتشجيع من قنصل فرنسا "روش" وتبلغ قيمته حوالي 35 مليون فرنك و لم يصل منه إلى خزينة الدولة إلا 5,6 مليون فرنك.

نفذت القروض السابقة و المبالغ الضخمة التي وقع جمعها إثر انتفاضة 1864 والإعانة التي بعثت بها الدولة العثمانية فالتجأ الباي من جديد إلى الاقتراض.

القرض الثالث:يعود إلى سنة 1865 وبلغت قيمته 25 مليون فرنك وتبخرت أغلب أقساطه مثل سابقيه و لم يمكن هذا القرض الحكومة من تسيير شؤونها إلا لمدة ثلاثة أشهر فقط فرتب خزندار إلى نيل قروض أخرى إلا أنه فشل في هذه المرة ووجدت الدولة نفسها في حالة عجز وإفلاس وهو ما كانت تنتظره القوى الأوروبية المتربصة بتونس وتخطط لها.

هكذا تحولت وجهة القروض من وسيلة لإصلاح مالية الدولة إلى أداة تعمق العجز وتقود إلى الإفلاس وكان لهذه الأزمة المالية الأثر على تردي الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية.

II– تدهور الوضع الاقتصادي والاجتماعي

1– **الأزمة الاقتصادية:** الوثائق 9 ـ 10 ـ 11 ـ 12

أ– **تراجع الفلاحة:** كانت الفلاحة تعاني من صعوبات هيكلية أبرزها ضعف المردود ومحدودية الإنتاج وقدم الوسائل والطرق المعتمدة. وقد زادت الصعوبات المستجدة في القرن XIX الوضع تعقيدا. فقد تواترت الآفات الطبيعية من جفاف وغيره واختل الأمن في عدة مناسبات وألحق الاجحاف الجبائي ومضاعفاته أضرارا فادحة بالفلاحة وتنامت ظاهرة الاستغلال غير المباشر للأرض بعد عمليات الانتقال الكبيرة للملكيات من أصحابها الأصليين الى أقليّة متغيبة من أعوان الدولة أو من المرابين اليهود والأجانب. وكان من الطبيعي أن تتدنى المساحات المزروعة الى مستوى 60 ألف هك فقط سنة 1873 بعدما كانت تساوي 250 ألف هك أواخر عهد حمّودة باشا وتراجع مستوى الإنتاج عما كان عليه في القرن XVIII وأصبحت سنوات الوفرة استثنائية.

ب– **تدهور الأنشطة الحرفية:** تضررت هذه الأنشطة كثيرا من نظام الامتيازات الذي فرضته القوى الاستعمارية. فعجز أغلبها عن منافسة المنتوجات المستوردة ممّا أدّى إلى انهيارها مثل صناعات الجلد والمنسوجات... كما لم يقدر بعضها على المحافظة على أسواقه الخارجية مثل صناعة الشاشية.

ج- **كساد التجارة الخارجية**: يعود هذا الكساد إلى عدة عوامل أهمها:

- تقلص أدفاق التجارة المربحة و بخاصة مع البلدان الإفريقية بسبب توقف تجارة الرقيق وتحول المسالك التجارية إلى سواحل المحيط الأطلسي.

- سيطرة المبادلات اللامتكافئة مع البلدان الغربية فأصبحت البلاد خاضعة لنظام جمركي جائر فتحها أمام المصنوعات الأوروبية التي تسيطر عليها المواد الكمالية. وتغيرت تركيبة الصادرات فقد تقلصت فيها مكانة الحبوب بسبب التراجع المسجل في انتاج هذه المادة وعدم قدرتها على منافسة محاصيل بلدان البلطيق التي استفادت من تحسن ظروف الانتاج والنقل في أوروبا ومقابل ذلك فقد تقلصت قائمة الصادرات وانحصرت في قلة من المواد يحتل زيت الزيتون الرتبة الأولى فيها. وقد نتج عن هذا الوضع عجز في الميزان التجاري وتدهور في قيمة الريال التونسي.

2 - **الأزمة الاجتماعيّة** : الوثائق 13 - 14 - 15

أ- **تفاقم البؤس و الشقاء** : عمّت هذه الظاهرة في ذات الوقت الأرياف والحواضر. فقد تحوّل الكثير من الملاكين في الأرياف إلى مجرد خماسة أو أجراء يشتغلون في الاراضي التي أخذت منهم بطرق مختلفة، وانتشرت ظاهرة الترحال والنزوح. أما في المدن فلم يكن الوضع أحسن حالا فقد أفلس الكثير من الحرفيين و التجار المسلمين وانتشرت البطالة. و قد بلغت حالة البؤس والشقاء التي كانت عليها البلاد أوجها بين 1864 و 1869 بسبب تفاقم الضغط الجبائي وتعاقب الكوارث الطبيعية وتفشّي الأمراض والأوبئة.

ب- **الآفات الديمغرافية**: يظهر هرم الأعمار الخاص بألفين من السكان الذكور في بعض القرى (غار الملح) تشابها مع ما يسجل في قرى أخرى في أنحاء متفرقة من الإيالة. وهو يبرز بوضوح أن النظام الديمغرافي السائد في البلاد التونسية وليس فقط في غار الملح هو من النوع القديم حيث ترتفع فيه كل من نسبتي الولادات والوفيات. وتكشف كثرة الفجوات العميقة التي تعتريه تواتر الأزمات الديمغرافية الخطيرة التي أصابت السكان على امتداد القرن XIX. و لم تتمكن الإيالة من تحقيق عملية تجدد الأجيال إلا بفضل الارتفاع الكبير لنسبة الولادات.

ج- **التفكك الاجتماعي**: يتجلى هذا التفكك من خلال:

* احتداد الفوارق الاجتماعية بين أقلية محظوظة دخيلة على البلاد أحيانا ارتبطت مصالحها بالسلطة أوبالأجانب وبين أغلبية محرومة وقع استغلالها أسوأ استغلال.

* كثرة التناقضات التي شهدها المجتمع نتيجة رواسب الخلافات القديمة بين الحسينية والباشية والنزاعات بين القبائل حول مجالات الرعي وتوتر العلاقات بين الريفيين و الحضريين.

لكن هذا المجتمع المفكّك تمكّن من تجاوز خلافاته ولو وقتيا وتصدّى للسلطة في انتفاضة 1864.

و لم يتوقّف تردّي الأوضاع عند المستوى الاقتصادي والاجتماعي بل تجاوزه إلى المستوى السياسي.

III- انحلال الوضع السياسي

يتجلى هذا الانحلال من خلال طبيعة حكم البايات ومن خلال ردود الفعل التي أبداها السكان تجاه سياسة الدولة. وكان للأجانب دورهم في تعميق هذه الأزمة.

1- **نظام الحكم**: الوثيقة 16

ينتمي البايات إلى العائلة الحسينية و يتمتعون بسلطة مطلقة لا يستندون فيها إلى تقاليد سياسية واضحة. افتقر أغلبهم للمؤهلات الكافية في تسيير شؤون الإيالة وكانوا يستعينون في إدارتها بحاشية من الأقرباء والمقرّبين همّ بعضهم تسخير مواقعهم في الدولة خدمة لمآربهم الخاصة. وتعددت وسائلهم في ذلك وأهمها المورد الجبائي. ويعتبر مصطفى خزندار أبرز رموزهم.

أدى هذا الوضع إلى اتساع الهوة بين أقلية حاكمة تزداد نفوذا وثراء وأغلبية تعيش حالة من الخضوع والفقر فتعمقت القطيعة بين الطرفين وتعدّدت ردود الفعل.

2- ردود فعل السكان: الوثائق 17 - 18 - 19 - 20

كانت رافضة لسياسة الدولة وبرزت في عدّة مناسبات من أهمها:

أ - انتفاضة 1864 : تتلخص أسبابها في الشعار الذي رفعه الثوار آنذاك "لا للمجبى. لا للمماليك، ولا للدستور". وقد اندلعت الانتفاضة في ربيع 1864. وكانت في شكل عصيان مدني امتنعت فيه القبائل عن دفع الجباية ثم تحولت بسرعة إلى حركة مسلّحة. وكان علي بن غذاهم أبرز قادتها. ثم التحقت بها المدن و القرى باستثناء العاصمة. فكانت شاملة لكل البلاد مجاليا واجتماعيا تقريبا، إلا أنها انطفأت بسرعة في أواخر 1864 وتعود أسباب فشلها إلى:

- غياب برنامج واضح وقلة التنظيم وانسياق على بن غذاهم وراء مآرب شخصية.
- نجاح سياسة الباي التي جمعت في نفس الوقت بين الترهيب و الترغيب و المراوغة.

لم تقتصر ردود فعل السكان على الإنتفاضة بل تعدتها إلى لجوء البعض للاحتماء بالأجانب.

ب - الاحتماء بالأجانب: تعتبر ظاهرة الاحتماء بالأجانب ظاهرة فردية التجأ إليها أشخاص لحماية أرواحهم وممتلكاتهم من اجراءات يمكن أن تتخذها السلطة ضدهم. وينقسم أصحابها إلى صنفين: صنف عُرف بتجاوزاته يبحث عن طرف يحميه، وصنف آخر يمثل الأغلبية المتبقية وهم أبرياء يخشون تعديات السلطة عليهم.

وتعكس هذه الظاهرة غياب الشعور بالأمان لدى السكان وعلاقات الجفاء بين الرعية والبيليك.

3- دور الأطراف الأجنبية في تعميق الأزمة: الوثائق 17 - 21

لقد أغرى موقع البلاد التونسيّة و ما توفّر لها من إمكانات الدّول الاستعمارية الأوروبيّة فوجّهت أنظارها إليها منذ وقت مبكّر وبدأت تتربّص للإيقاع بها .وقد استغلت كلّ فرصة سانحة لتكثيف تسرّبها و خاصّة منه الاقتصادي والمالي وإكسابه غطاء شرعيّا بمعاهدات و قوانين وقع انتزاعها مثل اتفاقية 1830 بين فرنسا وتونس. ووجدت في بعض رجال الدّولة الاستعداد المطلوب للإنصات إليها وقبول استشاراتها وحتّى أوامرها. كما قدمت الحماية لبعض من أساء التّصرّف في شؤون البلاد مثل محمود بن عيّاد و شجّعت هذه الدّول إقامة الإنجازات وحتّى الإصلاحات أحيانا لكن على شرط أن تكون مراقبة تتحكّم فيها وتوجّهها الوجهة التي تقود البلاد إلى تبعيّة خطّطت لها.وإذا ما انحرفت الإصلاحات عن المسار الذي رسمته لها فإنّها لا تتوانى في تعطيلها بعد أن كانت من أكبر دعاتها كما وقع مع دستور 1861.

وقد وظّفت الدّول الاستعمارية الكبرى وسائل عديدة منها الديبلوماسيّة والعسكريّة والاقتصادية والماليّة لتحقيق أهدافها و تمّ ذلك عن طريق عدّة أطراف مثل القناصل والأساطيل والشّركات والمضاربين والسماسرة.

و أخضعت القوى الكبرى تدخلّها في شؤون تونس لمرحليّة محكمة تتمثّل في:

- المرحلة الأولى: إيقاع البلاد في دوّامة التّداين و جرّها إلى الإفلاس
- المرحلة الثّانية:تدخّل الحكومات الأوروبيّة وفرض رقابة ماليّة على ميزانيّة البلاد عن طريق "الكومسيون" المالي مثلا.
- المرحلة الثّالثة:إعلان الهيمنة السّياسيّة.

الخاتمة

تعمقت أزمات الإيالة التونسية في القرن XIX أو ما يسمّى "القرن العصيب" وضعفت حصانتها أمام أعدائها. وتأكد تضاؤل شأنها الفاتر أمام صولة الغرب الناهض الذي يتربص بها مما يجعلها مهيئة للاستعمار. أمام هذه الأزمات الخطيرة لم تتأخر ردود الفعل و كانت في شكل محاولات إصلاحية هدفها النهوض بالبلاد وإنقاذها من الأخطار المحدقة بها.

الدّرس 21 محاولات الإصلاح

المدخل

1. الشاعر محمود قابادو يمدح محمد الصادق باي وإصلاحاته :

لـلـه قـانـون* أقـام سـيـاسـة — شـرعـيـة مـرصـوصـة الـبـنـيـان
خلنا الزمان لنا استدار فنحن في — خـيـر القرون بحكـم خير قـران
سبحان من أحيا بمسعاك الهـدى — وأعـاد روح العـدل للجثمـان

* المقصود به دستور 1861

2. ديستورنال دي كونستان نائب المقيم العام الفرنسي بتونس يُقيِّم الإصلاحات التي ظهرت في تونس في القرن XIX:

" كنا نواكب حالة انهيار لا مناص منه للإيالة [التونسية] وهو ناتج عن جوارنا وعن نصائحنا. كما أنه ناتج عن الجهود التي تحتم علينا بذلها لتشجيع البايات على التخلي عن عاداتهم القديمة وعلى تبني قوانين أوروبية كانوا غير قادرين على تطبيقها وفهمها إضافة إلى أنها غير ملائمة لهم ولا لبلدهم..."

أتبين مدى وجاهة هذين الرأيين من خلال دراسة الحركة الإصلاحية في البلاد التونسية في القرن XIX

النشاط الأول : أتعرّف محاولات الإصلاح العسكريّة والاجتماعيّة في عهد أحمد باي.

الموارد :

الوثيقة 1 : تدخل الدولة العثمانيّة في طرابلس سنة 1835

«وأتى الوزير طاهر باشا* في الأسطول العثماني إلى طرابلس لإصلاح الأمور فاقتلع علي باي من روض منبته إلى إسلامبول... وانقرضت بيت آل قرمانلي وتفرقوا أيدي سبا... وفي خلال هذه المدة وقع الأرجاف بتونس أن قبطان باشا يريد القدوم بأسطوله إلى تونس ليلحقها بطرابلس...».

أحمد بن أبي الضّياف إتحاف أهل الزّمان بأخبار ملوك تونس و عهد الأمان ج. 3 ، الدار التّونسيّة للنشر، تونس 1990 ص.258-259.

* الطاهر باشا كان وزيرا للبحر

معطيات مكمّلة

أحمد بن أبي الضّياف (1803–1874)

– ولد بتونس
– اشتغل كاتب السّرّ للبايات على امتداد 37 سنة.
– اصطحب أحمد باي إلى باريس سنة 1846.
– كلّف بمهمّات عديدة لدى الباب العالي خاصّة سنة 1830 وسنة 1842.
– عيّن عضوا في المجلس الأكبر.
– عارض سياسة البايات والوزير الأكبر مصطفى خزندار في عدّة مناسبات وخاصّة في فترة السّتّينات.
– يعتبر من دعاة الإصلاح.

الوثيقة 2 : مطالبة الدّولة العثمانيّة بتطبيق التّنظيمات في تونس

«قابل أحمد بن أبي الضياف مع وفد أرسله أحمد باي المسؤولين في الباب العالي سنة 1842 فقال : « كلمنا الصدر الأعظم عزت باشا في شأن التنظيمات الخيرية وقال : « إن الحال يقتضي السرعة بترتيبها وأنتم بدونها في خطر »... ثم استدعاني السيد عارف باي*. لضيافته ... ثم تكلم في شأن التنظيمات وأطال وإنها من أصول دين الإسلام حتى قال : "يقبح بنا معاشر المسلمين أن يغصبنا غيرنا على أعظم أصول ملتنا وهو العدل الذي يحبه الله ولا يحبه غيره ..." و لم يكلمني في غير التنظيمات من المطالب » .

ابن أبي الضّياف، الإتحاف..... ج.4 ص.68-69

* شيخ الإسلام بالدولة العثمانيّة.

الوثيقة 3 : زيارة أحمد باي لفرنسا في نوفمبر 1846

« ...و لم يزل [أحمد باي] مدّة إقامته في باريس يتنقّل كلّ يوم من نزهة إلى نزهة، وهو مع ذلك يتذكّر تونس وعادات أهلها وأماكنها عند مشاهدة كلّ عجيب، ويقول : "ليت هذا عندنا بالمحلّ الفلانيّ بتونس». حتّى أنه مرّ يوما بمكان اسمه زلزا (Champs Elysées) ومعناه ممشى الجنّة، فقلت له : كاد أن يوافق الاسم المسمّى، فقال لي: «ما أشوقني للدّخول من باب عليوة، وأشتمّ رائحة الزّيت من حانوت الفطايري داخله" فقلت له مداعبا، وأنا أتنفس في هواء الحرية وأرد من مائها و قدماي بأرضها : "يحق لك ذلك، لأنّك إذا دخلت من هذا الباب تفعل ما تشاء، أما الآن فأنت رجل من الناس". فقال لي : "لا سامحك الله لم لا تحملني على حب الوطن لذاته وعلى أيّ حالاته ؟ " فقلت له :"إنّ هذا البلد ينسي الوطن و الأهل".

ابن أبي الضّياف، الإتحاف..... ج.4 ص.122

الوثيقة 4 : تركيبة الجيش النّظامي الجديد في تونس

	عدد الجنود	عدد الفيالق	عدد الضّبّاط
المشاة	18900	7	366
المدفعيّة	5800	2	56
الخيّالة	1000	1	34

عن جان قانياج، جذور الحماية الفرنسيّة بتونس الطّبعة الأولى باريس 1959 ص 116

معطيات مكمّلة

أنشأ أحمد باي بحريّة حربيّة اقتنى لها 6 سفن من أوروبّا وهيّأ لها ميناء بحلق الوادي.

الوثيقة 5 : بناء دار لصناعة اَلْمَلْفِ

«... و في هذه السنة 1260 (1844 م) تمّ بناء دار الملف* . بآلاتها التي أنشأها الباي حذو قنطرة محمد باي (المرادي) بطبربة ... وهي من الصّنائع الهائلة والمباني الرّفيعة، يحرّك الوادي آلاتها على أسلوب معجب باعتبار حالة هذه المملكة إذ لم يتقدّم مثلها مع ما فيها من مصلحة البلاد ... و توجّه لها الباي ومعه رجال دولته ورأى تلك المصانع وتحريكها ... و صنعت بها ألوان من الملف مستحسنة فائقة مثل ملف الإفرنج...».

ابن أبي الضياف، الإتحاف... ج.4 ص. **87-86**

* هدفها توفير حاجيات الجيش من المنسوجات.

معطيات مكمّلة : **بعض المدرسين و الضّباط الذين استعان بهم أحمد باي في إصلاحاته العسكريّة.**

الإسم	توضيحات
محمود قبادو	من علماء تونس و شعرائها درّس اللّغة العربيّة بالمدرسة الحربيّة بباردو ويعتبر من دعاة الإصلاح في تونس
كالقاريس Calligaris	مستشرق إيطالي كان مديرا للمدرسة الحربيّة بباردو درّس فيها الرياضيات و علم التحصين و التّاريخ العسكري
كامبنون Campenon	ضابط و عون مخابرات فرنسي ترأس البعثة العسكريّة الفرنسيّة التي استقدمها الباي لتدريب الجيش النّظامي ثم أصبح مديرا للمدرسة الحربية بباردو في مناسبتين
دي تافيرن De Taverne	عضو في البعثة العسكريّة الفرنسيّة ثمّ مدير للمدرسة الحربيّة بباردو
دالكاسال Delcassel	مدرّس انقليزي مختص في المدفعيّة وعلم رسم الأماكن
روسي Rossi + تراوني Traoni	مدرّسان في اللغتين الفرنسيّة و الإنقليزيّة .

معطيات مكمّلة **من أعمال مدرسة باردو الحربيّة**

تركت مدرسة باردو الحربيّة أكثر من أربعين عملا بعضها مؤلف و بعضها مترجم نذكرمنها :
– أطلس وطن صفاقس و قراها، وجزيرة جربة وما بها من أخماس، وجزيرة قرقنة الكبرى والصغرى وقراها وما يتّصل بها من مراكز العمران.
– أطلس مدينة سوسة و المنستير و المهديّة وما يتّصل بها من مراكز العمران.
– كتاب في تعليم العسكري.
– قانون الخدمة العسكريّة.
– تعليم القواعد العسكريّة و القانونيّة في المدرسة الحربيّة...

عن د. محمود عبد المولى، المدرسة الحربيّة بباردو، الطّبعة الأولى، تونس 2003، ص.50 و ما تلاها.

الوثيقة 6 : من خرّيجي مدرسة باردو الحربيّة : الجنرال حسين



– مملوك شركسي الأصل.
– تكون في مدرسة باردو الحربية وساهم في حركة الترجمة بها.
– عضو في المجلس الخاص للباي وقد عبر فيه بشجاعة عن مواقفه الرافضة لسياسة خزندار.
– تقلد عدة مناصب سامية في الدولة ومنها:
* رئاسة المجلس البلدي الذي وقع تأسيسه سنة 1858 .
* الإشراف على جريدة الرائد التونسي و إدارة المطبعة الرسميّة التي وقع انشاؤها سنة 1860
– استقال من وظائفه لمعارضته لسياسة مصطفى خزندار.
– عينه خير الدين وزيرا للمعارف والأشغال العامّة
– استقر أواخر أيّامه بإيطاليا حيث توفّي سنة 1887.

معطيات مكمّلة

الجنرال رستم :
– مملوك تركي الأصل استقدمه أحمد باي من استنبول.
– تكون في مدرسة باردو الحربية وساهم في حركة الترجمة فيها.
– تقلد عدة مناصب سياسية عزل منها سنة 1867 لمعارضته لسياسة مصطفى خزندار.
– تم تعيينه مع عودة خير الدين إلى الحكومة وزيرا للحرب.
– استقال من هذا المنصب سنة 1878 بعد عزل خير الدين من الوزارة الكبرى.
– استقر أواخر حياته بالاسكندرية حيث توفي سنة 1886.

الوثيقة 7 : عتق العبيد

«و في محرم من سنة 1262 (جانفي 1846م) صدر أمر الباي في سائر مملكته بعتق المماليك السودان ...و لم يأمر بذلك دفعة، بل تدرج إلى الوصول إليه. فأمر في رجب من سنة سبع وخمسين (أوت / سبتمبر 1841م) بمنع بيع الرقيق في السوق كالبهائم وأسقط المال الموظف للدّولة على أثمانهم ... وهدم الدكاكين الموضوعة لجلوسهم وبقعة القايد... وسكت عن بيعهم في غير السّوق. ثمّ منع خروج المماليك من العمالة للتجارة فيهم، و كتب بذلك لمراسي المملكة. و في ذي القعدة من سنة ثمان وخمسين (ديسمبر 1842م) صدر أمره بأنّ المولود في المملكة التونسيّة حرّ لا يباع و لا يشترى...ولمّا وقع هذا التّحرير صار له في أمم الحرّية موقع عظيم، و كاتبه أعوان من الإنقليز بالشكر على هذه المأثرة، وطبع في صحف الحوادث بالبلدان، و طبعت في مالطة أوراق بالعربية فيما يتعلق بملك الإنسان و التنفير فيه».

ابن أبي الضياف، الإتحاف... ج.4 ص. 97 وما تلاها

الوثيقة 8 : الولايات المتّحدة الأمريكيّة تستنير بالتجربة التونسيّة في إلغاء الرّق

كتب أموس بيري (Amos Perry) قنصل الولايات المتّحدة الأمريكيّة إلى الجنرال حسين يسأله عن أثر الغاء الرّقّ في تونس، وذلك إبّان الحرب الأهليّة الأمريكيّة بين ولايات الشّمال والجنوب لإعتاق العبيد فأجابه في أواخر أكتوبر 1863 برسالة هذه مقتطفات منها :

«إلى مسيو أموس بيري قنصل جنرال العصبة الأمريكانيّة بحاضرة تونس.

أمّا بعد فأنّه يشرّفني مكتوبكم الذي مضمونه أنّكم حيث كنتم بأرض كانت الحريّة والعبوديّة به متجاورتين وناميتين منذ مدّة مديدة و صارتا الآن مشتبكتين في حرب شديدة لغاية قهر إحداهما الأخرى ووجدتم في تاريخ تونس حوادث مهمّة متعلّقة بهذين المبدأين المتضادّين، أردتم أن تعرفوا تأثير العبوديّة في بلادنا وهل أعقب تأسّفا من الأهلين على فقدها أو انشراحا بذلك... أمّا الجواب عن تأثير العبوديّة وما أعقب فقدها في الأهلين فهو أن ملك الآدمي لما لم يكن من الأمور الضروريّة و لا الحاجيّة في المعيشة لم يصعب العدول عنه و لم تجزع لفقده نفوس أهل مملكتنا... و لعمري لأنتم كما قال أمنع النّاس من ظلم الملوك حيث أنعم الله عليكم بتمام الحريّة في أنفسكم وجعل سائر أموركم السياسيّة والمدنيّة بأيديكم والبعض من غيركم يقنع بالحقوق المدنيّة لحماية النّفس والعرض والمال فلا يجدها، فما ضرّكم لو تفضّلتم على عبيدكم بما لا يؤثّر وَهَنًا في شوكتكم...».

عن رئيف خوري، الفكر العربي الحديث، أثر الثّورة الفرنسيّة في توجيهه السّياسي والاجتماعي، منشورات دار المكشوف، بيروت 1943 ، ص.223-228

التعليمات

1. أذكر العوامل التي ساعدت على ظهور المحاولات الإصلاحيّة الأولى في عهد أحمد باي.
2. بيّن مظاهر هذه المحاولات.
3. حدد مدى نجاح كلّ صنف منها.

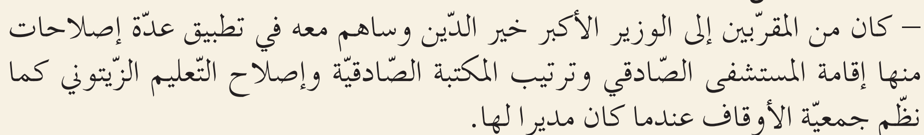
النّشاط الثّاني: أتبيّن محاولات الإصلاح الدّستوريّة الّتي قام بها كلّ من محمد باي ومحمد الصادق باي.

الموارد :

الوثيقة 9 : من روّاد الإصلاح محمّد بيرم الخامس (1840 - 1889)



- ولد بتونس.
- سافر عدّة مرّات إلى أوروبا واطّلع على مظاهر نهضتها.
- دعا إلى العمل بالإصلاحات السّياسيّة.



- كان من المقرّبين إلى الوزير الأكبر خير الدّين وساهم معه في تطبيق عدّة إصلاحات منها إقامة المستشفى الصّادقي وترتيب المكتبة الصّادقيّة وإصلاح التّعليم الزّيتوني كما نظّم جمعيّة الأوقاف عندما كان مديرا لها.
- غادر تونس سنة 1878 بعد تنحي خير الدّين وتحوّل إلى الاستانة ثمّ إلى القاهرة حيث أصدر جريدة الإعلام ومارس خطّة القضاء.

الوثيقة 10 : عهد الأمان

وهذا القانون السياسي يستدعي زمنا لتحرير ترتيبه و تدوينه وتهذيبه ... و تأسيسه على قواعد :

الأولى : تأكيد الأمان لسائر رعيتنا و سكان إيالتنا على اختلاف الأديان و الألسنة و الألوان، في أبدانهم المكرّمة و أموالهم المحرّمة و أعراضهم المحترمة ...

الثانية : تساوي الناس في أصل قانون الأداء المرتّب أو ما يترتّب ، وإن اختلف بإختلاف الكمّيّة، بحيث لا يسقط القانون عن العظيم لعظمته و لا يحط على الحقير لحقارته، و يأتي بيانه موضّحا.

الثالثة : التسوية بين المسلم و غيره من سكان الإيالة في استحقاق الإنصاف، لأنّ استحقاقه لذلك بوصف الإنسانية لا بغيره من الأوصاف...

الرابعة : أنّ الذمّي من رعيتنا لا يجبر على تبديل دينه ولا يمنع من إجراء ما يلزم ديانته ...

الخامسة : ... لا نأخذ العسكر إلا بترتيب وقرعة، ولا يبقى العسكري في الخدمة أكثر من مدّة معلومة، كما نحرّره في قانون العسكر.

السادسة : أنّ مجلس النظر في الجنايات، إذا كان الحكم فيه بعقوبة على أحد من أهل الذمّة، يلزم أن يحضره من نعيّنه من كبرائهم...

السابعة : إننا نجعل مجلسا للتجارة برئيس و كاتب و أعضاء من المسلمين و غيرهم من رعايا أحبابنا الدول للنظر في نوازل التجارات....

الثامنة : أنّ سائر رعيّتنا من المسلمين و غيرهم لهم المساواة في الأمور العرفيّة و القوانين الحكميّة، لا فضل لأحدهم على الآخر في ذلك.

التاسعة : تسريح المتجر من إختصاص أحد به، بل يكون مباحا لكل أحد. و لا تتاجر دولة بتجارة ولا تمنع غيرها منها...

العاشرة : أنّ الوافدين على إيالتنا لهم أن يحترفوا سائر الصنائع و الخدم، بشرط أن يتبعوا سائر القوانين المرتّبة والتي يمكن أن تترتّب، مثل سائر أهل البلاد لا فضل لأحدهم على الآخر ...

الحادية عشرة : أنّ الوافدين على إيالتنا من سائر أتباع الدول لهم أن يشتروا سائر ما يملكوا من الدّور و الأجنّة و الأرضين، مثل سائر أهل البلاد بشرط ان يتّبعوا القوانين المرتّبة و التي تترتّب من غير امتناع...»

عن الأرشيف الوطني التونسي، السلسلة التّاريخية صندوق 0118 ملف 0410

الوثيقة 11 : محمد الصادق باي يعرّف بدستور 1861 في مكتوب أرسله إلى الجهات

" ... وهذا القانون أعظم ما أسس في مملكتنا للنفع الخاص والعام، فلا بد له من ضامن يحميه، وحارس يقيه، ويدفع ما ينافيه. فركبنا لحمايته مجلسا سميناه "المجلس الأكبر"، أعضاؤه ستون، ثلثاهم من أعيان أهل المملكة والثلث من رجال الدولة. ودائرة هذا المجلس أوسع من دائرة سائر المجالس، لأنه لا يتقيد بنوع مخصوص، وهو الحارس والحامي للقانون، وحقوق الملك، وسائر حقوق السكان، ومصالح المملكة على اختلاف الأنواع من ضبط الدخل والخرج، وما يلزم من المصرف وما لا يلزم، ومحاسبة الوزراء على ذلك، وإحداث شيء لم يتقدم نظيره في المملكة، أو إبدال قانون ولو بأصلح منه وغير ذلك مما يعم نفعه أو ضرره أو يخص...

وأما الحقوق الذاتية بين أفراد الناس مما يقع بين المتداعين مما لا يخلو الوجود منه من جنايات تعم أو تخص... جعلنا لفصلها والنظر فيها مجالس الجنايات والأحكام العرفية وتطمئن نفس المحكوم عليه إذا كان من أنظار متعددة، في مجلس يحقق طرق الثبوت وينظر في القرائن ويحضر الشهود... إلى غير ذلك من التثبت في الحقوق المقتضى أمان السكان.

ولزيادة الأمن جعلنا مجلسا آخر سميناه مجلس التحقيق. إذا أراد المحكوم عليه، قبل مضيّ ثلاثة أيام من يوم الحكم عليه بالمجلس الأول أن يرفع إليه نازلته لينظر الحكم الواقع عليه فيوافق عليه أو يخالف.

ولزيادة الأمن جعلنا للمحكوم عليه في جناية جديدة أن يرفع نازلته من مجلس التحقيق إلى المجلس الأكبر.

عن ابن أبي الضياف، الإتحاف... ج 5 ص 61-62

الوثيقة 12: استفادة مصطفى خزندار و أتباعه من الإصلاحات الدستوريّة

رسالة من الكولونال "كامبرون" إلى المرشال "راندون" وزير الحرب الفرنسي بتارخ 31 ماي 1862 :

«فقدَ... الباي اتصالاته بالسّكان وأصبح منزويا بباردو في عزلة تامّة عن رعيّته يراقبه الوزير الأوّل ليلا نهارا و لم يتوان المماليك في احتكار كافّة مشمولات السّيادة التي سلبها الدّستور من الباي حتى أمسكوا أهم المناصب المدنيّة والعسكريّة بالبلاد.

إنّ الدستور التونسي الذي أطنب بعض الصحافيين في التمجيد بروحه التحرّريّة قد جرّ آخر الأمر إلى تكوين مجلس العشرة، وهي لجنة شبيهة بالتي أسّسها مجلس النوّاب الفرنسي سنة 1849. واستأثرت هذه اللجنة بالسّلطة والثّروة حتى أصبح وضع الإيالة التونسية مطابقا تماما لمحتوى هذه الكلمات التي خاطب بها الجنرال "بونابارت" أهالي مصر «كلّما رأيت هنا امرأة جميلة فهي للمماليك وكلما رأيت جوادا أصيلا فهو للمماليك، وكذلك الثروات والأشجار اليانعة والأراضي الخصبة فكلّها للمماليك»».

عن ج. قانياج،جذور الحماية...ص. 87 ـ 88

التعليمات

1. أذكر طبيعة الضغوط التي دفعت بالبايات إلى سنّ الإصلاحات الدستوريّة.
2. بين المكاسب التي وفرها "عهد الأمان" لكل من التونسيين والأجانب.
3. أبرز الإصلاحات التي أدخلها دستور 1861 على نظام الحكم في تونس و بيّن الصعوبات التي واجهتها.

النشاط الثالث : أتعرّف شخصيّة خير الدّين وأدرس إصلاحاته.

الموارد :

الوثيقة 13 : نشأة خير الدّين وخصاله



« هذا الوزير أصله من أبناء الجراكسة القاطنين في جبال القوقاز و نشأ بالقسطنطينيّة ثم شبّ في تونس بقصر الوالي أحمد باشا و استكمل القراءة والكتابة والتجويد والفروض العينية... وتعلّم اللسان الفرنساوي فكان فصيحا في العربية عارفا بالتّركية و الفرنساويّة شديد التوقير للشّريعة والعلماء محافظا على شعائر الدّين عالي الهمّة وقورا حتّى يخاله من لم يخالطه متكبّرا فإذا ثافنه* رآه حسن القبول عفيفا على الرّشا راسخ الطّبع ثابت الفكر لا يتزلزل عن رأيه حازما في العمل...»

محمد بيرم الخامس، صفوة الاعتبار بمستودع الأمصار والأقطار، المجلّد الثاني، بيت الحكمة تونس1999 ص 506.

* ثافنه : جالسه ولزمه

الوثيقة 14 : كتب خير الدّين في مذكّراته عن تجاربه السّياسيّة فقال :

«أوّل ما تولّيته من الخطط ولاية أمير لواء الخيّالة فأقمت بها مدّة إلى أن سافرت إلى باريز لمباشرة نازلة ابن عيّاد... وفي غيبتي أولاني المقدّس سيّدي محمد(باي) وزارة البحر و لمّا تمّت مأموريّتي بباريز رجعت للحاضرة وبقيت بالوزارة المذكورة إلى أن شرّفتني الحضرة العليّة... بولاية كاهية رئيس المجلس الأكبر و أقمت في تلك الولايات مدّة متحمّلا ما نلاقيه كل يوم من تعطيل بعض الأشخاص وقلبهم لحقائق كلامي ... إلى أن كثر الامر وتحقّقت أن البقاء على تلك الحالة يفضي إلى تعطيل مصلحة الدّولة والمملكة الواجب حفظها فاخترت التّخلّي عن الخدمة...و بقيت تسعة أعوام بدون خطّة لا نتداخل في شيء إلى أن اقتضى النظر... تكليفي برئاسة الكمسيون المالي والوزير المباشر وذلك لمّا خربت البلاد و كثر الدّين من سوء تصرّف من كان قبلنا وتداخل بعض الدّول الأروبيّة في حماية أموال رعاياهم ...».

عن محمد الصالح مزالي وجون بينيون، خير الدّين رجل الدّولة، مذكّرات، الجزء الأوّل، الدّار التّونسيّة للنّشر، 1971، ص. 318

الوثيقة 15 : الدعوة إلى الاقتباس من الغرب

«إنّي بعد أن تأمّلت تأمّلا طويلا في أسباب تقدّم الأمم وتأخّرها جيلا فجيلا، مستندا في ذلك لما أمكن تصفّحه في التّواريخ الإسلاميّة والإفرنجيّة مع ما حرّره المؤلّفون من الفريقين* فيما كانت عليه و آلت إليه الأمّة الإسلاميّة، وما سيؤول إليه أمرها في المستقبل بمقتضى الشّواهد التي قضت التجربة بأن تقبل، التجأت إلى الجزم بما لا أظنّ عاقلا من رجال الإسلام يناقضه، أو ينهض له دليل يعارضه، من أنّا إذا اعتبرنا تسابق الأمم في ميادين التّمدّن وتحزب عزائمهم على فعل ما هو أعود نفعا أعون، لا يتهيّأ لنا أن نميّز ما يليق بنا على قاعدة محكمة البناء إلاّ بمعرفة أحوال من ليس من حزبنا لاسيما من حثّ بنا وحلّ بقربنا.»

خير الدين ، أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك، تحقيق المنصف الشّنّوفي، الدار التّونسيّة للنّشر تونس 1986، ص119-120

* إلى جانب تأثّر خير الدّن بابن خلدون فقد تأثّرا أيضا بالمفكّر الفرنسي مونتسكيو

الوثيقة 16 : وجوب الإصلاح

«... لا يخفى ما يلحق الأمّة من الشّين[1] والخلل في العمران والسّياسة.
أمّا الشّين فبالإحتياج للغير في غالب الضروريات الدّال على تأخّر الأمّة في المعارف.
وأمّا خلل العمران فبعدم انتفاع سكّان البلاد باصطناع نتائجها الذي هوَ أصل مهمّ من أصول المكاسب، ومصداق ذلك ما نشاهده من أنّ صاحب الغنم منّا ومستولد الحرير وزارع القطن مثلا يقتحم تعب ذلك سنة كاملة ويبيع ما ينتجه عمله للإفرنجي بثمن يسير، ثمّ يشتريه منه بعد اصطناعه في مدّة يسيرة بأضعاف ما باعه به. وبالجملة فليس لنا الآن من نتائج أرضنا إلاّ قيمة موادها المجرّدة دون التطويرات العمليّة التي هي منشأ توفّر الرّغبات منّا ومن غيرنا...
وأمّا الخلل السّياسي فإنّ احتياج المملكة لغيرها مانع لاستقلالها وموهن لقوّتها [2].
وبناء على ذلك يقال هنا: هل يمكننا اليوم الحصول على الاستعداد المشار إليه بدون تقدّم في المعارف وأسباب العمران المشاهدة عند غيرنا؟ وهل يتيسر ذلك التّقدّم بدون إجراء تنظيمات سياسيّة تناسب التنظيمات التي نشاهدها عند غيرنا في التّأسّس على دعامتي العدل والحرّيّة اللذين هما أصلان في شريعتنا. ولا يخفى أنّهما ملاك القوّة والاستقامة في جميع الممالك ؟».

خير الدين ، أقوم المسالك ...ص 128– 131 - .

(1) الشّين : العيب
(2) المقصود به قوّة الدّولة.

الوثيقة 17 : الإصلاحات الإداريّة والقضائيّة

« و(من تصرّفات خير الدّين) إنشاء ترتيب في إدارة المجالس الشّرعيّة لقطع وجوه تطويل الخصومات ودفع تعارض الأحكام وتسهيل المراجعة بينهم و تحديد أجر أتباعهم وتعيين محلّ لحكّام الشّرعيّة خارج الحاضرة حيث كان كلّ يحكم في مكانه.
ومنها إنشاء ترتيب لكيفيّة أعمال العمّال في مواصلتهم مع الحكومة وضبط مكاتيبهم وأحكامهم في دفاتر لتكون حجة فيما يراد الرّجوع إليه...» .

محمد بيرم الخامس، صفوة الاعتبار ...،ص 537 وما تلاها

الوثيقة 18 : كتب خير الدّين في مذكّراته عن بعض الإصلاحات الّتي قام فقال :

«المقصود هو إراحة أفكار الحضرة العليّة و الرّغبة في سرورها بما تراه من استقامة الإدارة و تيسير أحوال السّكان بأكثر ممّا هو مشاهد الآن من الأحوال الجميلة التي منها تأمين الطرقات... ومنها نفوذ الأوامر العليّة في النّواحي القريبة و البعيدة والإتيان بأرباب الجنايات من الأماكن الصّعبة ...ومنها استخلاص المجابي في أوقاتها ونمو مكاسب السّكان و أمنهم من امتداد الأيدي إليهم، ومنها تخليص السّاحل من الدّين العمومي الذي كاد يكون سببا في تملّك الأجانب للسّاحل بالتّمام، ومنها تشكيل المجلس المختلط و السعي في قبول الدّول له ...».

عن محمد الصالح مزالي و جون بينيون، خير الدّين رجل الدّولة... ص. 323

الوثيقة 19 : من نتائج إصلاحات خير الدّين

« إنّ الإدارة التي أحدثها جناب الجنرال خير الدّين الوزير الأكبر في هذه الدّار بأصالة رأيه وذكاء إرادته إنّما يزداد ظهور تأثيرها يوما فيوما. وقد أنتجت إلى الآن من النتائج الحسنة ما لا يمكن إنكاره... وبأنّه بعد أن أصلح شأن الماليّة كل الإصلاح قد وجّه نظره إلى أمر الحراثة والتّجارة وشملهما بوافر الحماية وجزيل العناية تجرئة للمتعاطين لهما على مثابرة الإجتهاد بهما و الإعتناء فترى العربان قد آمنوا ممّا كان يجري عليهم سابقا من أنواع الظّلم وشمّروا على ساعد الجدّ للخدمة. فإنّ كلّ منهم قد أصبح يعرف ماله وما عليه فصار يبادر إلى التّوْفيّة بحقوق الدّولة من تلقاء نفسه».

الرّائد التونسي* عـدد 16، السنة 15، بتاريخ 29 جويلية 1874

* هي أوّل جريدة تونسيّة وقد ظهرت في جويلية 1860

الوثيقة 20 : النّتائج الاقتصاديّة و الماليّة لإصلاحات خير الدّين

تطوّر المساحات المزروعة (ألف هك)

1873	1877
60	700

التّجارة الخارجيّة التّونسيّة عن طريق البحر بين 1875 و1878 (بحساب الرّيال)

الواردات	11947000
الصّادرات	14973000
الفائض	3026000

ميزانيّة الإيالة التّونسّة (بحساب الرّيال)

	1874 - 1875	1875 - 1876
المداخيل	12499140	11478321
النّفقات	289172	254226
الحصيلة	12209968	11224095

عن مصادر مختلفة

الوثيقة 21 : تأسيس المدرسة الصّادقيّة

«... ومن (تصرّفاته) إنشاء المدرسة الصادقيّة لتعليم مبادئ الفنون الشّرعيّة كالقراءة والكتابة والقرآن والعقائد و الفقه الحنفي و المالكي والنحو والصرف والأدب والتّاريخ والخط والمعاني وتهذيب الأخلاق والحديث وتعليم اللّغات التركيّة و الفرانساويّة والطليانيّة وتعليم الفنون الرّياضيّة كالحساب والهندسة والهيأة* والجبر والجغرافيا والفلك ورتّب لها معلّمين لكلّ فنّ وجعلها تقبل مائة وخمسين تلميذا من أبناء القطر المسلمين منهم خمسون تلميذا من أبناء العاجزين عن القيام بهم، وهؤلاء يسكنون بالمدرسة وتقوم بهم زيادة على التعليم بالأكل واللّبس والمسكن مجانا. وأمّا المائة الباقية فالمدرسة تقوم بأكلهم نهارا مرّة فقط وبالتعليم مجانا، ويلزم أن يكون جميع التّلامذة في لبسهم على شكل واحد. وأوقف عليها من أملاك الحكومة أوقافا لها بال يزيد دخلها السنوي على المائتين والخمسين ألف ريال. ونتج من أبناء البلاد ما شهد لهم الوافدون من أهل أوروبا والحاضرون لامتحانهم. ومثل هذه المدرسة ضروري للممالك الإسلاميّة سيّما في العلوم الرياضيّة التي اضمحلّت من الأمّة».

محمد بيرم الخامس، صفوة الاعتبار ...المجلد الثّاني، ص535

* الهيأة علم يبحث في الأجرام السماويّة.

الوثيقة 22 : المعارضة الّتي واجهها خير الدّين

«بعد خروج (خير الدّين) من الخطّة رجع الأمر لما كان عليه قبل ذلك لأنّ الوالي في الحكومة مازال هو بذاته وكذلك رجال الحكومة الذين خدموا معه وهم الّذين خدموا مع السيد مصطفى* أيضا مازالوا متوظفين..هذا وإنّي لا زلت أقول : إن تونس لا تستقيم بدون تنظيمات... لمّا عُزل الوزير السّابق مصطفى خزندار وولي مكانه الوزير خير الدّين... طمعت نفسه للرّجوع إلى المنصب أو في الاقلّ مواجهة الوالي (الباي) و إسقاط خير الدّين عن الوزارة، و استعان على ذلك بأفراد من الأجانب و بأحد خاصّة الوالي وهو الوزير مصطفى بن إسماعيل. واعتضد الجميع كلّ على حسب فوائده، فتارة يقدحون في التصرّفات العامّة و إشاعة ذلك في الصحف الأجنبية و يبلّغونها بذاتها أو بتعريبها للوالي بواسطة خاصّته المذكور...»

محمد بيرم الخامس ، صفوة الاعتبار ...المجلد الثّاني، ص564 — 565

* المقصود مصطفى خزندار

التعليمات

1. أذكر التجارب السّياسيّة التي عاشها خير الدّين و بعض الخصال التي تحلى بها.
2. وضّح أهمّ توجّهات الفكر الإصلاحي لخير الدّين و المرجعيّات التي استند إليها.
3. بيّن إلى أيّ مدى توصّل خير الدّين إلى تطبيق أفكاره الإصلاحيّة بين 1873 و 1877.

أهيكل مكتسباتي

المقدّمة :

شهدت البلاد التونسية أزمات خانقة في القرن XIX وأصبح دعاة الإصلاح بها يدركون مدى اتساع البون الذي صار يفصلها عن البلدان الأوروبية المتقدمة. مما يحتّم تدارك الوضع والسعي إلى النهوض بالبلاد و إنقاذها ممّا تردّت فيه. فتعددت محاولات الإصلاح في خط مواز لما كان يدور في مركز الخلافة العثمانيّة و في بعض البلدان العربيّة التّابعة لها. وكانت هذه المحاولات الإصلاحيّة عسكرية واجتماعية في عهد أحمد باي ثم دستورية مع كل من محمد باي ومحمد الصادق باي ثم أصبحت أكثر شمولا واتساعا مع الوزير الأكبر خير الدين .

I - محاولات الإصلاح العسكرية والاجتماعية.

1 - العوامل الملائمة لظهورها . الوثائق 1 ـ 2 ـ 3

انطلقت الحركة الإصلاحيّة الأولى في عهد أحمد باي (1837 ـ 1855) وساهمت عوامل عديدة في انبعاثها. فقد انتصب الاستعمار الفرنسي بالجزائر منذ سنة 1830 وأصبح يشكّل تهديدا مباشرا لاستقلال البلاد التونسيّة. كما أثار استرجاع الدّولة العثمانيّة لطرابلس سنة 1835 تخوفات الدّولة الحسينيّة التي أصبحت تخشى أن يحلّ بتونس مثل ما وقع لجارتها الأخرى في الجنوب الشرقي ممّا استوجب التعجيل بتقوية قدرات البلاد لمواجهة التحدّيات . و تدعّم الشعور بضرورة الإصلاح بالصّدى الطيّب الذي وجدته الحركات الإصلاحيّة بالدّولة العثمانيّة و في بعض الولايات العربيّة التّابعة لها واعتبرت تجربة محمد علي بمصر نموذجا يقتدي به كلّ من يروم إقامة دولة مستقلّة مهابة. وزادت معرفة التونسيّين بالعالم الغربي و بسرّ نهضته و تفوّقه بفضل كثافة الإتّصالات بين الطّرفين. فقد أدّى أحمد باي مثلا زيارة رسميّة إلى فرنسا سنة 1846، وانبهر بما لاحظه من تقدّم فيها. كما كان انتماء بعض المصلحين التونسيّين من رجال السياسة أو رجال القلم إلى حاشية الباي دافعا مشجّعا على المضيّ في مسار الإصلاح ومنهم أحمد بن أبي الضياف. و علاوة على ذلك أعان على إنجاح هذا التوجّه ما كان لدى الباي من حرص شديد على دعم نفوذه الشّخصي وتنظيم مملكته والظهور بمظهر حكّام الدّول المتقدمة.

2 . محاولات الإصلاح العسكرية . الوثيقتان 4 – 5

تعتبر محاولات الإصلاح العسكري من الأولويات نظرا للأخطار التي تستهدف البلاد. وأهم مظاهرهذه المحاولات العسكريّة تكوين جيش عصري وتركيز مدرسة حربية بباردو.

أ – تكوين جيش عصري : حرص أحمد باي على تكوين جيش نظامي جهّزه على النمط الأوروبي واستقدم له ضبّاطا فرنسيّين نظّموه تنظيما عصريّا اعتمادا على القواعد العسكريّة الحديثة القائمة في بلادهم. وقد تنوّعت فرقه و أصبح يعدّ 25700 جنديا يؤطرهم 456 ضابطا. وعلاوة على ذلك وجّه أحمد باي عنايته إلى البحرية الحربية فجهّزها بستّ سفن عسكريّة اقتنيت من الغرب وهيّأ لها ميناء حلق الوادي. كما كان لهذه الإصلاحات العسكرية تأثير على الاقتصاد إذ فتحت البلاد على بعض الصناعات الحديثة على المنوال الأوروبي استجابة لحاجيات الجيش من ذخيرة حربية و أزياء عسكريّة وتجهيزات. وتوزعت هذه الصناعات على عدة مراكز داخل الإيالة مثل تونس العاصمة والمحمديّة وطبربة والبطان والجم .

ب – تركيز المدرسة الحربية بباردو : نظم أحمد باي هذه المدرسة على منوال المدارس الأوروبية سنة 1840 لتخريج ضبّاط الجيش الجديد وانتدب لها مدرّسين من تونس وعلى رأسهم المصلح محمود قبادو ومن بعض البلدان الأوروبية وبخاصة من فرنسا و إيطاليا. وقد اعتمد في إدارتها على خبراء أوروبيّين من أمثال المستشرق الإيطالي كاليقاريس والضّابط الفرنسي كامبرون .

غير أنّ هذه الإصلاحات العسكريّة لم تعمّر طويلا وباءت بالفشل لعدّة أسباب منها عدم استنادها إلى دراسات مسبقة وعدم قدرة البلاد على تحمل أعبائها المالية فوقع تسريح الجيش تدريجيا وتمّ غلق المدرسة الحربية. و لم تقتصر إصلاحات أحمد باي على الميدان العسكري بل تعدته أيضا إلى الميدان الاجتماعي.

3 – **الإصلاحات الاجتماعية .** الوثائق 6 ـ 7 ـ 8

تتلخّص في بعث نواة للتّعليم العصري و في إلغاء الرّق.

أ . **بعث نواة للتّعليم العصري في مدرسة باردو** : لم تكن مدرسة باردو عسكريّة فقط بل كانت أيضا مؤسّسة ذات أبعاد تربويّة اعتنت بالتدريس و بالتّرجمة فهي أوّل مدرسة تونسيّة أدرجت في برامجها العلوم الحديثة مثل الرياضيات والهندسة والتاريخ والجغرافيا... كما اهتمّت بحركة التّرجمة وقد تخرّج منها عدة أعلام كانوا سندا للتّيار الإصلاحي ومن أبرزهم الجنرال رستم والجنرال حسين .

ب. **إلغاء الرّق** : بادر أحمد باي بإلغاء الرق على مراحل كان أوّلها قرار منع بيع العبيد إلى الخارج سنة 1841. ثم توّجها سنة 1846 بقرار آخر يعلن عن عتقهم في سائر الإيالة. وقد أثار هذا الإصلاح استحسان البلدان الأوروبيّة أمّا الولايات المتّحدة الأمركيّة التي اندلعت فيها حرب أهليّة سنة 1861 بسبب مسألة الرّق فقد سعت إلى الاستفادة من التجربة التونسيّة في هذا الشّأن. و لم يتوقّف هذا المد الإصلاحي بل تواصل بعد وفاة أحمد باي و اتخذ منحى دستوريّا .

II . محاولات الإصلاح الدستوريّة.

دفعت الضغوط المسلطة على محمد باي (1855– 1859] ثم على محمد الصادق باي (1859 ـ 1882) إلى مسايرة الحركة الإصلاحية وقيادتها فقد سنّا قوانين جعلت من نظام الحكم نظاما مقيّدا لأول مرة في تونس .

1 – **الضغوط المسلطة على البايات** الوثيقة 9

وجد محمد باي نفسه مدفوعا إلى مواصلة السياسة الإصلاحية تحت ضغط دعاة الإصلاح الّذين تدعّمت قناعتهم بضرورة إشعار الباي بتطوير نظام الحكم كسبيل للنهوض بالبلاد وسدّ المنافذ أمام الأخطار الخارجية . كما زاد تدخل القنصلين الفرنسي والإنقليزي في شؤون الإيالة وأصبحا يحثان الباي على القيام بإصلاحات سياسية خدمة لمصالح بلديهما. واستجابة لهذه الدعوات وعد الباي بسن قانون أو دستور وبادر بتقديم الأصول الّتي ينبني عليها، فكان عهد الأمان.

2 – **عهد الأمان.** الوثيقة 10

كلّف الباي مجلسا ضمّ بعض رجال الإصلاح وبخاصة أحمد بن أبي الضياف بتحرير عهد الأمان بسرعة وتم الإعلان عنه في 9 سبتمبر 1857 وهو يشبه إلى حد كبير خط شريف كلخانة الذي سنّته الدولة العثمانية سنة 1839. وقد تضمن 11 مادة أقرّت حقوقا سياسية واجتماعية و اقتصادية لسكان البلاد التّونسيّين منهم والأجانب، من شأنها، لو طبّقت، أن تضع حدّا للاستبداد. ومن أهم ما جاء فيه :

– ضمان الأمن لسائر سكان الإيالة في أشخاصهم وأموالهم.
– المساواة أمام القانون والجباية.
– حريّة ممارسة الديانات وحريّة التّجارة.
– السّماح للأجانب بتعاطي الحرف والخدم وامتلاك العقارات.
– تحديد مدّة الخدمة العسكرية.
– بعث مجالس عدليّة مختلطة.

ويمثّل هذا الإصلاح عهدا قطعه الباي على نفسه لتوفير " الأمان" للسّكّان.

3 – **دستور 1861** . الوثيقة 11

اشتغلت على إعداده لجنة منذ نوفمبر 1857 وأعلن عنه رسميّا محمد الصادق باي في 29 جانفي 1861 وقد تضمّن 114 مادة تشمل أغراضا عديدة تصدرتها الجوانب المتعلقة بتنظيم السلط الثلاثة والفصل بينها .

● السلطة التنفيذية : أبقاها الدستور بيد الباي لكن حد من نفوذه وجرده من سلطات عديدة كان يتمتع بها وأبرزها حق التصرف في ميزانية الدولة كما جعله مسؤولا أمام المجلس الأكبر الذي يحق له عزله متى خالف الدستور .

● السلطة التشريعية : يتقاسمها كل من الباي والمجلس الأكبر وهو مجلس جديد يتألف من 60 عضوا يعيّن ثلثاهم من أعيان البلاد والثلث المتبقي من أعوان الدّولة .

● السلطة القضائية : أصبحت مهيكلة وتمّ فصلها عن السلطة التنفيذيّة و تتولاّها 10 مجالس جنايات وأحكام عرفية بالعاصمة وبالجهات وهي شبيهة بالمحاكم الإبتدائية الحالية يليها في مستوى الاستئناف مجلس التحقيق بالعاصمة . كما يتحول المجلس الأكبر إلى محكمة تعقيب عند الحاجة . كل ذلك ضمانا لحقوق المتقاضين .

4. فشل الإصلاحات الدّستوريّة : الوثيقة 12

لم تعمر هذه الإصلاحات الدستورية طويلا بسبب كثرة الصعوبات التي واجهتها . فقد عارضها بعض أعوان الدولة وشيوخ الإسلام لاعتبارات مصلحية أو فكريّة ونظر إليها السكان نظرة الريبة واعتبروها وسيلة أفادت مصطفى خزندار وانصاره وشرّعت تدخل الأجانب وعادت بالوبال على البلاد وكانت من أسباب انتفاضتهم سنة 1864. وقد اتخذ خصوم الدعوة الإصلاحية ما أصبحت عليه البلاد من أزمات للتنديد بالإصلاحات وبدعاتها . فاستغل الباي كل هذه المواقف لتعليق العمل بالدستور سنة 1864 إلا أن جذوة الإصلاح لم تنطفئ بل ستنتعش من جديد مع خير الدين.

III – إصلاحات خير الديـن.

ظهرت الإصلاحات من جديد إبتداء من 1873 بعد فترة انحسار دامت ما يقارب العشريّة. وقادها خير الدين وهو من أبرز روّاد التّيار الإصلاحي .

1 – **خير الدين وأفكاره الإصلاحية**. الوثائق : من 13 إلى 16

استفاد خير الدين من التجارب الثرية والمتنوعة التي اكتسبها وألف كتابه "أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك" وضمنه فكره الإصلاحي واستند إليه في ما طبّقه من إصلاحات بعد ذلك .

أ . **تنوع التجارب الشخصية لخير الدين** : كان خير الدين من مواليد 1822 في منطقة الشركس بجبال القوقاز وقد تحوّل إلى مملوك نُقِلَ إلى تونس و نشأ ببلاط أحمد باي. وقد تقلد في البداية مناصب عسكريّة ترقى فيها بسرعة ثمّ تقلّد مناصب سياسية عديدة لأغلبها صلة بالإصلاح مثل رئاسة المجلس الأكبر.

كما كلّف خير الدّين بعدّة مهمّات خارج الحدود فقد تحول مثلا إلى باريس سنة 1853 وبقي بها 4 سنوات يدافع عن مصالح الدولة التونسية في خلافها مع محمود بن عياد. وكانت هذه الإقامة الطويلة بباريس فرصة مناسبة مكنته من الاحتكاك بالحضارة الغربية و إدراك سرّ نهضتها. كما استغلها لتعلم اللغة الفرنسية وللاطلاع على فلسفة التنوير وللتشبّع بالفكر الليبرالي الغربي.

وقد أظهر خير الدين أثناء ممارسته لهذه الوظائف والمهمات خصالا عديدة منها الصراحة ونظافة اليد وحب الوطن . ولمّا لاحظ أن تطبيق الإصلاحات الدستورية قد حاد عن أهدافه خيّر الاستقالة سنة 1862 ممّا جعله يبتعد نسبيا عن الحياة السياسية ويتفرغ للتفكير و التأليف .

ب . **فكر خير الدين الإصلاحي** : استغل خير الدين فترة الابتعاد النسبي عن الحياة السياسيّة التي امتدت من سنة 1862 إلى سنة 1869 لتأليف كتابه "أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك " ويعتبر من أبرز ما كتب في القرن XIX في العالم العربي الإسلامي في الميدانين السّياسي والاجتماعي. وقد لخّص خير الدّين في المقدمة الطويلة الّتي وضعها لهذا الكتاب رؤيته الاصلاحيّة.

فقد شخّص فيها الأوضاع السائدة وحلل البون الشاسع الذي أصبح يفصل بين أوروبا المتقدمة والعالم الإسلامي المتأخر. وأعاد ذلك أساسا إلى اختلاف طبيعة الأنظمة السياسية القائمة في هذين العالمين. إذ تحكم أوروبا أنظمة مقيدة بقوانين تقوم على مبادئ الحريّة و العدل والمساواة ممّا مثل أرضيّة ملائمة للنّهضة بينما تسوس العالم الإسلاميّ أنظمة مطلقة تفضي حتما إلى الظّلم ، والظّلم مؤذن بخراب العمران.

كما تضمن كتاب "أقوم المسالك" التّصوّر الذي ارتآه خير الدين صالحا لتجاوز هذه الأوضاع. فقد دعا إلى التفتح على الغرب المتحضّر والاقتباس منه في حدود ما تسمح به الشريعة الإسلامية. وأوّل هذه الميادين وأخطرها هو الميدان السياسي. وقد ربط خير الدين هذا البرنامج السياسي بإصلاح التعليم فدعا إلى تعصيره وجعله يتفتح على التقنيات والعلوم التي كانت أساسا للتقدم الأوروبي. كما وضع خير الدين تصورا للخروج من الأزمة الاقتصادية استمد خطوطه العامّة من الليبراليّة الاقتصادية السائدة في أوروبا الغربية آنذاك، فدعا مثلا إلى النهوض بالحرف والصناعات وإنشاء البنوك والشركات التجارية ...

دعمت هذه الأفكار الإصلاحية الحظوة التي يتمتع بها خير الدين في الداخل و الخارج مما جعل الباي يستنجد به من جديد ويعيده إلى السلطة سنة 1869 عندما عصفت الأزمات بالبلاد معتبرا إياه رجل الساعة. فعينه وزيرا مباشرا ورئيسا للجنة المالية الدولية التي أنشئت آنذاك ثم وزيرا أكبر سنة 1873 . ويعتبر خير الدين من القلائل الذين أتيحت لهم فرصة تطبيق برنامجهم من موقع المسؤولية.

2 – **إنجازات خير الدين** . الوثائق : من 17 إلى 22

تنوعت الإصلاحات ومسّت الميادين التي طالتها يده.

أ . **الإصلاحات الإدارية والقضائية** : بادر خير الدين بإعادة تنظيم الإدارة المركزية والجهوية والمحلية واستعان في ذلك بأنصاره من المصلحين وعينهم في مواقع هامة في الدولة فكلّف الجنرال رستم بوزارة الحرب والجنرال حسين بوزارة المعارف والأشغال العامّة ...

وقاوم مظاهر الفساد التي ورثها عن سلفه مصطفى خزندار وحمى السكان من تجاوزات الحكام وحفظ أموال الخزينة من سوء التصرف، وأعاد الأمن، فبدأت الدولة تستعيد حضورها وهيبتها بعد فترة طويلة من الاهتزاز.

اهتم خير الدين كذلك بالميدان القضائي إيمانا منه بأن العدل أساس العمران فأعاد تنظيم المجالس الشرعية ووزعها على المدن الكبرى ووظف مرتبات للقضاة كل ذلك ضمانا لحقوق المتقاضين وتقريبا للقضاء منهم. كما عوض المحاكم القنصلية السابقة بمجلس عدلي مختلط يتكون من رئيس تونسي وعضوين أوروبيّين لفصل القضايا المتعلقة بالمعاملات المالية بين التونسيين والأجانب ضمانا لمصالح التونسيّين.

ب – **الإ صلاحات الاقتصادية والاجتماعية** : اتخذت حكومة خير الدين عدة إجراءات لتشجيع الإنتاج ومساندة المنتجين . ففي الميدان الفلاحي خفضت الدولة الأعباء الجبائية المسلطة على الفلاحين ووزّعت الأراضي المهملة على بعضهم ولا سيما بجهة صفاقس وشجعت على غراسة الزياتين والنخيل . كانت هذه الاجراءات عاملا

دافعا إلى العودة إلى الأرض وإحيائها. فاتسعت تبعا لذلك المساحات المزروعة إلى أن بلغت 700 ألف هك سنة 1877 بعدما كانت 60 ألف هك فقط سنة 1873. أما في الميدان التجاري فقد خفضت الدّولة من المعاليم الموظفة على البضائع المصدرة. ودعما لكل ذلك نظم خير الدين ميزانية الدولة وضغط فيها على النفقات ولا سيّما تلك التي تخصص للباي وأفراد عائلته. كما أنشأ جمعية الأوقاف لتحسين التصرف في الأراضي المحبّسة على المنشآت العمومية وتوظيف عائداتها في المصلحة العامة.

ج. **الإصلاحات التربوية** : تعتبر من أهم الإنجازات التي راهن عليها خير الدين واعتبرها عاملا أساسيا من عوامل النهوض بالبلاد. وتركز هذا الاصلاح على إعادة تنظيم التعليم بجامع الزيتونة و على إنشاء المدرسة الصادقية.

* إعادة تنظيم التعليم بجامع الزيتونة : أمام المعارضة التي أبداها أساتذة الزيتونة اكتفى خير الدين ببعض الاجراءات مثل تحوير نظام الحضور والامتحانات والشهائد واعتماد المناظرات لانتداب الأساتذة، كما حدد شبكة المواد التعليمية المدرسة ودعمها بالرياضيات والعلوم الطبيعية.

* إنشاء المدرسة الصادقية : فتحت هذه المدرسة أبوابها سنة 1875. وهي تقدم تعليما عصريا في مستوى البرامج و طرق التدريس يشبه في بعض جوانبه ما كانت تقدّمه مدرسة باردو الحربية. و يرسل المتفوقون من تلامذتها إلى فرنسا لمواصلة دراستهم على نفقة المدرسة. وقد تخرج منها نخبة من المثقّفين واصلوا المشروع الاصلاحي في أواخر القرن XIX وعلى امتداد القرن XX.

لم تعمّر تجربة خير الدّين طويلا على الرّغم من الأثر الايجابي الذي تركته في البلاد. فقد واجهتها عدّة عراقيل. إذ تعرضت البلاد إلى آفة الجفاف سنتي 1876 و1877 ممّا سبب تراجعا في مواردها وبالتّالي وجدت الدولة صعوبات في مواجهة النفقات العادية وتسديد الديون في آجالها. كما لم تُرض سياسة خير الدين الإصلاحية عدة أطراف خارجية وداخلية كانت تتربص به. و لم يعد الباي يؤيده ويحميه وكان مصطفى بن إسماعيل الوزير المقرب من الباي من ألد أعدائه الطامحين للحلول محله. وأمام كل هذه العراقيل قرر خير الدّين الاستقالة سنة 1877 ومغادرة البلاد نهائيا إلى استنبول.

الخاتمة

امتدّت الحركة الاصلاحيّة متقطعة على حوالي 40 سنة من القرن XIX . واعترت مسارها انتكاسات متكرّرة كان إفشال تجربة خير الدّين آخرها وانتفى تأثيرها الإيجابي على أغلب الميادين التي شملتها. و لم تفلح في إنقاذ البلاد من الاستعمار الذي أصبح شبحه يخيّم على الإيالة بتقدّم الأيّام. وعلى الرغم من هذه السلبيات فإنّ الحركة الإصلاحيّة و التحديثيّة مثّلت الأساس لحركات أخرى ظهرت منذ أواخر القرن XIX وكان لها دور بارز في تشكّل الوعي الوطني وفي مقاومة الاستعمار.

الدّرس 22 انتصاب الحماية الفرنسيّة على تونس وردود الفعل الأولى

المدخل

كتب "آموس برّي""Amos Perry"قنصل الولايات المتّحدة الأميركيّة بتونس عند مغادرته تونس سنة 1867 ما يلي بعنوان : "تنبّؤ بالمصير الّذي ينتظر البلاد التّونسيّة".

"...وإنّني مقتنع بأنّه سيأتي وقت يُعترف فيه بحماية فرنسا ومراقبتها على هذا البلد[1] إن عاجلا أو آجلا، إن لم يحصل ذلك برضى الدّول الأخرى وموافقتها فإنّه لن يثير معارضة عنيفة. هذا ما يوحي به الاِتّجاه العامّ للأحداث حاليّا، اللّهمّ إذا ظهرت ممارسات غير بنّاءة تعاكس هذا الاتّجاه.

فالأزمة قد بلغت حدّا كبيرا من الاستفحال، وأصبح من العسيرمعالجتها بطرق تقليديّة باسم الدّيبلوماسيّة. فالنّسر الفرنسي قد رصد بعد طريدته وهو يستعدّ للانقضاض عليها غير عابئ في وليمته الشّهيّة، بزئير الأسد[2] وكلّ الصّياح والعويل.

ورد بكتاب غزو البلاد التّونسيّة، لديطورنال دي كونستان

منشوات صفر (2002) ص 432 P. D'Estournelles de Constant

1 – المقصود به البلاد التّونسيّة

2 – ويقصد بذلك إنقلترا

أتبيّن مدى تطابق مصير البلاد التّونسيّة في ثمانينات القرن XIX مع ما كان تنبّأ به "أموس برّي" قنصل الولايات المتّحدة الأميريكيّة بتونس إلى سنة 1867.

النشاط الأوّل : أدرس الظّرفيّة الّتي حفّت بانتصاب الحماية الفرنسيّة على البلاد التّونسيّة.

الموارد :

الوثيقة 1

الوصاية الدّوليّة على الماليّة التونسيّة

"... من عبد اللّه سبحانه المتوكّل عليه... المشير محمّد الصّادق باشا باي صاحب المملكة التّونسيّة سدّد اللّه تعالى أعماله. إلى من يقف على هذا المنشور من الخاصّة والجمهور، أمّا بعد فقد اقتضى نظرنا لمصلحة مال مملكتنا والرّعيّة والمتجر أن نرتّب "كمسيونا"(لجنة) ماليا على الكيفيّة الآتية.

– الفصل 2 : يقسم الكمسيون المالي إلى قسمين متميّزين قسم للعمل وقسم للنظر والتّصحيح.

– الفصل 3 : قسم العمل يُركّب على الصّورة الآتي بيانها وهي عضوان من متوظّفي دولتنا نسمّيهما نحن أنفسنا، وناظر مالي فرنسيس نسمّيه نحن أنفسنا أيضا بعد تعيينه من طرف دولة جانب الأمبرور. (الأمبراطور نابليون III.)

– الفصل 4 : قسم العمل هو المكلّف بحصر ديون المملكة المرتّبة الآن على اختلاف أنواعها وبحصر المداخيل الّتي يتيسّر للدّولة أن تخلص بها ذلك...

– الفصل 7 : بعد أن يقع حصر مداخيل الدّولة ومقابلتها بجامعة المصاريف مزادا عليها مبلغ الدّين يبحث قسم العمل عن كيفيّة توزيع المداخيل العموميّة على وجه الإنصاف...

– الفصل 9 : قسم العمل يتولّى قبض جميع مداخيل المملكة من غير استثناء، ولا يسوغ إخراج تذاكر ماليّة من أيّ نوع كان إلاّ بموافقة القسم المذكور على ذلك بعد التّفويض إليه في ذلك من قسم النّظر والتّصحيح...

– الفصل 10 : قسم النّظر والتّصحيح يتركّب على الكيفيّة الآتي بيانها يعني من عضوين فرنساويّين ينوبان عن حاملي رقاع عام 63 وعام 65* ومن عضوين إنڤليزيّين وعضوين طليانيين ينوبون عن حاملي رقاع الدّين الدّاخلي...

كتب بحلق الوادي في 26 ربيع الأوّل 1286 (5 جويلية 1869 م)

* رقاع عام 63 وعام 65 : أي سندات قرضي 1863 و 1865.

الوثيقة 2

احتداد التّنافس على إنجاز المشاريع بين فرنسا وإيطاليا في تونس

"... ومنها (الطّلبات) منح لجنة فرنساوية لإنشاء مرسى في شاطئ البحيرة بالحاضرة بعد أن تكون المرسى حول حلق الوادي مع إنشاء طريق حديديّة إليها من الحاضرة مارّة على طريق رادس فمانعت في ذلك الشّركة الطّليانيّة الّتي اشترت من الشّركة الإنقليزيّة الطّريق الحديديّة الواصلة بين تونس وحلق الوادي* المارّة على العوينة مستندة إلى شروطها وكاد أن يتفاقم الخلاف...

ومنها منح اللّجنة الفرنساويّة المذكورة وهي صاحبة طريق الحديد الواصلة إلى الجزائر بأن تنشئ طريقا حديديّة إلى السّاحل وأخرى إلى بنزرت وأن تستبدّ بالطّرق الحديديّة في المستقبل إلى أيّة جهة...

...وآخر المنح الّتي بلغتنا أن حصلت في هذا العهد أن وقع الالتزام إلى دولة فرنسا بأن لا يحدث شيء جديد في القطر من الأعمال العامّة النّافعة إلاّ بعد عرضه على الفرانساويّين فإن لم يوجد منهم من يريد عمله فإذّاك يُسوّغ أن يباشره غيرهم بحيث وقع التّقيّد في ذلك بإرادتهم.»

محمّد بيرم الخامس، صفوة الاعتبار بمستودع الأمصار والأقطار
المجلّد II ص 608 – 611 – نشر بيت الحكمة 2000

*كان ذلك سنة 1880 بدعم من الحكومة الإيطاليّة.

التّوسّع المالي الأوروبيّ بتونس بين 1863 و 1880

	فرنسا	إنقلترا	إيطاليا
إلى حدود 1870	اقتسام السّوق التونسيّة في نطاق تقديم القروض إلى الباي ← فرض الوصاية على ماليّة الإيالة بإنشاء اللّجنة الماليّة (الكوميسيون)		
بداية من 1871 (فترة الكساد الكبير) إلى انتصاب الحماية	1876 – امتياز مد خطّ مجردة الحديدي : 1879 شراء هنشير النّفيضة وسيدي ثابت 1880 الخطّ الحديدي تونس سوسة تونس بنزرت	1871 مدّ خطّ حديدي (تونس حلق الوادي) 1873 تأسيس بنك لندن بتونس	1880 شراء خطّ تونس حلق الوادي من الشّركة الإنقليزيّة

الوثيقة 3

التّشجيع البريطاني الألماني لفرنسا على احتلال تونس

• رسالة سفير فرنسا ببرلين إلى وادينغتون وزير خارجيّتها

برلين في 5 جانفي 1879

«...تناول [بسمارك] عفويّا هذا الموضوع منذ بداية حديثنا : «حسنًا إنّي أعتقد بأن الإجّاصة التّونسيّة قد نضجت وآن لكم وقت قطافها، إنّ قلّة أدب الباي كانت بمثابة شمس أوت لهذه الثّمرة الإفريقيّة الّتي يمكنها الآن أن تتعفّن أو تُسرَقَ من طرف آخر إذا تركتموها كثيرا على الشّجرة... رغبتي هي تمكينكم من ضمانات في الإرادة الطّيبة حول المسائل الّتي تمسّكم والّتي لا تتناقض فيها مصالح ألمانيا مع مصالحكم...»

أ. بريكلين وب. رينوفان «نصوص – وثائق تاريخيّة» الجزء 4 – نشر – بوف

• صرّح اللّورد (سالسبوري) وزير خارجيّة إنقلترا لنظيره الفرنسي «وادينغتون» قائلا : "احتلّوا تونس إن شئتم، فإنقلترا لا تمانع في ذلك. بل تحترم قراراتكم» وأضاف في مقابة ثانية : وفضلا عن كلّ الاعتبارات الأخرى، فإنّه يتحتّم عليكم ألاّ تتركوا قرطاج بين يدي شعب متخلّف»

أورده علي المحجوبي في انتصاب الحماية الفرنسيّة بتونس

* يرتبط تغيّر موقف إنقلترا من المسألة التّونسيّة بفتح قناة السّويس للملاحة سنة 1869 وتحصّلها على جزيرة قبرص سنة 1878 بموافقة الدّولة العثمانيّة.

الوثيقة 4

تأكّد المطامح الفرنسيّة تجاه تونس

رسالة من "وادينغتون" وزير الخارجيّة الفرنسي إلى سفير فرنسا بروما (13- 10 - 1878)

«إنّ كلّ ما يحدث في تونس يهمّ الحكومة الفرنسيّة. وهي لذلك اعتبرت الإيالة التّونسيّة منذ أمد طويل بلدا لا يمكن له الخروج من دائرة المصالح الفرنسيّة ولابدّ من الخضوع لتأثيرنا... كما أنّنا لا نسمح لأيّة دولة عظمى أخرى بالتّمركز على تراب الإيالة أو احتلال إحدى مناطقها، وإذا ما حدث ذلك فسنضطرّ إلى التّدخّل بسرعة مع استعمال القوّة المسلّحة...

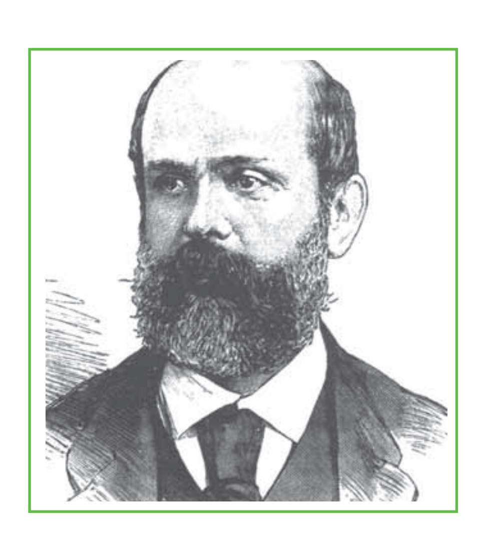
إنّه من الضّرورة القصوى أن تتيقّن الحكومة الإيطاليّة أنّه لا يمكن لإيطاليا التّفكير في احتلال البلاد التّونسيّة دون أن تلاقي معارضة فرنسا وتخاطر بالدّخول في حرب معها...

أورده جان قانياج في : جذور الحماية الفرنسيّة على البلاد التّونسيّة: 1861 - 1881 ص 430 - 431

معطيات مكمّلة



تيودور روسطان – قنصل فرنسا بتونس من 1874 إلى 1881 ووزير مقيم بها إلى 1882 عمل بكلّ الوسائل من أجل تسهيل عمل المؤسّسات الفرنسيّة في تونس ودعم الحضور الفرنسي بها.



ليكُورغو ماتشيو (Maccio) قنصل إيطاليا بتونس من 1878 إلى 1881 بذل مجهودات لتعزيز مصالح بلاده على حساب فرنسا.

معطيات مكمّلة

– بعد فترة النّموّ الّتي شهدها الاقتصاد بأوروبا بين 1850 و1871، دخل في فترة ركود امتدّت من 1873 إلى 1896 (الكساد الكبير)
– تراجعت إمكانيّات الاستثمار في أوروبا ونتج عن ذلك فائض في رؤوس الأموال.
– احتدّ التّنافس بين الدّول الصّناعيّة، فكثر اللّجوء إلى السّياسة الحمائيّة والتّسابق في البحث عن مواطن استثمار.

الوثيقة 5

خفايا القضيّة التّونسيّة في الصّحافة الفرنسيّة

(...) لقد مثّلنا الحملة على تونس بمجرّد عمليّة نصب. ولقد أخطأنا في ذلك. فالنّصب جريرة تعالجها محكمة الجنح. وسيرى قرّاؤنا، فيما يلي، أنّ قضيّة تونس هي سرقة موصوفة، صاحبتْها جريمة قتل...
لقد كوّن السّيّدان قمبطا* وروسطان شركة كانت غايتها أوّلا العمل على إسقاط سعر سندات الدين التّونسي إلى ما لا يتعدّى ثمن ورقها، وبعد ذلك اشتراء هذه الرّقاع ببضعة فلوس زهيدة. ولكن، بما أنّ الباي لم يكن ليقدر يوما على توفير المائتي مليون اللاّزمة لخلاصهما، فقد كان المتواطِئان يدفعان الحكومة الفرنسيّة إلى التّدخّل في الإيالة وإلى أن تأخذ على عاتقها تسديد السّندات الّتي كان في نيّتهم أن تحوّل وقتها إلى ثلاثة بالمائة. الأمر الّذي يكون من شأنه أن يتمكّن السّيّد "قامبطا" والسّيّد روسطان من مبادلة حزمة أوراقهما بسندات دوليّة تفوق قيمتها المائة مليون، علما وأنّ المواطنين الذين يدفعون أداءاتهم هم الّذين يكونون وفّروا لهما هذا الرّيع. لأجل هذا ذهب خمسون ألف من جنودنا ليموتوا هنالك رعنا وبؤسا...»

هنري روشفور[2]. لانترنزجان L'Intransigeant 27-9-1881

ورد بانتصاب الحماية الفرنسيّة بتونس، علي المحجووبي ص 167

1 – قمبطا Léon Gambetta كان رئيس مجلس النّوّاب الفرنسي بين 1879 و 1881 عارض في البداية الحملة على تونس ثمّ أيدها فيما بعد.

2 – هنري روشفور (1831 - 1913) صحفي وسياسي فرنسي اشتهر بكتاباته الهزليّة اللاّذعة.

معطيات مكمّلة

• أنهى الباي محمّد الصّادق تجربة خير الدّين الإصلاحيّة في جويلية 1877 تحت تأثير القناصل الأوروبيّين وقوى الرّدّة داخل البلاط.
• تولّى الوزارة الكبرى مصطفى بن اسماعيل بداية من 1878 دون أن تكون له المؤهّلات الّتي تتطلّبها خطّته بل كان على العكس من ذلك. لا يفكّر إلاّ في تنمية ثرواته الشّخصيّة معتمدا في ذلك على علاقته الحميمة بالباي.
• استفحلت أزمة البلاد وتعمّقت الهوّة بين الدّولة والمجتمع قبيل انتصاب الحماية الفرنسيّة في 1881.

التعليمات

– أبرز دلالات انتصاب اللّجنة الماليّة بتونس سنة 1869 على سيادة البلاد التّونسيّة.
– أُدرس التّنافس الاقتصادي والمالي للقوى الاستعماريّة على البلاد التّونسيّة وتأثير مؤتمر برلين على هذا التّنافس.
– حدّد خصائص الوضع الدّاخلي بالبلاد التّونسيّة قبيل انتصاب الحماية.

النشاط الثاني: اتبيّن مظاهر انتصاب الحماية الفرنسيّة على تونس وانعكاساتها على الدّولة.

الموارد :

الوثيقة 6

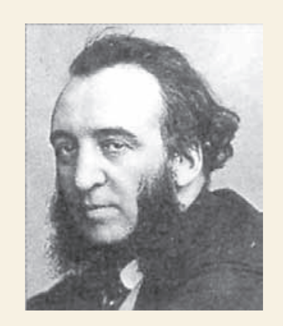
ذريعة التّدخّل العسكري الفرنسي

جاء في صحيفة لانترنزجان "L'Intransigeant" في 21 أفريل 1881 تحت عنوان "ابحثوا عن "الخميري".
«إنّه لأمر عجيب ومضحك ذاك الّذي لم نُفكّر فيه مليئا، وهو أنّه لا وجود لمن يُسمّون بقبائل "خمير" ولقد طال الحديث عنهم على امتداد يومين، لكن دون أن نعثر على أيّ أحد منهم، فقطعنا الحديث عنهم وحصرناه في الباي والقنصل "ماشيو" وإيطاليا ومواصلة الخطّ الحديدي بين عنّابة وقالمة[1]... نحن متأكّدون أنّ حكومة "فيرّي"[2] على استعداد لتقديم مكافأة بثلاثين ألف فرنك لمن يمدّها بفرد واحد من قبائل "خمير" للاستدلال به لدى الجيش ولو لمجرّد عيّنة. ولكن لسوء حظّ الحكومة لا يتوفّر أي"خميري" في السّوق...»

هنري روشفور – صحيفة "L'intransigeant"

ورد في عندما أشرقت الشّمس من الغرب، تونس 1881 – سيراس للنّشر ص 179.

1 – شارة إلى خفايا الإعداد لاحتلال البلاد التونسيّة والتّنافس مع إيطاليا.
2 – جول فيرّي (1832– 1893) سياسي فرنسي يُعد من أبرز صانعي السّياسة الاستعماريّة الفرنسيّة تولّى رئاسة مجلس الوزراء بالجمهوريّة الثّالثة بين 80 18 – 1881 و 1883 – 1885.


جول فيرّي

الوثيقة 7

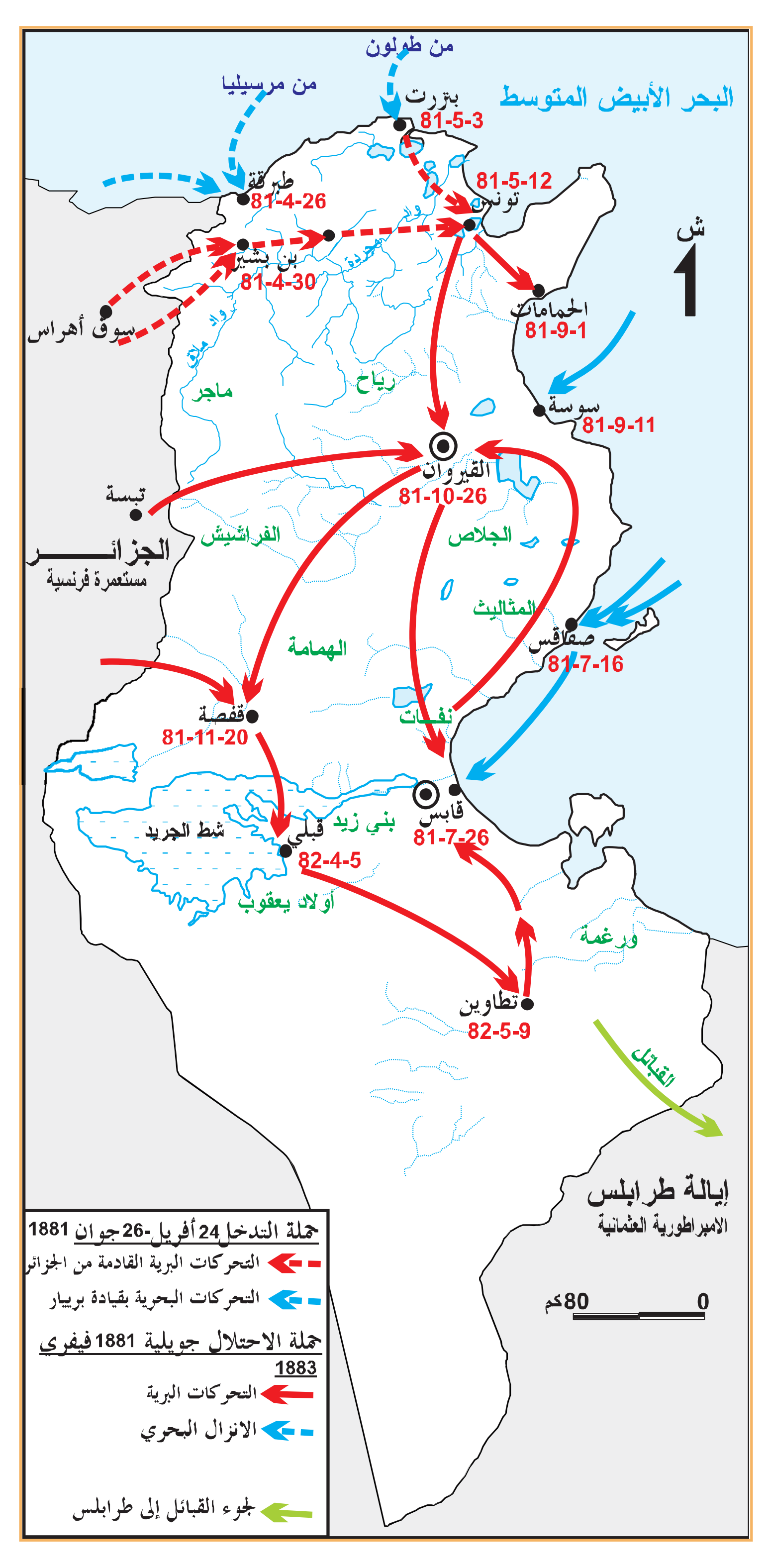
حقيقة الحملة على تونس

ورد في صحيفة "لوبوتي باريزيان" Le petit parisien بتاريخ 29 ـ9 ـ 1881 ما يلي :
"...ولم احتلال تونس ؟ ... نحن نعلم الآن – أكثر ممّا يلزم – أنّ إغارات قبائل "خمير" لم تكن سوى تعلّة وأن غزو ممالك الباي كان مقرّرا منذ أمد بعيد وقد ظهر أنّ السّيد جول فيرّي كان يكذب عندما أعلن ... أنّ الحكومة ستكتفي بمعاقبة بعض القبائل المتمرّدة. وسبق أن اضطرّت وكالة "هاواس" إلى التّصريح منذ 1878 بأنّ استقلال تونس كان مهدّدا وأنّ مكائد مقيتة كانت تُحاك للقضاء على الاستقلال الذّاتي للإيالة. ومن كان يا ترى محرّك هذه الدّسائس المعادية للجمهوريّة وللوطن ؟ إنّه قنصلنا في تونس السّيّد"روسطان. وفيم تمثّلت يا ترى دوافع الحملة الّتي أعدّ لها هذا العون الّذي لم يخش عاقبة عمل تعس كهذا ؟ لقد كانت دوافع مصالحه الشّخصيّة ومصالح الشّركات الماليّة الّتي كان ينوبها، نقصد شركة مرسيليا وشركة بون – قالمة وشركة الباتينيول*.

أورده علي المحجوبي في انتصاب الحماية الفرنسيّة بتونس ص 168 ـ 169

* هي جملة شركات ماليّة تريد استثمار أموالها في تونس.

الوثيقة 8 الحملات العسكريّة الفرنسيّة لاحتلال تونس بين أفريل 1881 وفيفري 1883



المرجع : كتاب 6 تاريخ م.ق.ب نشرة 1992

الوثيقة 9

معاهدة باردو أو «قصر السعيد»

«إنّ دولة الجمهوريّة الفرنسيّة ودولة سموّ باي تونس – لما كان من غرضهما أن يمنعا إلى الأبد حدوث قلاقل كالّتي حصلت أخيرا على حدود الدّولتين بسواحل المملكة التّونسيّة وأن يحكما علاقات ودادهما القديم وروابط حسن الجوار – قد اتفقتا على عقد معاهدة من شأنها تحقيق مصالح كلا الجانبين السّاميين المتعاقدين. وبناء على ذلك فإنّ فخامة رئيس الجمهوريّة االفرنسيّة قد عيّن العماد بريار نائبا مفوّضا من طرفه فاتّفق جنابه مع سموّ الباي المعظّم على البنودالآتية :

البند الأوّل : إنّ معاهدة الصّلح والمودّة والتّجارة وجميع المعاهدات الأخرى الموجودة الآن بين الجمهوريّة الفرنسيّة وسموّ باي تونس قد وقع تأكيدها وتجديدها.

البند الثّاني : لأجل تسهيل القيام بالإجراءات الّتي تحتّم على دولة الجمهوريّة الفرنسيّة اتّخاذها للوصول للغرض الّذي يقصده الجانبان العاليان المتعاقدان فقد رضي سموّ باي تونس بأن تحتلّ القوات الفرنسيّة العسكريّة المراكز الّتي تراها صالحة لاستتباب النّظام والأمن بالحدود والسّواحل، ويزول هذا الاحتلال عندما تتّفق السّلطتان الحربيّتان الفرنسيّة والتونسيّة وتقرّران معا بأنّ الإدراة المحليّة قد أصبحت قادرة على المحافظة على استتباب الأمن العامّ.

البند الثّالث : تتعهّد دولة الجمهوريّة الفرنسيّة ببذل مساعدتها المستمرّة لسموّ الباي وحمايته من كلّ خطر يمكن أن يهدّد ذاته أو عائلته أو يعبث بأمن مملكته.

البند الرّابع : يُمثّلُ الدّولة الفرنسيّة لدى سموّ الباي وزير مقيم عام تكون وظيفته السّهر على تنفيذ هذه المعاهدة ويكون هو الواسطة بين الدّولة الفرنسيّة وبين السّلطات التّونسيّة في جميع القضايا الّتي تهمّ الجانبين.

البند السّادس : يكلّف الممثّلون الدبلوماسيّون والقنصليّون لفرنسا في البلاد الأجنبيّة بحماية رعايا المملكة التّونسيّة ومصالحها. وفي مقابل ذلك يلتزم سموّ الباي بأن لا يعقد أي عقد ذي صبغة دوليّة من دون إعلام الدّولة الفرنسيّة بذلك والحصول على موافقتها مقدّما.

البند السّابع : تحتفظ دولة الجمهوريّة الفرنسيّة ودولة سموّ الباي لنفسها بحقّ الاتفاق على وضع نظام مالي بالمملكة التّونسيّة من شأنه الوفاء بواجبات الدّين العامّ وضمان حقوق دائني المملكة.

البند الثّامن : تفرض غرامة حربيّة على القبائل العاصية بالحدود والسّواحل وتحدّد قيمة هذه الغرامة وطرق جبايتها باتّفاق يعقد فيما بعد وتكون حكومة الباي هي المسؤولة على تنفيذ هذا الاتفاق.

البند التّاسع : لأجل صيانة ممتلكات الجمهوريّة الفرنسيّة بالقطر الجزائري من تهريب الأسلحة والذخائر فإنّ دولة سموّ الباي تتعهّد بأن تمنع قطعا إدخال السّلاح والذّخائر الحربيّة الأخرى بالمملكة التّونسيّة.

البند العاشر : يقع عرض هذه المعاهدة على دولة الجمهوريّة الفرنسيّة للمصادقة عليها وتسلّم وثيقة التّصديق عليها بعد ذلك لسموّ باي تونس في أقرب وقت ممكن.»

وكتب بالقصر السّعيد في 12 ماي 1881

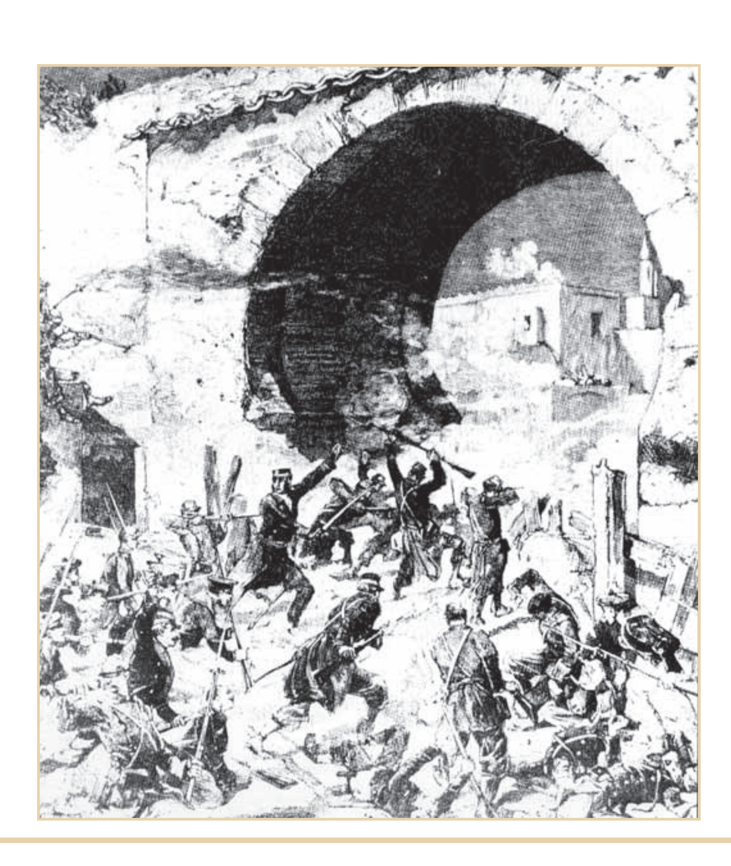
الإمضاء : محمّد الصّادق باي – العماد «بريار»

الوثيقة 10 : إمضاء معاهدة باردو (قصر السّعيد) في 12 ماي 1881



اِضطرّ الباي محمّد الصّادق إلى إمضاء معاهدة 12 ماي 1881 بحضور العماد "بريبار" Bréart قائد الحملة العسكريّة الفرنسيّة، ولئن تردّد في ذلك تحت تأثير أحد مستشاريه فإنّه قَبِلَ بالأمر الواقع بعد أن قيل له أنّ أخاه "الطّيب" أبدى استعداده لإمضاء المعاهدة في صورة اعتلائه العرش.

الوثيقة 11



دخول القوات الفرنسيّة إلى صفاقس بعد معارك عنيفة (جويلية 1881)

الوثيقة 12

موقف إيطاليا من احتلال تونس

«... أمّا إيطاليا فإنّها تجرّعت من ذلك الغصص وطوت في الضّغائن التي لا تزال، ولكنّها لمّا كانت غير كفء بانفرادها لمعارضة فرنسا، واتّحادها مع الدّولة العثمانيّة أيضا لا يجدي... فلم يسعها إلاّ السّكوت مع عظم الضّغينة في عموم الأهالي والدّولة*».

محمّد بيرم الخامس – صفوة الاعتبار بمستودع الأمصار والأقطار
المجلّد II نشر بيت الحكمة ص 781 (تونس 2000)

* لقد انضمّت إيطاليا إلى الحلف الثلاثي في 1882 ممّا زاد في عزلة فرنسا.

الوثيقة 13 :

روسطان يخيّر نظام الحماية على الإلحاق

كتب روسطان في 10 ماي 1881 إلى وزارة الخارجيّة الفرنسيّة ما يلي :

«... إنّ نظام الحماية يتمثّل في احتلال بعض النّقاط الاستراتيجيّة لضمان وجودنا بتونس وكذلك في إخضاع الباي لنا وتجريده من كلّ سلط وحتّى من إمكانيّة إدخاله لأيّ دولة أجنبيّة في علاقته معنا.»

ورد في انتصاب الحماية الفرنسيّة بتونس لعلي المحجوبي ص 77

الوثيقة 14 : مقتطفات من اِتّفاقيّة المرسى (8 جوان 1883) – مخطوط.

الحمد لله
اتفاق بين فرانسا والقطر التونسي لتمهيد العلائق الكائنة بين هذين القطرين

لما كانت عناية حضرة الباي المعظم متجهة الى تحسين الاحوال الداخلية في القطر التونسي وفقا لاحكام المعاهدة المبرمة في الثاني عشر من شهر ماي سنة 1881 وكانت حكومة الجمهورية راغبة خالص الرغبة في تحقيق مراد حضرته توثيقا لعرى الوداد الميمون الكائن بين القطرين العامرين اتفق الفريقان على عقد اتفاق مخصوص بهذا الشان واعتمد رئيس الجمهورية في ذلك على مسيو بيار بول كمبون وزيره المقيم بتونس الممتاز بنيشان الليجيون دونور من صنف اوفيسيه ونيشان العهد ونيشان الافتخار من الصنف الاكبر الخ الخ فقدم الوزير الموما اليه [illegible] المؤذنة باعتماده في ضبطه خطة واذ وجدت في تمام الاحكام و الانتظام ابرم مع حضرة الباي

Convention entre la France et la Tunisie pour régler les rapports respectifs des deux pays

S. A. le Bey de Tunis prenant en considération la nécessité d'améliorer la situation intérieure de la Tunisie dans les conditions prévues par le traité du 12 Mai 1881 et le Gouvernement de la République ayant à cœur de répondre à ce désir et de consolider ainsi les relations d'amitié heureusement existantes entre les deux pays sont convenus de conclure une convention spéciale à cet effet en conséquence le Président de la

الفصل الأول

لما كان مراد حضرة الباي المعظم ان يسهّل للحكومة الفرانساوية تمام حمايتها تكفل باجراء الاصلاحات الادارية والعدلية والمالية التي ترى الحكومة المشار اليها فائدة في اجرائها

الفصل الثالث

يأخذ حضرة الباي المعظم من مداخيل المملكة : اولاً المبالغ اللازمة للإقامة بمقتضيات القرض الذي تضمنه فرانسا ثانيا راتبه السنوي الملوكي وقدره مليونان من الريالات التونسية أي فرنك 1،200،000 وما زاد على ذلك يتعين لمصاريف ادارة الايالة ودفع مصاريف الحماية.

معطيات مكمّلة



علي باي (الثالث) أمضى منذ تنصيبه معاهدة أكتوبر 1882. التزم فيها بالاخلاص لفرنسا وبتنفيذ كلّ الاتفاقيّات الّتي أبرمها سلفه محمّد الصّادق باي كما أمضى اتّفاقيّة المرسى.



بول كامبون هو الوزير المقيم العام منذ 1882 إلى 1886 ويعتبر مرسي نظام الحماية إلى جانب روسطان.

التعليمات

– وضّح التّبريرات الّتي استندت إليها فرنسا لغزو تونس وأذكر أهمّ مراحل الاحتلال العسكري للبلاد التّونسيّة.
– بيّن طبيعة النّظام الاستعماري الّذي ركّزته فرنسا والاعتبارات الّتي راعتها في هذا الاختيار.
– أبرز تطوّر نظام الحماية إلى حكم مباشر في اتّفاقيّة المرسى وعلّله.

النشاط الثالث:

اتعرّف ردود الفعل الأولى الّتي أثارها الاحتلال الفرنسي وانتصاب الحماية على تونس.

الموارد :

الوثيقة 15

تصدّي القبائل للغزو الفرنسي في شمال البلاد

. «إنّ روح المقاومة كانت تختلج (في 20 جوان 1881) في صدور جلّ سكّان الإيالة وذلك خارج المناطق الّتي تراقبها قواتنا.»

. إنّ أفراد هذه القبائل قد استماتوا في الدّفاع طوال ساعات عديدة و لم يوقفوا القتال إلاّ بعد أن تكبّدوا خسائر فادحة

. قبيلة مقعد (في أقصى الشّمال غير بعيد عن بنزرت) كانت برمّتها في حالة عصيان في 12 ماي وانتشر أفرادها في سهل ماطر حيث التحق بهم متطوّعون من هذيل وبجاوة ومشيخة العرب وجزء من سكّان المدينة».

المصدر : احتلال البلاد التّونسيّة 1881 ـ 1883
دراسة قامت بها مصلحة الاستعلامات لجيوش الاحتلال سنة 1885 ص 35
ورد بانتصاب الحماية... لعلي المحجوب (ص 46 – 47)

الوثيقة 16 : أهمّ معارك المقاومة (1881 - 1882)



معطيات مكمّلة

علي بن خليفة النّفاتي رمز المقاومة في الجنوب

شغل خطّة عامل نفات، ينتمي إلى عائلة مخزنيّة خدمت الدّولة منذ قرون، تحوّل غداة دخول القوات الفرنسيّة إلى البلاد عام 1881 إلى أبرز رموز المقاومة. أشرف على عدّة معارك ضدّ الفرنسيّين وبخاصّة شارك في الدّفاع عن مدينةصفاقس.

هاجر إلى طرابلس مثل العديد من الأهالي في أواخر 1881 بعد أن اتّضحت له استحالة مواصلة التّصدّي عسكريّا للغزاة وكان يأمل العودة إلى البلاد مدعوما بالجيش العثماني. توفّي في 16 - 11 - 1884 ومثّل موته النّهاية الفعليّة للمقاومة المسلّحة.

ترجمة من مصادرمختلفة ألّفها الأستاذ الهادي التيمومي.
كتاب التّاريخ س 7 ث. م.ق.ب

الوثيقة 17

أبيات من قصيدة لشاعر مجهول

الباي باع الوطن بيع الشّوم | باعث علينا يلوم

قال اِفرحوا بأمحال ولد الرّوم

الباي باع الوطن بالتّصحيح | ما عد فيه مليح

واللّي عينو في الجهاد يصيح

ذكرها محمّد المرزوقي – صراع مع الحماية – تونس – دار الكتب الشّرقيّة

الوثيقة 18

برقيّة روسطان إلى وزير الخارجيّة الفرنسي بتاريخ 19 ماي 1881

«إنّ العربي زرّوق وابنيه الموقوفين من أجل تحريضهم الأهالي على الثورة واعترافهم بشراء أسلحة وذخيرة بكمّيّات هامّة قد لجأوا هذه اللّيلة إلى قنصليّة إنقلترا، وقد أعلمني مصطفى بن إسماعيل أنّ السّيد ريد Read جاء إلى الباي هذا الصّباح يطلب إرجاعهم إلى وظائفهم. وأجابهم الباي بكثير من الحزم أنّه حرّ في تعيين موظّفيه وإقالتهم وأنّه لا يقبل تدخّلات القناصل.

فأشرت على الوزير بأن يطلب اللاّجئين لدى قنصليّة إنقلترا، وفي صورة الرّفض أن يقبل بالأمر الواقع وأن يعلمكم بواسطتي.

إنّ لتدخّل السّيّد"ريد" في هذه المسألة مفعول سلبي على وضعيّتنا الرّاهنة وعلى المحافظة على الأمن"

روسطان – أرشيف وزارة الخارجيّة الفرنسيّة – تونس مجلّد 58



العربي زرّوق رئيس بلديّة الحاضرة سنة 1881 وأحد رجال الدّولة القلائل الّذين سعوا إلى رفض الحماية.

التعليمات

– حدّد مواقف الأوساط الرّسميّة من انتصاب الحماية الفرنسيّة على تونس.

– تبيّن ردود فعل الأهالي تجاه الغزو العسكري الفرنسي وانعكاساتها على الأوضاع الاجتماعيّة والسّياسيّة في البلاد.

المقدمة

لم تحُل محاولة خير الدين باشا الإصلاحيّة الوجيزة (1873 ـ 1877) دون تفاقم أزمة البلاد التّونسيّة واشتداد التّنافس بين القوى الاستعماريّة وبخاصّة بين فرنسا وإيطاليا. فعزمت فرنسا بداية من **1878** – وبعد أن حسمت التّنافس لصالحها من النّاحية الديبلوماسيّة على احتلال البلاد التّونسيّة وفرض هيمنتها الاستعماريّة عليها في 12 ماي 1881.

وقد تصدّى الأهالي للغزو العسكري الفرنسي في كامل جهات البلاد وتواصلت المقاومة المسلّحة إلى فيفري 1882.

فما هي الظّرفيّة الدّاخليّة والخارجيّة الّتي أفضت إلى انتصاب الحماية الفرنسيّة بتونس وما طبيعة ردود الفعل الأولى تجاهه ؟

I - ظرفيّة انتصاب الحماية الفرنسيّة :

يندرج انتصاب الحماية الفرنسيّة بتونس ضمن تطوّر التّوسّع الاستعماري الأوروبي عموما والفرنسي على وجه الخصوص إلى المرحلة الإمبرياليّة الّتي يلعب فيها رأس المال المالي الدّور الأساسي لتوسيع مجال هيمنته. وقد تنافست القوى الأوروبيّة من أجل تعزيز مصالحها في الإيالة وبخاصّة عبر سياسة القروض المقدّمة لحكومة الباي. لكن تغيّر المعطيات الجغراسياسيّة في المتوسّط وفي أوروبا ساهم في تكريس التّفوّق الفرنسي.

1 – التّسرّب الاقتصادي الأوروبي (الوثائق 1 – 2 – والمعطيات المكمّلة

. الهيمنة الماليّة :

استغلّت الأوساط الماليّة الأوروبيّة حاجة الإيالة إلى المزيد من الأموال لتمويل المشاريع الإصلاحيّة ولتراجع مواردها من التّجارة، فقدّمت لها القروض المتعاقبة بفوائض ربويّة. وتدرّجت البلاد نحو الإفلاس رغم تضعيف "المجبى" في 1863، وسرعان ما التجأ الباي محمّد الصّادق (1859 ـ 1882) إلى الاقتراض الخارجي إلى أن تبيّن في 1867 أنّ الدّولة كانت عاجزة عن معالجة أزمتها الماليّة، ممّا جعل مقرضيها من رجال الأعمال الأوروبيّين يركّزون مراقبة مباشرة على ماليّتها بتنصيب اللّجنة الماليّة الدّوليّة (الكوميسيون) سنة 1869 قصد ضمان تسديد أقساط قروضهم وأوكل للّجنة الماليّة الممثّلة لمجموع مقرضي الباي من إنقلترا وفرنسا وإيطاليا حقّ التّحكّم في جلّ المداخيل الجبائيّة للإيالة. فأصبحت ماليّتها تعاني من مقتضيات تسديد الدّين الخارجي.

وإلى جانب هذه الوصاية الماليّة الدّوليّة الّتي أفقدتها جانبا من سيادتها، فإنّ التّنافس الاقتصادي بين القوى الاستعماريّة سيسير بها إلى السّقوط تحت الهيمنة السّياسيّة.

. التّنافس على الاستثمار في إنجاز المشاريع :

اِستغلّت إيطاليا بعد إتمام وحدتها في 1870، تقلّص التّأثير الفرنسي بهزيمة فرنسا في حربها ضدّ بروسيا، لتحصُل على امتيازات تجاريّة معتمدة على أهمّيّة جاليتها، كما عملت إنقلترا على تعزيز حضورها بتركيز مؤسّسات اقتصاديّة (الخطّ الحديدي تونس – حلق الوادي – المرسى) أو بنكيّة.

وتمكّنت فرنسا بدورها، وبفضل مناورات قنصلها"روسطان" وجرأته من استرجاع نفوذها بداية من 1874 مستغلّة تخلّي إنقلترا النّسبي عن مطامحها في تونس لتركّز على مصر بعد فتح قناة السّويس للملاحة (1869).

واشتدّ التّنافس بين فرنسا وإيطاليا عبر قنصليهما "روسطان" و"ماتشيو" وبخاصّة حول اشتراء الخطّ الحديدي (تونس – حلق الوادي – المرسى) والّذي فازت به شركة إيطاليّة بدعم من دولتها. فعزمت الحكومة الفرنسيّة على التّهديد بالقوّة للحصول على امتيازات اقتصاديّة لصالح المؤسّسات الفرنسيّة. فحصلت شركة "باتينيول" على امتياز حفر ميناء تونس، بينما مُنح فرعها شركة "بون (عنابة) – قالمة" على امتياز مدّ الخطّين الحديديّين : تونس – سوسة وتونس – بنزرت. لكن فرنسا لم تكتف بهذا القدر من التّفوّق على المنافس الإيطالي لتعود إلى بسط نفوذها السّياسي على الإيالة.

2 – الإعداد الديبلوماسي لاحتلال تونس

إضافة إلى النّفوذ الّذي اكتسبته فرنسا في إيالة تونس منذ أمد بعيد فإنّها أصبحت تسعى إلى كسب تأييد القوى المؤثّرة لتيسير ضمّ تونس لمستعمرتها الجزائريّة. وكان لها ذلك في مؤتمر برلين في 1878 عندما عبّر كلّ من "بسمارك" المستشار الألماني "وسولسبري" وزير خارجيّة إنقلترا عن تأييدهما لطموحات فرنسا في تونس، والملاحظ أنّ التّحوّل الحاصل في الموقف الإنقليزي يُفسَّر بالتّعويض لفرنسا عن احتلال إنقلترا لجزيرة "قبرص" وكذلك لتجنّب سيطرة إيطاليا على ضفّتي قنال صقليّة.

أمّا المستشار"بسمارك" فإنّه كان يرغب في إلهاء فرنسا بالحملات الاستعماريّة حتّى لا تتمكّن من استرجاع مقاطعتي "الألزاس واللورين" الّتي خسرتها في حرب 1870.

وقد أمكن لحكومة "جول فيري" تغيير موقف "قمبيطا" رئيس مجلس النّوّاب من المعارضة إلى الموافقة على التّدخّل العسكري في تونس. وممّا لا شكّ فيه أنّ أوساط الأعمال الّتي كانت لها مصالح في تونس قد لعبت دورا ما في التّمهيد للحملة العسكريّة وحتّى لتغيير موقف "قمبيطا".

II - احتلال تونس وانتصاب الحماية الفرنسيّة :

لقد تمّ الاحتلال على مرحلتين، الأولى اقتصرت على احتلال شمال الإيالة من 24 أفريل 1881 إلى بداية شهر جوان وأسفرت على إمضاء معاهدة الحماية في 12 ماي، والثّانية بداية من جويلية 1881 إلى ماي 1882 لمواجهة حركة المقاومة الّتي شملت الوسط والجنوب والسّاحل، فأمكن لفرنسا بعدها توطيد نظام الحماية باتّفاقيّة المرسى لإرساء هيمنتها السّياسيّة على البلاد.

1 – اِحتلال الشّمال وإعلان الحماية

. لم تعوز حكومة "جول فيرّي" الذّريعة لتتدخّل عسكريّا في تونس فاستعملت إغارات قبائل خمير التّونسيّة على نظيرتها الجزائريّة من وراء الحدود ليُعدّ حملة عسكريّة لتأديب القبائل "المتمرّدة". فانطلقت قوّات من الجزائر برّا لتكتسح أهمّ النّقاط في الشّمال الغربي. بينما تمّ إنزال قوّات أخرى قادمة من فرنسا (طولون) وعلى رأسها العماد "برييار" وهي الّتي توجّهت نحو تونس لتفرض معاهدة الحماية في 12 ماي 1881 على الباى محمّد الصّادق.

. وقد فرضت فرنسا صيغة الحماية لاعتبارات عدّة، كمراعاة مصالح الدّول التّوسّعيّة الأخرى مثل إيطاليا أو تجنّب إزعاج الدّولة العثمانيّة وكذلك لتيسير مواصلة الاحتلال وإدارة البلاد بأقلّ التّكاليف بواسطة السّلط التّقليديّة مع مراقبتها عن كثب.

ويقتصر نظام الحماية كما تحدّده معاهدة باردو قصر السّعيد (12 ماي 1881) على فرض وصاية ديبلوماسيّة والتّعهّد بحماية العرش الحسيني (البندان 3 و6)

كما تنصّ المعاهدة على موافقة الباي على أن تحتلّ القوّات الفرنسيّة الجهات والسّواحل التي تراها صالحة لاستتباب الأمن وأن يزول الاحتلال عندما يرى الطّرفان أنّ الإدارة المحليّة قادرة على المحافظة على الأمن العامّ (البند الثّاني) ويمثّل فرنسا لدى الباي مقيم عامّ يسهر على تنفيذ المعاهدة ويكون واسطة بين حكومة الباي والحكومة الفرنسيّة. كما تضمن المعاهدة لفرنسا الموارد الماليّة الّتي تريدها في حقوق دائني المملكة (بند 7).

ومهما توخّته فرنسا من حذر فقد تواصلت مقاومة الأهالي للتّدخّل العسكري الفرنسي بعد إمضاء معاهدة باردو.

2 – احتلال الوسط والجنوب وتوطيد الحماية :

لقد اِضطرّت السّلطات الفرنسيّة إلى تعزيز جيوشها بعد أن خفّضت من عدد جنودها منذ 10 جوان 1881 وذلك بسبب تنامي المقاومة في الوسط والسّاحل وفي الجنوب. ومن المدن الّتي استبسل فيها المقاومون مدينتي صفاقس وقابس بفضل الدّعم الّذي قدّمته العناصر القبليّة القادمة من الجوار، لكن التّفوّق التّقني والتّنظيم العسكري المحكم كانا وراء استسلام كلّ من صفاقس وقابس وبعض قرى السّاحل كالقلعة الكبيرة والسّاحلين بينما استسلمت القيروان دون مقاومة. وقد تواصلت العمليّات العسكريّة حتّى ماي 1882، بينما هاجرت عديد القبائل إلى إيالة طرابلس على أمل الحصول على مساعدة عثمانيّة لمقاومة الغزو الفرنسي.

. وبعد إنهاء آخر العمليّات العسكريّة باحتلال تطاوين وقبلي شرعت السّلطات الفرنسيّة في توطيدالحماية بفرض "اِتّفاقيّة المرسى" الّتي عُقدت في 8 جوان 1883 مع علي باي بعد وفاة محمّد الصّادق باي.

وقد جاءت هذه الاتّفاقيّة لتوسيع النّفوذ الفرنسي، إذ تتيح لفرنسا التّدخّل الصّريح في الشّؤون الدّاخليّة التّونسيّة، وتخوّل لها إعادة بناء النّظم الإداريّة وفق مصالحها وبالتّالي إلغاء المحاكم القنصليّة الّتي كانت تشكّل عائقا في سبيل بسط سيادتها القضائيّة وغيرها.

واستُعملت عبارة حماية (البند 1) في اتّفاقيّة المرسى للنّظام المدَني والّذي يُبقي على الهياكل الإداريّة التّقليديّة لكنّه أعطى السّلطة المطلقة لفرنسا في البلاد التّونسيّة.

ولئن خضع سكّان المدن والقرى للسّلط الجديدة فإنّ أغلب البدو قد تمركزوا في جنوب البلاد وفي طرابلس ليواصلوا لمدّة ثلاث سنوات مناوشاتهم ضدّ القوات الفرنسيّة، فما طبيعة ردود الفعل هذه وغيرها من أوجه المقاومة؟

III ردود الفعلالأولى الّتي أثارها انتصاب الحماية :

لم تصدر ردود الفعل الأولى من الباي محمّد الصّادق ولا من البايليك عموما بل نبعت بالدّرجة الأولى من الجبال والبوادي والأرياف وتحوّلت إلى مقاومة مسلّحة في الشّمال أوّلا، لكنّها تنامت في صائفة1881 خاصّة في الوسط والجنوب.

1 – تخاذل الباي والمعارضة السّلبيّة للدّولة العثمانيّة :

لئن أمضى محمّد الصّادق باي معاهدة 12 ماي 1881 تحت الضّغط إذ كان مهدّدا بتعويضه بأخيه "الطّيّب" إن هو مانع في إمضائها، فإنّه تردّد في طريقة التّصدّي للغزو الفرنسي، وقد وجّه فرقة عسكريّة لمواجهة القوّات الغازية لكنّه تراجع وأمرها بالرّجوع دون أن تشارك في العمليّات العسكريّة.

أمّا الدّولة العثمانيّة والّتي بقيت تمثّل الملاذ الأخير بالنّسبة لأغلبيّة الأهالي، فإنّها توخّت الحذر واتّسم موقفها بالتّردّد، سيّما وأنّها كانت تواجه صعوبات كثيرة في عديد المناطق. وقد اكتفت بالاحتجاج الشّكلي معتبرة أنّ سيادتها على تونس تبقى قائمة وأنّ معاهدة باردو لا تلزمها في شيء.

2 – **المقاومة المسلّحة للغزو الفرنسي** : وثائق 13 إلى 16

. تصدّت قبائل الشّمال للغزو من أوّل وهلة وبخاصّة منها سكّان الجبال كخمير ووشتاته ومُقعد وهذيل واشتبكت مع القوات الفرنسيّة في معارك عنيفة ومنها معركة "بن بشير" بسهل بوسالم والتي استشهد فيها عدد كبير من رجال قبائل خمير وعمدون والشيايحة وكان ذلك في 30 أفريل 1881. ولكن التّفوّق التّقني والتّنظيمي الّذي كانت تحظى به القوات الغازيّة حدّ من فعاليّة هذه المقاومة.

. ثمّ امتدّت المقاومة المسلّحة إلى الوسط لتشمل قبائل جلاص والفراشيش والهمامة وأولاد عيّار، وتمّت محاولات لتوحيد الأعمال وتنسيق الجهود بين هذه القبائل بمبادرة من علي بن خليفة قايد نفات والحاج حسين بن مسعي قايد أولاد يدير، وعلي بن عمّار القايد السّابق لأولاد عيّار وغيرهم. وقدركّزت المقاومة في الوسط على منع القوّات الفرنسيّة من الوصول إلى القيروان، بينما هجم أولاد سعيد على هنشير النّفيضة وأسّروا موظّفيه. وانضمّوا إلى الجموع المتكوّنة من جلاص والهمامّة والسّواسي ورياح تعضدهم حامية القلعة الكبرى للجنود الفارّين من جيش الباي لمنع القوات الفرنسيّة من التّقدّم إلى داخل البلاد واشتبكوا معها في معركة بئر حفيظ قرب قرمبالية (26 ـ 8 ـ 1881).

. أمّا في الجنوب فقد تركّزت المقاومة بصفاقس وقابس حيث تدخّلت القوّات الفرنسيّة عن طريق البحر. وشارك في الدّفاع عن مدينة صفاقس عدد من سكّانها تحت رئاسة محمّد الشّريف ضابط الحامية بها وانضمّ إليهم عدد كبير من قبيلة المثاليث وبخاصّة قبيلة نفات وعلى رأسها علي بن خليفة الّذي كان رمز المقاومة على نطاق البلاد كافّة. وسقطت المدينة في 16 ـ 7 ـ 1881 بعد قصف دام عدّة أيّام وأسفر على هلاك عدد كبير من المقاومين.

وكذلك كان مآل المقاومة في مدينة قابس والمعزّزة بمقاتلين من القرى المجاورة وخاصّة من قبائل ورغمة وبني زيد ونفات. ولئن توصّلت القوّات الفرنسيّة إلى احتلال جارة والمنزل حيث تركّزت المقاومة فإنّ الثّوّار قد صمدوا لعدّة أشهر حتى نهاية نوفمبر 1881.

والجدير بالملاحظة أنّ مقاومة الغزو الفرنسي سنة 1881 وإلى حدود 1884 قد كانت من عمل سكّان الأرياف وبخاصّة منها القبائل وكان يحرّكها ما يشبه الشّعور الوطني "الغريزي" بالانتماء إلى كيان واحد إضافة إلى ورح الجهاد في سبيل اللّه حماية للدّين.

خاتمة :

أدّت الأزمة الشّاملة الّتي عرفتها البلاد التّونسيّة منذ 1814 إلى السّقوط تحت الهيمنة السّياسيّة الفرنسيّة، وترجع تلك الأزمة إلى أسباب سياسية داخليّة وأخرى ناجمة عن الضّغط الأوروبي وعن التّلاقي بين المجتمع التّونسي التّقليدي مع أوروبا الصّاعدة فلم تجد البلاد مقوّمات الصّمود أمام التّحدّي الأوروبي، لكنّها حافظت على كيانها الحضاري. إلاّ أنّ السّياسة الاستعماريّة الهادفة إلى استغلال البلاد لصالح الجالية الأوروبيّة وأصحاب رؤوس الأموال ستفرز لدى شرائح عديدة في المجتمع وعيا أكثر صلابة لاستئناف المقاومة بأشكال أكثر حداثة.



الدّرس 23 بوادر الحركة الوطنيّة التّونسيّة إلى حدود 1914

المدخل

عَـهْـدُ الـحـمَاية كـلّهُ كَـرْبٌ / قـدْ عـشْنا شـرَّهُ والقلـبُ مكـتئـبُ
فالشـعْبُ في الـذلّ والـمحتلُ يَـحكُمُهُ / بـالضيْـم والأمـلاكُ تغتـصـبُ
سيـاسـة الـفـتْـك والتفـقـيرُ ديـدَنـهُ / ويـدّعـي أنّـه مـا جاء يَنْـتهـبُ

أبيـات تُنسب لشاعر مـجهـول ، وتعود إلى سنة 1884.
وردت بكتاب ، محمد علي بلحولة ، الجهاد التونسي في الشعر الشعبي، ج 1، ص 70، تونس 1987.

أدرس انطلاقا من هذه الأبيات، خصائص السّياسيّة الاستعماريّة الفرنسيّة بالبلاد التّونسيّة وردود الفعل الوطنيّة تجاهها إلى حدود 1914.

النشاط الأول : أتعرّف هياكل السّيطرة الّتي أرساها الاستعمار الفرنسي بتونس ومظاهر الاستغلال الاقتصادي وانعكاساته.

الموارد

معطيات مكمّلة

الوزراء المقيمون العامون بتونس بين 1882 و 1918

– بول كامبون	Paul Cambon	(1886 - 1882) :
– جوستان ماسيكو	Justin Massicault	(1892 - 1886) :
– شارل روفيي	Charles Rouvier	(1894 - 1892) :
– روني مييي	René Millet	(1900 - 1894) :
– جورج بونوا	George Benoît	(1901 - 1900) :
– ستيفان بيشون	Stephaen Pichon	(1906 - 1901) :
– غابرييل ألابتيت	Gabriel Alapetite	(1918 - 1906) :

الوثيقة 1

السيطرة على هياكل الدولة

"إنّ كل الوزراء والموظفين يخضعون لرقابة دائمة من بونبار [1] ممثّل المقيم بدار الباي ، وهكذا تمّت الهيمنة على الحكومة التونسية. و لم نعد نخشى نوايا الوزير الأكبر المبيّتة أو خيانته، و لم نعد نخشى أيضا كل المناهضين لنا من الوزراء مثل وزير البحرية أحمد زروق ... ووزير الحرب [2] الّذي هو تركي الأصل، وكذلك الوزير الأكبر السابق [3] الّذي يكرهنا ويعارضنا في الخفاء ..."

بول كامبون 4 نوفمبر 1882. أورده علي المحجوبي
انتصاب الحماية الفرنسية بتونس ، ص 106 ، تونس 1993

1) بونبار : هو موريس بونبار(Maurice Bompard) الكاتب العام للحكومة التونسية ،أصبح المسؤول الأكبر عن الإدارة التونسية وتحدّدت صلاحياته حسب أمر وقّع عليه الباي في 27 جانفي 1883
2) الجنرال سليم .
3) محمد خزندار.

معطيات مكمّلة

المعاهدات والاتفاقيات المفروضة عل البايات

- 12 ماي 1881 : معاهدة باردو وقعها محمد الصادق باي وأفقدت البلاد سيادتها الخارجية.
- 8 جويلية 1882 : معاهدة سرّية فرضت على محمد الصادق باي وخولت للجانب الفرنسي الإشراف على الشؤون المالية وإجراء إصلاحات إدارية وقضائية.
- 30 أكتوبر 1882 : معاهدة سرّية فرضت على علي باي أقرّت فقدان الباي سلطته الداخلية واهتمت بمسألة الديون التونسية.
- 8 جوان 1883 : اتفاقية المرسى وقّع عليها علي باي وكرّست النفوذ المطلق للفرنسيين .

الوثيقة 2

الإدارة الجهوية

" يمكن القول بصفة عامة إنّ المراقبين المدنيين يُمسكون سلطة الحكومة الحامية على الحكومة المحمية داخل البلاد مثلما يمسك الوزير المقيم بزمام الأمور في الإدارة المركزية، إذ يتعيّن عليه أن يوجّه سياسة الباي في المسار الّذي تحدّده الحكومة الفرنسية وأن يعلم المراقبين بمقاصدها . أما دور هؤلاء المراقبين فهو يتمثّل في السهر على تطبيق أوامر الحكومة الّتي يمليها عادة المقيم ."

تصريح لبول كامبون أورده علي المحجوبي، انتصاب الحماية الفرنسية بتونس ، ص 111، تونس1993

التعليمات

– حدّد الهياكل السّياسيّة والإداريّة الّتي ركّزها الاستعمار الفرنسي للسيطرة على البلاد التونسية وتسيير شؤونها.
– صنّف هذه الهياكل.

الوثيقة 3

أهداف الاستعمار الفرنسي

"لم تكن فكرة إيجاد مآو أو شغل لأبنائها هي الّتي جعلت فرنسا تُقدم على احتلال البلاد التونسية، بل كانت تدفعها الرغبة في جعل هذا البلد القليل السكان والمتخلف تقنيا واقتصاديا والذي لم تستغل موارده حكرا على رؤوس أموالها ومنتجاتها ... "

من تصريح جول فيري أمام البرلمان الفرنسي 1885

أورده علي المحجوبي ، انتصاب الحماية الفرنسية بتونس ،ص 125، تونس 1993

الوثيقة 4

مقتطفات من القانون العقاري الاستعماري 1 جويلية 1885

– الفصل العشرون: العقارات الّتي تسجّل تصير لنظر المحاكم الفرنسية وحدها وانتقالها لها يكون نهائيا ...

– الفصل الحادي والعشرون : نصّبنا في حاضرتنا دفتر خانة للملك العقاري بالمملكة كلها، دفتر دار الملك العقاري مكلّف بما يأتي بيانه :

أولا: تسجيل العقارات.

ثانيا : كتب صكوك الملك .

ثالثا : حفظ الصكوك المتعلقة بالملك .

رابعا : تقييد الحقوق والالتزامات المتعلّقة بالعقارات المذكورة .

– الفصل الرابع والأربعون : كل تسجيل يستلزم إقامة صك ملك يكتبه الدفتر دار بالفرنساوية، ويضمّنه وصف العقار وحدوده ومساحته .

– الفصل السابع والخمسون: لا يجبر أحد على التنازل عن ملكه إلاّ لمصلحة عامة ولا يقع إكراهه على ذلك إلاّ بحسب القوانين الموضوعة لأخذ الملك جبرا .

الرائد الرسمي، 12 جويلية 1885

الوثيقة 5

الاستيطان والسيطرة على الأراضي

"... لقد تُرك استعمار الإيالة إلى حدّ الآن إلى المبادرات الخاصة وحرصت الإدارة في أوّل الأمر على تمييز أعمالهم عن طريق شقّ الطرقات وتأمين الأملاك والأشخاص والإعفاء التدريجي من الضرائب. وقد قامت هذه المبادرة في أغلبها بفضل مواطنين فرنسيين يمتلكون رؤوس أموال هامة استعملوها في إنشاء مزارع الكروم التونسية إذ وقع اقتناء حقول شاسعة أو هناشير على وجه الملك التام أو الإنزال ... فإنّنا في حاجة أمس إلى العديد من المعمّرين من ذوي الموارد المتوسطة، أي إلى فلاحين متواضعين يقومون بزراعة الكروم والحبوب في مساحات محدودة وبتربية الماشية بالقدر الّذي تسمح به نوعية التربة ، وهم باستقرارهم صحبة عائلاتهم سيقومون بإعمار تونس وإحيائها ... من ناحية أخرى ، لا يمكننا أن نعتمد على الشركات الزراعية لتستثمر وتقسّم الأراضي الّتي تمتلكها ، ويبدو أنّ عقد الإنزال هو أحسن وسيلة للاقتناء بالنسبة للاستعمار ، وهو عقد كراء أبدي يعطي للمتسوغ جميع حقوق المالك مقابل دفع ريع سنوي ، ولا يطالب المقتني بدفع ثمن البيع مما يمكّنه من توظيف كلّ موارده في استغلال الأرض."

من رسالة المقيم العام إلى وزير خارجية فرنسا ، 15 سبتمبر 1890،أرشيف وزارة الخارجية الفرنسية ، ملف 225 ، ص 84 ـ 85

الوثيقة 6 : تطور مساحة الأراضي الّتي استحوذ عليها الفرنسيون (الهكتار)

التّاريخ	المساحة
قبل الحماية	114000
1892	440000
1914	560000

مصادر مختلفة

معطيات مكمّلة

ـ **الأحباس أو الأوقاف** : عقارات ذات طابع ديني غير قابلة للبيع أو للتقسيم ، وهي على نوعين خاصة وعمومية .
وقد تمكّن المعمرون من اقتنائها بتأويل مفهوم الإنزال.

ـ **الإنزال** : ريع ثابت يدفعه المتسوّغ للمنتفع الأصلي بالحبس مقابل استغلال الأرض المحبّسة ، حوّلته السلطة الاستعمارية إلى ملكية عقارية قابلة للكراء بمعلوم ثابت ولمدّة غير محدّدة.

ـ **جمعية الأوقاف** : أسّسها خير الدين باشا سنة 1874 للإشراف على الأحباس العامة.

الوثيقة 7

اتّفاق على منحة استخراج الفسفاط

" ... وقع الاتفاق على ما يأتي ذكره بين السّيّد بافيليه المدير العامّ للأشغال العامّة بالدّولة التّونسيّة والسّيّد موريس دي روبار بضمانة الشّركة المعروفة " الشّركة الفرنساويّة للبحث ومقاولات الأشغال" :

الفصل الأوّل : تمنح الدّولة التّونسيّة إلى السّيّد موريس دي روبار الّذي يقبل ذلك :

– أوّلا : التّصرّف فيما يوجد من فسفاط بالأراضي الّتي من أملاك الدّولة الكائنة قبلي وغربي قفصه في دائرة تمتدّ حتّى حدّ إيالة الجزائر.

– ثانيا : إحداث سكّة حديديّة بين صفاقس وقفصة...

– ثالثا : هبة 30000 هكتار قابلة للحرث من أملاك الدّولة الكائنة بتراب مراقبة صفاقس وذلك مجانا على وجه التّملّك التّامّ...

الفصل الثّاني : مدّة المنحة فيما يخصّ التّصرّف في الفسفاط والسّكّة الحديديّة ستّون عاما ابتداؤها من تاريخ موافقة الحضرة العليّة (الباي) على هذا الاتّفاق.

الرّائد الرّسمي. 20 أوت 1896، أورده نور الدّين الدقي، ليلى عدّة، الهادي جلاّب، المجتمع التّونسي والاستغلال الاستعماري، ص 31، تونس 1997

الوثيقة 8

استغلال عمال مناجم الفسفاط

" ... لنبدأ بمسألة الأجور ... نلاحظ بأنّ عمال المناجم يتقاضون من 3 إلى 4 فرنك في اليوم الواحد ... وليس هناك عامل على عشرة يقبض المقدار الكامل لأجرته ...

فكلّ عامل جديد يجبر على شراء الأدوات الضرورية لعمله من مخازن الشركة ، ويكون الدفع عن طريق حجز رصيد أيام عمله الأولى إلى أن يقع تسديد الدين وفائدته . ولقد عرضت علي رفوشا ومجارف دفع العمال ثمنها 12 و 20 فرنكا بينما لا تزيد قيمتها على مائة سنتيما.

... ولكن ما بدا لي أكثر دفعا على الثورة من هذا الابتزاز وهذه السرقة فهي الطريقة التي تُسكن بها الشركة منبوذيها البائسين، وليس بوسعنا تصوّر شيئا أوبأ وأقذر من الأكواخ التي يقطنها العمال الأهليين بالرديف ... إنّ التيفوس ملك هذه البقاع ويقوم بطبيعة الحال بحملات ضارية وفتّاكة ... "

بول فينيي دوكتون ، الجرائم الاستعمارية للجمهورية الثالثة ، عَرَقُ البُرنس، باريس 1911 .

الوثيقة 9 : السّكّان للبلاد التّونسيّة سنة 1911 (نسمة)

الأوروبيّون				التّونسيّون	
فرنسيّون	إيطاليّون	مالطيون	بقيّة الأوروبيّين	مسلمون	يهود
46000	88000	11300	3000	1740100	50400
المجموع		148300		المجموع	1790500

لويس شوفاليي ، المشكل الديمغرافي لشمال إفريقيا، ص 22. باريس 1947.

الوثيقة 10

العنصرية الاستعمارية

"لقد كانت وستظل ثنائية الأعراق قائمة الذات في إفريقيا الشمالية ، وسيعيش الأوروبيون والعرب جنبا إلى جنب دون اختلاط أو تمازج ... لقد انساق حكامنا في اتجاه التيار السائد في فرنسا فارتكبوا أخطاء ثلاثة عندما أرادوا إدماج الأهالي عن طريق التعليم وإخضاعهم إلى قوانيننا أو جزء منها وبإعلان المساواة بينهم وبيننا ... ويستوجب على الإدارة أن تكون الأولى في تأكيد تفوّقهم (المعمرون) عوض التقليل من شأنهم باسم مبدأ لا يصحّ في تونس، وهو المساواة أمام الجباية.

فيكتور دي كارنيار، جريدة تونس الفرنسية 30 سبتمبر 1899.

* فيكتور دي كارنيار (Victor de Carnières) : ينتمي لفئة كبار المعمرين ويعتبر من غلاة الاستعمار ترأس الغرفة الفلاحية بالشمال وكان عضوا بالندوة الاستشارية، تميّز بمواقفه العنصرية وبمناهضته لكلّ نفس وطني.

الوثيقة 11 : تطوّر موارد الخزينة التّونسيّة

السّنة	الضّرائب المباشرة (مليون فرنك)	% من الموارد	المجبى* (مليون فرنك)	% من الموارد	مجموع المداخيل (مليون فرنك)
1896	7.7	31.7	4.3	17.9	24.3
1903	11.1	30.6	5.6	15.6	36.2
1906	10.1	26.3	5.5	14.3	38.4

*المجبى : ضريبة على الرأس يدفعها التونسيون وقدرها 25 فرنك سنويا .

نور الدين الدقي ، السياسة الجبائية الفرنسية بتونس ، ص 187 ، 1996.

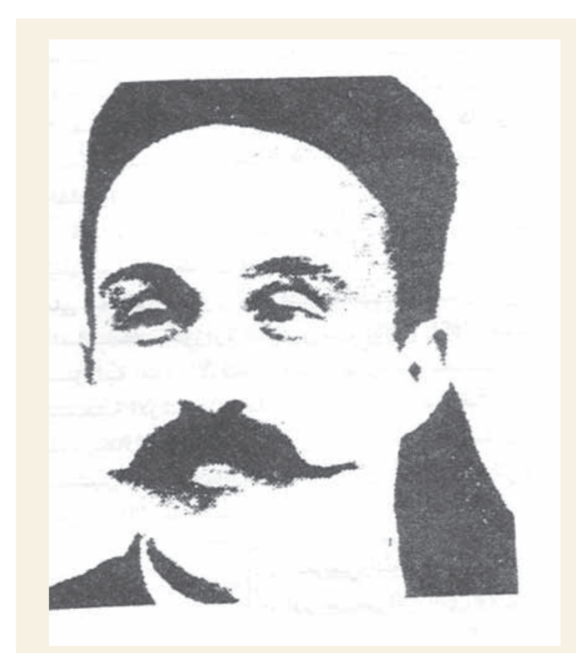
التعليمة

بيّن الملامح الاقتصاديّة والاجتماعيّة للسّياسة الاستعماريّة بتونس.

النشاط الثاني: أتبيّن خصائص الحركة الثقافية والمطلبية كمنطلق لنضال النخبة التونسية ضدّ السياسية الاستعمارية.

الموارد :

الوثيقة 12



علي بوشوشة (ـــــ - 1917)

ولد ببنزرت في مطلع الستينات من القرن التاسع عشر، درس بالزيتونة والصادقية وتولى وظيفة الترجمة بالإدارة التونسية.

يعتبر من أبرز مؤسّسي جريدة الحاضرة وأشرف على إدارتها مدّة 10 سنوات، وحرّر أكثر من 400 من افتتاحياتها . وقد كان يحذق عدّة لغات وزار عدّة أقطار كتركيا واليونان وفرنسا ومصر.

علي العريبي، الحاضرة، ص 75 – 85، تونس 1995

الوثيقة 13



البشير صفر (1863 - 1917)

محمد البشير صفر ولد بتونس وهو أصيل المهدية درس بالزيتونة ثمّ بالصادقية، وجّه في بعثة إلى فرنسا لدراسة الهندسة والرياضيات لكنّه رجع بعد سنة نظرا لإلغاء المنحة المرصودة للبعثة .

ساهم في تأسيس جريدة "الحاضرة" ونشط في "الجمعية الخلدونية" ، كما تولى عدّة وظائف ومن أهمها رئاسة" جمعية الأوقاف" بين 1900 و 1908، وعيّن سنة 1908 قايدا (عاملا) على سوسة حتى وفاته.

علي العريبي، الحاضرة، ص 76 – 85 ، تونس 1995

الوثيقة 14

مطالب جريدة الحاضرة 1894

" ... ولذلك تعيّن علينا وفاء بالوعد ووعد الحرّ دين أن نفصح عن مرغوبات إخواننا المسلمين بلسان الخدمة العمومية ...

أولا : الاستمرار الدائم على احترام شعائرنا واعتقاداتنا الدينية ورعاية عوائدنا القومية واحترام أساس محاكمنا الشرعية ...

ثانيا : شمول الطبقات العلية ....بما يلزم من الرعاية والاعتبار والمحافظة على مكانتها في قلوب أفراد الهيأة العمومية حتى يكون لهم عليهم من النفوذ ما يكفي في إرشادهم ...

ثالثا : لما كانت الهيأة التونسية مجرّدة من المآثر الخيرية ... وكانت مصلحة الأوقاف قائمة بأعباء هذه الإسعافات الإنسانية وجب من أجل ذلك ...أن ترمق مصلحة الأوقاف بعين رعاية خصوصية ...

رابعا : توسيع نطاق العلوم والمعارف بوجه يظهر لأولياء شبان هذا القطر وللشبان أنفسهم ما في غضون التغذّي بلبان المعارف من المنافع ماديا وأدبيا ...

خامسا : إقامة شاهد للأمة التونسية على وجودها في الهيأة الاجتماعية ولاسيما في النظر والتدبير في المصالح العمومية بإدخال نواب عنها في الجمعيات الشورية ...

سادسا : حيث كانت مصنوعات ومحصولات هذا القطر بأسره هالكة بتوارد أمثالها من المحاصيل والمصنوعات الأورباوية فمن الحرص على تحسين الحالة الاقتصادية ونمو عمران الإيالة التونسية ...

سابعا : تنظيم المحاكم العدلية التونسية وتدوين ما تجري عليه أحكامها من القوانين العرفية والإدارية في مجلة خصوصية ...

ثامنا : تشريك التونسيين وخصوصا من ظهرت نجابته وتحقّقت حسن سيرته من الشبّان في الوظائف ...

تاسعا : اشتراط استخدام الفرنسويين والتونسيين في الأشغال العمومية عند التساوي في المعرفة والثمن مع غيرهم من الرعايا الأجنبية ...

عاشرا : تحسين حالة الفلاّح الضارب في الأرض بالعمار والمستخرج لخيرات الأرض بإقامة بنك عقاري ذي شعب في بلدان المملكة يُقرض الفلاّح ما يلزمه من زهيد المال ...

حادي عشر : كبح جماح المطبوعات بما يرفع إهانة البعض للبعض ويكفل بالإتحاد بين العناصر المتحابة ولا يوغر الصدور ويوجب النفور ..."

علي بوشوشة ، الحاضرة عدد 323، 20 نوفمبر 1894

أوردها نور الدين الدقي ، حركة الشباب التونسي ، ص 20 ـ 21 ـ 22، تونس 1999.

الوثيقة 15

الجمعية الخلدونية

" ... لا يخفى أنّ هذه الجمعية بعد أن حرّرت ترتيبها الأساسي وانخرطت في سلك الرسميات بموافقة الحكومة على نظامها افتتحت رسميا في أواسط ذي الحجّة من العام المنصرم (ديسمبر 1896).

وكان افتتاحها في موكب حافل (15 ماي 1897) انتظم عقده من جهابذة العلماء وكل من جناب الوزير المقيم العام وجناب المولى الوزير الأكبر وجناب وزير القلم وجمّ غفير من الطلبة والأعيان ... فإنّ المتطوعين من أعضاء الجمعية المشار إليها شمّروا على ساعد الجدّ وشرعوا في الأهم من مشروعاتها وهو تدريس الفنون والمعارف النافعة الّتي وإن شملها قانون جامع الزيتونة الأعظم يتعذّر إلقائها بين جدران ذلك البيت المقدّس لما تحتاج إليه من الأدوات و الأساليب ..."

جريدة الحاضرة، 23 نوفمبر 1897.

الوثيقة 16

الخلاف بين أعضاء النخبة

"... تفاقم الخلاف بين شبّان النّشأة الحديثة التونسية الّذين تغذّوا بالمعارف الأوروباوية والّذين امتصوا ثدي العلوم الإسلامية بالجامع الأعظم عمّره اللّه وتمكّن بينهما حادث الخلاف إلى أن صار كلّ من الحزبين أحدوثة في فم الآخر وضربوا ببعضهم الأمثال في منتدياتهم وتواصفوا بأقبح الصفات ذلك يرمي صاحبه بالزيغ والإلحاد والآخر يرميه بالتوحّش والتعصّب ذلك الأمرُ الّذي يقصر قلمي عن الإفصاح عنه ويتلعثم من أجله لساني ويضيق له صدري ... "

جريدة الصواب، عدد 34 ، 18 نوفمبر 1904.

الوثيقة 17

تأسيس جمعية قدماء الصادقية

" ... اجتمع بمحل الخلدونية جمع من قدماء تلامذة المدرسة الصادقية للمفاوضة في لائحة قانون أساسي لتأسيس جمعية من إخواننا التلامذة على معنى التعاضد والاتّحاد والمؤاخاة وبثّ المعارف الوقتية و اللّغة العربية بين الطبقات الأهلية أصالة وقبل المفاوضة تلى الشاب المهذّب الأنجب السيّد علي باش حانبة وكيل أوقاف الصادقية تقريرا في بيان الفوائد المادية والأدبية من هذا المشروع وقبل انفضاض الجلسة انتخبت الجمعية مجلس إدارتها مؤلفا من السيّد خير اللّه بن مصطفى رئيس الجمعية، وأعضاءه السّادة محمد بن الخوجة، أحمد الغطاس، عمر بوحاجب، حسين بوحاجب، محمد الأصرم، محمد الشّعبيني، محمد بن عودة، رشيد بن مصطفى، محمد الجنادي، الهادي الأخوة، الطيّب رضوان. فنهنّيهم بذلك ونرجو لهذا المشروع الجليل تمام النجاح ."

جريدة الحاضرة، 5 ديسمبر 1905.

الوثيقة 18

مقتطفات من الخطاب الّذي ألقاه البشير صفر في حفل تدشين التكية* يوم 24 مارس 1906 بحضور المقيم العام

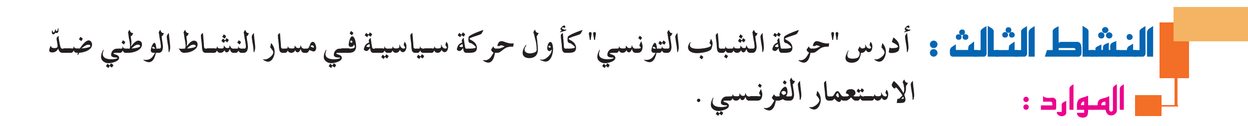
" ... إنّ المسلمين بهذه الديار يقدّرون ما قامت به الدولة الحامية من الإصلاحات النافعة ... غير أنّ ممنونيتهم تكون أعمّ و أشمل لو أضافت الدولة إلى عنايتها الحالية بإغاثة المصاب اعتناء جدّيا بالنظر في الوسائل الّتي تحفظ التونسي من الوقوع في مهواة الفقر و الخراب، فإذا فتحت للأهالي أبواب التعليم الصناعي والتجاري والزراعي وإذا أحيطت اليد العاملة الإسلامية بسوار من العناية الدولية وإذا رفعت الصنائع المحلّية بالوسائل الجمركية وغيرها وإذا بقيت الأملاك الأهلية بأيدي أربابها، فإذا تمّ جميع ذلك، فالظاهر يا جناب الوزير (المقيم العام) أنّ وطأة الفقر المُلم الآن بالهيئات الإسلامية التونسية تخفّ عن عاتقها كثيرا إن لم نقل تزول كلّيا ..."

البشير صفر، الحاضرة، عدد 885، 27 مارس 1906 .

* التكية : مأوى للعجّز فتحته جمعية الأوقاف بتونس العاصمة.

التعليمة

أبرز مميّزات النشاط الصحفي والثقافي والمطلبي كرافد أوّل لنشاط الحركة الوطنية التونسية.



النشاط الثالث : أدرس "حركة الشباب التونسي" كأول حركة سياسية في مسار النشاط الوطني ضدّ الاستعمار الفرنسي .

الموارد :

الوثيقة 19

علي باش حانبة يقدّم حركة الشباب التونسي

"... نحن نقول بأنّنا أصدقاء صرحاء ومخلصين لفرنسا، فيجيبنا بعض الفرنسيين : إنّكم تكوّنون حزبا وطنيا جديدا، فأنتم بالتالي مناهضون لفرنسا. إذا كان هذا هو مفهوم الوطنيين، فنحن لسنا كذلك ... ولكن إذا كان المقصود بالوطنيين أولئك الّذين يطمحون إلى الترقية المعنوية والفكرية لمواطنيهم، ويبحثون عن تحسين وضعيتهم المادية ويرفضون التعصّب والظلم ، فنحن بلا شكّ وطنيون ، نقول ذلك عاليا، ونتشرّف به ... "

علي باش حانبة، رسالة مفتوحة إلى المقيم العام ألابتيت، جريدة التونسي، 7 فيفري 1907.

الوثيقة 20 : صور للعدد الأول من جريدة التونسي الناطقة بالفرنسية (7 فيفري 1907) وبالعربية (8 نوفمبر 1909)

LE NUMÉRO : DIX CENTIMES.

Le Tunisien

ORGANE DES INTERÊTS INDIGÈNES

HEBDOMADAIRE

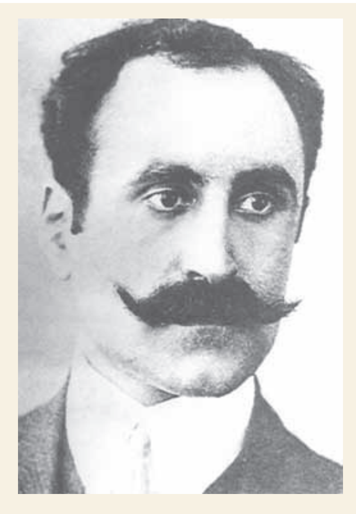
Directeur politique : ALI BACH-HAMBA

علي باش حانبة

التونسي

Le Tunisien

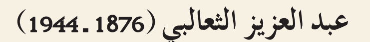
الوثيقة 21 : التعريف ببعض أعضاء حركة الشباب التونسي :



علي باش حانبة (1876 ـ 1918)

ولد بتونس في أسرة تركية الأصل وتعلّم بالصادقية ثم درس الحقوق بفرنسا وانخرط بسلك المحاماة بتونس.

يعتبر من أبرز دعاة الحداثة، تفرّغ للنشاط السياسي والاجتماعي وتولى خطّة المدير السياسي لجريدة التونسي، ارتقت مواقفه تجاه الاستعمار من المهادنة إلى التحدّي ثمّ المواجهة، صدر ضدّه قرار بالنفي في 13 مارس 1912 وأنهى حياته بإسطنبول بتركيا.



عبد العزيز الثعالبي (1876 ـ 1944)



ولد بتونس في أسرة أصيلة الجزائر، درس بالزيتونة لكنّه تميّز بأفكاره التحديثية.

أصدر سنة 1895 جريدة سبيل الرّشاد الّتي تمّ تعطيلها لمواقفها المناهضة للحماية.

دخل الثعالبي في صراع مع شيوخ الزيتونة الرجعيين، لكنّه اكتسب حظوة خاصة لدى النخبة الداعية للإصلاح والتحديث فانضمّ لحركة الشباب التونسي وأشرف على تحرير النسخة العربية لجريدة التونسي، كان له دور نشيط في إضراب طلبة الزيتونة 1910 وأحداث الزلاّج والترمواي.



عبد الجليل الزّاوش (1873 ـ 1947)

ولد بتونس في أسرة ثرية ودرس بمعهد سان شارل (كارنو) ثمّ الحقوق بجامعة باريس، باشر المحاماة لمدّة قصيرة وتفرّغ بعد ذلك للأعمال الخاصة في الصناعة والتجارة .

عيّن سنة 1905 عضوا بالمجلس البلدي لتونس، وفي سنة 1907 عضوا بالندوة الاستشارية .

رغم انضمامه لحركة الشباب التونسي كانت مواقفه معتدلة، فهو لم يتعرّض إلى إجراءات زجرية وعيّن سنة 1917 قايدا على سوسة خلفا للبشير صفر .

محمد الأصرم (1866 ـ 1925)



ينتمي إلى عائلة ثرية أصيلة القيروان ، درس بالزيتونة والصادقية ، سافر ضمن بعثة طلابية إلى فرنسا لمدّة سنتين . اشتغل بعد عودته مُعلّما بالمدرسة العلوية ثمّ تولى خطّة مدير إدارة الغابات . ترأس هيئة الجمعية الخلدونية من 1900 إلى 1909، شارك في المؤتمر الاستعماري بمرسيليا (سبتمبر 1906) وفي مؤتمر شمال إفريقيا بباريس (أكتوبر 1908) .

انضمّ محمد الأصرم إلى حركة الشباب التونسي وحرّر عديد المقالات بجريدتها.

الوثيقة 22

جريدة "التونسي" وأهدافها

" إنّ جريدة "التونسي" هي أول جريدة فرنساوية أنشأها التونسيون في الإيالة ... وسيكون "التونسي" لسان حالهم حتّى يحين اليوم الّذي تمنحهم فيه الحماية رفع أصواتهم بالدفاع عن حقوقهم أمام مجلس نيابي. فهذه الجريدة ... ستتكفّل لقرائها بالتعريف بأفكارنا وحسن نوايانا نحو الوطن ومتساكنيه ولذلك كتبت على نفسها ... أن تقاوم بأصدق لهجة كلّ مظلمة واعتداء يحيطان بمواطنينا بدون أن تسعى في إخفاء معايبهم. وستبذل أقصى ما يمكن من الجهد في درس المشاريع الّتي تهم الأهالي بأدق طريقة وكذا كل ما يعود بالنفع على جميع الآهلين لهذه الدّيار ... "

العدد الأول من جريدة التونسي(Le Tunisien) ، 7 فيفري 1907

الوثيقة 23

حركة الشباب التونسي والتعليم

" ... وسنضع في مقدّمة مطالبنا مسألة التعليم العام الّتي يتوقف عليها حياة أو موت التونسيين إذ يؤلمنا كثيرا أن نرى تسعة أعشار مواطنينا لا يزالون تائهين في فدافد الجهل بعد مضي ربع قرن على الاحتلال الفرنسي وأن إصلاح التعليم بكيفية تلائم حالة الشعب قد أصبح محتما. وعلى فرنسا الديمقراطية أن تراعي شعائرها وأميالها الحرّة في جعل التعليم الابتدائي مجانا وجبريا في جميع أنحاء المملكة.

كما أنّنا سنشتغل بعرض مسألة تسهيل أسباب مزاولة العلوم الثانوية عل الحكومة الحامية ومطالبتها بتنشيط نخبة التلامذة الّذين ظهر اجتهادهم وتأكّد تحصيلهم على مزاولة العلوم العالية لتتم لنا بهذه الطريقة تربية رجال أكفاء يمكنهم أن يدركوا الحظّ الأوفر في إدارة شؤون بلادهم ... "

جريدة التونسي(Le Tunisien) ، 7 فيفري 1907.

ورد بالعدد الأول من النشرة العربية لجريدة التونسي ، 8 نوفمبر 1909.

الوثيقة 24

المطالب الاقتصاديّة والاجتماعيّة

"... أما في ما يتعلّق بالحالة الاقتصادية فإننا سنحثّ الحكومة على الاهتمام بنشر التعليم الصناعي والزراعي بين طبقات العملة الأهليين ...وليس ذلك ليثنينا عن التفكير في أحوال الفلاحين من أهل البادية وهم أفقر الطبقات وأشدّها عوزا واحتياجا للمساعدات وأجدر بالرحمة والإسعاف. وسنشرع في ذلك بطلب حذف المجبى وتنظيم وسائل الإسعافات العامة بإحداث المستشفيات ...

ونلتمس من الحكومة أن تسمح لصغار الفلاحين الوطنيين ابتياع الأراضي الدولية على نسبة تعينها الإدارة الّتي لها النظر في ذلك ... "

جريدة التونسي(Le Tunisien) ، 7 فيفري 1907.

ورد بالعدد الأول من النشرة العربية لجريدة التونسي ، 8 نوفمبر 1909.

الوثيقة 25

المطالبة بدستور

" ... أما العقول غير المنحازة فتعترف بأنّ الدستور لا ينظّم فقط شكل الحكومة بل يحدّد أيضا تنظيم السلط ويعلن الحقوق الفردية ويضمنها ... لجأت جميع البلدان المتقدمة إلى نظام الدساتير المكتوبة الّتي تحدّد بياناتها الواضحة والمنهجية الحقوق الفردية وكيفية ممارسة السيادة إزاء هذه الحقوق.

لماذا لا يكون الأمر كذلك بالبلاد التونسية ؟ وفي البداية هل يوجد أي تعارض بين صيغة الحماية وإعلان الدستور في هذه البلاد ؟ ."

علي باش حانبة، جريدة التونسي ، عدد 80، 24 سبتمبر 1908 .

أورده نور الدين الدقي، حركة الشباب التونسي، ص 60، تونس 1999 .

الوثيقة 26

الصحافة الاستعمارية ومطالب التونسيين

" ... كلا إنّ العربي ليس في حاجة لتعلّم لغتنا في المدرسة وهو لا يرى في التعليم الدّواء الشافي للعلل الّتي يعاني منها ، ولا يرى في ذلك الوسيلة الّتي ستمكّنه من الأكل حتى الشبع عندما تصبح بطنه خاوية ... إنّ ما يحتاج إليه العربي في الريف هو المعمّرون ، فكلّما ازداد عدد الضيعات حول دوّاره تزايد عدد الصناعيين بالقرى وتكثّف استغلال الأرض من قبل الأوروبي وازداد العربي تمدّنا وحسّن في ذات الوقت من وضعه ."

جريدة "تونس الفرنسية" ، 18 ماي 1907

أورده نور الدّين الدقي ، حركة الشباب التونسي ،ص 158 ، تونس 1999.

التعليمة

قدّم حركة الشباب التونسي وحدّد أهدافها ومطالبها.

الوثيقة 27

التونسيون والجالية الإيطالية (1911)

" ... ولا يتوهم أحد أنّنا نقصد بهذه الكلمة ما يصدر عن صعاليك الإيطاليين من الإيذاء والتطاول على المسلمين في الأحياء الإفرنجية والساحات العمومية ... وإنما نقصد تلك الفئة الطاغية الّتي كنا نعدّها من العقلاء فئة بعض التجار والأطباء والصيادلة والمحامين والمقاولين الّذين يعيشون في هذه البلاد من فضْلات المسلمين ويأكلون من دمائهم بحيث لو قاطعهم المسلمون لباتوا يصخبون من ألم الجوع أو لكانوا يتسلّلون من جنسيتهم الإيطالية كما تسلّل منها الكثير ... "

عبد العزيز الثعالبي،

"جريدة الاتّحاد الإسلامي"، عدد 6، 6 نوفمبر 1911

الوثيقة 28

منطلق أحداث الزلاّج

" يوم 26 سبتمبر 1911 أودعت إدارة البلدية لدى دفتر خانة للأملاك العقارية ، مطلبا يرمي إلى تسجيل عقار اسمه مقبرة الزلاّج بمدينة تونس بصفتها مالكا، ويحتوي العقار على أسوار تسييج ومنزل للحراسة، وبيت للجثث وزوايا ومقابر وأراضي معدّة للدفن ... وبما أنّ الحكومة لم تتخذ أيّة مبادرة ، فقد قرّرت مصلحة القيس القيام بتحديد العقار يوم 7 نوفمبر ... "

علي باش حانبة ، جريدة التونسي

عدد 195 ، 16 نوفمبر 1911

الوثيقة 29

مصادمات الزلاّج

" ... فمنذ الصباح الباكر (7 نوفمبر 1911) بدأت الجموع في الوصول فرقا فرقا أمام سياج الزلاّج الّذي كان يحرسه مفتّشو الشرطة وأعوانها ... وبعد ذلك وصل شيخ المدينة وأعلن أنّ البلدية سحبت طلب التسجيل . في الأثناء ظهر مهندس القيس بغتة فارتاب الحشد وطلب الدخول إلى المقبرة ولكنه منع من المرور ... فبلغ الهيجان ذروته ورمى الناس الحجارة على الجنود الّذين ردوا الفعل بهجمة قاتلة ، فسقط بعض القتلى والجرحى وبدأ الناس يتراجعون ،فإذا بإيطالي كامن فوق سطح منزله يطلق عيارا ناريا من مسدسه ويصيب إصابة قاتلة طفلا عمره 12 عاما... هكذا تحولت المظاهرة ضدّ تسجيل المقبرة إلى صراع دامي بين المسلمين والإيطاليين ... "

علي باش حانبة ، جريدة التونسي (Le Tunisien) عدد 191 ، 12 نوفمبر 1911

أورده نور الدين الدقي، حركة الشباب التونسي ، ص 195 ، تونس 1999

الوثيقة 30 : صورة لأحداث الزّلاج



الوثيقة 31

مقاطعة التونسيين للترمواي

" أجمع المسلمون من سكّان العاصمة على مقاطعة الترنفاي الكهربائي فبدؤوا بها صبيحة يوم الخميس (8 فيفري 1912) وبعد زوال ذلك اليوم انقطع المسلمون انقطاعا تاما عن الركوب ...

كان المسلمون يتأففون ويتألمون من سلوك الشركة ... وأشدّ ما يشكونه منها سرعة سير المركبات على الطريق الضيقة الآهلة بالمسلمين ... حتى أودى ذلك بحياة الكثيرين منهم... ولا يخفى أنّ أكثر العمال من الإيطاليين فمن نشوب الحرب الإيطالية الطرابلسية صاروا يقلقون الركاب المسلمين ويعاملونهم بفظاظة متناهية ... ويجرحون عواطفهم بالأقوال المؤلمة.

هذه الوقائع هي الّتي استنفذت صبر المسلمين حتى طفح الكيل بحادث قتل ذلك الغلام الوطني في واقعة يوم (8 فيفري 1912) فإنّهم اعتقدوا بنية سلِيمةٍ أنّ السائق الطلياني قتله عن إصرار وعمدٍ فكان آخر ثمالة الكأس . "

جريدة التونسي عدد 66 ، 11 فيفري 1912 .

الوثيقة 32

الإجراءات القمعية

" ... وعلى الساعة الثامنة مساء (12 مارس 1912) أعلم عبد الجليل الزّاوش الإقامة العامة بأنّه بالرغم من جهوده فإنّه وجد اللجنة (لجنة مقاطعة الترمواي) غير مستعدّة للتنازل وإنّها تعارض إنهاء المقاطعة طالما لم تقبل الحكومة شروطها بلا قيد ولا شرط .

لقد أخذ الوضع بصورة قطعية طابعا ثوريا، وكان لابدّ من التحرك دون تأخير ، وقد صرّح الباي عندما أمضى العقوبات المقترحة ... بأنّها مستحقة ولكنها متأخرة. ويوم الأربعاء 13 مارس تمّ تنفيذها في الساعات الأولى من الصباح ."

من تقرير المقيم العام إلى وزير خارجة فرنسا، 31 مارس 1912 .
أرشيف وزارة الخارجية الفرنسية، سلسلة 1882 - 1916 .

التعليمة

بين أهم التحركات الشعبية في العاصمة واستنتج علاقة حركة الشباب التونسي بالأحداث.

المقدّمة :

تمثّل الأهداف الاستغلالية عنصرا أساسيا في الاختيارات الاستعمارية، ولتحقيق ذلك نجح الفرنسيون تدريجيا في إزالة العقبات الأوروبية بإلغاء الامتيازات واللجنة المالية الدولية والمحاكم القنصلية، وفي تقليص المقاومة التونسية الشعبية والرسمية، وحوّلوا نظام الحماية إلى إشراف وتسيير مباشر .

وسخّرت السلطة الاستعمارية الجهاز السياسي والإداري الموازي الّذي أحدثته لتنظيم الاستغلال الاقتصادي ولبعث كيان استيطاني مهيمن هيكليا و اقتصاديا وثقافيا.

ولقد أدّت السياسة الاستعمارية إلى تقنين اللاّمساواة وتهميش دور النخبة التونسية وإخضاع بقية فئات المجتمع التونسي للإقصاء والتمييز والاستغلال، فساهم هذا الوضع في تأجّج مشاعر الرفض والنقمة وانطلاقة الحركة الوطنية ببعدها الصحفي و الثقافي والمطلبي في مرحلة أولى ، ثم ارتقائها مع حركة الشباب التونسي بداية من سنة 1907 إلى حركة سياسية أحسنت توظيف التحركات الشعبية في مواجهة التجاوزات و التحديات الاستعمارية .

I - تركيز هياكل السيطرة والاستغلال الاقتصادي :

استفادت فرنسا من تجاربها الاستعمارية السابقة فعمدت إلى إخفاء حقيقة سيطرتها على تونس بالمحافظة على النظام القائم وبالإدعاء بأنّ وجودها العسكري مؤقتا، لكنها حوّلت وبصفة تدريجية وبأقلّ التكاليف نظام الحماية إلى سيطرة استعمارية مباشرة بالهيمنة عل هياكل التسيير السياسي والإداري وبإحداث مؤسسات جديدة وسنّ قوانين من شأنها أن تسهل عملية الاستغلال والاستيطان.

1 – إخضاع البايات والسيطرة على الهياكل : الوثائق 1 - 2

كانت المهمة الأساسية للوزير المقيم العام بول كامبون الّذي عيّن في أفريل 1882 تتمثل في تحويل نظام الحماية إلى نفوذ فرنسي مباشر، فبدأ بتحييد كل مناهضي الهيمنة الفرنسية سواء كانوا في الحكومة أو في حاشية الباي ومن أبرزهم الوزير الأكبر محمد خزندار ووزيري الحربية والبحرية الجنرال سليم وأحمد زروق وكذلك رئيس بلدية الحاضرة العربي زروق، وفرض على البايات معاهدات واتفاقيات متتالية أعدّت بباريس وهدفت إلي تجريدهم من كلّ صلاحياتهم الداخلية .

لقد أبقى الفرنسيون جزئيا على الهياكل المركزية القائمة وأحدثوا جهازا موازيا متحكما فعليا في تسيير شؤون البلاد ومسخرا لخدمة مصالح فرنسا والمعمرين الفرنسيين .

– الجهاز التنفيذي والتشريعي : اقتصرت مهمة الباي على ختم الأوامر إذ تحوّلت السلطة الفعلية والشبه مطلقة إلى الوزير المقيم العام المرتبط مباشرة بوزارة الخارجية الفرنسية ، فهو يشرف على كلّ المصالح السياسية والإدارية وعلى الشؤون الخارجية وعلى قيادة الجيوش ، ويصدر المراسيم والأوامر والقرارات الّتي يوقع عليها الباي لتتخذ صبغة قانونية .

كما فقد الوزير الأكبر دوره لفائدة الكاتب العام للحكومة التونسية وهو موظّف سام فرنسي تحدّدت صلاحياته بأمر وقع عليه الباي في 27 جانفي 1883. فمنذ ذلك التاريخ أصبح المسؤول الأكبر على الإدارة التونسية.

فإجماليا لم تحافظ تشكيلة الحكومة التونسية سنة 1883 إلاّ على وزيرين تونسيين يختارهما المقيم العام من بين الموالين لفرنسا وهما الوزير الأكبر ووزير القلم . وفي المقابل أحدثت فرنسا إدارات مركزية يشرف عليها موظّفون

فرنسيون، وهي إدارة الأشغال العامة (سبتمبر 1882) وإدارة المالية (نوفمبر 1882) وإدارة التعليم العمومي (ماي 1883).

– الهياكل التمثيلية : سمحت السلطة الاستعمارية بتركيز هياكل تمثيلية مهنية للفرنسيين وتعتبر الندوة الاستشارية الّتي أحدثت سنة 1890 أهم هيكل نيابي للجالية الفرنسية ولئن خول أمر 2 فيفري 1907 تكوين قسم تونسي بهذا الهيكل (16 عضوا يختارهم المقيم العام) فقد بقي هذا الهيكل ذات مهمة استشارية في الشؤون المالية و الجبائية ومنبرا للدفاع على مصالح كبار المعمرين .

– مراقبة الإدارة الجهوية والمحلية : بسطت السلطة الاستعمارية شيئا فشيئا نفوذها على الجهاز الإداري الجهوي والمحلي بإخضاع القياد (العمال) والخلفوات والمشايخ لإشراف ومراقبة الأعوان الفرنسيين، فأحدثت منذ أكتوبر 1884 خطة المراقبة المدنية الّتي يضطلع بها موظّف فرنسي، وتمّ تنصيب الدفعة الأولى من المراقبين المدنيين في أفريل 1885. لقد خضعت جلّ مناطق البلاد لسلطة المراقبين المدنيين باستثناء أقاليم أقصى الجنوب الّتي بقيت تحت إشراف السلطة العسكرية.

2 – الاستغلال الاقتصادي : الوثائق 3-4 - 5 - 6 - 7

لعبت السلطة الاستعمارية دورا محوريا في تركيز اقتصاد استعماري مسخّر لخدمة مصالح الشركات الرأسمالية والمستوطنين الفرنسيين ، لما وفرته من ضمانات وهياكل وأطر قانونية وما رصدته من تمويلات على حساب الخزينة التونسية ، وبالتالي تحملت مختلف شرائح المجتمع التونسي وبصفة خاصة الشريحة الأكثر فقرا تبعات وعبء سياسة الاستغلال والتمييز .

– الاستعمار الفلاحي :

بادرت السلطة الاستعمارية بسنّ مجموعة من القوانين والترتيبات الّتي من شأنها أن تؤمن ملكية الفرنسيين وتشرّع عمليات انتزاع أراضي التونسيين والاستحواذ على أراضي الأوقاف الخاصة والعامة وأراضي العروش (الملكيات الجماعية) والغابات.

ويمثل القانون العقاري الصادر في1جويلية 1885 والذي نص على تسجيل العقارات وحدّد ترتيبات التسجيل ومنها امتلاك وثائق مدعّمة تثبت الملكية وتضبط حدود العقار وهو ما لم يكن متوفّرا لدى أغلبية التونسيين ففقد عدد منهم أملاكهم لجهلهم اللغة الفرنسية ولتعرّضهم لعمليات تحيّل .

كما صدر أمر 18 أوت 1885 الخاص بعقود الإنزال والذي خوّل للفرنسيين استغلال أراضي الأحباس، وأوّلت السلطة الاستعمارية مفهوم "الأراضي الأموات" أي غير المستثمرة للاستحواذ على الأراضي الجماعية ، وأخيرا اعتبر قانون أفريل 1890 الغابات أملاكا تابعة للدولة فحرم هذا القانون التونسيين من استغلالها ومكّن من انتزاع الأراضي المحيطة بها.

لقد شهد الاستعمار الفلاحي تحولا من الاستعمار الخاص الّذي تمّ بمبادرة من الشركات وأصحاب رؤوس الأموال وأدّى إلى تكوين ملكيات شاسعة ففي سنة 1892 تمّ إحصاء 16 ملكية تمتدّ على 416000 هكتار من جملة 440000 هكتار على ذمة الفرنسيين، إلى الاستعمار الفلاحي الرسمي انطلاقا من سنة 1892 ، وذلك بتولي السلطة الاستعمارية عملية اقتناء وانتزاع الأراضي ووضعها على ذمة الوافدين الفرنسيين من الطبقات المتوسطة والشعبية بأرخص الأثمان بهدف تشجيع الاستيطان والتعمير ولدعم الحضور الفرنسي بالبلاد ففي سنة 1911 كان عدد الفرنسيين لا يتجاوز 46000 مقابل 88000 إيطالي.

– استغلال الثروات المنجمية و تطوير البنية التحتية :

شجعت السلطة الاستعمارية على الاستثمار في القطاع المنجمي فمنحت سنة 1896 لفائدة "الشركة الفرنسية للبحث ومقاولات الأشغال" حق استغلال الفسفاط في منطقة قفصة فبعثت لهذا الغرض "شركة فسفاط وسكك حديد قفصة"، كما تحصّل "بنك الاتحاد الباريسي" على منحة استخراج معادن الرصاص والزنك والحديد بالشمال الغربي التونسي.

لقد ركزت الرأسمالية الفرنسية جهازا فلاحيا ومنجميا تصديريا وسيطرت على التصدير والتوريد وعلى تجارة الجملة، وتطلبت هذه الأنشطة توفير بنية تحتية تولت مهمة إنشائها السلطة الاستعمارية على نفقة الخزينة التونسية بصفة مباشرة أو بالاقتراض، فارتفعت ميزانية إدارة الأشغال العامة من 50000 ريال سنة 1882 إلى 525000 ريال سنة 1886، ووجهت التمويلات لتحسين المسالك القديمة ولإنشاء الطرق المعبدة التي بلغ امتدادها 4000 كلم سنة 1914 والسكك الحديدية التي قدرت شبكتها في نفس السنة بـ 1800 كلم، كما تمّ تجهيز موانى سوسة وصفاقس وإحداث موانى بطبرقة وبنزرت وتونس.

3 – تأثيرات الاستعمار على المجتمع التونسي : الوثائق 8 - 9 - 10 - 11

يبرز تناقض جوهري بين مبادئ ومثل التنوير والليبرالية السياسية كالحقوق والمساواة والمواطنة، وأهداف الاستعمار الاستغلالية والعنصرية، ومن هذا المنطلق أدّت السيطرة الفرنسية إلى بروز ثنائية في التصنيف الاجتماعي مقامة على أسس عرقية ودينية.

لقد أضرّ الاستعمار بمصالح جلّ الفئات التونسية ، ففقدت فئة النخبة مكانتها كما تمّ تهميش دورها بسيطرة الفرنسيين على الهياكل السياسية والإدارية ففي سنة 1911 كانت إدارة البلاد لا تضمّ إلا بعض الآلاف من التونسيين الّذين قدّر عددهم الجملي بـ 1,8 مليون نسمة ، مقابل 4620 موظّف فرنسي على مجموع 46000 مستوطن. كما تضرّر كبار التجار نتيجة سيطرة الفرنسيين على التجارة الخارجية وتجارة الجملة، والحرفيون نتيجة منافسة البضائع المصنّعة.

وألحق الاستعمار الفلاحي ضررا كبيرا بكبار الفلاحين والمزارعين الفقراء و القبائل فحول عددا هامّا من الريفيين إلى أجراء مضطهدين في ضيعات المعمرين أو في المناجم والحظائر.

لقد كان التونسيون عموما يتحملون الأعباء المالية بدفع الضرائب لكنّهم لا يستفيدون من النفقات الّتي رصدت لتوفير حاجيات الأقلية من المعمرين بحكم سياسة التمييز والإقصاء .

ويمكن الاستدلال على واقع التمييز من خلال السياسة التعليميّة الّتي اعتمدتها السلطة الاستعمارية تحت ضغط غلاة الاستعمار العنصريين أمثال فيكتور دي كرنيار.

فلقد اهتمت السياسة التعليمية بدرجة أولى بتوفير الظروف الملائمة لأبناء المعمرين وبقية الجاليات الأوروبية وبتكوين عدد محدود من المعاونين والوسطاء التونسيين، ولذلك لم تسعى لتطوير المنظومة التعليمية المحلية المتمثلة في الكتاتيب والزيتونة والصادقية .

فاتجهت عناية إدارة التعليم العمومي الّتي أحدثت في ماي 1883 إلى بعث المدارس الإبتدائية الرهبانية واللائكية حيث تتواجد الجاليات الأوروبية ،و لم تستوعب هذه المدارس إلا عددا ضئيلا من التونسيين . وكان الوضع أسوأ في التعليم الثانوي فبمعهد سان شارل (كارنو) وفي سنة 1906 لم يتجاوز عدد التونسيين 40 من جملة 900 تلميذا ، وفي المدرسة المهنية (إميل لوبي) وفي نفس السنة بلغ عدد التونسيين 8 من جملة 165 تلميذا.

وهكذا تتبين لنا السلبيات العديدة للسياسة الاستعمارية التي وعت بها النخبة المثقفة وتكتّلت لمقاومتها والحدّ منها بتوخي طرق مختلفة.

II – النشاط الثقافي والمطالبة بالإصلاح :

احتدّت التناقضات التونسية الفرنسية من جرّاء فقدان البلاد لكلّ مظاهر سيادتها وتكثف سياسة الاستغلال والإقصاء والتمييز، فتوفرت الظروف الموضوعية لظهور الوعي الوطني لدى النخبة التونسية ولانطلاقة الحركة الوطنية الّتي تميز طورها الأول (1888-1906) بتبنّي منطلقات ومبادئ الحركة الإصلاحية التحديثية التونسية وبتوظيفها في مواجهة السياسة الاستعمارية عبر إصدار الصحف وتكوين الجمعيات وطرح مطالب التونسيين مباشرة على منابر بعض التظاهرات.

1 – جريدة الحاضرة نموذجا للنضال الصحفي : الوثائق 12 ـ 14 ـ 13

نشطت بتونس العاصمة ومنذ انتصاب الحماية الحركة الصحفية ، إذ صدرت عدّة جرائد فرنسية ناطقة باسم الإقامة العامة أو معبّرة على مصالح المعمّرين، كما كان للجالية الإيطالية صحفها ونسجت على منوالها الأقلية اليهودية التونسية .

فتأكّدت النخبة المثقفة التونسية ضرورة تأسيس جريدة عربية تمكنها من عرض أفكارها الإصلاحية ومن التعبير على مشاغل ومشاكل التونسيين، وكانت المبادرة بإصدار جريدة " الحاضرة" (الحاضرة = تونس العاصمة) في 2 أوت 1888. وهي جريدة أسبوعية تصدر يوم الثلاثاء وأشرف على إدارتها علي بوشوشة إلى غاية إيقافها في 7 نوفمبر 1911.

وتكونت أسرة تحريرها من موظفين في الإدارة التونسية منهم المخضرمين الّذين درسوا بالزيتونة والصادقية كالبشير صفر ومحمد الأصرم وعلي بوشوشة ومنهم الزيتونيين من أنصار الفكر الإصلاحي التحديثي كمحمد السنوسي وسالم بوحاجب.

لقد ركزت الحاضرة في مقالاتها على مقاومة الجمود الفكري ونشر الآراء الإصلاحية الداعية إلى المحافظة على القيم الثقافية الوطنية وإلى الانفتاح على سبل التقدّم الحضاري ، كما طرح محرّروها وبطريقة معتدلة جملة من المطالب الهادفة لتحسين أوضاع التونسيين كإصلاح التعليم التقليدي وتمكين التونسيين من الانتفاع بالتعليم العصري ، والمحافظة على الأحباس و حماية السلع التونسية من المنافسة وتحسين وضعية الفلاحين وتمثيل التونسيين في المجالس النيابية .

وإجماليا ساهمت الحاضرة في تكوين رأي عام بتونس العاصمة وشمل نشاط أعضائها مجالات أخرى ولعلّ من أبرزها التأسيس لحركة ثقافية نشيطة.

2 – تأسيس الجمعية الخلدونية : الوثائق 15 ـ 16

تأسست الخلدونية (نسبة للعلامة عبد الرحمان بن خلدون : (1332 م 1406 م) في 22 ديسمبر 1896 وترأسها محمد الأصرم ، وتمثلت أهدافها في التعريف بانجازات الحضارة العربية الإسلامية وتمكين الشباب التونسي من العلوم العصرية بتنظيم الدروس والمحاضرات في التاريخ والجغرافيا واللغة الفرنسية والاقتصاد السياسي والفيزياء والكيمياء والطب .

فكانت هذه الجمعية نافذة انفتاح بالنسبة لجامع الزيتونة الذي حافظ على نمطه التعليمي الديني التقليدي، لذلك استقطبت أنشطة الخلدونية طلبة الزيتونة خاصة وأنّ الشيخ الزيتوني المساند للإصلاح سالم بوحاجب افتتح منبرها بإلقاء محاضرة معبرة حول الإسلام والعلم أكد فيها بأنّ الدين الإسلامي يتلاءم مع العلوم العصرية ولا يتعارض مع الانفتاح و التحديث.

لقد عارض أغلبية شيوخ الزيتونة المتحجّرين نشاط الخلدونية واعتبروه خطرا على القيم الإسلامية ، وعلى عكس هذا التيار الرجعي فإنّ ثلة من المثقفين الشبّان اعتبروا نشاطها غير كاف لنشر الفكر الإصلاحي التحديثي بالبلاد وبادروا بتأسيس جمعية أخرى.

3 – جمعية قدماء المدرسة الصادقية : الوثيقة 17

تأسست في 23 ديسمبر 1905 برئاسة خير اللّه بن مصطفى، وتمثّلت أهدافها في نشر الأفكار العصرية وتغيير عقلية التونسيين، وبتأثير من بعض أعضائها المتحمّسين والذين كانوا أكثر وعيا بتفاقم سلبيات السيطرة الاستعمارية وبخطورة سياسة الإقصاء والتمييز التي أضرّت بمصالح النخبة و التونسيين عموما، تحولت الجمعية من مؤسسة ثقافية إلى منبر وطني تمّ في إطاره طرح عدّة قضايا تتعلق بالسياسة الاستعمارية وبوضعية التونسيين .

ويعتبر هذا التحول منطلقا للإفصاح عن المطالب التونسية وللارتقاء للعمل السياسي.

4 – المبادرة بطرح المطالب التونسية : الوثيقة 18

استغلت النخبة بعض التظاهرات لطرح المطالب التونسية بصفة مباشرة، فتعرض البشير صفر رئيس جمعية الأوقاف في الخطاب الّذي ألقاه بحضور المقيم العام في 24 مارس 1906 بمناسبة تدشين مأوى للعجز "دار التكية" إلى الأوضاع السيئة للتونسيين وطالب بفتح التعليم بكلّ أصنافه أمامهم وبحماية الحرفيين وأملاك الفلاحين التونسيين.

كما شارك محمد الأصرم في المؤتمر الاستعماري بمرسيليا الّذي نظمه "الاتحاد الاستعماري الفرنسي" لتدارس مشاكل المستعمرات الفرنسية ، وقدّم عدّة مداخلات أكد فيها على ضرورة تشريك التونسيين في إدارة شؤون البلاد وتحقيق المساواة مع الفرنسيين وإلغاء التمييز والاعتناء بالتعليم وحماية الأحباس وممتلكات التونسيين ، كما طالب بتوفير ضمانات للتونسيين يحدّدها دستور.

تبرز هذه المواقف تحول العمل الوطني في اتجاه سياسي معلن .

III – حركة "الشباب التونسي" :

برزت حركة "الشباب التونسي" في 7 فيفري 1907 مع صدور العدد الأول من جريدة "التونسي" الناطقة بالفرنسية، وتعتبر هذه الحركة البادرة الأولى للمسار السياسي للعمل الوطني وتمثل تتويجا للتراكمات التي تحققت خلال فترة 1888 – 1906 وانتقالا نوعيا يعكس تطور وعي النخبة الوطنية.

1 – تركيبة الحركة و مرجعيتها الفكرية : الوثائق 19 - 20 - 21 - 22

ينتسب أغلب أعضاء الحركة إلى الفئات الميسورة والمتوسطة من سكان العاصمة الّتي تضررت من الهيمنة الاستعمارية ، فالعائلات الأرستقراطية تراجعت هيبتها وانغلقت أمامها المناصب العليا كما خسرت بعض امتيازاتها وأملاكها ، في حين واجهت العائلات المتوسطة من التجار والحرفيين صعوبات مادية نتيجة المنافسة الأوروبية، كما تفاوت مستواهم التعليمي والثقافي وتنوّعت أنشطتهم المهنية (محامون، موظّفون، تجار...) لكنّهم التقوا حول أهداف مشتركة ومن أهمها الدفاع على مصالح التونسيين والمطالبة بتوفير الضمانات القانونية لحمايتهم من التجاوزات الاستعمارية، واعتبروا أنفسهم ناطقين باسم الشعب التونسي ومعبرين عن مشاغله ومناضلين من أجل المصلحة العامة للبلاد.

لم تكن المنطلقات الفكرية للحركة مبلورة في نظرية جاهزة، لكن أعضائها استمدوا مرجعيتهم الفكرية من رصيد الفكر الإصلاحي التحديثي التونسي وتفاعلوا معه بصفة متفاوتة وحسب تكوينهم وتوجهاتهم فحسن القلاتي وعبد الجليل الزاوش كانا أكثر تشيعا لليبرالية الغربية المنبثقة عن فلسفة الأنوار، في حين كان عبد العزيز الثعالبي أكثر قناعة بأطروحات الحركة الإصلاحية الدينية بالمشرق الّتي لا ترفض الأخذ من الغرب بما يتماشى مع الشريعة، ومثل علي باش حانبة التيار المعتدل فرغم عمق توجّهه الغربي فإنه حرص على التمسك بقيم الحضارة الإسلامية .

وسمح هذا التباين في إثراء أدبيات الحركة وفي تحديد المصطلحات الدالة على الهوية الوطنية ومكوناتها بإقحام مفاهيم جديدة مثل "الأمة التونسية" و"الشعب التونسي" و "المواطنة" .

2 – مطالب الحركة : الوثائق 23 - 24 - 25 - 26

يمكن اعتبار ما ورد في افتتاحية العدد الأول من جريدة التونسي باللغة الفرنسية (7 فيفري 1907) والّذي أعيد نشره في العدد الأول من النسخة العربية (8 نوفمبر 1909) برنامجا للحركة تتضمن مجموعة من المطالب الأولية شملت مختلف المجالات :

– المطالب الثقافية : اعتبر التعليم مسألة جوهرية لدوره في تحقيق التقدّم الاقتصادي والاجتماعي فطالبت الحركة بإجبارية التعليم الابتدائي ومجانيته وبفتح آفاق التعليم الثانوي والعالي أمام التونسيين وبالاعتناء بالتعليم المهني الفلاحي والصناعي.

– المطالب الاقتصادية والاجتماعية : وقع التأكيد على تطوير الفلاحة و الحرف التونسية وتوفير القروض وحماية المنتجات المحلية من المنافسة الأوروبية ،وتمكين الفلاحين من ابتياع الأراضي الدولية.

– المطالب الاجتماعية : طالب البرنامج بإلغاء ضريبة المجبى وبتوفير الخدمات الصحية ،وبفتح جميع الوظائف أمام التونسيين .

– المطالب السياسية : تركزت المطالب على تشريك التونسيين في تسيير شؤون بلادهم وحمايتهم من الاستبداد والتمييز وكلّ التجاوزات وتحقيق المساواة في الحقوق والواجبات (مطالبة غير معلنة بوضع دستور)، وعلى إصلاح القضاء وضمان استقلاليته.

لم تتخذ مطالب الحركة صبغتها النهائية بل شهدت عدة إضافات وأكثر تفصيلا ووضوحا مع تطور أنشطة أعضاء الحركة و تأثير الأحداث الداخلية والخارجية ومواقف السلطة الاستعمارية والمتفوقين (كبار المعمرين) .

3 – الأنشطة الأولى لأعضاء الحركة :

لا تمثل الحركة حزبا مهيكلا له مقر مركزي ومنخرطين وإستراتيجية محدّدة للنشاط بل مجموعة اعتمدت على الصحافة وعلى علاقاتها واتصالاتها لتبليغ آرائها ومواقفها لنشر الوعي بين سكّان العاصمة ولكسب الأنصار(قرّاء التونسي وقدّر عددهم بحوالي 3000 سنة 1910) .

فاقتصرت الأنشطة الأولى للحركة على العمل الدعائي وعلى اتخاذ المواقف من الإجراءات التي أقرتها السلطة الاستعمارية ومن بعض الأحداث الداخلية والخارجية :

– الترحيب بأمر 2 فيفري 1907 : أقرّ هذا الأمر بعض التحويرات في تركيبة ومشمولات الندوة الاستشارية التي أحدثت سنة 1890، وتتمثّل في فتحها أمام التونسيين (16 عضوا تونسيّا تعيّنهم الإقامة العامة مقابل 39 من الأعضاء الفرنسيين المنتخبين) وفي إعطائها صلاحية النظر في الميزانية.

لكن عبّر أعضاء الحركة عن استيائهم من مسألة التعيين وطالبوا بانتخاب الممثلين التونسيين، كما انطلقوا في مجادلة صحفية حادة مع المعمرين المتطرّفين الرافضين لتشريك التونسيين .

– المشاركة في مؤتمر شمال إفريقيا الاستعماري : دُعي بعض أعضاء الحركة (عبد الجليل الزّاوش، الصادق الزمرلي، خير اللّه بن مصطفى ومحمد الأصرم) لحضور المؤتمر الّذي نظّمه "الاتحاد الاستعماري الفرنسي" بباريس بين 6 و10 أكتوبر 1908، و ركز ممثّلو الشباب التونسي في مداخلاتهم على تطوير التعليم بالكتاتيب والزيتونة وفتح التعليم العصري أمام التونسيين ذكورا وإناثا، وعلى حماية الأحباس وتحسين وضعية الخمّاسة، كما طالبوا بتشريك التونسيين في الحياة السياسية وتحقيق التقارب بين الفرنسيين والتونسيين.

– مساندة حركة طلبة الزيتونة : دخل طلبة الزيتونة بداية من مارس 1910 في إضراب للمطالبة بإصلاح التعليم بمؤسستهم ، ونظموا عدّة مسيرات وحظيت تحركاتهم بمساندة كلّية من حركة الشباب التونسي فانضمّ كلّ من علي باش حانبة وعبد العزيز الثعالبي إلى الوفد الزيتوني المكلف بالتفاوض .

– تفاعل الحركة مع أحداث العالم الإسلامي : رحّب الشباب التونسي بارتقاء حركة " تركيا الفتاة" إلى السلطة باسطنبول في جويلية 1908 وبإعادة العمل بالدستور العثماني وساندوا حركة الجامعة الإسلامية الّتي بعثها العثمانيون لمواجهة التحديات الاستعمارية، فأصدر كلّ من علي باش حانبة وعبد العزيز الثعالبي في أكتوبر 1911 جريدة "الاتحاد الإسلامي" ، وساهما في جمع التبرعات وتوجيه المتطوعين لدعم المقاومة ضدّ الحملة العسكرية الإيطالية على ليبيا .

4 – التحام الحركة بالتحركات الشعبية : الوثائق 27 ـ 28 ـ 29 ـ 30 ـ 31 ـ 32

تزامنت الأحداث الّتي شهدها العالم الإسلامي مع تعاقب سنوات الجفاف وتردّي الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية وتكثّف استفزازات الجالية الإيطالية ، فساهمت هذه العوامل في نقمة التونسيين وتهيئتهم لردود فعل قوية ضدّ التجاوزات الاستعمارية التحم خلالها أعضاء حركة الشباب التونسي بالقوى الشعبية كما تحولوا إلى ممثلين لها في التفاوض مع السلطة.

– أحداث الزلاّج 7 و8 نوفمبر 1911 : تعود هذه الأحداث إلى مطلب قدّمته إدارة بلدية تونس قصد تسجيل مقبرة الزلاّج التابعة للأوقاف كعقار تابع لها، فراج هذا الخبر وتعدّدت حوله التأويلات واعتبره سكان العاصمة اعتداء على مقدّساتهم .

لقد تحدّد يوم 7 نوفمبر لوضع رسم العقار ولتقديم الاعتراضات القانونية فتجمهرت حشود غفيرة من الفئات الشعبية لمنع عملية التسجيل إذ لم يبلغها قرار المجلس البلدي القاضي بالتخلي عن طلب التسجيل ، ونظرا لحالة النقمة على الإيطاليين (الهجوم العسكري الإيطالي على ليبيا) وعلى سياسة الاستعمار الفرنسي انطلقت مظاهرة عفوية ووقعت مواجهات مع الشرطة والجيش وكذلك الإيطاليين تواصلت في عدّة أحياء من العاصمة حتى يوم 8 نوفمبر.

وتتمثل حصيلة هذه الأحداث في سقوط عديد القتلى والجرحى بين التونسيين و10 قتلى بين الفرنسيين والإيطاليين، وإعلان حالة الحصار في العاصمة وإصدار أحكام قاسية ضدّ 25 تونسيّا منها 7 أحكام بالإعدام ، كما شنّت الصحف الاستعمارية حملة ضدّ أعضاء حركة الشباب التونسي باتهامهم بتدبير الأحداث وبتهديد الوجود الفرنسي بالبلاد .

– أحداث مقاطعة الترامواي فيفري مارس 1912 : تمثل تواصلا لأحداث الزلاّج وتعبيرا جديدا على سخط التونسيين وتحدّيهم للسلطة الاستعمارية وتعكس تطور الحسّ الوطني بفضل الدور الدعائي الّذي قام به الشباب التونسي.

بدأت مقاطعة ركوب الترامواي يوم 9 فيفري 1912 كردّ فعل على مقتل طفل تونسي في حادث اصطدام بعربة ترامواي يقودها إيطالي في اليوم السابق.

لقد تميزت المقاطعة بحسن التنظيم والمتابعة بإشراف أعضاء حركة الشباب التونسي الّذين طرحوا مجموعة من المطالب عل شركة الترامواي كتشغيل عدد أكبر من التونسيين والمساواة في الأجور وفي الارتقاء المهني لجميع الأعوان بدون تمييز عرقي ، وكذلك تحديد سرعة العربات واحترام الأعوان الأوروبيين للحرفاء التونسيين .

كما تكونت لجنة مقاطعة ترأسها علي باش حانبة مهمتها التفاوض مع إدارة الشركة والسلطة حول مطالب التونسيين، ورغم التهديدات تواصلت حركة المقاطعة الّتي شلّت نشاط الشركة وكبّدتها خسائر مالية هامة، فقرّر المقيم العام إجراءات قمعية يوم 13 مارس 1912 تمثّلت في إيقاف 7 عناصر من حركة الشباب التونسي نفي أربعة منهم وهم علي باش حانبة وعبد العزيز الثعالبي ومحمد نعمان وحسن القلاتي، وبمقتضى الحالة القائمة منذ أحداث الزلاّج تمّ منع صدور صحيفة التونسي.

الخاتمة :

استغل الاستعمار الفرنسي الواقع السيئ الذي كانت عليه البلاد و تخاذل البايات وخضوعهم لتثبيت ركائزه ببلادنا ولتحويل مصادر الثروة لفائدة المعمرين، وساهم بسياسة التمييز والإقصاء في تهميش مكانة التونسيين وفي انتشار الفقر.

لكن لم ينعم الفرنسيون بالاستقرار الدائم ، فبفضل الرصيد المتميّز للفكر الإصلاحي التحديثي التونسي تمكنت النخبة المثقفة بتونس العاصمة من وضع أسس الحركة الوطنية التونسية بممارسة تجارب نضالية تطورت تدريجيا في أساليبها ومطالبها وفي تأثيراتها.

ولقد وفّرت هذه التجارب النضالية الأرضية السانحة لانطلاقة تجارب أرقى منها مباشرة إثر انتهاء الحرب العالمية الأولى.

ملفّ منهجي تقييمي

دراسة كاريكاتور (رسم ساخر)

تعتبر الرسوم الكاريكاتورية أو الساخرة الّتي تمثّل الشخصيات أو الوضعيات والأحداث التاريخية وسيلة للإثارة وللتعبير عن مواقف ما.
ولقد راجت هذه الرسوم خلال القرن XIX بفضل حرية الصحافة والنشر في إطار تركز الأنظمة الليبرالية بأوروبا الغربية، واعتمدت كمادة للنقد السياسي والاجتماعي والاقتصادي ولإبلاغ رسالة ما للرأي العام .

I منهجية دراسة رسم كاريكاتوري :

يمكن توظيف الرسوم الساخرة كوثيقة تاريخية في عمليتي التعلم والتقييم ، وتخضع دراسة الرسم الكاريكاتوري للمنهجية التالية :

1 – التقديم :

صاحب الرسم .
الجمهور المستهدف.
موضوع الرسم .
المصدر الذي ورد به (صحيفة ، معلقة ، كتاب ...) .
تاريخ ومكان النشر والظرفية التاريخية.

2 – تحليل الرسم :

* تحليل موضوع الرسم :
– تعرّف الشخصية أو الشخصيات الممثلة ووصفها .
– وصف المشهد وتعرّف الحدث أو الوضعية .
* دراسة الخصائص الفنية للرسم :
– موقع الشخصيات وكيفية إبرازها.
– التقنية الهندسية (الخطوط والأحجام).
– تقنيات الإضاءة والتلوين ودلالاتها .

3 – قراءة الرسم وتأويله :

نعتمد في قراءة الرسم وتأويله على وجهات النظر التالية :
– الرسالة التي أراد الرسام تبليغها من خلال ما يحمله الرسم من رموز وكتابات وكذلك من خلال التّعليق المصاحب .
– تأثير الرسالة على الجمهور المستهدف.
– وجهة نظر الدارس للرسم (الإفادات التاريخية التي يقدّمها الرسم عن الشخصيات والحدث وعن صاحب الرسم وجمهوره).

4 ـ الخاتمة :

– رصد الخصوصيات المميزة للرسم (التقنيات، الموضوع، الرسام، الجمهور المستهدف).
– تحديد القيمة التاريخية للرسم وموضوعيته.

II – مثال تطبيقي :



المصدر : صحيفة "ليبوكا" L'Época 1 ـ 2 أوت 1881 وردت بكتاب الهاشمي القروي وعلي المحجوبي – عندما أشرقت الشّمس من الغرب، نشر سيراس، 1983، ص 51

يتوسّط الرّسم القنصل الفرنسيّ روستان Roustan وهو يمسك بحبل كلاّ من الباي محمّد الصّادق على يمينه (يسار الرّسم) ، والسّلطان العثماني عبد الحميد الثّاني على يساره (يمين الرّسم) كما يحمل الرّسم كتابات هي بمثابة الشّعارات الّتي تعبّر عن موقف الرّأي العامّ الإيطاليّ من احتلال فرنسا لتونس في ماي 1881.

ٱدرس الرّسم مستعينا بالأسئلة التّالية :

1 – قدّم الرّسم
2 – صف المشهد الّذي يمثله الرّسم مبرزا الخصائص الفنّيّة المعتمدة في إنجازه.
3 – أُدرس مستعينا أيضا بالوثيقة 10 من الدّرس 22 موقف إيطاليا من احتلال فرنسا لتونس.

قائمة المصادر والمراجع :

تاريخ تونس:
– محمّد بن أبي القاسم الرّعيني المشهور بابن أبي دينار – المؤنس في أخبار إفريقيّة وتونس، تونس 1967
– أحمد بن أبي الضياف، إتحاف أهل الزمان بأخبار تونس وعهد الأمان، تونس، 1964.
– حمودة بن عبد العزيز، التاريخ الباشي، الدار التونسية للنشر، تونس 1970.
– محمد الصغير بن يوسف الباجي، المشرع الملكي في سلطنة أولاد علي تركي مخطوط بالمكتبة الوطنية رقم 18688.
– حسين خوجة، ذيل بشائر أهل الإيمان بفتوحات آل عثمان، الدار العربية للكتاب، تونس، 1975.
– محمد بيرم الخامس، صفوة الاعتبار بمستودع الأمصار والأقطار، دار صادر، بيروت.
– محمود مقديش، نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار، تونس، 1990.
– خير الدين باشا، أقوم المسالك في معرفة أخبار الممالك، الدار التونسية للنشر، تونس، 1986.
– رشاد الإمام، سياسة حمودة باشا في تونس، منشورات الجامعة التونسية، تونس، 1980.

– محمد الهادي

F. Braudel - La Méditerrannée et le monde méditérranéen à l'époque de Philippe II - Colin Paris 1975.

Jean Ganiage. Les origines du protectorat français en tunisie.Tunis. 1968
L Valensi. Fellahas Tunisiens - Paris Lahaye. 1977
Karoui et Mahjoubi. Quand le soleil s'est levé à l'ouest. Tunis 1983
Cherif. M.H. pouvoir et société dans la Tunisie de Hussein Ben Ali (2 T) Université de Tunis. 1986

P. d'Estournelles de Constant - La Conquête de la Tunisie - Edition Sfar - Vendée 2002
M.S.Mzali et J.Pignon : Khereddine - Homme d'Etat . Mémoires - MTE 1971.
Jean Meyer - Les Européens et les autres de Cortez à Washington - Colin Paris 1975.

الشريف، تاريخ تونس، سيراس للنشر، 1980.
– محمد الهادي العامري، تاريخ المغرب العربي، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1974.
– محمد حسن، المدينة والبادية في إفريقية في العهد الحفصي، منشورات كلية العلوم الإنسانية، 1999
– علي المحجوبي، انتصاب الحماية الفرنسية بتونس، سيراس للنشر،تونس، 1993.
– نور الدين الدقي، حركة الشباب التونسي، تونس، 1999.
تاريخ العالم الإسلامي:
– الجبرتي (عبدالرحمان)، تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار، دار الجيل، بيروت، 1978
– ابن إياس، بدائع الزهور في وقائع الدهور، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1984.
– محمد فريد بك المحامي، تاريخ الدولة العلية العثمانية، دار النفائس، بيروت، 1988.
– الناصري (أحمد)، الاستقصاء في أخبار دول المغرب الأقصى، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1956
– خوجة (حمدان)، المرآة، بيروت، 1978.
– خالد زيادة – اكتشاف التّقدّم الأوروبي – دار الطّليعة – بيروت 1981.

تاريخ العالم الغربي :

Chaulanges.textes historiques. Edit. Delagrave
J.P.Rioux. La Revolution Industrielle. Collection Points. Le Seuil. 1971
A. Soboul - La Révolution Française (Gallimad 1969)
F. Furet - Penser la Révolution Française. (Folio Histoire 1985)
E.J Hobsbawm : L'ère du Capital . Edit. Fayard 1978
P. Goubert - L'Ancien régime - Les pouvoirs, A. Colin 1973
J. Proust - L'Encyclopédie - Diderot et d'Alembert (Hachette 1985)

مراجع رقمية :

- www. Azzaman.com
- www.fikr.com
- www.wikipedia.com
- www.Almultaka.com

- http :// WWW. lombardf.com/pri/2nd1/index crs.htm/Http //www.memo.fr/formulaire contact. htm
- Http://www.memo.fr/article.asp?ID=MOD REN O10
- http ://www. renaissance-amboise;com/Services/dossiers/chrono.php
- http :// WWW. Chez. Com / Gazelle/ Archives / 1942 / présent . htm-
- http :// WWW. Sunsite. unc. edu / Expo/ 1492 - Exhibit./ Intro.htm-
- http :// WWW. Citeweb . net / Slizote / Chris 4 . html -
- http :// WWW. Cite web . net / révolution/
- http :// WWW. class. csu Poumona. édu/ efl/ French 308/ révolution- évent. html
- http :// WWW. Culture. fr/ Lumière / documents/ musée - virtuel. html:
- http :// WWW. hyp.ge - dep. état-ge. ch/ www/Cliotexte/ html / colonisation. colonies.2 html-
- WWW. Azzaman. Com
- WWW. Ficr. Com
- WWW. Almultaka. Com.

توزيع الدّروس بين المؤلّفين

صالح بن حسين	**الدّروس :** 2 - 9 - 12 - 15 - 19
البشير العايدي	**الدّروس :** 1 - 7 - 18 - 20 21 + 22 **بمعيّة (الطّاهر حميدة)**
رشيد بن مسعود	3 - 4 - 8 13 - 16 - 23
الطّاهر حميدة	5 - 6 - 10 - 11 14 - 17 + 22 **بمعيّة (البشير العايدي)**